المجلس الأعلى للثقافة

الروائع من الأدب العربي

الجزء الثاني

القرن الأول الهجري

إشراف : الدكتور عز الدين اسماعيل

المجلس الأعلى للثقافة
لجنة الدراسات الأدبية

الروائع من الأدب العربي

الجزء الثانى

القرن الأول الهجرى

إشراف
الدكتور عز الدين إسماعيل

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٩٨٩

أعضـــاء

لجنة الدراسات الأدبية واللغوية

التى أعدت هذا المجلد

أ.د. عز الدين اسماعيل (مقرر اللجنة)

أ.د. ابراهيم عبد الرحمن

د. أحمد الهوارى

أ.د. رمضان عبد التواب

د. على البطل

أ.د. فخرى قسطندى .

أ.د. محمد زغلول سلام .

أ.د. محمد عبد المحسن طه بدر

أ.د. محمد عونى عبد الرءوف

أ.د. محمد فتوح أحمد

أ.د. محمد مصطفى هدارة

أ.د. محمود الربيعى

روائع الأدب العربى

الجزء الثانى

تقـديم

صـدر الجـزء الأول من « روائع الأدب العـربى » عن المجلس الأعـلى للثقافة ، مشتملا على مختارات من الشعر والنثر فى العصر الجاهلى • وقـد استأنفت لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس عملها فى هذا المشروع الثقافى الكبير ، فأنجزت الجزء الثـانى من هـذه « الروائع » ، مشتملا على مختارات من الشعر والنثر فى الحقبة الممتدة من صدر الاسلام الى ما قبيـل نهاية العصر الأموى ، وهى حقبة تمتد أكثر من مائة عام •

وقـد استندت اللجنة فى تحديد هذه الحقبة على هذا النحو الى نوع من التجانس فى الاطار العام لها ، يحيط بالابداع الأدبى فيها ، شعرا ونثرا ، آخذة فى الحسبان ـ فى الوقت نفسه ـ تنوع المفـردات التى يضمها هـذا الاطـار •

والواقـع أن المجتمع العربى فى هذه الحقبة كان قد تطور فى اطـاره العام تطورا هائلا عما كان عليه فى الجاهلية ، فقد أصبح مجتمعا موحدا من حيث العقيدة ، نتيجة لانتشار الاسلام واستقراره فى نفوس العرب ، كما أصبح يشكل دولة موحدة تقوم على شئونها حكومة مركزية • وقد نشأ عن وحدة العرب فى العقيدة ووحدتهم فى الدولة أن برزت مجمـوعة من القـيم الجديدة ، تحكم سلوكيات الأفراد فى هذا المجتمع ، من جهة ، وتحدد العلاقة بينهم وبين الحكومة التى خـرجت من قلب الجـزيرة العـربية لتستقر فى دمشق ، من جهة أخرى • لكن هذا المجتمع الموحد ـ عقيدة وحكومة ـ لم يكن بمنأى عن الصراعات السياسية التى ظهرت منذ وقت مبكر حول أصحاب الحق الشرعى فى حكم هذه الدولة ، والتى أحيت الصراع القبلى القديم على نحـو

لا يختلف كثيرا عما كان عليه في الجاهلية ، وان اختلفت أبعاده وأهدافه . وقد استثمر البيت الأموى الحاكم هذا الصراع القبلى كما استثمره المناهضون لهـم .

وعلى الرغم من أن تلك الحقبة تمثل فى تاريخ العرب والاسلام حقبة الفتوحات الكبرى ، حيث أخذت شعوب غير عربية تدخل في الدين الجديد وتتنفس لغته ، فان الملاحظ بصفة عامة أن المجتمع العربى فى هذه الحقبة كان ما يزال – على مستوى الابداع اللغوى – وثيق الصلة بنتاج العصر الجاهلى ، فكان كثير من شعرائها البارزين على اختلاف فنون القول التى يأخذون فيها – يمثلون امتدادا لسلاسل من الشعراء متصلة الحلقات ، ترجع بداياتها الى عصر ما قبل الاسلام . حقا ان شيئا من التغير قد يلحظ فى مفردات معجم هذا الشاعر أو ذاك ، وفى القيم التى تشكل مضامينه ،تأثرا بروح العقيدة الجديدة ومعجمها ؛ لكن هذا التغير كان نسبيا ولـم يكن حاسما . وربما بدا هذا التغير أوضح وأقوى فى مجال النثر ، خصـوصا فى مجـالات الخـطابة والمراسلات والكتابة الديوانية والقصص الوعظى ... الخ .

وهكـــذا يتوزع الشعراء فى هذه الحقبة فى فئات مختلفة ، تصنف تصنيفا قد لا يختلف كثيرا عن تصنيفهم فى العصر الجاهلى ؛ فما تزال هناك فئة ترتبط بالصراع السياسى ، سواء منهم من كانوا موالين للبيت الأمـوى الحاكم أو مناهضين لهذا الحكم ، فكانوا بذلك أشـبه بشعراء القبـائل فى العصر الجاهلى ، لاسيما أنهم كرسوا ما كان قديما وما عاد فبزغ حديثا من احن وحزازات بين القبائل العربية فى ذلك الصراع السياسى ؛ وهناك الفئة التى نأت بنفسها عن هذا الصراع وتقوقعت تجتر آلامها وأحزانها ؛ وهناك الفئة التى انغمست فيما أتاحه المجتمع الجديد ، وبما تهيأ لها فى الأوضاع الاقتصـادية الجـديدة من الثروة ، ومـا أدى اليـه ذلك من لهـــو بـرىء أو غير برىء . ولهؤلاء وهؤلاء آباء من شعراء العصر الجاهلى ؛ منهم من رفض المجتمع وخرج عليه ؛ ومنهم من تغنى مواجده وأحزانه من خلال عاطفة الحب البرىء ؛ ومنهم من انخرط فى ملذات الحياة ، عبثا بالنساء أو انهماكا فى الشراب .

وعلى الجملة يمكن أن يقال ان تطورا ما قد حدث فى مجال الشعر فى هذه الحقبة ، ولكنه لا يوازى التطور الذى حدث فى مجال النثر ٠

* * *

وقد التزمت اللجنة فى مختاراتها من الشعر والنثر فى هذه الحقبة بالهدف العام الذى قصد اليه مشروع سلسلة « الروائع » فى عمومه ، وبما تحقق عمليا فى الجزء الأول الذى صدر من هذه السلسلة ، وهو أن تكون المختارات ـ شعرا ونثرا ـ معبرة عن أفضل ما أنتجه أصحابها من جهة ، وعن العصر الذى أفرزها من جهة أخرى ٠

وقد استتبع هذا الالتزام مجموعة من القواعد العامة ، اتخذتها اللجنة أساسا لعملها ؛ ويمكن اجمالها فيما يأتى :

أولا ـ أن اللجنة لم تحكم ذوقها العصرى الخاص فى اختيار ما اختارت من النصوص ، متحرية أن تكون هذه النصوص معبرة عن ذوق عصرها ٠

ثانيا ـ أن اللجنة تحرت ايراد النص المختار كاملا على النحو الذى ورد عليه فى المصادر الموثقة ؛ فلم تسمح لنفسها بالحذف منها أو الاجتزاء ببعضها ، ما دامت هذه النصوص قد سبق نشرها فى تلك المصادر ٠ وعلى الرغم من ثقة اللجنة من أن أجزاء من بعض هذه النصوص قد لا ترقى الى مستوى الاختيار اذا ما اعتمد هذا الاختيار على الذوق الشخصى أو على معايير فنية مقررة ، فان اللجنة آثرت نشر هذه النصوص فى صورتها الكاملة ، ايمانا منها بوحدة العمل الفنى وتكامله ٠

ثالثا ـ أن اللجنة لم تشأ أن تجعل من نفسها بديلا من المتلقى فى تذوقه للنصوص وتفاعله معها ؛ فلم تعمد الى تقديم الشروح المستفيضة والتعليقات الضافية ، أو اصدار الأحكام الفنية على النصوص المقدمة ، بل اقتصرت من ذلك كله على التعريف الموضوعى الموجز بصاحب النص ، وشرح ما قد يكون غريبا من المفردات الواردة فى ثنايا النصوص ، تيسيرا لعملية القراءة فحسب ٠

رابعا — أن اللجنة تنطلق من حقيقة أن سلسلة « الروائع » ليست سلسلة في تاريخ الأدب العربى ؛ ومن ثم قد لا تكون النصوص المختارة ممثلة لهذا التاريخ في مجمله ، وان كانت بالضرورة ممثلة لجوانب منه • ومع ذلك فقد آثرت اللجنة أن تقدم هذه النصوص فى نسق يراعى فيه التتابع الزمنى لها فى عصرها • وقد يستكشف القارىء مغزى لهذا النسق أو لا يستكشف عندما يقرأ هذه المجموعة من النصوص على نحو متصل ومطرد • لكن القارىء حر آخر الأمر فى اختيار الطريقة التى يقرأ بها هذه النصوص ، وكل ما هنالك أن هذا الأسلوب فى ايراد النصوص وفقا للتتابع الزمنى يأتلف وذلك الأسلوب العام لنسق السلسلة فى مجموعها •

* * *

وقد جرى العمل فى اعداد هذا الجزء من « الروائع » على النحو الآتى :

أولا — قام أعضاء اللجنة منفردين باختيار أكبر قدر ممكن من النصوص الشعرية والنثرية التى يتوسمون فيها — بصفة مبدئية — امكانية دخولها فى دائرة الاختيار •

ثانيا — استعرضت اللجنة مجتمعة هذه النصوص نصا نصا ، وتداولت الرأى فيه • وفى هذه المرحلة تمت عملية تصفية أولى لما يمكن اختياره •

ثالثا — عاودت اللجنة عملها فى النصوص المختارة فأخضعتها لتصفية نهائية بالطريقة نفسها ، آخذة فى الحسبان تحقيق الشروط الموضوعية التى اتخذتها أساسا لعملها •

رابعا — وبعد مراجعة نهائية للنصوص المختارة ، شعرا ونثرا ، اعتمدت اللجنة النسق الذى اتبع فى انجاز الجزء الأول فيما يتصل بتقسيم المجلد الى قسمين كبيرين ، أولهما خاص بالنصوص الشعرية ، وثانيهما خاص بالنصوص النثرية على التوالى • وقد أوردت اللجنة النصوص المختارة من كل شاعر أو ناثر — اذا تعددت — فى موضع واحد • وكان تعدد النصوص فى هذه الحالة رهنا بمدى شهرة الشاعر أو الناثر ومدى أهميته فى زمنه •

ولما كان هذا المجلد استئنافا للمجلد الأول ، الذى توقف دون ايراد نماذج مختارة من مخضرمى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، فقد ضم هذا المجلد مجموعة نصوص من طائفة من أبرز هؤلاء المخضرمين .

ولأن بعض الشعراء عاشوا وأنتجوا شعرهم فى ابان الدولتين الأموية والعباسية ، وهم من عرفوا بمخضرمى الدولتين ، فقد اتخذت اللجنة من عام ١٢٥ هـ حدا أقصى لوفاة من تختار لهم فى هذا المجلد ، تاركة ما يمكن أن يختار من أعمال من توفوا بعد هذا التاريخ للمجلد الثالث .

واللجنة اذ ترجو أن تكون قد وفقت فى انجاز هذا المجلد على النحو الذى يحقق الهدف المرجو منه ، لتوجه شكرها الى كل من أسهموا فى مباشرة طباعة هذا المجلد ، والى السيدة عائشة عبد الرحمن ، الأمينة الفنية للجنة الدراسات الأدبية واللغوية ..

اللجنة

أبو محجن الثقفي

(ت ١٦ هـ)

هو أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عقدَة ابنِ غَمِيرة بن عوف بن قسى (وهو من ثقيف) الثقفي الملقب بمُطَاعم الريح .

شاعر مخضرم مطبوع ؛ أسلم حين أسلمت ثقيف ، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، إلَّا أنه كان منهمكًا في الشراب . جلده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الخمر مرارًا ، ونفاه إلى جزيرة فى البحر لأَنه شبب بامرأَة متزوجة ، فهرب أبو محجن من الجزيرة ، ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية ،فكتب عمر إلى سعد بحبسه ، فحبسه .

فلما كان يوم القادسية ، طلب من امرأَة سعد أَن تخلى سبيله ، ليشارك فى الحرب ثم يعود إليها ، إلَّا أن يقتل ؛ فخلته ؛ فحارب وأَحسن البلاءَ فى القتال . ولما عرف سعد بالخبر ، خلى سبيله . ومات أَبو محجن شهيدا فى أَرمينية عام١٦ هـ ، وقيل فى نهاوند عام ٢٢ هـ .

وقد جمع أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) ديوانه ،الذى حققه فى عام ١٩٥٣ امتياز على عرشى بالهند ، كما طبع الديوان فى ليدن بتصحيح

الكونت دولد برج (الشيخ عمر السويدى) فى عام ١٨٨٩ ، وفى مصر عن نسخة الشنقيطى بمطبعة الأزها البارونية .

والقصيدة قالها أبو محجن لما تواقع القوم بالقادسية ، ونظر إلى الناس وقد أخفقوا .

وبعد أن أنشد الأبيات قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك علىّ عهد الله وميثاقه ، لئن فتح الله على المسلمين وأنا حى ، لأرجعن إلى محبسى . فأطلقته . فركب فرسًا بلقاء لسعد ، وخرج ، فشق الصفوف مقبلًا ومدبرًا . وأشرف سعد من القصر ، فنظر ، فقال : لولا أن أبا محجن مقيد لقلت : إن الفارس أبو محجن ، وهذه فرسى البلقاء » .

* * *

قال أبو محجن :

١ كفى حَزَنًا أن تطعَن الخيلُ بالقَنَا — وأصبح مشدودًا علىّ وثاقيا

٢ إذا قمتُ عنَّانى الحديدُ وأُغلقت — مصارعُ دونى قد تُصِم المناديا

٣ وقد كنت ذا مال كثير وإخوة — فأصبحت منهم واحدًا لا أخا ليا

٤ وقد شفَّ جسمى أننى كلَّ شارق — أُعالج كَبْلًا مُصمَتًا قد برانيا

٥ فللهَ درى يوم أُترك مُوثَقـا — وتذهل عنى أُسرتى ورجاليا

٦ حُبسنا عن الحرب العَوانِ وقد بَدت — وأعمال غيرى يوم ذاك العواليا

٧ هلمَّ سلاحى ، لا أبالك ، إننى — أرى الحرب لا تزداد إلَّا تماديا

٨ فللَّه عهد لا أَخِيسُ بعهده — لئن فَرَجت أن لا أزور الحوانيا

٩ فإن مت كانت حاجة قد قضيتها — وخلفت سعدًا وحده والأمانيا

* * *

---

(٢) عنانى : آذانى وكلفنى .

(٤) شف : أوهن . الشارق : الشمس حين تشرق . أعالج : أزاول وأمارس . الكبل : القيد . برانى : أضعفنى .

(٨) لا أخيس : لا أنكث . لئن فرجت : أى امرأة سعد بن أبى وقاص . الحوانى : دكاكين الخمر .

وقال أبو محجن :

١ إذا مت فادفنّى إلى أصل كرمة ... تروّى عظامى فى التراب عروقها

٢ ولا تدفننّى بالفلاة ، فإننى ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

٣ ويروى بخمر الحُص لَحدِى فإننى ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

٤ أبَاكِرُها عند الشروق وتارة ... يُعالجنى بعد العشى غَبوقها

٥ وللكأس والصهباء حظٌّ مُنَعَّم ... فمِن حقها أن لا تضاع حقوقها

٦ أقوِّمها زِقًّا بحق ؛ بذاكمُ ... يساق إلينا تَجْرُها ونسوقها

٧ وعندى على شرب العُقار حفيظة ... إذا ما نساءُ الحى ضاقت حلوقها

٨ وأُعجلْن عن شد المآزِرِ وُلَّهاً ... مفجَّعةَ الأَصوات قد جفَّ ريقها

٩ وأمنعُ جار البيت ممّا يَنوبُه ... وأُكرِم أضيافًا قِراها طُرُوقها

---

(١) عن ابن السكيت « قوله إذا مت . هذا الخطاب مع ابنه يأمره بذلك . وفيه مبالغة على حبه الخمر وتعطشه إليها ، إذ أظهر الرغبة إليها وهو ميت »

(٢) الفلاة : الأرض المهلكة التى لا نبات بها ولا ماء .

(٣) الحص : موضع بنواحى حمص تنسب إليه الخمر .

(٤) أباكرها : أى أشربها عند شروق الشمس . الغبوق : شرب آخر النهار . يعالجنى الغبوق : أشربها عشاء .

(٥) حقوقها : أى كونها تسر القلب ، وتذهب الهم . حظ منعم : أى منعم صاحبه .

(٦) الزق (بالكسر) : ظرف الخمر . الحق (بالكسر) من الإبل : ابن ثلاث سنوات ، والأنثى حقه ، وسمى بذلك لأنه استحق أن يحمل عليه . التجر : جمع تاجر .

(٧) الحفيظة : كل شىء يغضب لأجله . يقصد الشاعر هنا المحافظة على شرب الخمر . المفجعة : التى نزل بها ما أخافها وأفزعها . جف ريقها : يبس .

(٨) أعجلن عن شد المآزر : أى من فزع الغارة . الوله : جمع والهة ؛ المرأة أصابها الكرب .

(٩) قراها طروقها : قريناها عند طروقها . القرى : إكرام الضيف . الطروق : الإتيان ليلاً .

أبو ذؤيب الهــذلى

(ت حوالى ٢٨ هـ)

هو خويلد بن خالد بن محرث من قبيلة هذيل التى عرفت بفصاحتها . وهى حجازية منازلها فى المرتفعات المحيطة بمكة . وكانت تنزل بطونها بسراة هذيل ؛ وهى مرتفعات قريبة من الطائف ، وبعرفة ، وبطن نعمان ، وغيرها من الأماكن التى تردد ذكرها فى أشعار الهذليين .

وكانت هذيل وثنية فى الجاهلية كغيرها من قبائل العرب . ومن أشهر أوثانها « سواع » ؛ وقد هدم فى السنة الثامنة من الهجرة .

ولم تكن هذيل من القبائل التى بادرت إلى الإسلام ، بل ظلت معادية للمسلمين ، وإن دخل بعض أفرادها الإسلام . وكان منهم الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود .

ونبغ فى هذيل جماعة من الشعراء ، أشهرهم وأشعرهم أبو ذؤيب ، ومنهم أبو خراش الهذلى ، الذى أسلم وعاش فى ظل الإسلام حتى مات فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولد أبو ذؤيب فى أحد بطون هذيل ؛ فى بعض منازلها قرب الطائف ، وعمل كما يعمل شباب البيئة الجبلية بالصيد واشتيار العسل والرعى ، وتعلق ببعض النسوة ممن جاء ذكرهن فى شعره ، وارتبط بعلاقات صداقة مع بعض أهله وأبناء قبيلته . وكان أقربهم إليه شيبة الذى رثاه

بقصائد تكشف عن صدق ما كان يحمله له من محبة . وتردد ذكر أحد أبناء قبيلته « خالد » فى شعر له يذكر مغامرات نسائية مع امرأة من القبيلة ، وكان ينافسه فى حبها .

وشارك أبو ذؤيب فى حياة القبيلة ، وأحداثها . وكانت مشاركته باللسان والسيف ؛ فقد ذكرت الأخبار مشاركته فى يوم « البوباة » ، الذى أغارت فيه إحدى القبائل على هذيل ، وارتجز فى المعركة رجزاً يستنهض به الهمم .

واعتنق أبو ذؤيب الإسلام متأخراً ، وذهب إلى المدينة ليلقى النبى فى مرض الموت ، فلم يظفر بلقائه صلى الله عليه وسلم ؛ فقد سبقه إليه الموت ، فرثاه بأبيات يقول فيها :

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها	وتزعزعت آطـام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبـال يثرب كلهـا	ونخيلهـا لحلول خطب مفـدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته	بمصـابه ، وزجرت سعد الأذبح

والمراجع شحيحة بأخبار الشاعر ؛ فلا نعرف عنه شيئاً إلا عن وقعة أبنائه ، وموتهم بالطاعون فى السنة الثامنة عشرة للهجرة ؛ وقد رثاهم بالقصيدة المذكورة . وكان أبو ذؤيب قد شارك هو وبنوه فى الفتوح الإسلامية للشام ومصر .

وكان قد نذر نفسه للجهاد . قيل : إنه جاء عمر بن الخطاب وهو خليفة فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان بالله

ورسوله . قال : فعلت ؛ فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : ذلك كان على ، وإنى لأرجو الجنة ، ولأخاف النار » .

وكان أبو ذؤيب فى صحبة عبد الله بن الزبير عندما بعث به عمر بن الخطاب فى نجدة عمرو بن العاص بمصر . وظل أبو ذؤيب فى صحبة ابن الزبير؛ ويبدو أنه لازمه فى العودة من مصر وفى بعض فتوح أفريقيا . وقد توفى فى الطريق .

وأبو ذؤيب شاعر من كبار شعراء المخضرمين ؛ عده ابن سلام الجمحى فى طبقاته من الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية ، مع الشماخ بن ضرار والنابغة الجعدى ولبيد بن ربيعة .

وأورد ابن سلام فى تقديم أبى ذؤيب الشاعر أقوالاً ، منها قول حسان ابن ثابت حين سئل : من أشعر الناس ؟ قال : حيًّا أو رجلًا ؟ قيل : حيًّا . قال : أشعر الناس حيًّا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . ونعته ابن سلام بقوله : « وكان أبو ذؤيب شاعرًا فحلًا لا غميزة فيه ولا وهن » .

وأورد فيه قول أحد العلماء : « وكان فصيحاً كثير الغريب ، متمكناً فى الشعر » .

ومن عيون شعره قوله من هذه القصيدة :

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

ذكره ابن قتيبة من الشعر الذى حسن لفظه وجاد معناه . وعلق عليه بقول الأصمعى فيه « هذا أبدع بيت قالته العرب » .

والقصيدة من عيون شعر أبى ذؤيب ، بل هى من عيون شعر الرثاء عامة .ومناسبتها فيما ذكر صاحب شرح ديوان الهذليين أنه قد هلك له خمسة بنين فى عام واحد أصابهم الطاعون . روى الأصبهانى قال : « تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التى يرثى فيها بنيه » .

والقصيدة صادقة الحزن عميقة الإحساس به ، يتردد فيها ألم الفاجعة بين الشعور بهول الصدمة ، والتسليم بالقضاء ، وندب الموتى لفقدهم . إلّا أن أجمل ما فيها تلك الصور الشعرية التى يعرض فيها صراع الحياة والموت ، ووقعات المنية بين الأحياء . وهو يبدأ كل لوحة ببيت يمهد لها شطره الأول المتكرر الذى يقول فيه :

والدهر لا يبقى على حدثانه

وأجمل هذه اللوحات جميعاً لوحة حمار الوحش وأتنه ، وقد فاجأها القانص وهى فى قمة الفتوة والنشاط والسعادة والمرح ، تنعم بالربيع والماء النمير ، فإذا سهام المنية تدهمها فتصرعها جميعاً ، فى صورة مأساوية بارعة الإيحاء .

* * *

قال :

١ أَمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجَّعُ
والدهرُ ليس بُمعِتب من يجزع

٢ قالت أَميمةُ : مالجسمكَ شاحباً
منذ ابْتُذلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفعُ

٣ أَم ما لجنبكَ لايُلائم مَضْجعاً
إلاَّ أَقضَّ عليكَ ذاكَ المضجَعُ

٤ فأَجَبتُها أَن ما لجِسْمِى أَنَّهُ
أَودَى بنِىَّ من البلادِ فودَّعُوا

٥ أَوْدَى بنىَّ وأَعقَبُونى غُصَّةً
بعدَ الرُّقادِ وعَبرَةً لاتُقلِع

٦ سبقُوا هَوَىَّ وأَعنقُوا لِهَواهُمُ
فتُخُرِّمُوا ، ولكُلِّ جَنْبٍ مصْرَع

---

(١) المنون : الدهر . وقيل المنون المنية : أى الموت . ورواية البيت على المعنى الأخير لتأنيث ريب .

(٢) شاحبا : أى متغيرا مهزولا . وابتذلت : امتهنت ، أى امتهنت نفسك مع كثرة مالك الذى ينفعك فى أن يكفيك هذا الامتهان بشراء من يقومون على خدمتك .

(٣) أقض المضجع : جعل النوم على القض ، وهو الحصى ، فكان نوما غير مريح

(٥) أودى : ذهب . ويشير بقوله « بعد الرقاد » إلى أن حزنه يمنعه النوم حين ينام الناس .

(٦) هوى : أصلها هواى ، وهى لغة هذيل فى كل اسم مقصور مضاف إلى ياء المتكلم . اعنقوا : أسرعوا . وتخرموا : أخذوا واحدا واحدا .

٧ فغبَرْتُ بعدهُم بعيشٍ ناصِبٍ
وإخالُ أنّى لاحِقٌ مستَتْبَعُ

٨ ولقد حَرَصتُ بأن أُدافِعَ عنهُمُ
فإذا المنيَّةُ أقبلتْ لا تُدفعُ

٩ وإذا المنيَّةُ أنْشَبتْ أظفارَهَا
ألفيتَ كلَّ تميمَةٍ لاتَنْفَعُ

١٠ فالعينُ بَعدهُمُ كأنَّ حِداقَهَا
سُمِلَتْ بشَوك فهى عُورٌ تَدمعُ

١١ حتّى كأنّى للحوادِثِ مرْوةٌ .
بصَفا المشَرَّقِ كلَّ يوم تُقرَعُ

١٢ لابُدَّ من تلفٍ مُقيمٍ فانتَظِرْ
أبأرض قومِك أم بأُخرَى المصرَعُ

١٣ ولقد أرَى أنَّ البُكاء سفَاهَةٌ
ولسَوفَ يُولَعُ بالبُكا من يُفْجعُ

---

(٧) غبرت : بقيت ، وناصب : ذو نصب ، أى متعب ، ومستتبع : مستلحق ، مبنى للمفعول ، أى سيلحقنى بهم الموت .

(١٠) حداق : جمع حدقة ، وسملت : فقئت . عور ، جمع عوراء ، والعين العوراء : المصابة برمد أو قذى أو أذى .

(١١) مروة : حجر أبيض براق تقتدح منه النار . ويقال لمن كثرت مصائبه : قرعت مروته . صفا : صخر . والمشرق جبل منى ؛ يشير إلى كثرة وطء الحجيج لجبل منى فى الموسم . والصفا والمروة صخرتان يسعى بينهما الحجاج ؛ من المشاعر .

١٤ وليأتينّ عليك يومٌ مرّةً
يُبكَى عليك مُقنَّعًا لا تسمَعُ

١٥ وتجلّدِى للشامِتينَ أُريهمُ
أنّى لريْبِ الدّهر لا أتضعضَعُ

١٦ والنّفسُ راغِبــةٌ إذا رغّبتَها
فإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

١٧ كم من جميعِ الشّمل مُلتئِم الهَوى
بَاتُوا بعيشٍ ناعمٍ فتصدَّعُوا

١٨ فلئِنْ بهمْ فجَعَ الزمانُ ورَيبُهُ
إنّى بأهْلِ مودّتِى لمُفَجَّعُ

١٩ والدّهرُ لايبقَى على حدَثانِهِ
فى رأسِ شاهِقَةٍ أعزُّ مُمَنَّعُ

٢٠ والدّهرُ لا يبقَى على حدثانِه
جونُ السَّرَاةِ له جدائِدُ أَربَعُ

---

(١٩) شاهقة : صفة لصخرة ، وأعز ممنع : كبش الجبل الذى يسكن الأماكن الوعرة العالية ، ويضرب به المثل فى المنعة .

(٢٠) جون السراة : يريد حمار الوحش . والجون : الأسود ، والسراة : أعلى الظهر ، والجدائد من جدود ، وهى التى خف لبنها . يقصد الأتن أو إناث حمار الوحش الأربع .

٢١ صَخِبُ الشّوارب لايزالُ كأنّهُ
عَبدٌ لآل أبي رَبيعةَ ، مُسبَعُ

٢٢ أكَل الجميمَ وطاوعتهُ سمْحَجٌ
مثلُ القناةِ وأزْعَلَتْهُ الأمرُعُ

٢٣ بقَرَار قيعانٍ سقَاها وابلٌ
واهٍ فأثْجَمَ بُرهةً لا يُقلِعُ

٢٤ فلبثْنَ حيناً يعتَلِجْنَ بروضَةٍ
فيجِدُّ حيناً فى العلاج ويشْمَعُ

٢٥ حتّى إذا جزَرتْ مياهُ رُزُونِهِ
وبأىِّ حِينِ مُلاَوةٍ تتقَطَّعُ

(٢١) الشوارب : مخارج الصوت من الحلق . صخب الشوارب يقصد شديد الصوت ، وآل ربيعة من مخزوم حى من قريش عرفوا بالثراء وكثرة العبيد . ومسبع : وحشى ، لطول ملازمته للسباع فى البرية .

(٢٢) الجميم : الغزير من النبات فى الروضة ، والسمحج : الأتان الطويلة الظهر ، وأزعلته : أنشطته ، الأمرع : الخصب ، من أمرع المكان إذا أخصب . يريد أنه مما طعم من النبت الغزيز فى الروضات الخصبة قد قوى واشتد نشاطه .

(٢٣) قيعان : القاع مجتمع الماء ، وهى القطعة من الأرض الصلبة الطيبة الطين ، تكون فى بطن الوادى . والوابل :المطر الغزير ، وواه : شديد السقوط ، وأثجم أسرع فى السقوط .

(٢٤) يعتلجن : يتضاربن ويتعاضضن ، يقصد الأتن إناث الحمر الوحشية ، علامة على النشاط والحيوية والفرحة بالحياة وخصب المرعى . ويشمع : يلعب ، يقصد الحمار الوحشى ؛ يجد حينا فى معاملته للأتن ويلعب حينا

(٢٥) جزرت :نقصت وانخفضت ، ورزونه : مرتفعه ، والرزون والحزون المرتفعات . وحين ملاوة أى حين دهر .

٢٦ـ ذَكرَ الوُرُودَ بها وشَاقَى أمرَهُ
شُؤمٌ ، وأَقْبلَ حينُه يَتتبَّعُ

٢٧ فافتنَّهنَ من السَّواءِ ، وماؤُهُ
بَثْرٌ ، وعاندَهُ طَرِيقٌ مهْيَعُ

٢٨ فكأَنَّها بالجزْع بينَ « يُنابعٍ »
و « أُولاتِ ذى العرْجاءِ » نَهبٌ مُجمَعُ

٢٩ وكأَنَّهنَّ رِبابــةٌ وكأَنَّهُ
يسرٌ يُفيضُ على القِداح ويَصْدَعُ

٣٠ وكأَنَّما هو مِدْوُسٌ مُتقلِّبٌ
فى الكفِّ إلَّا أَنَّهُ هو أَضْلَعُ

(٢٦) شاقى أمره مشاقاة من الشقاء ، والحين : الهلاك .

(٢٧) افتنهن : أى احتثهن وساقهن ، يعنى الأتن ، وطردهن فنونا من الطرد ، والسواء : المرتفع ، وبثر : كثير ، وعانده : عارضه ، ومهيع : واسع .

(٢٨) الجزع : بكسر الجيم منعطف الوادى . ويروى الجزع بالفتح وهو الأشهر . وينابع ، ويقال « نبايع » واد فى أرض هذيل . « أولات ذى العرجاء » : أكمة ومرتفعات حولها ببلادهم . نهب مجمع : أى إبل منهوبة مطرودة ؛ شبه الأتن بها فى جريها أمام حمار الوحش .

(٢٩) ربابة : الربابة خرقة تغطى بها قداح الميسر ، وقد يقصد بها هنا القداح نفسها ، ويسر : الذى يضرب بها ؛ أى اللاعب الميسر . ويفيض على القداح : يدفعها ويضرب بها . شبه الحمار فى جمع الأتن وتفريقها فى كل ناحية وهو يصيح بصاحب قداح الميسر يجمعها ثم يفرقها . يصدع : يفرق ويصيح .

(٣٠) المدوس : مسن الصيقل الذى تصقل به السيوف وهو من الحجر الصلب . وأضلع : أشد وأقوى وأغلظ . شبه الحمار فى صلابته وتقلبه بمدوس السيوف فى يد الصيقل ، بل هو أقوى وأصلب .

٣١ فوردْنَ والعيُوقُ مقعَدَ رَابىءِ الـ ضُّـرَبَاءِ فوقَ النَّظمِ لَا يَتَتَلَّعُ

٣٢ فشَرَعن فى حجراتِ عذبٍ بَاردٍ حَصِبِ البِطاحِ تَغيبُ فيه الأَكْرُعُ

[٣٣ فشربْنَ ثُمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ شرفُ الحجابِ ، وريْبَ قَرْعٍ يُقرَعُ

٣٤ ونَمِيمَةً من قَـانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فى كفِّهِ جَشْأٌ أَجَشُّ وأَقْطَعُ

٣٥ فنِكرْنَهُ فنَفَرْنَ ، وامتْرَسَتْ بهِ سَطْعَاءُ هادِيةٌ ، وهـادٍ جُرْشُعُ

٣٦ فرمَى فأَنْفَذَ من نَجُودٍ عَائِطٍ سهْمًا ، فخرَّ وريشه مُتَصَمِّعُ]

---

(٣١) العيوق : نجم يطلع بحيال الثريا . رابىء : ناظر ومتطلع ومراقب ، والضرباء : الذين يضربون القداح ، يتتلع : يتقدم أو يتزحزح . يشبه نجم العيوق بجواد نجوم الثريا المجتمعة فى السماء برجل يراقب الضاربين بالقداح وهو لا يشاركهم اللعب . والنظم هنا : نظام الثريا . يريد أن الحمر وردت الماء فى وقت طلوع العيوق مع الثريا آخر الليل .

(٣٢) شرعن : أى دخلن بأرجلهن فى الماء ، وحجرات : جوانب ، وإذا كان الماء على حصباء كان أعذب وأصفى . والأكرع : الأرجل . يعنى ماء جميما عميقا .

(٣٣) شرف الحجاب يريد حجاب الصائد المستتر وراء ساتر يمنع من رؤيته ، « ريب قرع » قرع : وتر القوس ، أى أنين وتر القانص عند إطلاق السهم .

(٣٤) نميمة : صوت أنين الوتر لأنه ينم عليه ، متلبب : متحزم استعدادا للقنص ، الجشأ : قضيب خفيف . أجش : غليظ الصوت يعنى القوس . وأقطع : جمع قطع ، يعنى السهام .

(٣٥) نكرنه : أى الحمير نكرن الصائد ، وامترست : أى لاذت به والتصقت ، وسطعاء : طويلة العنق ،وفى رواية هو جاء ،يعنى أن الأتان التصقت بالفحل فجعلت تكاده وتسير معه خوفا . هاد : صفة للفحل حمار الوحش . وجرشع : منتفخ الجنبين .

(٣٦) نجود : الأتان الطويلة ، والعائط : التى لم تحمل ، فخر : أى سقط السهم ، متصمع : مجتمع ريشة بعضه إلى بعض .

٣٧ فَبَدَا لَهُ أَقرابُ هـذَا رَائِغًـا ... عجِلًا فعيَّثَ فى الكِنانةِ يُرْجِعُ

٣٨ فرَمَى فألحقَ صَـاعِدِيًّا مِطْحَرًا ... بالكَشْحِ فاشتَمَلَتْ عليهِ الأَضْلُعُ

٣٩ فأَبدَّهُنَّ حتُـوفَهُنَّ فهـاربٌ ... بذَمَـائِهِ أَو بَارِكٌ مُتَجَعْجِـعُ

٤٠ يَعْثُرنَ فى حـد الظُّبَاتِ كأَنَّما ... كُسِيَتْ بُرودَ «بَنى يَزِيدَ» الأَذْرُعُ

٤١ والدَّهـرُ لَا يَبْقَى على حَـدَثَانِهِ ... شَبَبٌ أَفزَّتْه الكِلابُ مُـرَوَّعُ

٤٢ شَعفَ الكِلابُ الضَّارياتُ فُؤَادَهُ ... فإِذَا يَرَى الصُّبحَ المصدَّقَ يَفْزَعُ

٤٣ ويعُـوذُ بالأَرْطَى إِذَا ماشَفَّهُ ... قَطْرٌ وَرَاحَتْهُ بلِيـلٌ زَعْـزَعُ

---

(٣٧) أقراب : خواصر ، رائغ : حائد ، عيث : مد يده فى الكنانة ، وهى جعبة السهام . يريد أنه بدت للصائد بعد أن رمى الأتان خواصر الحمار وهو يبتعد ، فمد يده إلى كنانة السهام ليأخذ سهما ويعيد رمى الحمار .

(٣٨) صاعديا : سهما منسوبا إلى « صعدة » ، بلد باليمن . ومطحرا : سهما بعيد الذهاب . الكشح : الصدر .

(٣٩) فأبدهن : أعطى كل واحدة منهن نصيبها ، وحتوفها : جمع حتف وهو الموت ، ذمائه : الذماء بقية النفس ، متجعجع : لاصق بالأرض صريعا .

(٤٠) « برود بنى يزيد : « بنو يزيد » قوم اشتهروا بصنع البرود المخططة . يشبه طرائق الدم فى أذرعها بعد إصابتها بطرائق تلك البرود وخطوطها ، وهى تضرب إلى الحمرة . والظبات : جمع ظبة ، وهى طرف النصل .

(٤١) الشَّبَبُ : الثور المسن . أفزته : أزعجته واستخفته وطردته .

(٤٢) شعف : أطار اللب والفؤاد ، الضاريات : المدربات على الطراد من كلاب الصيد ، والصبح المصدق : الصبح الصادق المضىء، يريد أن كلاب الصائد المدربة هاجمت الثور فى الصباح الباكر عند بدء ظهور الضياء فى الأفق .

(٤٣) الأرطى : من شجر البادية تلوذ به الظباء وثيران الوحش . شفه : أجهده وأرهقه . راحته : أصابته الريح ، بليل : شمالية باردة تنضح بالماء . زعزع : شديدة تحرك كل شىء .

٤٤ يَرْمِي بعينَيهِ الغيُـوبَ وطَرْفُه مُغْضٍ ، يُصَدِّقُ طَرْفُهُ ما يَسمعُ
٤٥ فغَـدَا يُشَـرِّقُ مَتْنَهُ فبَـدَا لَهُ أُولى سَوابِقِها قَريبًا تُوزَعُ
٤٦ فاهتاجَ من فزَعٍ وسدَّ فروجَهُ غُبْرٌ ضَوارٍ : وافِيانِ وأَجدَعُ
٤٧ يَنْهَشْـنَهُ ويذُبُّهنَّ ويحتَمِي عبِلُ الشَّوَى بالطُّرَّتَيْنِ مُوَلَّعُ
٤٨ فَنَحَا لَهـا بمُذَلَّقَيْنِ كأَنَّمَا بهما من النَّضْحِ المجَدَّحِ أَيدَعُ
٤٩ فكأَنَّ سَـفُّودَينِ لمَّا يُقتَرا عَجِلَا لَهُ بشِواءِ شَرْبٍ يُنزَعُ
٥٠ فصـرَعْنَهُ تحت الغُبَارِ وجنبُهُ مُتترِّبٌ ، ولكُلِّ جَنْبٍ مصْرَعُ

---

(٤٥) يشرق متنه : يوجه ظهره ناحية الشرق حيث مطلع الشمس ليجف ما عليه من القطر . وتوزع : أى تؤمر بالوقوف ، يزعها القانص لتتجمع حتى لا تلقى الثور فرادى فيصرعها واحدا واحدا .

(٤٦) فروجه : ما بين أرجله الأمامية والخلفية من مسافات . غبر : تضرب إلى السواد . وافيان : صفة كلبين من الكلاب ، أى لم تقطع آذانهما ، والأجدع : مقطوع الأذن . أى أن ثلاثة من كلاب الصائد طاردته ، عادية بين أرجله لتتمكن منه وتمتنع من قرونه .

(٤٧) ينهشنه : أى الكلاب تعض الثور ، يذبهن : يذودهن ويدفعهن . يحتمى : يمتنع ويدافع عن نفسه . عبل الشوى : غليظ القوام . الطرتان : خطان بجنبي الثور يفصلان بين الصدر والبطن . مولع : ملون ، يريد بذلك الثور الوحشى وقد تعددت ألوان أديمه من سمرة إلى سواد إلى بياض .

(٤٨) فنحا : مال . بمذلقين : بقرنين محددين أملسين . النضح : نضح الدم ، أى نزيفه . المجدح : المحرك ، أى الذى حركه الثور بقرنيه فى أحشاء الكلاب . والأيدع : صبغ أحمر ، يشبه تخضب قرنى الثور بعد طعنه الكلاب وكأنه اصطبغ بهذا الصبغ .

(٤٩) سفودين : السفود حديدة طويلة مدببة يشوى بها اللحم . « لما يقترا بشواء شرب » : أى لم يشويهما من قبل لجماعة من الشاربين ، فلم يعد لهما قتار فهما جديدان . يصف السفودين بأنهما جديدان ، فهما أسرع فى النفاذ فى اللحم الذى يشوى ، ويشبه بهما قرنى الثور فى المضى وسرعة نفاذهما فى أحشاء الكلاب .

٥١ حَتَّى إذا ارتدَّت وأَقْصَدَ عُصبةً ... منهـا ، وقامَ شَريدُها يَتَضَرَّعُ

٥٢ فبـدَا لَهُ ربُّ الكِلاب بكَفِّهِ ... بيضٌ رهـافٌ ريشُهنَّ مُقَزَّعُ

٥٣ فرَمَى لينقِـذَ فَرَّهَـا فهوَى لَهُ ... سهْمٌ فأَنفَـذَ طُرَّتَيْهِ الْمِنْـزَعُ

٥٤ فَكَبَا كما يكْبُـو فَنِيـقٌ تَارِزٌ ... بالخَبْتِ إلَّا أَنَّهُ هُو أَبْرَعُ

٥٥ والدَّهرُ لَا يَبْقَى علَى حَـدَثَانِه ... مُسْتَشْعِرٌ حَـلَقَ الحَـدِيدِ مُقَنَّعُ

٥٦ حَمِيَتْ علَيْهِ الدِّرْعُ حتَّى وجْهُهُ ... من حَرِّهَا يومَ الكَرِيهَةِ أَسـفَعُ

٥٧ تعدُو به خَوْصَاءُ يَفْصِمُ جَرْيُها ... حلَقَ الرِّحَالَةِ فهِىَ رِخْوٌ تَمزَعُ

---

(٥١) أقصد عصبة : أى صرع جماعة من الكلاب . شريدها ما بقى منها .

(٥٢) رب الكلاب : صاحبها . بيض رهاف : سهام بيض النصال ، رهاف رقاق الشفرات . مقزع أى مسوى لتحسن الانطلاق .

(٥٣) فرها : ما فر منها ، أو ما بقى من الكلاب . طرتيه : الخطان بجانبى الثور . المنزع : السهم . يعنى أن القانص رمى الثور بسهم لينقذ بقية كلابه فوقع السهم فى جنب الثور ونفذ بجانب طرتيه .

(٥٤) فنيق : فحل من الإبل . تارز : يابس أى ميت . الخبت : ما اطمأن أو انخفض من الأرض واتسع . أبرع : أعظم . يصور مصرع الثور وقد هوى على الأرض ضخم الجثة .

(٥٥) مستشعر : أى متخذ له شعارا . ومقنع : عليه مغفر ، وهو قناع الرأس فى الحرب .

(٥٦) أسفع : اسود . يريد أن الدرع والمغفر صدئا على جسده من طول لبسهما .

(٥٧) خوصاء : فرس غائرة العينين من الخوص . حلق الرحالة : حلق الحزام للسرج . ورخو تمزع أى سهلة مسترسلة فى عدوها .

٥٨ قصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فشرَّجَ لحمَها ... بالنَّىِّ فهى تثُوخُ فيهـا الإصبَعُ

٥٩ مُتَفَلّقٌ أنساؤُها عن قانىءٍ ... كالقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لاَ يُرْضَعُ

٦٠ تأْبَى بدِرَّتِها إذا ما استُكْرِهَتْ ... إلَّا الحَمِيمَ فإنَّهُ يَتَبضَّعُ

٦١ بَيْنَا تَعَنُّقِهِ الكُماةَ ورَوْغِهِ ... يَوْمًا أُتيحَ لَهُ جَرِىءٌ سلْفَعُ

٦٢ يعدُو بهِ نَهِشُ المُشَاشِ كأنَّهُ ... صَدَعٌ سَلِيمٌ رَجعُه ، لاَ يَظْلَعُ

٦٣ فتنادَيَا ، وتَوَاقفتْ خَيْلاهُمَا ... وكلاهُمَا بطلُ اللِّقَاءِ مُخدَّعُ

---

(٥٨) قصر الصبوح : أى حبس اللبن المحلوب صباحا على الفرس إعزازا لها . شرج لحمها : جعل فيه اللحم والشحم لسمنها . تثوخ : تدخل ، أى أنها لطراوة لحمها وسمنها تدخل فيه الإصبع إذا ضغط بها عليه . وذكر الأصمعى أن هذه الصفة ليست مما تنعت به الخيل ، لأن مثل هذه لو عدت ساعة لانقطعت لكثرة شحمها . وإنما توصف الخيل بصلابة اللحم . وأبو ذؤيب لم يكن صاحب خيل .

(٥٩) متفلق أنساؤها : والنسا عرق يخرج من الورك ويستبطن الفخذ ثم يخرج فى الساق حتى الكعب أو الحافر . والأنساء لا تتفلق ، وإنما يتفلق اللحم الذى يغطيها لسمنها فيكشفها . قانىء : ضرع أحمر ، وقانىء : أحمر صفة الضرع ، اكتفى بها عن الموصوف . كالقرط : فى صغره . صاو : صغير يابس . غبره : بقية اللبن ، ولم يرد أن به لبنا أصلا لأنها لم تحمل .

(٦٠) درتها : انطلاقها فى العدو . استكرهت : أرغمت عليه بالزجر وتحريك الساق . والحميم : العرق . يتبضع : يتفصد ، ويقطر ، كأنه أراد أنها لكرمها تأبى أن تستكره على العدو ، فاذا أرغمت عليه تفصد عرقها .

(٦١) تعنقه الكماة : التحامه بهم ، يريد ذلك الفارس . وروغه : روغانه وإفلاته ، أى بين إقدامه وروغانه ، جرىء : أى فارس جرىء . سلفع : جرىء الصدر .

(٦٢) نهش المشاش : صفة الفرس ، يعنى بها أنه خفيف القوائم فى العدو . صدع : ظبى بين الصغير والكبير . رجعه : أى عطف يديه على رجليه فى العدو ، أى سليم فى عدوه . لا يظلع : لا يعرج لأذى فى ساقيه .

(٦٣) مخدع : مجرب فى الحرب .

٦٤ متحامِيين المجدَ كلٌّ واثقٌ | ببــلائِهِ، واليومُ يومٌ أَشْنَعُ
٦٥ وعليهمــا مسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا | «دَاوُدُ» أَو صنَعُ السَّوابغ «تُبَّعُ»
٦٦ وكلاهُمَــا فى كفِّهِ يَزَنِيَّةٌ | فيهــا سِنَانٌ كالمنــارَةِ أَصْلَعُ
٦٧ وكلاهُمَــا متوشِّحٌ ذَا رَوْنَق | عَضْبًا، إذا مسَّ الضَّريبةَ يقطَعُ
٦٨ فتَخَــالَسَا نفسَيْهِمَــا بنَوافذٍ | كنَوَافِذِ العُبُطِ الَّتى لَا تُرقَعُ
٦٩ وكلاهُمَا قد عَاشَ عِيشَةَ ماجدٍ | وجنَى العلاءَ لوَ أنَّ شيئًا يَنْفَعُ

* * *

(٦٥) مسرودتان : درعان مخروزتان أو منسوجتان بتداخل الحلق بعضها فى بعض ، وداود : النبى الذى ألان الله له الحديد ، ويضرب به المثل فى صنعته . صنع السوابغ : الماهر فى صنع الدروع السابغة التى تغطى الجسد . تبع : أحد ملوك حمير باليمن ؛ كانت تنسب إليه الدروع الجيدة .

(٦٦) يزنية: رمح (قناة) منسوبة إلى ذى يزن أحد ملوك حمير . كالمنارة : كالسراج . أصلع : يبرق .

(٦٧) ذا رونق : يقصد سيفا ذا رونق ، ورونق السيف ماؤه وبريقه . والضريبة : ما تضرب بالسيف ، يصف السيف بالمضى .

(٦٨) تخالسا نفسيهما : يقصد الفارسين البطلين اختلس كل منهما نفس صاحبه بطعناته النوافذ . نوافذ العبط : شقوق الثياب الجديدة التى لا ترقع .

المُخَبَّل السَّعْدى

(ت فى خلافة عمر أو عثمان)

المخبَّل فى اللغة من أصابه الخَبْل ، وهو الجنون ، وبه لقِّب الشاعر ، وكنيته أبو يزيد . واسمه رَبيع بن مالك بن رَبيعة ، وهو من بنى شَمَّاس بن لأْى بن أَنْف الناقة ؛ فهو تميمى فى نهاية الأَمر .

والمخبل من الشعراء المخضرمين ، فقد عُمِّر فى الجاهلية والإسلام عمرًا طويلا ، وعُرِف – على وجه الخصوص – بهجاء الزِّبْرقان بن بدر والتحامل على أُخته خُلَيْدة ، ثم عاد فاعتذر عن هذا الهجاء ، معترفا فى إحدى قصائده بتحامله . والهجاء – كما يقول – كَذُوب .

مات المخبل فى خلافة عمر ، وقيل بل مات فى زمن عثمان بن عفان ، وعلى كلا الاحتمالين كان عند وفاته قد هرم وصار شيخاً كبيراً .

وقصيدته الماثلة من غُرر شعره ، وقد بدأها بذكر الطيف ، ووصف دار صاحبته وقد دَرَست ، واستبدلت بقاطنيها البقر والظباء . ثم وصف صاحبته ، وشبهها بالدُرة ، ثم راح يصف الدرة ومُستخرجها ، ثم عاد فشبه صاحبته ببيضة النعامة يحفُّها الظليم ، وتدرج من ذلك إلى وصف الطريق والناقة التى اجتاز عليها ، وأنحى على لائمته فى كرمه ، متعللا بأن الذكر يبقى بالجود ، وبأَن المنية غاية كل حى ، وبأَن تقوى الله أرشد الأُمور .

قال المُخَبَّلُ السَّعْدِىُّ

١ ذَكَرَ الرَّبابَ وذِكْرُها سُقْمُ ... فَصَبَا، ولَيْسَ لِمَنْ صَبَا حِلْمُ

٢ وإذا أَلَمَّ خيالُها طُرِفَتْ ... عينِى، فماءُ شُؤُونِهَا سَجمُ

٣ كاللُّؤلُؤِ المسْجُور أُغْفِلَ فِى ... سِلْكِ النِّظَامِ فَخانَهُ النَّظْمُ

٤ وَأَرىٰ لها دَارًا بأَغْدِرَةِ السِّيدَان لم يَدْرُسْ لها رَسْمُ

٥ إلَّا رَمَادًا هامِدًا دَفَعَتْ ... عنهُ الرِّيَاحَ خَوَالِدٌ سُحْمُ

٦ وبَقِيَّةَ النُّؤْىِ الذى رُفِعَت ... أَعْضَادُهُ فَثَوىٰ لَهُ جِذْمُ

٧ فكأَنَّ ما أَبقَىٰ البوارِحُ والْ ... أَمطارُ من عَرَصَاتِها الوَشْمُ

---

(١) صبا : صبا صبوا وصبوة ، مال إلى اللهو ، وصبا إليه : حن واشتاق .

(٢) الشئون : مجارى الدمع ، واحدها «شأن» . سجم : مصدر سجَم ، وسجم الدمع أى سال ، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل .

(٣) المسجور : المنظوم المسترسل .

(٤) أغدرة : جمع «غدير» كنصيب وأنصبة . السيدان : أرض لبنى سعد . الرسم : الأثر بلا شخص ، ودروسه : ذهابه .

(٥) إلا رمادا : أراد وأرى لها رمادا ، فإلا هنا بمعنى الواو . هامدا : خامدا . خوالد : بواق ، عنى بها الأثافى ، وهى الحجارة التى تنصب عليها القدور . سحم : من السُّحمة ، وهو لون يضرب إلى السواد .

(٦) النؤى : الحاجز الذى يرفع حول البيت لئلا يدخله الماء ، أو الحفيرة التى تحفر حول الخيمة لترد الماء عنها . أعضاده : جوانبه . ثوى : أقام . الجذم : البقية تبقى من الشىء .

(٧) البوارح : الرياح الشداد من الشمال خاصة ، وهى من رياح الصيف . العرصات : جمع «عرصة» وهى ساحة الدار . الوشم : الخضرة تكون فى اليد .

٨ تَقْرُو بِها البقَرُ المَسَارِب واخْـ ـتَلَطَتْ بها الآرَامُ والأُدْمُ

٩ وكَأَنَّ أَطْلَاءَ الجآذِرِ والغِزْلَانِ حَوْلَ رُسُومِها البَهْمُ

١٠ ولقد تَحُلُّ بها الرَّبابُ لهـا سَلَفٌ يَفُـلُّ عَدُوَّها فَخْمُ

١١ بَرْدِيَّةٌ سَـبَقَ النَّعِيمُ بهـا أَقْرانَها وَغَلَا بِهَا عَظْمُ

١٢ وتُرِيك وجْهًا كالصَّحِيفَةِ لا ظَمْآن مُختلَجٌ ولا جهْمُ

١٣ كَعقِيلَةِ الدُّرِّ اسْتَضَاء بها مِحْراب عرْشٍ عزيزها العُجمُ

١٤ أَغْلَى بها ثَمناً ، وجاء بها شَخْتُ العِظَام كأَنَّهُ سَهْمُ

١٥ بلَبانهِ زَيْتٌ ، وأَخْرجهَـا مِن ذِي غَوارب وسْطَهُ اللُّخْمُ

١٦ أَوْ بيضَةِ الدِّعْصِ التي وُضِعتْ فى الأَرْضِ ،ليس لِمَسِّها حجمُ

---

(٨) تقرو : تتبع . المسارب : المراعى . الآرام : الظباء البيض البطون السمر الظهور ، واحدتها « رئم » . الأدم : الظباء البيض ، وإحدها أدماء .

(٩) الأطلاء : جمع طلا ، وهو الصغير من ذوات الظلف . الجآذر : جمع جوْذر وهو الصغير من أولاد البقر . البهم : صغار أولاد المعزى ، الواحدة بهمة .

(١٠) السلف : الخيل المتقدمة . يفل : يهزم .

(١١) بردية : كبردية ، شبهها بالبردى فى بياضها وصفائها واستوائها . والبردى : نبت معروف . غلا : ارتفع .

(١٢) المختلج : القليل اللحم الضامر . الجهم : الكثير اللحم البشع .

(١٣) عقيلة كل شىء : خيرته . المحراب : صدر المجلس .

(١٤) أغلى بها ثمنا : اشتراها بثمن كبير . شخت العظام : دقيقها .

(١٥) اللبان : الصدر . الغوارب : أعلى الأمواج ، وذو الغوارب : البحر . اللخم : سمك كبير يقال له القرش .

(١٦) الدعص : التل من الرمل . الحجم : النتوء ، أى ليس لها عظم ناتئ

١٧ سَبَقَتْ قَرَائِنَهَا وأَدْفَأَهـا قَرِدُ الجَنَاحِ كَأَنَّهُ هِدمُ

١٨ ويضُمُّها دُونَ الجناح بِدَفِّهِ وتَحُفُّهُنَّ قَوادِمٌ قُتْمُ

١٩ لم تَعْتَذِرْ منهـا مدافِعُ ذِي ضَالٍ ولَا عُقَبٌ ولَا الزُّخْمُ

٢٠ وتُضِلُّ مِدْراها المواشِطُ فى جعْدٍ أَغَمَّ كَأَنَّهُ كَرْمُ

٢١ هـلَّا تُسَلِّي حاجَةً عَلِقَتْ علَقَ القَرِينَةِ حبْلُهَا جِذْمُ

٢٢ ومُعبَّدٍ قَلِقِ المجَازِ كَبَـارِيِّ الصَّنَاعِ إِكَامُـهُ دُرْمُ

٢٣ لِلْقارِبَاتِ مِنَ القَطَا نُقَرٌ فى حَافَتَيْهِ كأَنَّها الرَّقْمُ

---

(١٧) سبقت قرائنها : أى أنها أول بيضة باضت النعامة . قرد الجناح : يريد ذكر النعام ، والقرد : المتكاثف من الريش . الهدم : الكساء الخلق الملقى .

(١٨) الدف : الجنب . تحفهن : تكون حوفن . القوادم : أوائل الريش من الجناح . القتم : الغبر .

(١٩) لم تعتذر : لم تندرس ولم تتغير . المدافع : أماكن اندفاع الماء إلى الأودية . ذو ضال وعقب والزخم : مواضع .

(٢٠) المدرى : المشط . الجعد : الشعر المتقبض ليس بالسبط . الأغم : الشعر الكثير . الكرم : شجر العنب .

(٢١) تسلى : بمعنى تسلو . القرينة : الدابة تقرن مع أخرى فى حبل . جذم : مقطوع .

(٢٢) المعبد : الطريق الذى وطىء فيه وذلل حتى ذهب نبته . قلق المجاز : لا يستقر فيه من جازه وسلكه . البارى : الحصير المنسوج . الصناع : الحاذق . الإكام : جمع «أكمة» وهو النشز من الأرض . درم : من قولهم : كعب أدرم ، إذا كان اللحم قد واراه فلم يوجد له حجم .

(٢٣) القاربات : التى تقرب الماء . النقر : الحفر التى ينقرها الطائر ليبيض فيها . الرقم : الدارات ، وهى المواضع المستديرة من الرمل وغيره .

٢٤ عارَضْتُهُ مَلَثَ الظَّلَام بِمذْ عَانٍ العَشِىِّ كأنها قَرْمُ

٢٥ تَذَرُ الحَصَى فِلَقاً إِذَا عَصَفَت وجَرَى بحَدِّ سَرَابِهَا الأُكُمُ

٢٦ قَلِقَتْ إِذَا انْحَدَرَ الطَّرِيقُ لَهَا قَلَق المَحَالَةِ ضَمَّها الدَّعمُ

٢٧ لَحِقَتْ لَهَا عَجُــزٌ مُؤَيَّدَةٌ عَقْدَ الفَقَارِ وكَاهِلٌ ضَخْمُ

٢٨ وقَــوَائِمٌ عُوجٌ كَأَعْمِــدَةِ البُنْيان عُــولِىَ فَوْقَهَا اللَّحْمُ

٢٩ وإِذَا رَفَعْتَ السَّوْطَ أَفْزَعَهَا تحت الضُّلوع مُرَوَّعٌ شَهْمُ

٣٠ وتَسُدُّ حاذَيْهَا بِذِى خُصَلٍ عُقِمَت فَنَاعَمَ نَبْتَهُ العُقْمُ

٣١ ولَهَا مَنَاسِمُ كالقَوَاقِعِ لا مُعْرٌ أَشاعِرُها ولا دُرْمُ

---

(٢٤) عارضته : أخذت فى عرضه ، أى سرت بإزائه . ملث الظلام : اختلاطه . مذعان : ناقة أذعنت للسير . القرم : الفحل المتروك من العمل .

(٢٥) عصفت : اشتد عدوها كما تعصف الريح .

(٢٦) القلق : السير الحثيث . المحالة : بكرة البئر . الدعم : العودان اللذان اكتنفا البكرة ، أما الدَّعم بالفتح فهو مصدر دعمه يدعمه ، وأراد ما تدعم به ، وهو العودان أيضا .

(٢٧) لحقت لها عجز : لم يخنها عجزها . مؤيدة : مشددة مكتنزة .

(٢٨) عولى فوقها اللحم : يريد أن لحمها قليل .

(٢٩) المروع : المفزع ، يريد فؤادها . الشهم : الحديد .

(٣٠) الحاذان : اللحمتان فى ظاهر الفخذين . عقمت : لم تحمل . ناعم نبته : أحسن العقم نبات ذنبها وغذاءه .

(٣١) المناسم : جمع « منسم » وهو طرف خف البعير . معر : جمع « أمعر » وهو قليل الشعر . الأشاعر : جمع « أشعر » وهو ما أحاط با لخف أو الحافر من الوبر أو الشعر . الدرم : جمع « أدرم » من قولهم « كعب أدرم » ، إذا لم يتبين حجمه لكثرة اللحم .

٣٢ وتَقِيلُ فى ظِلِّ الخِبَاءِ كما يَغْشَى كِنَاسَ الضَّالَةِ الرِّئْمُ

٣٣ كَتَرِيكَةِ السَّيْلِ التى تُرِكَتْ بِشَفَا المَسِيلِ ودُونَهَا الرَّضْمُ

٣٤ بَلَّيْتُهـا حَتَّى أُوَدِّيَهَا رِمَّ العِظَامِ ويَذْهبَ اللَّحْمُ

٣٥ وتقولُ عاذِلَتِى وليسَ لها بِغَدٍ ولا ما بَعْدَهُ عِلْمُ

٣٦ إنَّ الثَّرَاءَ هُوَ الخُلُودُ وإنْ المَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَهُ العُدْمُ

٣٧ إنِّى وجَدِّكِ ما تُخَلِّدُنى مِائَةٌ يَطِيرُ عِفَاؤُها ، أُدْمُ

٣٨ ولَئِنْ بنَيْتِ لِىَ المُشَقَّرَ فى هَضْبٍ تُقَصِّرُ دُونَهُ العُصْمُ

٣٩ لَتُنَقِّبَنْ عنِّى المَنِيَّةُ إنْ اللهَ ليسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ

٤٠ إنِّى وَجَدْتُ الأَمْرَ أَرْشَدُهُ تَقْوَى الإِلٰهِ وشَرُّهُ الإِثْمُ

* * *

---

(٣٢) تقيل : من القيلولة ، وهى الاستراحة فى الظهيرة . الكناس : مأوى الظبى . الضالة : السدرة البرية .

(٣٣) تريكة السيل : الصخرة التى يأتى بها السيل . شفا المسيل : طرفه . الرضم : الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض فى الأبنية ، واحدته « رَضْمَة »

(٣٤) بليتها : أبليتها وأهلكتها من كثرة السفر . أوديها : أردها . رم العظام : مأخوذ من الرم والرميم ، وهو العظم البالى .

(٣٦) يكرب : يدنى .

(٣٧) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الأدم : الإبل الخالصة البياض .

(٣٨) المشقر : حصن بالبحرين . العصم : الوعول ، جمع « أعصم » .

الاشتر النخعى

(٣٨ هـ)

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر ، أدرك الجاهلية ، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر بن الخطاب فى الجابية ، وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها . وكان ممن ألب على عثمان به عفان وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل ويوم صفين وهو فى صفوف على بن أبى طالب ، وولاه على مصر فقصدها فمات فى الطريق ، فقال على : رحم الله مالكاً فلقد كان لى كما كنت لرسول الله . .

وقد اشتهر الأشتر بفصاحته فكان خطيباً مفوّها ، وشاعرًا مجيدًا ، كما اشتهر بشجاعته وشدة بأسه فى القتال .

خطبة الأشتر فى المنهزمين من الميمنة .

ولما انهزمت ميمنة العراق ، قال له على : يا مالك ، قال : لَبَّيْكَ ، قال : ائت هؤلاءِ القوم فقل لهم : « أين فِرارُكُم من الموت الذى لن تُعجزُوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم » فمضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلَىَّ أيها النَّاس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ثم ظن أنه بالأشتر أعْرفُ فى النَّاس ، فقال : أنا الأشتر ، إلَىَّ أيها النَّاس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنهُ طائفةُ ،

ينادى : أيها النّاس ، عَضِضتم بهن(١) آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم أيها الناس : أخلِصُوا إلى مَذْحِجا (٢) ، فأقبلت إليه مذحج فقال :

« عضضتم بصُتَمِ (٣) الجندل ، ما أرضيتم رَبَّكم ، ولا نصحتم له فى عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحابُ الغارَاتِ ، وفتيان الصّباح (٤) ، وفُرْسان الطِّراد (٥) ، وحُتُوفُ (٦) الأقْرَان ، ومذحج(٧) الطُّعَّان ، الذين لم يكونوا يُسْبَقُون بثأرهم ، ولا تُطَلُّ(٨) دماؤهم ، ولا يُعْرَفُونَ فى مَوْطِن بخسف(٩) ، وأنتم حَدُّ أهل مصركم ، وأعزُّ حى فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذه اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ، فاتقوا مأثور الأحاديث ، فى غد ، وَأَصْدُقُوا عدوَّكم اللقَاءَ ، فإن الله مع الصادقين ، والذى نفس مالك بيده ما هؤلاءِ (وأشار بيده إلى أهل الشأم) رَجُلٌ على مثال جَنَاحِ بعُوضة من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم ما أحسنتم القِرَاع (١٠) ، اجلُوا سوَاد وجهى ، يرجع فى وجهى دمى ، عليكم بهذا السَّوَاد الأعظم ، فإن الله عزَّ وجلَّ لو قد فضَّه ، تبعهُ من بجانبيهِ كما يتبع مُؤَخَّر السيل مُقَدَّمه » .

قالوا خذ بنا حيث أحببت .

---

(١) الهن : اسم يكنى به عن الفرج . (٢) الأشتر من النخع (بالتحريك) ، وهى قبيلة كبيرة من مذحج باليمن .
(٣) الصتم : جمع صمته (كغرصة) ، وهى الصخرة الصلبة كالصتيمة . (٤) الغارة .
(٥) مطاردة الأقران وطرادهم أى حمل بعضهم على بعض .
(٦) جميع حتف وهو الموت .
(٧) فرحج : سحج وجر من موضع لآخر .
(٨) لاتذهب هدراً دون ثأر .
(٩) زل (١٠) النزال

سحيم

(ت ٤٠ هـ)

هو عبد بني الحسحاس ؛ كان عبدا نوبى الأصل، اشتراه بنو الحسحاس -بطن من بنى أسد- فنشأ فيهم. ولد فى أوائل عصر النبوة، وعاش حتى عصر عثمان رضى الله عنه، وعرضوه عليه للشراء فقال لاحاجة لنا فى عبد شاعر، إن جاع هجا أصحابه، وإن شبع شبب بنسائهم. وهذا ماوقع لبنى الحسحاس منه ؛ إذ آذاهم بالنسيب بفتياتهم حتى قتلوه وأحرقوه نحو عام ٤٠ هـ.

وقصيدته الأولى هى أشهر شعره : يروى أنه أنشد منها أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما سمع مطلعها قال : « لو قدمت الإسلام لحبوتك ».

وهو يفتتحها بذكر عميرة ؛ حبه لها ، وصورتها فى عينيه ، ثم لا يتوقف عند بيان مشاعره ، وإنما يندفع فى تصوير حظوته لدى النساء ، لا عند عميرة وحدها ، فهن يتهالكن عليه إذا خلون به ، ولكنهن يجفينه أمام الناس بسواده الذى يشينه . وكأن الأمر هنا أمر منزلة اجتماعية فحسب ، وليس لما به من سواد . ثم ينتقل إلى وصف ناقته مشبهًا إياها بالثور الوحشى الذى ينجو من الصياد ، مختتمًا قصيدته بوصف البرق والمطر الذى يتدفق سيولًا فيها الموت ومنها الحياة .

أما القصيدة الثانية له فتبدأ بزيارة طيف المحبوبة ، ويسميها هنا مية ، وكانت فى القصيدة الأُولى عميرة . ومعروف أنه يكنى بهذه الأسماء ولا يذكرها على الحقيقة . وبعد أن يجمع لها صفات الحسن المتواترة فى النسيب ، يصف حبه لها ، ثم يتمدح بالكرم وما يكون فى مراحل الشباب من صبوات وفتوة . وهو حين يختم القصيدة يعود إلى صورة البرق والمطر المتدفق ، وما يحمله من موت لكائنات وحياة لأُخرى ، وكأنما يتأسى بما تجرى به سنة الحياة وطبيعتها .

* * *

قال :

١ عميرة وَدِّع إن تجهزت غاديـــا
كَفَى الشيبُ والإسلام للمرءِ ناهيا

٢ جُنونا بهـــا فيما اعتَشَرنا عُلالَةً
علاقة حُبٍّ مُستَسرا وباديا

٣ ليالى تصطادُ القلوبَ بفـــاحم
تراه أثيثا ناعم النبتِ عافِيا

(٢) اعتشرنا : من العشرة والصحبة . والعلاقة : ما علق بالقلب من المحبة .

(٣) أثيثا : غزيرا . عافيا : كثيرا ، وهو من الأضداد ؛ يقال عفا الشىء أى كثر ، وعفا أى درس وذهب . وإلى المعنى الأول يذهب راوى الحديث « أعفوا اللحى » أى وفروها .

٤ وجيد كجيد الرئم ليس بعاطل
من الدر والياقوت والشذْر حاليا

٥ كأن الثريـــا عُلِّقت فوق نحْرها
وَجَمْرَ غضاً هبت له الريح ذاكيا

٦ إذا اندفعت فى ريطة وخميصة
ولا ثت بأعلى الردف بردا يمانيا

٧ تريكَ غداةَ البين كفا ومعصَما
ووجها كدينار الأعزة صافيـــا

٨ فما بيضةٌ باتَ الظليمُ يَحفها
ويرفع عنها جُؤجؤا متجافيـا

٩ ويجعلها بين الجَنَاح ودفِّه
ويفرشها وَحْفَا من الزِّفِّ وافيـــا

١٠ فيرفع عنها وهى بيضاءُ طَلَّةٌ
وقد واجَهَت قرنا من الشمس ضاحيا

---

(٤) عاطل : لا حلية عليه ؛ والشذر قطع الفضة .

(٦) الريطة : الملحفة البيضاء ، والخميصة : ثوب أسود من قز ونحوه . لاثت : أدارته بغير إحكام

(٨) الجؤجؤ : الصدر ، يرفعه عن البيض حتى لا يحطمه ، والظليم : ذكر النعام .

(٩) وحفا : الكثير الأسود ، الزف : الريش ، والطرى منه خاصة .

(١٠) طلة : ندية عرقة .

١١ بأَحسنَ منها يومَ قالت أَراحِلٌ
مع الركب أَم ثاوٍ لدينا لياليـــا

١٢ فإِن تَثْوِ لا تُملَل وإِن تضح غاديا
تُزَوَّدْ وترجعْ عن عميرة راضيـــا

١٣ ومن يكُ لا يبْقى على النأى وُدُّهُ
فقد زَوَّدَتْ زادًا عميرةُ باقيـــا

١٤ أَلِكْنى إِليها عَمْرَكَ اللهُ يافتى
بآية ما جاءَت إِلينا تهاديـــا

١٥ تهادِىَ سيلٍ فى أَباطحَ سهلةٍ
إِذا ما علا صَمْدًا تفرع واديـــا

١٦ ففاءَت ولم تقض الذى هو أَهله
ومن حاجة الإِنسان ما ليس لا قيـــا

١٧ وَبِتنا وسادَانا إِلى عَلَجانَةٍ
وحِقفٍ تهاداهُ الرياحُ تهاديـــا

١٨ توسَدنى كفا وتثنى بمعصم
عَلَّى وتحوى رجلَها من وَرائيـــا

(١٤) ألكنى : أبلغها عنى ، والآية : العلامة والأمارة .

(١٥) الأبطح : سهل بين جبلين ، والصمد : الوجهة ، أو المكان المرتفع . تفرع : علا .

(١٧) العلجانة : شجيرة تنبت فى الرمل . والحقف : تل من الرمل محقوقف ، أى منعطف .

١٩ وهبت لنا ريحُ الشمال بقِرَّةٍ
ولا ثَوبَ إلا بردُها وردائيـــا

٢٠ فما زال بردى طيبا من ثيابها
إلى الحَوْل حتى أنهجَ البردُ باليـــا

٢١ سَقتنى على لوحٍ من الماءِ شربة
سقاها بها الله الذِّهَابَ الغواديـــا

٢٢ وأَشهد عند الله أن قَدْ رَأَيتها
وعشرين منها إصبَعاً من ورائيـــا

٢٣ أَقبلها الجانبين وأَتّقى
بها الريحَ والشَّفَّانَ من عن شماليـــا

٢٤ ألا أَيها الوادى الذى ضم سَيلُهُ
إلينا نَوَى الحسناءِ حُييت واديـــا

٢٥ فياليتنى والعامـــريَّةَ نلتقى
نرودُ لأَهلينا الرياضَ الخواليـــا

---

(١٩) القرة : البرد . والبُرد : الثوب .

(٢٠) أنهج باليا : بلغ غاية البلى . إلى الحول : إلى الموعد من العام التال ، يعنى حولا كاملا .

(٢١) لوح من الماء : عطش شديد . يقال لاح الرجل والتاح : أنهكه العطش .

(٢٣) الشفان : الريح البادرة . وتروى بداية البيت : أقلبها الجانبين . . إلخ .]

٢٦ وما بَرِحَت بالدير منها أثارةٌ
وبالجو حتى دَمَّنَتْه لياليـــا

٢٧ فإن تقبلى بالود أُقبلْ بمثله
وإنْ تدبرى أذهب إلى حال باليـــا

٢٨ ألم تَعْلَمى أنى صرومٌ مواصلٌ
إذا لم يكن شئٌ لشئٍ مواتيـــا

٢٩ ألا نادِ فى آثارهِنَّ الغوانيـــا
سُقين سماما ، ما لَهُن وماليـــا

٣٠ تجمعن من شَتَّى ثَلاثٍ وأربع
وواحدةٍ حتى كَمَلْنَ ثمانيـــا

٣١ وأقبلن من أقصى الخِيام يَعُدْنَنى
نواهد لم يعرفن خلقا سَوَائيـــا

٣٢ يَعُدْنَ مريضا هن هَيَّجن داءه
ألا إنما بعضُ العوائد دائيـــا

٣٣ وَرَاهُنَّ رَبى مثل ما قد وَرَيْنَنى
وأحمى على أكبادِهِن المكاويـــا

(٢٦) الأثارة : البقية . دمنته : المقصود أنه شاع عطرها فيه ، وبقى بعدها أثره .

(٢٨) صروم : مقاطع . موات : موافق .

(٣٣) وراهن : أمرضهن ، والورى داء الجوف ، يقتل صاحبه .

٣٤ تَبصَّرْ خليلى هل ترى من ظعائِنٍ
تَحَملن من جَنْبَىْ شَرورَى غَواديـا

٣٥ تأَطَّرْنَ حتى قلتُ لَسْنَ بوارحـا
ولا لاحقات الحَىِّ إلا سَوَاريـا

٣٦ أَخَذْن على المِقراةِ أَو عن يمينها
إذا قُلْتُ قد وَرَّعن أنزلن حاديـا

٣٧ أشارت بمدراها وقالتْ لِتِربهـا
أَعبْد بنى الحسحاس يزجى القوافيـا

٣٨ رأَت قَتَبا رَثًّا وسحق عباءَةٍ
وأَسودَ مما يملك الناس عاريـا

٣٩ يُرَجِّلْنَ أَقواما ويتركن لِمَّتى
وذاكَ هوان ظاهرٌ قد بَدَاليـا

٤٠ فلو كنت وَردا لَونُه لعشقننى
ولكن ربى شانني بسـواديـا

٤١ فما ضرنى أن كانت آمى وليدةً
تَصُرُّ وتبرى باللِّقاح النواديـا

---

(٣٤) شرورى : موضع .

(٣٥) تأطرن : مكثن . سواريا : سائرات بالليل .

(٣٦) المقراة : موضع . ورعن : كففن .

(٤١) تصر : تشد خرقة على ضرع الناقة حتى لا يرضعها الفصيل ، والنوادى : عيدان ترقق وتشد على أخلاف الناقة لغرض نفسه ، واللقاح : النوق ذوات الألبان .

٤٢ تعاوَرْنَ مِسواكى وأَبقينَ مُذْهبا
من الصوغ فى صغرى بنانِ شماليـــا

٤٣ وَقلن ألا يالْعَبْنَ ما لم يَردّنــا
نعاسٌ فإنــا قد أطلنا التنائيـــا

٤٤ لَعبنَ بدكداك خصيبٍ جنابُهُ
وأَلقين عن أَعطافهن المَرَاديـــا

٤٥ وما رِمنَ حتى أَرسل الحى داعيا
وحتى بدا الصبح الذى كان تاليـــا

٤٦ وحتى استبان الفجر أَشقر ساطعا
كأَن على أَعلاه سِبًّـــا يمانيـــا

٤٧ فأَدبرنَ يخفضن الشخوص كأَنهما
قتلن قتيلا أَو أَصبن الدواهيـــا

٤٨ وأَصبحن صرعى فى البيوت كأَنما
شربن مداما ما يجبن المناديـــا

(٤٢) تعاورن : تبادلن . الصوغ : المصوغ من الذهب .

(٤٤) الدكداك : الرابية ، والمرادى : الأردية – لا واحد لها من لفظها .

(٤٥) ما رمن : لم يتحولن عن مكانهن . لا أريم : لا أبرح .

(٤٦) سبا : ثوباً ناصعا . (٤٧) يخفضن الشخوص : يخفين أنفسهم .

٤٩ فَعَزيت نفسى واجتنبت غوايتى
وَقَربت حُرْجوجَ العشية ناجيـــا

٥٠ مَرُوحاً إذا صام النهار كأنما
كَسَوتُ قُتودى نَاصِعَ اللون طاويـــا

٥١ شَبُوباً تحاماه الكلابُ تحامياً
هُوَ الليثُ مَعْدُوًّا عليه وعَاديـــا

٥٢ حمته العَشاء ليلةٌ ذات قِرَّةٍ
بوَعْساءِ رمل أَو بحزنانَ خاليـــا

٥٣ يثير ويُبدى عن عروقٍ كأَنها
أَعِنَّةُ خَوَّازٍ جديدا وباليـــا

٥٤ يُنَحِّى ترابا عن مَبِيتٍ وَمَكْنس
رُكاما كبيتِ الصَّيْدَنَانِيِّ دانيـــا

٥٥ فصبَّحه الرامى من الغَوثِ غُدْوَةً
بأَكلُبه يغرى الكلابَ الضواريـــا

---

(٤٩) حرجوج : ناقة طويلة . ناجية : سريعة .

(٥٠) مروحا : ذات مرح ونشاط . ناصع اللون طاويا : يريد الثور الوحشى . طاويا : ضامرا والقتود : عيدان الرحل .

(٥٢) حمته العشاء : منعته . الوعساء : رمل ضخم . حزنان : موضع .

(٥٥) الغوث : بطن من طيء ، وهم رماة .

٥٦ فجال على وَحْشِيِّهِ وتخالُــــهُ
عَلَى مَتنِه سِبًّا جديدا يمانيـــا

٥٧ يَذُودُ ذِيادَ الخَامساتِ وقد بَدَت
سَوابِقُها من الكلاب غَوَاشيـــا

٥٨ فدع ذا ، ولكن هل ترى ضوء بارق
بضىءُ حَبِيا مُنجدا مُتعَاليـــا

٥٩ يضىءُ سَناه الهضبَ هضبَ متالع
وحُبَّ بذاك الهضب لو كان دانيـــا

٦٠ نعمتُ به عَيناً وأيقنت أنه
يَحُط الوعول والصخور الرواسيـــا

٦١ فما حَركته الريحُ حتى حسبتُه
بحرةِ ليلَى أو بنخلَةَ ثاويـــا

٦٢ فَمَر على الأَنهاء فالتَجَّ مُزْنُهُ
فعَقَّ طويلا يسكب الماءَ ساجيـا

---

(٥٦) وحشيه : جانبه الأيسر . والسب : ضرب من الثياب البيض .

(٥٧) يذود : يدفع . الخامسات : الإبل التى ترد الماء بعد خمسة أيام من العطش ، فهى تتلهف إلى الماء .

(٥٨) حبيا : عاليا على وجه الأرض . منجدا : من ناحية نجد .

(٦٢) الأنهاء : الغدران . التج : كثر ماؤه . عق : تدفق .

٦٣ رُكاماً يسحُّ الماءَ من كُل فِيقَةٍ
كما سُقت منكوبَ الدوابر حافيـا

٦٤ وَمَرَّ على الأَجبالِ أجبالِ طَيِّئٍ
فغادر بالقيعان رَنْقاً وصافِيـا

٦٥ أَجشُّ هزيمٌ سَياه مع وَدْقِهِ
نرَى خشب الغُلان فيه طَوَافيـا

٦٦ له فُرَّقٌ جُونٌ ينتَّجنَ حولـه
يفقِّئن بالميثِ الدِماثِ السوابيا

٦٧ فلما تَدَلَّى للجبال وأَهْلِها
وأَهْل الفراتِ جاوز الجر ضاحيـا

٦٨ بَكَى شجْوَهُ واغتاظ حتى حَسِبْته
من البُعد لما جَلْجَلَ الرعد حاديـا

٦٩ فأَصبَحتِ الثيران غَرقى وأَصبحت
نساءُ تميم يلتقطنَ الصَياصِيـا

---

(٦٣) الفيقة : اجتماع الدرة . منكوب الدوابر : الذى أصيبت مآخير حوافره فهو يمشى رويدا .

(٦٥) هزيم : سريع الوقع . الودق : القطر . الغلان : الأودية ذات الشجر .

(٦٦) فرق : نوق فى المخاض ، ج فارق . يفقئن : يشققن . الميث : الأراضى السهلة ، ج ميثاء ، الدماث : اللينة . السوابيا : ج سابياء ، وهى الماء الذى يكون على رأس المولود .

وقال أيضًا :

١	أَلَمَّ خيالٌ عشاءً فطافا	ولم يكُ إذْ طَافَ إلَّا اختطافا
٢	لِمَيَّةَ إذْ طَرَقَتْ مَوْهِنًا	فأضحى بها دَنِفًا مُسْتَجَافا
٣	ومـا دُميةٌ من دُمَى مَيْسَنَا	نَ مُعجبَةٌ نظرًا واتِّصافا
٤	بأَحسنَ منها غداةَ الرحيـ	ـلِ قامت تُرائيكَ وَحفًا غُدَافا
٥	وَجيدًا كجيدِ الغزالِ النزيـ	ـفِ يَأْتَلِف الدرُّ فيهِ ائتلافا
٦	وَعَيْنَى مهاةٍ بسقط الجها	دِ تَعطُو نِعَافًا وتقرو نِعافا
٧	وَبِيضًا كأَن حَصا مُزْنَةٍ	تَهَادَى بها صَرْخَديًّا رِصَافا
٨	كأَن القَرَنْفُل والزَّنْجَبِيـ	ـلَ والمسكَ خَالَط جفنًا قطافا
٩	يُخَالِط من ريقها قهوةً	سَبَاها الذى يَسْتَبيها سُلافا
١٠	بعودٍ من الهندِ عند التِّجَا	رِ عالٍ يخالِط مِسْكًا مُدافا
١١	يُخَالِطُهُ كلما ذُقْتُه	على كل حالٍ أَردتَ ارتشافا

---

(١) ألم بالشيء : أتاه ولم يلازمه ، ومنه : ألم بالذنب أى أصاب منه ولم يصر عليه .

(٢) موهنا : أى بعد طائفة من الليل .

(٣) ميسنان : موضع بالشام .

(٤) وحفا : كثيفا لينا فاحم السواد ، والغداف : المسترسل الأسود . يصف شعرها .

(٦) تعطو ، ومثله تقرو : تتناول النبات بفمها ، والنعاف : المرتفعات .

(٧) حصى المزن : البرد ، صرخد : أرض تنسب لها الخمر الجيدة . يصف طيب فمها .

(٨) جفنا قطافا : عنبا ، والمراد عصيره وهو الخمر .

١٢ وأَبدت مَعَــاصِمَ ممكُورةً تَزِينُ أَنَامِلَهن اللِّطَــافا

١٣ فَلَسْتَ وإن بَرحت سَـالِيًا وقَد شَكَّ مِنى هَواها الشِّغَافا

١٤ فبَــاتَت وقد زَوَّدت قَلْبَه هُمُومًا على نَأْيِهَــا واعترافا

١٥ فإِمَّــا تَرَيْنِى عَــلَانِى المشيبُ وانصرفَ اللَّهوُ نِى انصرافا

١٦ وبانَ الشَّبابُ لِطَيِّــاته وقَد كنتُ رُدِّيتُ منه عِطَافا

١٧ فقــد أَعقِرُ النابَ ذاتَ التليلِ حتى أُحاول مِنهــا سِــدافا

١٨ بمثْنى الأَيَــادِى لمن يَعتفِى وأَرفَعُ نارِى إِذا ما اسْتضافا

١٩ وَخَيــلٍ تكَلَّفُّس بالدَّارِعِيــــنَ مَشْى الوُعُول تَؤُمُّ الكِهافا

٢٠ ضَوامِرَ قَد شَفَّهن الوَجِيفُ يُثِرنَ العَجاجة دُونِى صِفافا

٢١ تَقَــدَّمْتهنَّ عَلَى مِرجَــلٍ يَلُوكُ اللِّجَام إذا ما استهافا

٢٢ يُبــارى من الصُّمِّ خطيةً مقــوَّمة قد أُمِرَّتْ ثِقــافا

---

(١٢) ممكورة : ممتلئة .

(١٧) الناب : الناقة المسنة . التليل : العنق . السداف : قطع السنام .

(١٨) مثنى الأيادى : الإنعام المتتابع . المعتفى ، ومثله العافى : طالب المعروف .

(٢٠) شفهن : أهزلهن . الوجيف : مشى سريع . العجاجة : الغبار .

(٢١) مرجل : يريد فرسا نشيطا كأنه يغلى غليان المرجل . استهاف : طار . ويقال : جاع .

(٢٢) خطية : رمح . أمرت : المرة هى القوة واستمر مريره : اشتدت قوته .

٢٣ أَحـارِ تَرى البرقَ لم يغتمضْ يضىءُ كِفَافًا ويَجلو كِفافا

٢٤ يضىءُ شَمارِيخَ قَد بُطِّنتْ مَثَـافِيدَ رَيْطًا وَرَيْطًا سِـخَافا

٢٥ مَرَته الصَّبا وانتحتْه الجَنُو بُ تَطْحَرُ عَنْهُ جَهَامًا خِفَـافا

٢٦ فأَقبلَ يَزحفُ زَحفَ الكسير يجُرُّ من البحرِ مُزْنًا كِثافا

٢٧ فَلَمَّـا تَنَادَى بأَن لا برا حَ وانْتَجفَته الرِّياحُ انتجافا

٢٨ وحَطَ بِذِى بَقَـرٍ بَرْكَهُ كأَنَّ على عَضُـدَيه كِثافا

٢٩ فَأَلْقى مَرَاسِيَه واستهلَّ كَمَدِّ النبيط العُرُوشَ الطِّرافا

٣٠ يَكُب العِضَـاهَ لأَذقانهـا كَكَبِّ الفنيقِ الِّلقاحَ العِجافا

٣١ كأَنَّ الوُحُوشَ بِهِ عَسقلا نُ صَادَفَ فى قرنِ حَجٍّ دِيافا

٣٢ قِيـامًا عَجِلن عَلَيه النَّبا تَ يَنْسِفْنَه بالظلوفِ انتسافا

---

(٢٣) الكفاف : ما تراكم من السحاب ، يلتمع البرق من خلاله .

(٢٤) شماريخ : أعالى . مثافيد : متراكبة . الريط : الثياب البيض . سخافا : لينة .

(٢٥) مرته : أدرته . تطحر : ترمى . جهاما : سحابا قد أراق ما فيه من ماء .

(٢٧) كلما ثقل السحاب بما فيه ضربته الرياح فاستفرغت كل ما يحمل من ماء .

(٣٠) جرى المطر سيلا يجرف ما يصادفه . والعضاه : كل شجر لاشوك به . الفنيق : الفحل الضخم من الإبل . واللقاح : النوق .

(٣١) عسقلان : موضع سوق كانت النصارى تقيمه كل سنة ، به يشبه تجمع الوحوش أمام السيل .

(٣٢) ينسفنه : يقلعنه قبل تمام نبته .

حسان بن ثابت

(ت ٥٠ هـ)

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الذى ينتهى نسبه من ناحية أبيه إلى الخزرج ، كما ينتهى نسبه من ناحية أمه الفريعة بنت خنيس إلى الخزرج أيضاً ، وهى من القبائل اليمنية القوية التى لحقت بيثرب منذ وقت بعيد . وكان لقوم حسان مكانة فى الجاهلية ثم فى الإسلام ، فأبوه ثابت بن المنذر قد حكمته الأوس والخزرج فى يوم سمير ، وأخوه أوس شهد العقبة مع الأنصار ، وآخى الرسول صلوات الله عليه بينه وبين عثمان بن عفان ، ثم استشهد أوس يوم أحد ، واستشهد أخ ثان لحسان وهو أبىٌّ يوم بئر معونة .

وقد عاش حسان نحو مائة عام ؛ إذ ولد فى منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادى ، وتوفى سنة أربعين للهجرة ، كما تذهب بعض الآراء ، وبعضها الآخر يصل بسنة وفاته إلى عام ٥٤ للهجرة ، فيكون بذلك قد عاش نحو مائة وعشرين عاما ، قضى نصفها فى الجاهلية ، ونصفها فى الإسلام . وقد اشتهر حسان بمدائحه فى الغسانيين وملوك الحيرة فى العصر الجاهلى ، كذلك كانت له قصائد فى الفخر بقبيلته والتغنى بأمجادها . ولم يشارك حسان فى غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم ، لعلة كانت تعجزه عن القتال . وقيل إن أكحله كان قد قطع ، فلم يكن يستطيع أن يضرب بيده . ولا ينبغى أن ننسى أن حسان قد أسلم وهو فى نحو الستين من عمره .

ويقول أحد علمائنا الأقدمين : لقد فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمانيين فى الإسلام .

ولا شك فى أن حسان بن ثابت قد قام بدور مهم فى الدفاع بشعره عن الإسلام ومناقضة المشركين ، وأرسى أسس المديح النبوى . وكان له دور فى الصراع السياسى إبان فتنة عثمان بن عفان ، وكان له هوى مع بنى أمية بحكم تأييد اليمانيين لهم . وقد اختفى نشاطه السياسى أو كاد بعد الفتنة . ويبدو أن السبب فى ذلك أن بصره قد كف كما تشير المصادر . ويلاحظ الباحثون اختلاف المستوى الفنى لشعر حسان فيما بين الجاهلية والإسلام ، وتلك قضية تحتاج إلى دراسة عناصر ، كثيرة وإلى توثيق ما يصح من شعر لحسان .

ومناسبة النص الأول أن وفدا من بنى تميم قدم على الرسول صلوات الله عليه فقالوا : جئناك لنفاخرك فأحضر شاعرك وخطيبك وأذن لشاعرنا وخطيبنا ، وذلك على العادات السائدة فى الجاهلية فيما يسمى بالمنافرات ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعم قد أذنت لخطيبكم فليقل ، وكان خطيب النبى ثابت بن قيس بن شماس

وشاعره حسان بن ثابت ، وخطيب التميميين عطارد بن صاحب وشاعرهم الزبرقان بن بدر الذى أنشد حين أذن له قوله :

نحن الكرام فلا حَىٌّ يفاخرنا فينا الملوكُ وفينا السادة الرُّفُع

وكم قَسَمْنا من الأَحياء كلهم عند النِّهاب وفضل العزِّ يُتَّبَع

ونحن يطعم عند المحل مُطْعِمُنا من السَّديف إذا لم يؤنس القزع

فما ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أَرْب هويا ثم ينَدفعو

فننحَر الكُومَ عُبْطا فى أَرومتها للنازلين إذا ما أُنزلوا شَبعو

ولا ترانا إلى حىٍّ ننازعهم إلا استفادوا وإلا الرأس يُقتطع

فمن يعادلنا فى ذاك نعرفه رجع القول والأَخبار تُسْتمع

إنا أبَيْنَا ولم يأبى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فعارضه حسان بهذه القصيدة وهى تجرى على نفس البحر والروى ، ولكنها تعبر عن روح إسلامية رفيعة ، تسمو على العصبية الجاهلية ، وتشيد بروح الأُخوة الإسلامية ، وقوة الإيمان ، وعدد من الخصال السامية التى ثبتها الرسول صلوات الله عليه فى جماعته .

وأما النص الثانى لحسان بن ثابت فهو فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعبر عن فجيعة المسلمين فى وفاة رسولهم ، ويعدد صفاته السامية ، ودوره العظيم فى هداية قومه من العرب .

* * *

قال حسان :

١ إنَّ الذَّوائبَ من فِهْر وإخْوَتهـــم
قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنـــاس تُتَّبَعْ

٢ يرضى بها كلُّ من كانت سَريرتُهُ
تقوى الإله وبالأَمر الذى شَرَعوا

٣ قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عدوَّهُـــمُ
أَو حاولوا النَّفْعَ فى أَشيـــاعهم نفعوا

٤ سَجيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحدَثَةٍ
إنَّ الخلائق فاعلم شَرُّها البَدع

٥ إن كان فى الناس سَبَّاقونَ قبلهمُ
فكل سَبْقٍ لأَدنى سَبقِهم تَبع

٦ لا يرقَعُ الناس ما أَوْهَت أَكفُّهمُ
عند الدِّفاع ولا يُوهُونَ مـــا رَقَعوا

---

(١) الذوائب جمع ذؤابة وهى من كل شىء أعلاه ، وفهر قبيلة من قريش ، والسنة الطريقة .

(٤) سجية : خصلة وطبيعة ، محدثة : جديدة ، والخلائق جمع خليقة وهى الطبيعة .

(٥) تبع : تابع له ومنقاد خلفه .

٧ إن سابقوا الناسَ يومـاً فازسَبقُهمْ
ووازنوا أهلَ مجْدٍ بالنَّدى متَعُوا

٨ ولا يضنُّونَ عن جـــارٍ بفضلهمُ
ولا يُدَنِّسُهم فى مَطمع طَبعُ

٩ لا يجهلون وإن حاولت جَهْلَهمُ
فى فَضْل أَحلامهم عن ذاك مُتَّسَعُ

١٠ أَعِفَّةٌ ذُكرتْ فى الوَحْى عِفَّتُهم
لاَ يطبعُون ولا يُرْدِيهم الطَّمَع

١١ كم مِن مُوالٍ لهم نالوا كرامتَه
ومن عدو عليهم جاهدٍ جَدَعوا

١٢ خُذْ منهمُ ما أَتَوْا عَفْواً إذا غَضِبوا
ولا يكن هَمُّك الأَمر الذى مَنَعُوا

---

(٧) الندى : الكرم ، ومتعوا بمعنى تفوقوا .

(٨) طبع : دنس .

(٩) يجهلون : يصيبهم الطيش ، فضل : زيادة ، أحلامهم : عقولهم .

(١٠) يطبعون : يتدنسون .

(١١) جدعوا : أحدثوا به عاهة .

١٣ فإنَّ فى حربهم فاترُكْ عداوتَهم
سُماً يُشَنُّ عليه الصَّابُ والسَّلَع

١٤ لا فَخْرَ إن هُمْ أصابوا من عدوِّهمُ
وإن أُصِيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُع

١٥ كأنهم فى الوغى والموتُ مُكْتَنِعٌ
أُسْدٌ ببيشَةَ فى أَرْساغِها فَدَع

١٦ أعطوا نبىَّ الهدى والبرِّ طاعتَهم
فما وَنَى نصرُهم عنه وما نزعوا

١٧ إن قال سيروا أَجَدُّوا السَّيْرَ جَهدَهُمُ
أو قال عوجوا علينا ساعةً ربعوا

١٨ ما زال سيرُهمُ حتى استقاد لهم
أهل الصَّليب ومن كانت له البِيَع

---

(١٣) الصاب : الشجر المر ، والسلع : شجر مر أو سم أو نوع من الصبر ، أو بقلة خبيثة الطعم .

(١٤) خور : ضعفاء ، جزع : خائفون .

(١٥) مكتنع : مجتمع مائل ، بيشة : اسم مكان ، فدع : اعوجاج الرسغ .

(١٦) ونى : تأخر ، نزعوا : نقضوا عهدهم .

(١٧) أجدوا : أسرعوا ، عوجوا : ميلوا ، ربعوا : أقاموا .

(١٨) استقاد : خضع ، البيع : جمع بيعة وهى الكنيسة .

١٩ نسموا إذا الحربُ نالتنا مخالبُها

إذا الزّعانِفُ من أظفارها خَشَعُوا

٢٠ إذا نَصَبْنا لقومٍ لا نَدبٌ لهم

كما يُدَبُّ إلى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ

٢١ أكرمْ بقوم رسول الله قائدهم

إذا تفرقَت الأهواءُ والشِّــيع

٢٢ أهوى لهم بَدمى قَلْبٌ يؤازرهُ

فيما يُحِبُّ لسَانٌ حائكٌ صَنع

٢٣ فإنهم أفضلُ الأَحيــاءِ كُلِّهم

إن جَدَّ بالناس جِدُّ القول أوسمعو.

---

(١٩) الزعانف : جمع زعنفة وهم الأراذل أو الضعفاء . خشعوا : خضعوا .

(٢٠) الذرع : جمل يختل به الصيد ، يمشى الصياد إلى جنبه فيستتر به .

(٢٢) صنع : ماهر .

وقال حسان :

١ بِطَيْبَةَ رسم للرسول ومعهدُ منيرٌ وقد تعفو الرسوم وتَهمَدُ

٢ ولا تنمحى الآياتُ من دار حرمةٍ بها مِنْبَرُ الهادى الذى كان يَصْعَد

٣ وواضحُ آثارٍ وباقى معالم ورَبْعٌ له فيه مُصَلًّى ومسجد

٤ بها حُجُرات كان ينزل وَسطَهَا من الله نور يُستَضاءُ ويُوقَد

٥ معارفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيُها أتاها البِلَى فالآى منها تَجَدَّد

٦ عرفت بها رَسْمَ الرسول وَعَهْدَه وقبرا بها واراه فى التُّرب مُلْحِد

٧ ظالت بها أبكى الرسول فأَسْعَدت عيون ومثلاها من الجَفْن تُسْعِد

٨ تذكَّرْن آلاءَ الرسول وما أرى لها مُحْصِياً نفسى فنفسى تَبَلَّد

٩ مُفَجَّعَةٌ قد شَفَّهَا فَقْدُ أحمدٍ فظلت لِآلاءِ الرسول تُعَدِّد

١٠ وما بلغتْ من كل أمرٍ عَشِيرَهُ ولكن لنفسى بعدُ ما قد تَوَجَّد

١١ أطالت وقوفا تذرِفُ العينُ جُهْدَها على طَلَلِ القبر الذى فيه أحمد

١٢ فبوركتَ ياقبرَ الرسول وبورِكتْ بلاد ثوى فيها الرشيدُ المسَدَّد

---

(١) طيبة هى المدينة المنورة ، تعفو : تندثر .

(٥) معارف : معالم ، آيها : آثارها .

(٧) أسعدت : ساعدت .

(٨) آلاء : نعم ، التبلد ضد التجلد .

(٩) شفها : نحلها وأوجعها .

١٣ وبُورِكَ لَحْدٌ منك ضُمِّنَ طَيِّبًا عليه بناءٌ من صفيح مُنَضَّد

١٤ تُهِيلُ عليه التُّرْبَ أَيْدٍ وأَعيُنٌ عليه وقد غارت بذلك أَسْعُد

١٥ لقد غَيَّبوا حِلما وعلما ورحمةً عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثرى لا يُوَسَّد

١٦ وراحوا بِحُزْنٍ ليس فيه نبيُّهم وقدوَ هَنَت منهم ظُهور وَأَعْضُد

١٧ يُبَكُّون من تبكى السماوات يومَه ومن قد بكته الأَرضُ فالناس أَكمد

١٨ وهل عَدَلَتْ يوماً رَزِيَّةُ هالك رزيةَ يوم مات فيه مُحَمَّـد

١٩ تَقَطَّعَ فيه منزلُ الوحى عنهمُ وقد كان ذا نُور يَغُورُ وينجِد

٢٠ يدلُّ على الرحمن من يقتدى به ويُنْقِذُ مِنْ هولِ الخزايا ويُرْشِد

٢١ إمام لهم يهديهمُ الحقَّ جاهدًا معلِّمُ صِدق إن يطيعوه يَسْعَدوا

٢٢ عَفُوٌ عن الزلات يقبل عُذْرَهم وإن يُحْسِنُوا فالله بالخير أَجوَد

٢٣ وإن نابَ أَمر لم يقوموا بَحَملِهِ فمِن عنده تيسيرُ مايتشَدَّد

٢٤ فبيناهمُ فى نعمةِ الله بينَهم دليلٌ به نَهْجُ الطريقة يُقْصَد

٢٥ عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حَرِيصٌ على أن يستقيموا وَيَهتَدُوا

٢٦ عطوف عليهم لا يُثَنِّى جَناحَه إلى كَنَفٍ يحنو عليهم ويَمْهِد

---

(١٣) صفيح : حجارة عراض .

(٢٣) ناب : نزل .

(٢٤) النهج : الطريق الواضح .

٢٧ فبيناهمُ فى ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقْصِد

٢٨ فأَصبح محمودًا إلى الله راجعا ... يُبَكِّيه حقٌّ المُرْسَلَاتِ ويَحمَد

٢٩ وأَمست بلادُ الحَرْمِ وَحْشاً بِقَاعُها ... لِغَيْبَة ماكانت من الوَحى تَعْهَد

٣٠ قفارًا سوى مَعْمُورةِ اللحد ضَافَها ... فَقَيد يُبَكِّيه بَلاطٌ وَغرْقَدَ

٣١ ومسجده فالمُوحِشاتُ لِفَقْدِه ... خَلاءٌ له فيه مَقَام وَمَقْعَد

٣٢ وبالجَمْرَة الكبرى له ثم أَوْحَشَتْ ... ديار وعَرْصاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِد

٣٣ فَبَكِّى رسُولَ اللهِ ياعَيْنُ عَبْرَةً ... ولا أَعرِفنْكِ الدَّهْرَ دمعك يَجمَد

٣٤ ومالك لاتبكينَ ذا النِّعْمَةِ التى ... على الناس منها سابغٌ يَتَغَمَّد

٣٥ فجودى عليه بالدموع وأَعْوِلى ... لِفَقْد الذى لامِثْلُه الدهرَ يُوجَد

٣٦ وما فَقَدَ الماضون مثلَ محمد ... ولامثله حتى القيامةِ يُفْقَد

٣٧ أَعفَّ وأَوفى ذِمَّةً بعد ذِمَّةٍ ... أقربَ منه نائلا لا يُنَكَّد

٣٨ وأبذلَ منه للطريف وتالدٍ ... إذا ضَنَّ مِعطاءٌ بما كان يُتْلِد

٣٩ وأَكرمَ صِيتا فى البيوت إذاانتمى ... وأَكرمَ جَدًّا أَبطَحِيا يُسَدَّد

---

(٣٠) ضافها : نزل عليها ضيفا ، بلاط : الأرض المستوية الملساء والحجارة التى تفرش فى الدار ، والغرقد شجر عظام ، أو هى العوسج ، وبقيع الفرقد مقبرة المدينة المنورة .

(٣٨) الطريف : المحدث ، والتالد : الموروث ، ويتلد : يجمع .

(٣٩) أبطحيا : ينتمى لقريش البطاح وهم الذين ينزلون بين أخشبى مكة ، ويسود ، أى تجعل له السيادة .

٤٠ وأَمنعَ ذِرواتٍ وأَثبت فى العلا ... دعائمَ عِزٍّ شاهقات تُشَيَّد

٤١ وأَثبت فرعاً فى الفروع وَمَنْبِتاً ... وعودًا غداةَ المزن فالعود أَغْيَد

٤٢ ربَاه وليدًا فاستتمّ تمَامُه ... على أكرم الخيرات ربٌّ مُمَجَّد

٤٣ تنَاهت وَصاةُ المسلمين بِكفّه ... فلا العلمُ محبوسٌ ولاالرأى يُفْنَد

٤٤ أَقول ولا يُلْغَى لقولى عائبٌ ... من الناس إلا عازبُ العقلِ مُبْعَد

٤٥ وليس هوائى نازعاً عن ثَنائه ... لعلى به فى جنة الخُلْد أَخْلُد

٤٦ مع المصطفى أرجو بذاك جِوارَه ... وفى نيل ذاك اليوم أَسعى وَأَجهَد

* * *

---

(٤١) المزن هنا بمعنى المطر وهو جمع مزنة ، والأغيد : اللين الأعطاف دليل النضارة .

(٤٢) رباه ورباه بمعنى واحد .

(٤٣) يفند : يكذّب ويخطىء .

(٤٤) عازب : بعيد .

الحطيئة

(ت ٥٠ هـ)

الحطيئة وجرول بن أوس بن مالك بن جؤيّة بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس من فحول الشعراء ومتقلميهم وفصحائهم متصرف فى جميع فنون الشعرمن المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد فى ذلك أجمع .

والحطيئة لقبُ لُقِّب به لقصره على أرجح الأقوال ، ويكنى أبا مليكة . ونسب الحطيئة متدافع بين قبائل العرب ، وكان فيما يروى القدماء ، ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وعاش إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

وكانت للحطيئة شهرة واسعة فى المديح والهجاء ، ودخل بشعره فى كثير من الخلافات القبلية بين الممدّحين من مشاهير العرب فى الجاهلية والإسلام ، وقامت لذلك حول سلوكه وعقيدته كثير من الشكوك التى لا يثبت أكثرها للنقد ويلاحظ قارئ ديوانه وسيرته تبايناً واضحاً بين شخصيته كما ترسمها روايات القدماء وشخصيته كما تصورها أشعاره التى صحت نسبتها إليه (راجع أخباره فى الأغانى (بولاق) : ٢ / ٤٣ ـ ٦٢) وله ديوان مطبوع .

وقال الحطيئة هذه القصيدة فى مديح بغيض بن عامر وهجاء الزبرقان بن بدر وكان نزل عليه فأهملته زوج الزبرقان ولم تعرف مكانته ، فترك جواره إلى جوار بغيض ، وأخذ فى مديحه والتعريض بالزبرقان مما حمله على أن يستعدى الخليفة عمر عليه ، فاستنشده عمر ما قال حتى وصل إلى قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

قال عمر : ما أسمع هجاء ولكن أسمع معاتبة ! فقال الزبرقان أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ! فتهدد عمر الحطيئة إن عاد إلى هجاء المسلمين ثانية :

* * *

١ واللهِ ما معشرٌ لا موا امرءا جُنُباً
في آل لأيٍ وشمّاسٍ بأكياسِ ،

٢ علامَ كَلَّفتنى مجد ابن عمكمُ
والعِيسُ تخرجُ من أعلام أو طاس ؟

(١) الجنب : الغريب .

(٢) العيس ، الإبل البيض يضرب لونها إلى صفرة يسيرة . الأعلام : الجبال ، وأعلام القوم : سادتهم .

٣ ما كان ذنبُ بغيضٍ ، لا أبالكمُ
في بائسٍ جاء يحدو آخر الناس !

٤ لقد مريتكمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ
يوماً يجيء بها مدحى وإبساسى ،

٥ وقد مدحتكم عمداً لأُرشدكم
كما يكونَ لكم مَتْحِى وإِمْراسى ،

٦ وقد نظرتكُمُ إعشاء صادرةٍ
لِلْخِمْسِ طال بها حَبسِى وتَنْسامِى

٧ فما ملكْتُ بأَن كانت نفوسكُم
كفاركٍ كرهتْ ثوبى وإلباسِى ،

---

(٣) « لا أبانكم » : كلمة استحسان ، فلا أباك ، مدح ، ولا أم لك ، ذم . والبائس الفقير . وقوله : « آخر الناس » أى احتملوا وتركوه فجاء آخر الناس .

(٤) مريتكم : طلبت ما عندكم ، وأصله من مريت الناقة : وهو أن تمسح ضرعها لتدر . والدَرة والدَر : اللبن والدرة ، بالكسر ، العطية . والإبساس : صوت تسكن به الناقة عند الحلب .

(٥) هذا مثل ضربه . والإمراس : أن يقع الحبل بين البكرة وبين القعو فتخلصه حتى ترده إلى البكرة . وأمرسه الساقى : إذا رده إلى البكرة . والماتح : الساقى .

(٦) نظرتكم : انتظرتكم . والإعشاء : أن تعشى الإبل بعد شربها إلى هوِىّ من الليل والتنساس : السَّوق إلى المرعى .

يقول : انتظرت خيركم كما ينتظر الضيف بالقرى مجيء الإبل الصادرة عن الماء إلى الحمض فيكون ذلك أبطأ لها فى المرعى وأكثر لأكلها . فضرب هذا مثلا لإبطائهم بخيرهم .

(٧) الفارك : المرأة التى تبغض قرب زوجها .

٨ لما بدا لىَ منكمْ غيبُ أَنفسكم
ولم يكن لجراحِى فيكمُ آسِى ،

٩ أزمعتُ يأْساً مُبيناً من نوالكمُ ،
ولن ترى طاردا للحرِّ كالياسِ !

١٠ أَنا ابن بَجْدَتِها علماً وتجربةً ،
فأسال بحربىَ سعدا أَعلَمَ النَّاس !

١١ جارٌ لقوم أَطالُوا هُونَ منزله
وغادروهُ مُقيماً بين أَرماس ،

١٢ ملوا قِراهُ ، وَهَرَّتْهُ كِلابُهمُ ،
وجرحوه بأَنيابٍ وأَضراسِ .

١٣ دع المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيتِها ،
واقعدْ ، فإِنَّك أَنت الطاعم الكاسِى !

---

(٨) يقال : أسا الجرح يأسوه : داواه .

(١١) الهون : الهوان . الأرماس : القبور ، واحدها : رمس .

(١٢) هرته كلابهم : أى ضجروا به .

(١٣) يقال : كسا الرجل ، يكسى : إذا اكتسى .

١٤ وابْعثْ يَسارا إلى وُفْرٍ مُذَمَّمَةٍ
واحْدِج إليها بذى عَرْكَين قِنْعاسِ .

١٥ سيرى أمامُ ، فإنَّ الأَكثرين حصى
والأَكرمين أباً من آل شماس .

١٦ من يفعل الخيرَ لايعدمْ جَوَازِيَهُ ،
لايذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ !

١٧ ما كان ذنبيَ أن فلَّتْ معاولكَمْ
من آل لَأْيٍ ، صفاةٌ أصلُهَا راسِى !

١٨ قد ناضلوك فسلوا من كِنانَتِهِمْ ،
مجدا تليدا ، ونبلًا غيرَ أنكاسِ !

---

(١٤) يسار : راعى الزبرقان . وفر : وطاب وأثرة ، واحدها : وافر . أراد : وطابك ملوءة لأنك لا تقرى منها . مذممة : يذمها الأضياف والجيران . احدج : ارحل ، والحدج مركب من مراكب النساء . بذى عركين : أى ببعير له عركان . والعرك : أن يعرك منها المرفق الكركرة فيتغضن الجلد . والقنعاس : الشديد . وإنما صيره ذا عركين لأنه مما يركب الراعى لأنه إذا كان به عركان لم يسرع ، وإذا أسرع ، وعليه الوطاب يهريق منها .

(١٥) الحصا : العدد الكثير .

(١٦) العرف : المعروف .

(١٧) الفل : الكسر والضرب . والصفاة : الحصاة الصلبة .

(١٨) ناضله ، مناضلة ونضالا : باراه فى الرمى .

وقال الحطيئة أيضاً يمدح بغيضاً ويهجو الزبرقان :

١ شاقتك أظعانٌ لِليـ لى ، يومَ ناظرةٍ بواكر

٢ فى الآلِ تحفزها الحدا ةُ كأنّها سُحُقٌ مواقر

٣ كظباء وجرةَ ساقهُـنّ إلى ظلال السِّدر ناجر

٤ وقَدتْ بها الشعرى فآ لَفتِ الخدودَ بها الهواجر

٥ ياليلةً قد بتُّها بجَدودَ ، نوم العين ساهر

٦ وردت علىّ همومُها ولكلٍّ واردةٍ مصادر ،

٧ وإذا تباشرُك الهمو مُ فإنّها داءٌ مخامر

---

(١) الأظعان : النساء فى الهوادج . وناظرة : موضع أو ماء لبنى عبس .

(٢) الآل : السراب ، يحفزها : يسوقها . . . وسحق مواقر : نخل طوال كثيرة الحمل .

(٣) وجرة : مكان على ثلاث مراحل من مكة إلى طريق البصرة . الناجر : العطش شهرا ناجر : تموز وآب وهما أشد الشهور حرارة . وقد شبه النساء فى احداجهن بالظباء فى كنسها إذا لجأت من الحر إليها .

(٤) الشعرى : نجم . فآلفت : جمعت ، يريد جمعت فى الهاجرة ، وذلك أن الهاجرة تجمع الظبى فتدخل كناسها من شدة الحر ، فيصير خد هذا إلى خد هذا .

(٥) جدود : ماء لبنى سعد .

(٦) أراد ، وردت على الهموم كما ترد الإبل .

(٧) مخامر : مخالط بقلبك .

٨ ولقد تُقضِّيها الصَّرِيـ ـمةُ عنك ، والقلِقُ العُذافر

٩ هلاَّ غضِبْتَ لرحل جا رك إذ تنبِّذه حضاجر !

١٠ أغَرَرْتِنى وزعمتَ أنك لابنٌ فى الصيفِ تامر !

١١ فلقد كذبتَ ، فما خشِيـ ـتَ بأن تدور بك الدوائر ،

١٢ وأمرتنى كيما أجا معَ عُصبةً فيها مقاذر ،

١٣ ولحيتنى فى معشر هُمْ أَلحقوكَ بمن تفاخر ،

١٤ ولقد سبقتهُم إلَىَّ ، فقد نزعت وأنت آخر !

١٥ شغلوا موَازرتى عليـ ـكَ الآنَ فابتغ من تُوَازر ،

١٦ ومنعتَ وُفْرًا جُمِّعَتْ فيها مذمَّمةٌ خناجر ،

---

(٨) تقضيها : أى تمضى الهموم . والصريمة : العزيمة . والقلق : البعير الذى لا يثبت فى موضع من حدته . والعذافر : الشديد .

(٩) يريد بهذا الزبرقان ، يقول : هلا غضبت لى وأنا جارك أن أضيع فى جوارك وأهلك . وحضاجر : اسم من أسماء الضبع .

(١٠) لابن : ذولبن ؛ وكذلك تامر : ذوتمر . يعنى أنك غررتنى وزعمت أنك تطعمنى التمر واللبن .

(١٢) عصبة : قبيلة . مقاذر : سوء أخلاق وتبرم بمن يعاشرهم .

(١٣) لحيتنى : لمتنى .

(١٤) نزعت : كففت . أراد إنهم تقدموك فى المجد .

(١٥) شغلوا موازرتى : أى صارت نصيحتى لهم وقد كانت لك فضيعتها فاطلب أخا يوازرك ويصاحبك فنصيحتى مشغولة .

(١٦) الوفر : الوطاب الضخام . مذمة : إبل يذمها الجيران والأضياف ، لا يقرى منها أحد . الخناجر : الغزار من الإبل ، واحدها : خنجر .

١٧ فكفاكها سمحُ اليديـ ن بصالحِ الأخلاقِ ماهر ،
١٨ سمحٌ ، أخو ثقةٍ ، شجا عٌ لاتُنَهْنِهُه المزاجر ،
١٩ حتى إذا حصل الأمو رُ ، وصار للحب المصائر ،
٢٠ وتبرز النُّجُب الجيا دُ ، وقامت الكُذُب المحامر ،
٢١ وغرقْتَ فى زَبَدٍ ، تعـومُ خلالَ لجته القَراقر ،
٢٢ أنشأْتَ تطلبُ ماتغبَّـ رَ بعد مانَشب الأظافر ،
٢٣ إنى نهانىَ أن أُذَ مّك ، ماجدُ الجدَّين فاخر ،
٢٤ قرمٌ لقرمٍ ماجدٍ ، ما إن يُنافره المُنافر ،
٢٥ هو مد بيتَ المجدِ حَيـ ثُ بناهُ شَمَّاسٌ وعامر .
٢٦ فجزى الإلَه أخى بغيضًا خيرَ مايُجزَى المعاشر ،
٢٧ أمثالُ علقمةَ بن هَو ذةَ ، كل غالية مياسر !

---

(١٧) كفاكها : يريد الفعلة ، وهى السقطة التى كانت من الزبرقان إلى الحطيئة . ماهر حاذق . أراد : أى كفاك بغيض تلك السقطة يا زبرقان .

(١٨) تنهنه : تخيفه وتسكته .

(١٩) المصائر : جمع مصير . أراد : صار كل امرىء إلى حسبه .

(٢٠) النجب : الكرام . والكذب : البطاء التى لا تصدق ، والمحامر : جمع محمر ، وهو الذى ليس بمحض من الخيل .

(٢١) هذا مثل . يقول : وقعت فى بحر لا نجاة لك منه . تعوم : تسبح . خلال : بين واللجة : كثرة الماء . القرار : الضفادع ، واحده : قرقور .

(٢٢) أغبار الشىء بقاياه .

(٢٣) أذمك : أهجوك . فاخر : له فخر .

(٢٤) القرم : السيد . نافره : فاخره وغلبه .

٢٨ ـ الواهبُ المائةَ الهجَا نَ يُرى لها وَبَرٌ مُظاهر

٢٩ ـ دهماءَ مُدفأَةَ الشّتا ءِ ، كأَنَّ بَرْكَتَها الحظائر ؛

٣٠ ـ وإذا الحزونُ وطِئنَها ، صلَّ الفراسنُ والكراكر

٣١ ـ وإذا الفصيلُ دعونه صدحَتْ له منها الحناجر ؛

٣٢ ـ للفحل فى آثارها ، زجلٌ يخايلُ أَو يخاطِر .

٣٣ ـ عطفوا على بغير آ صرةٍ ، فقد عَظُمَ الأَواصر

٣٤ ـ حتى وعيتُ كوعى عَظْ م الساقِ لاحمه الجبائر ،

٣٥ ـ يتقربُ المجدُ البعيدُ بحيث يغضبُ من يفاخر .

٣٦ ـ وهمُ سَمَوْنى المحضَ إذ قَلَصَتْ عن الماءِ المشافِرْ

٣٧ ـ وتفرعَ الحسبُ الجسيـ مُ إذا يفاخرُ أَو يكاثر

---

(٢٧) يريد أنه لا ينحر إلا كل نفيس غال .

(٢٨) الهجان : الخيار من كل شيء ، والهجان من الإبل : الناقة الأدماء ، وهى الخالصة اللون والعتق .

(٢٩) دهماء : سوداء . مدفأة الشتاء : يريد ضخم الإبل وكثرتها لأنها تدفئ بنفسها .

(٣٠) الحزون : جمع حزن ، وهو الغليظ من الأرض . الفراسن : الأخفاف . وصل صوت . يقول : إذا بركت عليها صوتت من صلابة الأرض .

(٣١) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه . صدحت : رفعت أصواتها .

(٣٢) زجل : صوت . يخايل : من الخيلاء والاختيال والعظمة .

(٣٣) آصرة : قرابة . يقول : عطفوا على بغير قرابة ولا رحم بينى وبينهم فقد عظم ذلك

(٣٤) وعيت : أى جبر عظمى بهم كما يجبر العظم الكسير .

(٣٥) يتقرب : يجيء به ويذكره إذا غضب أو فاخر ، يعنى شماسا .

(٣٦) المحض : اللبن الذى لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضا . قلصت : ارتفعت ، أى قلصت شفتاه عن الماء من برده .

حميد بن ثور

(ت ٦٠ هـ)

حميد بن ثور بن حزن الهلالى العامرى ، مخضرم ، عاش زمنا فى الجاهلية ، وشهد حنينا مع المشركين ، ثم أسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم وعاش حتى خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان .

كان عمر فى خلافته قد تقدم إلى الشعراء بألا يشبب أحد بامرأة ، فتلطف حميد إلى التشبيب فكنى عن المرأة بالسرحة فى قطعة مشهورة قال فيها :

أبى الله إلا أن سرحة مالك ⁂ على كل أفنان العضاه تروق

وهل أنا إن عللت نفسى بسرحة ⁂ من السرح مسدود علىّ طريق

عده الجمحى فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين ، وفى شعره غناء .

وتتميز قصيدتاه بروح قصصى يعبر من خلاله عن تجاربه ، ففى القصيدة الأولى حين يريد بث لواعج حبه وتصوير مشاعره يقص قصة خيالية عن عجوز نشأت فى فقر وجهد وتزوجت — وما كانت تأمل فى الزواج — وأنجبت شابا ساد رفاقه وقادهم إلى غارات ناجحة . وأحيط به فى إحدى معاركه ، حتى لم يشك رفاقه فى مصرعه فيهربون ،

ويبلغها موته ، وهى تنتظر إيابه ، فتقوم إلى موسى لتذبح نفسها ، وإذا بابنها يقف أمامها لم يصبه شىء . ومن خلال هذه المشاعر المحتدمة ، من شدة حبها لابنها ، وحاجتها له ، وفجيعتها فيه ثم فرحها الغامر بنجاته ، ينتقل بنا الشاعر إلى أن هذه المشاعر هى مشاعره تجاه محبوبته .

وفى قصيدته الثانية يصور الذئب وما تعانى منه الراعية الضنينة ، فهما فى صراع دائم فهو جائع لايجد غير شياهها طعاما ، وهى تؤثر فقد طفلها على فقد سخلة من سخالها . ويمضى الشاعر فى إدارة هذا الصراع والمخاتلة والحذر ، مصورا أحوال الذئب تصويرا متتابعا دقيقا فى نومه واضطراب جريه وتمطيه ومخاتلته .

* * *

قال :

١ ـ حلَفتَ بَربٍّ الرَّاقصات إلى مِنًى
رَفِيقاً وَرَبٍّ الواقفينَ عَلَى الجبل

٢ ـ لو أنَّ لِيَ الدُنيَا وماعُدِلَتْ به
وَجُمْلُ لِغَيرى ما أَردتُ سِوَى جُمْل

٣ ـ أَتَهجُرُ جُملًا أَمْ تلِمٌّ عَلى جُمَل
وَجُملٌ عيوفُ الرِّيق جَاذبَة الوَصْل

---

(٣) عيوف الريق : كارهة للباطل مجانبة له .

٤ ــ فَوَجْدِى بِجُمْل وَجْدُ شمطاءَ عَالَجَت
من العيْش أَزماناً على مِرر القُلِّ

٥ ــ فَعَاشت معافاةً بأَنزح عِيشَةٍ
تَرَى حَسَناً أَن لاتَمُوتَ من الهُزْل

٦ ــ قَضَى ربُّها بَعْلًا لها فَتزوَجَتْ
حَلِيلًا ، وما كانَتْ تُؤَمِّل مِن بَعْل

٧ ــ وُعُدتُ شُهورَ الحَمْل حتَّى إِذَا انقضَتْ
وَجَاءَتْ بخِرقٍ لَادنِيءٍ ولا وَغْل

٨ ــ فَهَفَّ إِليها الخِلُّ واجتمِعتْ لَهَا
عيونُ العُفاةِ الطامحين إِلى الفَضْل

٩ ــ إِذا رَاكبٌ تَهوى به شَمَّرِيَّةٌ
عَذِيبٌ سِوَاهُم مِنْ أُناسٍ ومِنْ شَكْل

١٠ ــ فَقَالَ لَهُم كِيدُوا بأَلْفِي مُقَنَّع
عِظام طِوالٍ لاضعافٍ ولا عُزل

١١ ــ فَشَكُّوا طَبيِتما أَصْلَهُم ثم أَسْلَمُوا
بكَفٍّ ابنها أَمْرَ الجماعة والفِعل

---

(٤) القل : ضنك العيش .

(٥) تروى بأترح عيشه ، من الترح وهو الحزن . وهو يصور ضيق حياتها حتى أن موتها من الجوع كان أمرا متوقعا .

(٧) الخرق من الفتيان : الظريف .

١٢ - وقَالَ لَهُم حَمَّلتمونِىَ أَمرَكم
فلا تَتْرُكونى لاشتِراكٍ ولا خَذِل

١٣ - فَلَما اكْتَنَى فى بَزةِ الحَرب واستَوَى
عَلَى ظَهْر شَيحَانِ القَرَانبَل عَبْل

١٤ - وَسَارُوا فأعطَوْه اللِّواءَ وجَرَّبوا
شمائِلَ مَيْمون نقيبتُه مِثْل

١٥ - فَسَارَ بهم حَتَّى لَوى مُرْجَحِنَّةً
تَضِيقَ بها الصَّحراءُ صَادِقَةَ الفَتْل

١٦ - فَلَمَّا الْتَقَى الصَّفانِ كَان تَطَارُدٌ
وَطَعْنٌ به أفواهُ مَعطُوفَةٍ نُجل

١٧ - نَهاراً طَوِيلا ثم دَارَتْ هَزِيمةٌ
بأَصحابه من غَير ضعفٍ ولاخَـذْل

١٨ - فَقَالَتْ لَهُم وَالخَيل مُدبرةٌ بهم
وأَعيُنهم مِما يَخَافُونَ كالقُبل

١٩ - عَلَى رسْلِكم إنِّى سَأَحْمِى ذِمارَكم
وَهَلْ يَمْنَعُ الأَحْسَابَ إلا فتىً مِثْلى

---

(١٣) شيحان القرا : فرس طويل الظهر ، انبل : النبيل الجسيم ، عبل : ضخم .

(١٥) لوى مرجحنة : شد زمام الناقة الضخمة .

(١٨) القبل : إقبال سواد كل من العينين على الآخر . وهو عيب فى العينين مثل الحـ
والقُبل : الأعين المصابة بهذا العيب ، وهو من الفزع فى البيت .

٢٠ـ فَبَيَّنَاه يَحميهم ويعطفُ خَلْفَهم
بَصيرٌ بَعَوراتِ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

٢١ـ هَوَى ثائرٌ حَرَّانُ يَعْلَمُ أنَّهُ
إذَا ما تَوارَى القومُ منقطِعُ النَّبل

٢٢ـ فَلَمْ يَسْتَطع من نَفْسِه غَيرَ طَعنَة
سُوًى فى ضُلُوع الجَوْفِ نافِذَةِ الوَغْل

٢٣ـ فَخَرَّ وَكَرَّتْ خَيلُهُ يَنْدُبونه
وَيُثْنُونَ خَيرا فى الأَباعِدِ والأَهل

٢٤ـ فَلِماَّ دَنَوْا لِلْحَى أُسْمِعَ هَاتِفٌ
عَلَى غَفْلَةِ النِّسْوانِ وهى عَلَى رَحل

٢٥ـ فَقَامت إلى مُوسَى لتذبحَ نَفسَها
وأَعْجَلَها وَشْكُ الرزيئَة والثُّكل

٢٦ـ فما بَرِحَتْ حتَّى أتاها كَمَا بَدَا
وراجَعَها تِكْليمَ ذِى خُلُقٍ جَذْل

٢٧ـ فَوَجْدى بجُمْلٍ وَجدُتبيكَ وَفرْحَتِى
بجُملٍ كما قَدْ بابنِها فَرِحَت قَبلى

---

(٢١) الثائر : طالب الثأر ، حران : مشتعل القلب غيظا ، منقطع النبل : فاتته الفرصة للأبد .

(٢٢) سوى : مستوية ، نافذة الوغل : عميقة الإصابة .

وقال أيضا :

١ تَرَى رَبَّةُ البَهمِ الفَرَارَ عَشِيَّةً
اذا ماعدا فى بَهْمها وهو ضائع

٢ فَقَامَت تَعُسُّ سَاعةً ما تُطِيقُها
من الدَّهر نَامَتْها الكِلاب الطَّوَالِ

٣ رأته فَشَكَّتْ وَهو أَطحَلُ مائِلٌ
إلى الأَرضِ مَثْنِيٌّ إِلَيه الأَكَارِع

٤ طَوِى البَطن إلا مِنْ مَصيرَ يبلُّه
دَمُ الجَوفِ أَو سؤرٌ مِنَ الحوضِ نَاقِع

٥ هوَ البَعِلُ الدَّانى مِنَ النَّاس كالذى
لَهُ صُحْبَةٌ وهوَ العَدوُّ المنَازِع

٦ تَرَى طَرَفَيهِ يَعسِلانِ كِلَاهما
كما اهتَزَّ عود السَّاسَم المتَتَايِع

(١) البهم : ج بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر . ضائع : جائع .

(٢) تعس : تتفقد بالليل ، الضوائع : طالبة السفاد وهى حينئذ لا تنام .

(٣) أطحل : أغبر بلون الرماد . الأكارع : الأرجل .

(٤) المصير : المعى : وأحد المصران أى الأمعاء . سؤر : بقية .

(٥) البعل : الذى ضاق بأمره ، أو اشتبهت عليه الأمور .

(٦) يعسلان : يضطربان ، الساسم : الأبنوس ، المتتايع : الذى لا عقد فيه .

٧ إِذَا خافَ حورا من عدوٍّ رَمَتْ به
مَخَالِبهُ والجانِب المتَواسع

٨ إِنْ بَاتَ وَحشًا لَيلَةً لم يَضِق بها
ذِرَاعًا ، ولم يصبح لها وهو خَاضِع

٩ ويسرِى لِساعاتٍ من اللَّيل قَرَّةٍ
يَهابُ السُّرَى فيهَا المخَاضُ النَّوازع

١٠ إِذا احتَلَّ حِضنَىْ بَلدَةٍ طُرَّ مِنهُما
لأُخْرى ، خَفى الشخصِ لِلرِّيح تابعُ

١١ وإِنْ حَذِرَتْ أَرضٌ عَلَيهْ فإِنَّهُ
بغِرَّةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْس قانعُ

١٢ إِذَا نَالَ مِنْ بَهْم البَخِيلَة غِرَّةً
عَلَى غَفلَةٍ مما يَرَى وهْوَ طَالِعُ

١٣ تَلُومُ وَلَو كَانَ ابنها فَرِحتْ بِهِ
إِذا هَبَّ أَرواحُ الشِّتَاءِ الزَّعازِع

---

(٩) قرة : باردة . المخاض : الإبل أتمت حملها فهى تحن لأوطانها .

(١٠–١١) طر : طرد ، حذرت : انتبهت له ، الغرة : الغفلة .

(١٢–١٣) لأنها بخيلة ، فهى تجزع إذا أصاب الذئب بعض بهمها ، جزعا لا تجزع مثله لو أنه ذهب بابنها .

١٤ وَنِمْتَ كَنوم الفَهد عن ذِى حفيظة
أَكَلْتَ طَعَاماً دونَه وَهْوَ جَائعُ

١٥ ينَامُ بإِحْدَى مُقْلَتيْه ويَتقِى
بأُخْرى الأَعادِى فَهْو يقظانُ هَاجعُ

١٦ إِذا قَامَ أَلقى لوعه قَدرَ طُوله
وَمدَّدَ منه صُلبه وَهْوَ بائعُ

١٧ وَفكَّك لِحَبْبه فَلَمَا تَعادَياً
صَأَى ثم أَقْعَى والبلاد بَلاقِع

١٨ فَظَل يرَا عى الجَيش حَتَّى تَغَيَّبتْ
خُباش وَحَالَتْ دونَهُنَّ الأَجارعَ

١٩ إِذَا ماغَدَا يَوّماً رأَيت غيابَةً
من الطَّيرِ يَنْظُرنَ الذِى هو صانِع

٢٠ فَهَمَّ بأَمْرٍ ثم أَزمَعَ غَيرَه
وإنْ ضَاقَ أَمرُ مرةً فَهوَ وَاسِعُ

* * *

(١٦) بوعه وباعه واحد ، وألق بوعه : بسط باعه يتمطى . بائع: فاعل البوع .

(١٧) فكك لحبيه: تثاءب ، صأى : صاح .

(١٨) خباش : موضع نخل لبنى يشكر باليمامه ، الأجارع : المرتفعات .

(١٩) غيابة : كل ما أظل المرء ، وهنا من الطير تترقب لتصيب مما يفترس .

مالك بن الريب

(ت ٦٠ هـ)

هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة من قبيلة عمرو بن تميم. ويكنى بأبي عقبة. وأمه شهلة بنت سنيح بن الحر من قبيلة مازن .

وقد نشأ مالك بن الريب فى البصرة ببادية بنى تميم ، وتزعم فى صباه طائفة من اللصوص ، لم يقتصر نشاطها على بادية بنى تميم وحدها ، وإنما امتد حتى وصل إلى مكة وأطرافها ، وكان فاتكا يقطع الطريق مع شِمظاظ الضبى اللص المشهور ، كما كان شجاعا يقدم على غمرات الموت ولا يهاب تفاقم الحوادث :

وكان قد صحب سعيد بن عثمان بن عفان لما ولاه معاوية خراسان سنة ٥٦ هـ بعد حياة حافلة بالتشرد والصعلكة وقطع الطرق ، فتحول بهذه الصحبة من الضلالة إلى الهدى ، وتغير من اللهو العابث إلى الإيمان الموجه الذى اقتنع به :

وعندما خرج مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ، وكان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه ، فإذا بأفعى فى داخلها فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على قفاه وقال قصيدته هذه فى رثاء نفسه .

وقال اليزيدى إن مالك بن الريب رثى نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنة .

* * *

وقد رسم مالك بن الريب من خلال يائيته هذه الجوانب البارزة التى اتصف بها ، من ثبات فى المعركة إذا أدبرت الخيل ، واستجابة للداعى إذا عز النصير ، وإطعام إذا حمد الإطعام ، وعفة عن شتم ابن العم ، وصبر على القِرْن فى الوغى . ولم ينس وهو فى أعنف لحظات الموت فروسيته وفتوته ، وتجسدت أمامه هذه الصورة وهو يرقب شبح الموت ، فعزت عليه الحياة ، ووجد الحاجة ماسة للبكاء ، والسبب داعيا للنحيب ، فمد نظره بين المتاهات المقفرة يطلب الأنيس ، وينشد الصديق ، فلم يجد الصحبة الكريمة إلا فى سيفه ورمحه ، ولم يجد الوفاء النبيل إلا فى فرسه . وقد ظلت هذه الصفات تلازمه وتعيش فى دمه فى كثير من أبيات هذه القصيدة .

* * *

قال :

١ أَلَا ليت شعرى هل أَبيتَنَّ ليلَةً
بجنب الغَضا أُزجِى القِلاص النَّواجيا

٢ فليت الغضا لم يقطع الرَّكبُ عَرْضَه
وليت الغضا ماشَى الركاب لياليا

---

(١) الغضا : شجر ينبت فى الرمل . أزجى القلاص النواجيا : أسوق النوق السريعة .

(٢) الركاب : الإبل .

٣ لقد كان فى أهل الغضا لو دنا الغضا
مزارٌ ولكنَّ الغَضا ليس دانِيا

٤ ألم ترنى بعتُ الضَّلالة بالْهُدَى
وأَصبحتُ فى جيش ابن عفَّانَ غَازيا

٥ وأصبحت فى أرض الأعادىَ بعدما
أُرانىَ عن أرض الأعادىَ قاصيا

٦ دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتِى
بذى الطُّبَّسَيْن فالتَفَتُّ ورائِيا

٧ أَجبتُ الهوى لما دعانى بزفرةٍ
تَقَنَّعْتُ منها أَنْ أُلَامَ ردائِيا

٨ أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا
جَزَى الله عَمْرًا خيرَ ما كانَ جازيا

٩ إنِ الله يُرْجِعْنى من الغزو لا أرى
وإن قل مالى طالبًا ما ورائِيا

١٠ تقول ابنتى لما رأَتْ طُولَ رحْلَتى
سفارُك هذا تاركى لَا أَبا ليا

١١ لَعمْرى لئن غَالتْ خراسانُ هامتى
لَقَد كنتُ عن بابَى خراسان نائيا

---

(٤) يقول : بعت ما كنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش المسلمين .

(٦) أود : موضع . الطبسان : موضع بخراسان .

(٩) يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى .

١٢ فإن أَنجُ من بابَى خُراسان لَا أَعُد
إليها وإن مَنَّيْتُمُونى الأمانيا

١٣ فلله دَرِّى يوم أترك طائعًا
بنىّ بأعلَى الرقمتين وماليا

١٤ ودر الظباء السَّانحات عشيةً
يخبِّرنَ أنى هالكٌ مَن ورائيَا

١٥ ودر كبيرىّ اللذين كلاهُما
عَلَىَّ شفيق ناصحٌ لو نهانيا

١٦ ودرُّ الرجال الشاهدين تَفَتُّكى
بأمرىَ ألَّا يَقْصُرُوا مِنْ وَثَاقيا

١٧ ودر الهوى من حيث يدعو صحابتى
ودر لجاجاتى ودرّ انتهائيا

١٨ تذكرت من يبكى على فلم أجد
سوى السيف والرمح الرُّدينى باكيا

١٩ وأشقَرَ محبوكًا يجُرُّ عنانَه
إلى الماء لم يترك له الموتُ ساقيا

---

(١٣) لله درى : تعجب من نفسه حين فعل ذلك ، أى اغترب عن ولده وماله وأهله .

(١٤) السانحات : جمع سانح ، وهو ما ولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما .

(١٥) كبيرى : يقصد والديه .

(١٨) الرمح الردينى : منسوب إلى ردينة ، وهى امرأة كانت تصنع الرماح بهجر .

٢٠ ولكن بأكناف السمينةِ نِسوةٌ
عزيزٌ عليهن العَشيّة ما بيا

٢١ صريعٌ على أيدى الرجال بقفرة
يُسوُّون لحدى حيث حُمَّ قضائيا

٢٢ ولما تراءت عند مَرو منيتى
وخلَّ بها جسمى وحانت وفاتيا

٢٣ أقول لاصحابى ارفعونى فإنه
يقر بعينى إنْ سُهيلٌ بدا ليا

٢٤ فيا صاحبَىْ رحلى دنا الموت فانزلا
برابيةٍ إنى مُقيمٌ لياليا

٢٥ أقيما علىَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ
ولَا تُعجلَانى قد تَبيَّن شانيا

٢٦ وقوما إذَا ما استُلَّ روحى فهيِّئا
لىَ السِّدر والاكفان عند فنائيا

---

(٢١) حم : قضى .

(٢٢) خل : اختل واضطرب وهزل .

(٢٣) يريد : إن سهيلا لا يرى بناحية خراسان ، فقال : ارفعونى لعلى أراه فتقر عينى برؤيته ؛ لأنه لا يرى إلا فى بلده .

(٢٤) الرابية : المكان المرتفع .

(٢٥) السدر : شجر النبق ، وهو طيب الرائحة .

٢٧ وخُطَّا بأطراف الأسنَّة مضجعى
ورُدا عَلَى عينىَّ فَضْلَ ردائيا

٢٨ وَلَا تحسدانى بارك الله فيكما
من الأرض ذات العرض أن تُوسعا ليا

٢٩ خُذانى فجرَّانى بثوبى إليكما
فقد كُنتُ قبلَ اليوم صَعْبا قياديا

٣٠ وقد كنت عطَّافاً إذا الخيل أدبرت
سريعا لدى الهيجا إلى من دعانيا

٣١ وقد كنتُ صباراً على القرن فى الوغى
وعن شتمىَ ابن العمِّ والجار وانيا

٣٢ فطوراً ترانى فى ظِلَالٍ ونعمةٍ
وطوراً ترانِى والعتاق ركابيا

٣٣ ويوماً ترانِى فى رَحًا مستديرة
تُخَرِّق أَطرافُ الرِّمَاح ثيابيا

٣٤ وقُوما على بئر السمينة أسمعا
بها الغُر والبيض الحسان الروانيا

(٣٠) عطافا : مقبلا . الهيجا مقصور من الهيجاء وهى الحرب .

(٣١) القرن : القرين والنظير الكفء .

(٣٢) ظلال : جمع ظل وهو الندى والريف والنعمة .

(٣٣) الرحى : موضع الحرب . مستديرة : دائرة .

(٣٤) الروانى : النواظر . والرنو : النظر الدائم .

٣٥ بأنكما خلفتمانى بقفرة
تهيلُ علَى الرِّيحُ فيها السوافيا

٣٦ وَلَاتَنْسيَا عهْدِى خَلِيلَىَّ بعدما
تَقَطَّعُ أَوْصَالِى وتَبْلَى عظاميا

٣٧ ولن يعدم الوالون بثًّا يصيبهم
ولن يَعْدَمَ الميرات منّى المواليا

٣٨ يقولون لَاتبعد وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد إلَّا مكانيا

٣٩ غداةَ غَد يا لهف نفسى على غدٍ
إذا أَدلجوا عنى وأصبحتُ ثاويا

٤٠ وأصبح مالى من طريف وتالدٍ
لغيرى وكان المال بالأَمس ماليا

٤١ فياليت شعرى هل تغيرت الرحا
رحا المثل أو أَمست بفَلْجٍ كماهيا

(٣٥) السوافى : الرمال الناعمة . تهيل : تثير .

(٣٧) البث : أشد الحزن .

(٣٩) الإدلاج : السير من أول الليل . الثاوى : المقيم .

(٤٠) الطريف والتالد : الجديد والقديم .

(٤١) المثل : موضع بفلج يقال له : رحى الفلج .

٤٢ إذا الحىّ حلّوها جميعًا وأنزلوا
بها بَقَرًا حُمَّ العيون سواجيا

٤٣ رَعَيْن وقد كادَ الظَّلامُ يُجُنّها
يَسُفْنَ الخزَامى مَرَّة والأقاحيا

٤٤ وهل أترك العيسَ العوالى بالضُّحى
بركبانها تَعْلُو المتانَ الفيافيا

٤٥ إذا عُصَبُ الركبان بينَ عُنيزة
وبَوْلان عاجوا المُبقيات النواجيا

٤٦ فياليتَ شعرى هل بكتْ أُمُّ مالك
كما كنتُ لو عَالَوْا نَعِيَّكِ باكيا

٤٧ إذا مُتُّ فاعتادى القبور وسلمى
على الرَّمس أُسقيتِ السحابَ الغواديا

٤٨ على جَدَث قد جَرَّت الرِّيحُ فوقَه
تُرابًا كَسَحْق المرنَباني هابيا

٤٩ رهينة أحجارٍ وتُربٍ تضَمَّنتْ
قرارتها منّى العِظَامَ البواليا

---

(٤٢) السواجى : السواكن .
(٤٤) المتان : جمع متن وهو المكان المرتفع . الفيافى : القفار .
(٤٥) بولان وعنيزة : موضعان . المبقيات : التى يبقى سيرها . النواجى : المسرعة .
(٤٧) الرمس : القبر .
(٤٨) جدث : قبر . المرنبانى : كساء من خز .

٥٠ فيا صاحبا إمَّا عرضت فبلِّغن
بنى مازن والريب أنْ لَا تلاقيا

٥١ وعَرِّ قلوصى فى الركاب فإنها
سَتَفْلِقُ أكبادًا وتُبْكى بواكيا

٥٢ وأبصرت نار المازنيات مَوْهِنًا
بعلياء يُثنى دونها الطرفُ دانيا

٥٣ بعود ألنجوج أضاء وقودُها
مهًا فى ظلال السِّدْرِ حورًا جوازيا

٥٤ غريبٌ بعيدُ الدار ثاوٍ بقفرةٍ
يَدَ الدَّهر معروفًا بأن لا تدانيا

٥٥ أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى
به من عيون المؤنسات مُراعيا

٥٦ وبالرَّمل مِنَّا نِسْوة لو شَهِدْنَنى
بَكَيْنَ وَفَدَّين الطبيبَ المداويا

٥٧ وما كان عهد الرمل عندى وأهله
ذَميمًا . وَلَا ودَّعْت بالرمل قاليا

٥٨ فمنهُنَّ أُمِّى وابنتاى وخالتى
وباكيةٌ أُخرى تَهيج البواكيا

---

(٥٤) يد الدهر : أبد الدهر .

(٥٦) فدين : افتدين ، يعنى بذلن له ما يريده .

سُوَيْد بن أبى كاهل اليشكُرى

(ت بعد ٦٠ هـ)

هو سُوَيْد بن أبى كاهل بن حارثة ، من بنى يشكر بن بكر وائل ، شاعر مقدم مخضرم ، عاش فى الجاهلية دهرًا ، وعمر فى الإسلام أمدًا طويلا ، فقد عاش إلى ما بعد سنة ستين من الهجرة . وقد قرنه الجمحى فى طبقاته بعنترة ، وقرنه أبو عبيدة بطرفة والحارث بن حلزة وعمرو ابن كلثوم ، ويبدو أنه كان من بيت عريق فى نظم الشعر ، لأن والده أبا كاهل كان شاعرًا أيضاً .

وسويد ممن شهروا بالقصيدة الواحدة ، على الرغم من أن له شعرا آخر كثيرًا ، ولكن هذه القصيدة التى نقدمها له أكثر شعره ذيوعاً ، وقد تمثل بها الحجاج فى بعض مواقفه ، كما فضلها الأصمعى قائلا : « كانت العرب تفضلها وتقدمها ، وتعدها من حكمها ، وكانت تسميها اليتيمة » ، لما اشتملت عليه من الأمثال » .

والقصيدة طويلة بعض الشىء ، وهى تبدأ بنسيب مفصل ، يعقبه حديث عن الطيف ، ثم صفة الليل والنجوم والفجر ، ثم عودة إلى التشبيب ، ثم فخر الشاعر بقومه من بنى بكر بن وائل ، ثم رجوع آخر إلى حديث الطيف والنسيب ، فيذكر وداعها ورحلته على ناقته والكلاب التى تعدو خلفه ، ليخلص من ذلك إلى الفخر كرة أخرى

ثم يرسم صورة نادرة للعداوة التي يكنها لهصاحبه المنافق ، متطرقاً إلى مقارعته للخصوم وغلبته عليهم ، معقباً ذلك بذكر صاحبه الجنيّ الذى يلقى الشعر على لسانه ، على عادة العرب فى تخيلهم لمصادر الإلهام لدى الشعراء .

* * *

قال سُوَيد بنُ أبي كاهل اليشكُرى :

١ بَسَطَتْ رَابعَةُ الحَبْلَ لَنَا ... فوَصَلنا الْحَبْلَ منها ما اتَّسَع

٢ حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتًا وَاضِحاً ... كشُعَاعِ الشمسِ فِى الغَيْمِ سَطَع

٣ صَقَلَتْهُ بقَضِيبٍ ناضِرٍ ... مِن أَرَاكٍ طَيِّبٍ حتى نَصَع

٤ أبْيَضَ اللونْ لَذِيذًا طَعْمُهُ ... طَيِّبَ الرِّيق إذَا الريقُ خَدَعْ

٥ تَمْنَحُ المِرْآةَ وَجْهًا وَاضِحاً ... مثلَ قَرْنِ الشمْسِ فِى الصَّحْوِ ارتَفَعْ

٦ صَافِىَ اللَّوْن ، وطَرْفاً سَاجياً ... أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ مافيهِ قَمَعْ

٧ وقُرُوناً سابغاً أَطْرَافُها ... غَلَّلَتْهَا ريحُ مِسك ذِى فَنَع

(٢) الشتيت : المتفرق . الواضح : الأبيض .

(٣) صقلته : جلته . ناضر : ناعم أخضر ريان . الأراك : شجر يتخذ منه السواك المعروف ، وهو أجود سواك . نصع : خلص لونه .

(٤) الريق خدع : تغير وفسد .

(٥) قرن الشمس : أول مايبدو منها .

(٦) الساجى : الساكن . القمع : كمد فى لحم الموق وورم فيه .

(٧) القرون : الذوائب . السابغ : الطويل التام . غللتها : دخلت فيها . الفنع : الكثرة ، مسك ذو فنع أى رائحته منتشرة .

٨ هيَّجَ الشَّوْقَ خَيالُ زَائِرٍ مِن حَبيبٍ خَفِرٍ فيهِ قَدَع

٩ شَاحِط جَازَ إلى أَرْحُلِنَــا عُصَب الغَاب طُرُوقاً لم يُرَع

١٠ آنِسٍ كان إذا مَا اعتَادَنِى حالَ دُونَ النَّوْم مِنِّى فامتَنَعْ

١١ وكذَاكَ الحُبُّ مَا أَشْجَعَهُ يَرْكَبُ الهَوْلَ ويَعصِى مَن وَزَع

١٢ فأَبِيتُ اللَّيـلَ مَا أَرْقُدُهُ وبعَيْنَىَّ إذَا نَجمٌ طَلَعْ

١٣ وإذَا ما قلتُ لَيلٌ قد مَضَى عطَفَ الأَوَّلُ منهُ فَرَجَعَ

١٤ يَسْحَبُ الليلُ نُجُوماً ظُلَّعاً فتَوَالِيهَا بَطِيئَـاتُ التَّبَعْ

١٥ وَيُزَجِيها عَــلَى إبْطَائِها مُغْرَبُ اللَّوْنِ إذَا اللَّوْنُ انْقَشَعْ

١٦ فَدَعَانِى حُبُّ سَلْمَىٰ بَعدَ ما ذَهَبَ الجدَّةُ مِنِّى والرَّيَعْ

١٧ خَبَّلَتْنِى ثمَّ لمَّا تَشـفِنِى فَفُؤَادِى كُلَّ أَوْبٍ ما اجتَمَعْ

١٨ ودَعَتْنِى برُقَاهَـا ، إنَّهـا تُنزِلُ الأَعْصَمَ مِن رَأْسِ اليَفَعْ

---

(٨) الخفر : الحياء . القدع : الرد والكف .

(٩) شاحط : بعيد ، جاز : سلك . عصب : جماعات . الغاب : جمع « غابة » الطروق : المجيء ليلا . لم يرع : لم يفزع .

(١١) وزعه : كفه .

(١٤) ظلعا : من الظلع والظلوع ، وهو العرج والغمز فى المشى . التوالى : الأواخر ، واحدها « تالية » .

(١٥) يزجيها : يسوقها برفق . المغرب : الأبيض . انقشع : ذهب .

(١٦) الربع : أول الشباب ، وحركت الياء للضرورة .

(١٧) خبلتنى : أفسدت عقلى . كل أوب : كل وجه .

(١٨) الرقى : جمع « رقية » وهى أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية فى وهمهم . الأعصم : الوعل الذى فى يديه بياض . اليفع : المرتفع .

١٩ تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قولًا حَسَناً ... لو أرَادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَمَع

٢٠ كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهًا ... نَازِحَ الغَوْرِ إِذَا الآلُ لمَع

٢١ فى حَرُورٍ يَنْضَجُ اللَّحْمُ بها ... يأْخُذُ السَّائرَ فيها كالصَّقَع

٢٢ وتَخَطَّيْتُ إِليها مِنْ عُـدَى ... بزَمَاعِ الأَمْرِ والهَمٍّ الكَنِع

٢٣ وفَلَاةٍ وَاضِـحٍ أَقْرَابُهَـا ... بَالِيـاتٍ مثلَ مُرْفَتِّ القَزَع

٢٤ يَسْبَحُ الآلُ عَلَى أعـلَامِهَا ... وعَلَى البيدِ إِذَا اليومُ مَتَع

٢٥ فَرَكِبْنَاهَـا عَـلَى مَجْهُولِهَا ... بِصِلاب الأَرْضِ فيهنَّ شَجَع

٢٦ كالمَغَالِي عارفات لِلسُّرَى ... مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوَشَّمْ بالنِّسَع

---

(٢٠) المهمة : القفر . النازح : البعيد . الغور : القعر من كل شيء الآل : السراب .

(٢١) الحرور : ريح حارة تكون بالنهار . الصقع : حرارة تصيب الرأس .

(٢٢) العدى : الأعداء . زماع الأمر : الجد فيه . الكنيع : اللازم الذى لا يفارق .

(٢٣) الأقراب : الخواصر . المرفت : المتكسر المتحطم . القزع : جمع « قزعة » ، وهى بقايا تبقى من الشعر فى الرأس .

(٢٤) الأعلام : الجبال . البيد : جمع « بيداء » وهى القفر . متع اليوم : ارتفعت شمسه .

(٢٥) بصلاب الأرض : بخيل صلاب الحوافر ، وأرض الفرس : حوافرها . الشجع : جنون من النشاط .

(٢٦) المغالى : السهام التى يغلى أى يباعد بها فى الرمى ، وهى خفاف ، يقدر موقعها ثم يقال كذا وكذا غلوة . العارفات : الصبورات على السير . السرى : السير ليلا . المسنفات : التى شد عليها السناف ، وهو خيط يشد من اللبب إلى الحزام مخافة أن يموج فيضطرب السرج أو الرحل . النسع : جمع « نسعة » و « نسع » وهو سيرأو حبل عريض طويل تشد به الرحال .

٢٧ فَتَرَاهـا عُصُفاً مُنْعَلَةً بنِعَال القَيْن يَكْفِيهاالوَقَعْ

٢٨ يَدَّرِعْنَ الليـلَ يَهْوِينَ بِنَا كَهُوِىِّ الكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَع

٢٩ فتَنَاوَلْنَ غِشَاشًا مَنْهَلًا ثُمَّ وَجَّهنَ لِأَرْضٍ تُنْتَجَع

٣٠ مِنْ بَنِى بَكْرٍ بِهَـا مَمْلَكَةٌ مَنْظَرٌ فيهمْ وفيهمْ مُسْتَمَع

٣١ بُسُطُ الأَيْدِى إذَا ما سُئِلُوا نُفُعُ النَّائِلِ إنْ شىءٌ نَفَع

٣٢ مِنْ أُنَاسٍ لِيْسَ مِنْ أَخْـلاقِهِمْ عاجِلُ الفُحشِ ولا سُوءُ الجَزَع

٣٣ عُرُفٌ لِلْحَـقِّ مـا نَعْيَا بِهِ عندَ مُرِّ الأَمرِ ، مافِينَا خَرَع

٣٤ وإذَا هَبَّتْ شَمالًا أَطْعَمُوا فِى قُـدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لم تُجَع

٣٥ وجِفَـانٍ كالجَوَابِى مُلِئَتْ مِن سَمِينَاتِ الذُّرَى فيهاتَرَع

٣٦ لا يَخَافُ الغَدْرَ مَن جاوَرَهم أَبدًا منهُمْ ولا يَخْشَى الطَّبَع

(٢٧) العصف : السريعة فى السير ، من عصفت الريح ، واحدتها « عصوف ». الوقع : الحفا من المشى على الحجارة .

(٢٨) يدرعن الليل : يدخلن فيه كما تلبس الدرع . الكدر : القطا الكدرى ، وهو الذى فى لونه غبرة . صبحن : وافين فى الصبح . الشرع : الماء والشرب جميعا .

(٢٩) غشاشا : قليلا أو على عجل . المنهل : المشرب . وجهن : توجهن . تنتجع : تقصد للكلأ .

(٣٣) الخرع : الضعف واللين .

(٣٤) المشبعات : المملوآت .

(٣٥) الجوابى : الحياض الكبار التى يجبى فيها الماء . الواحدة « جابية » الذرى : جمع ذروة » ، وذروة كل شىء أعلاه ، أراد الأسنمة الترع : الإمتلاء .

(٣٦) الطبع : ما يعابون به ، وأصل الطبع تلطخ . العرض .

٣٧ ومَسَامِيحُ بمَا ضُنَّ بهِ ... حاسِرُو الأَنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ

٣٨ حَسنُو الأَوْجهِ بيضٌ سَادَةٌ ... ومَرَاجِيحُ إذَا جَدَّ الفَزَعْ

٣٩ وُزُنُ الأَحلَامِ إنْ هُمْ وَازنُوا ... صادِقُو البأْسِ إذَا البأْسُ نَصَع

٤٠ ولُيُوثٌ تُتَّقَى عُرَّتُهَا ... سَاكِنُو الريح إذَا طارَ القَزَع

٤١ فَبهِمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وبهِمْ ... يُرْأَبُ الشَّعْبُ إذَا الشَّعْبُ انْصدَعُ

٤٢ عادَةٌ كانتْ لهم مَعْلُومَةٌ ... فى قَدِيم الدَّهْرِ لَيْسَتْ بالبِدَع

٤٣ وإذا ما حُمِّلُوا لم يَظْلَعُوا ... وإِذَ حَمَّلْتَ ذَا الشَّفِّ ظَلَع

٤٤ صالِحُو أَكْفَائِهِمْ خُلَّانُهُمْ ... وسَرَاةُ الأَصْلِ ، والناسُ شِيَعْ

٤٥ أَرَّقَ العَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدِعْ ... مِن سُلَيمَى ففُؤَادِى مُنتَزَعْ

---

(٣٧) مساميح : أجواد . حاسرو الأنفس : كاشفوها . أى مبعدوها من الطمع .

(٣٨) مراجيح : راجحو القلوب ، ثابتون لا يستخفهم الجزع ، ليسوا بجبناء .

(٣٩) نصع : ظهر وأنار .

(٤٠) العرة : الأذى . ساكنو الريح : لا يخفون ولا يعجلون . القزع : قطع من السحاب صغار متفرقة ، واحدتها « قزعة »

(٤١) النكاية بالأعداء : أن تكثر فيهم الجراح والقتل فيهنوا لذلك . الشعب : الصدع والتفرق ، وهو من الأضداد ، يكون أيضا بمعنى الا لتئام . رأبه : أصلحه .

(٤٣) الظلع فى الإبل : بمنزلة الغمز فى الخيل ، وهما عرج فى مشيهما . الشف ها هنا : الفضل والزيادة ، وهو ضد ، يقال أيضا للنقصان .

(٤٤) صالحو أكفائهم خلانهم : لا يحالفون ولا يصادقون إلا الصالحين من أكفائهم . السراة : الأشراف ، جمع « سرى »

(٤٥) لم يدع : لم يسكن ولم يستقر ، من الدعة والسكون .

٤٦ حلَّ أَهْلِي حيثُ لا أَطْلُبُهَا   جانِبَ الحِصْنِ ،وحَلَّتْ بالفَرَعْ

٤٧ لا أُلَاقِيهـا وقلبِى عِندَها   غيرَ إلمَام إذَا الطَّرْفُ هَجَع

٤٨ كالتُّوَامِيَّةِ إنْ باشَرتَها   قَرَّتِ العَيْنُ وطابَ المُضْطَجَع

٤٩ بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نِيَّتَهَا   وحَدَا الحَادِى بِها ثُمَّ انْدَفَع

٥٠ وكَرِيمٌ عِنـدَهَـا مُكْتَبَل   غَلِق إثْرَ القَطِينِ المُتَّبَع

٥١ فكأنِّي إذْ جَرَى الآلُ ضُحًى   فوقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سُفَع

٥٢ كُفَّ خَدَّاهُ على ديباجَةٍ   وعلى المَتْنَيْنِ اونٌ قد سَطَعْ

٥٣ يَبْسُطُ المَشْيَ إذاهَيَّجتَهُ   مِثلَ ما يَبْسُطُ فِى الخَطْوِ الذَّرَعْ

٥٤ رَاعَهُ مِن طَيِّئٍ ذُو أَسْهُمٍ   وضراءٌ كُنَّ يُبْلِينَ الشِّرَع

---

(٤٦) أخصن : مكان . الفرع : موضع بين الكوفة والبصرة .

(٤٨) التوامية : الدرة المنسوبة إلى توام ، وهى قصبة عمان التى تلى الساحل .

(٤٩) مزمعة : مجمعة على الأمر جادة فيه . نيتها : حيث تنوى أى تقصد وتتجه . حدا : ساق .

(٥٠) مكتبل : موثق ، والكبل : القيد . غلق : ذاهب ، من قولهم : غلق الرهن إذا ذهب ولم يفتك . القطين : الأهل والحشم .

(٥١) الذيال : الثور الطويل الذنب . السفع : جمع « سفعة » وهى سواد يضرب ثم إلى حمرة ، وبفتح السين : مصدر .

(٥٢) كف : ضم . المتنان : مكتنفا الصلب . سطع : علا .

(٥٣) الذرع : الصغير من ولد البقر .

(٥٤) ذو أسهم : أراد به الصائد . الضراء : الكلاب التى ضريت للصيد ، الواحد « ضيروة » . الشرع : الأوتار ، واحدتها « شرعة »

٥٥ فَرَآهُنَّ ولمَّـا يَسْتَبِنْ ... وكِلَابُ الصَّيدِ فيهنَّ جَشَعْ

٥٦ ثُمَّ وَلَّى وجَنَـابَانِ لَهُ ... من غُبَارٍ أَكْدَرِىٍّ واتَّدَعْ

٥٧ فتَرَاهُنَّ عَـلَى مُهْلَتِـهِ ... يَخْتَلِينَ الأَرضَ والشَّاةُ يَلَعْ

٥٨ دَانِيَـاتٍ ما تَلَبَّسْنَ بِهِ ... وَاثِقَاتٍ بِدِماءٍ إنْ رَجَعْ

٥٩ يُرْهِبُ الشَّدَّ إذَا أَرْهَقْنَهُ ... وإذَا بَـرَّزَ مِنهـنَّ رَبَـعْ

٦٠ سَـاكِنُ القَفْـرِ أَخُو دَوِّيَّةٍ ... فإذَا ما آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ

٦١ كَتَبَ الرَّحمنُ والحمدُ له ... سَعَةَ الأَخْلاقِ فينا والضَّلَعْ

٦٢ وإباءً لِلـدَّنِيَّاتِ إذَ ... أُعطِيَ المَكْثُورُ ضَيْمًا فَكَنَعْ

٦٣ وبِنَـاءً لِلْمَعَـالى ، إنَّمـا ... يَرْفَعُ اللهُ ومَن شَـاءَ وَضَـعْ

---

(٥٥) الجشع : أسوأ الحرص .

(٥٦) الجنابان : الجانبان . أكدرى : فيه كدرة . اتدع : لم يجتهد فى عدوه ، لثقته بأنه سيفوتهن .

(٥٧) يختلين : يقطعن . الشاة : الثور . يلع : يكذب فى عدوه ولا يجد ، من قولهم : ولع يلع إذا كذب .

(٥٨) ما تلبسن به : لم يخالطنه ، بل قاربنه .

(٥٩) الشد : السير السريع . أرهقنه : أعجلنه . برز منهن : بعد. ربع : جلس وكف عن العدو .

(٦٠) الدوية : الفلاة البعيدة الأطراف . آنس : أحس وسمع. امصع : ذهب فى الأرض .

(٦١) الضلع : من الاضطلاع بالأمور ، يقال : اضطلع بحمله إذا قوى عليه .

(٦٢) المكثور : المغلوب . كنع : خضع .

٦٤ نِعَمٌ للهِ فِينَا رَبَّهَا وصَنِيعُ اللهِ ، واللهُ صَنَعْ

٦٥ كَيْفَ بِاسْتِقْرَارِ حُرٍّ شَاحِطٍ بِبِلَادٍ ليس فيها مُتَّسَعْ

٦٦ لا يُرِيدُ الدَّهرَ عنها حِوَلًا جُرَعُ الْمَوْتِ، ولِلْمَوْتِ جُرَعْ

٦٧ رُبَّ مَن أَنْضَجْتُ غَيْظًا قلبَهُ قد تَمَنَّى لِىَ مَوْتًا لم يُطَعْ

٦٨ ويَرَانِي كالشَّجَا فى حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

٦٩ مُزْبِدٌ يَخْطِرُ ما لم يَرَنِى فإذا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انْقَمَعْ

٧٠ قد كَفَانِى اللهُ ما فى نفسهِ ومَتَى ما يَكْفِ شَيْئًا لا يُضَعْ

٧١ بِئْسَ ما يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِى مَطْعَمٌ وَخْمٌ وداءٌ يُدَّرَعْ

٧٢ لم يَضِرْنِى غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِى فهْو يَزْقُو مثلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

٧٣ ويُحَيِّينِى إذا لاقَيْتُهُ وإذا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ

---

(٦٤) ربها : أصلحها وأتمها . صنع : صفة لا فعل بمعنى قادر على أن يصنع ، وإذا وصفت به رجلا فهو بمعنى رفيق حاذق بما يصنع .

(٦٥) شاحط : بعيد .

(٦٦) حولا : تحويلا .

(٦٨) الشجا : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٦٩) مزبد : كالجمل الهائج إذا ظهر الزبد على مشافره ، وهو لغامه الأبيض . يخطر : من الخطر وهو ضرب الفحل بذنبه إذا هاج . انقمع : دخل بعضه فى بعض .

(٧١) وخم : غير مرىء . يدرع : يلبس .

(٧٢) يزقو : يصيح . الضوع : ذكر البوم ، ويقال : إنه طائر صغير .

(٧٣) رتع : أكل بشره .

٧٤ مُسْتَسِرُّ الشِّنْءِ لو يَفْقِدُنِى ... نَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَنَبَع

٧٥ ساءَ ما ظَنُّوا وقد أَبْلَيْتُهُمْ ... عندَ غاياتِ المَدَى كيفَ أَقَع

٧٦ صَاحِبُ الْمِئْرَةِ لَا يَسْأَمُهَا ... يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَع

٧٧ أَصْقَعُ النَّاسِ بِرَجْمٍ صَائِبٍ ... لَيْسَ بِالطَّيْشِ وَلَا بِالْمُرْتَجَع

٧٨ فارِغُ السَّوْطِ فما يَجْهَدُنِى ... ثَلِبٌ عَوْدٌ وَلَا شَخْتٌ ضَرَع

٧٩ كيفَ يَرْجُونَ سِقَاطِى بَعْدَمَا ... لَاحَ فى الرَّأْسِ بَيَاضٌ وصَلَع

٨٠ وَرِثَ البِغْضَةَ عن آبائِهِ ... حافِظُ العَقْلِ لِمَا كان اسْتَمَع

٨١ فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ فى قَوْمِهِ ... ثُمَّ لم يَظْفَرْ وَلَا عَجْزًا وَدَع

٨٢ زَرَعَ الدَّاءَ ولم يُدْرِكْ بهِ ... تِرَةً فَاتَتْ وَلَا وَهْيًا رَقَع

---

(٧٤) الشنء ، مثلث الشين : البغض . الذباب : الشر والأذى . نبع : ظهر .

(٧٥) أبليتهم : يقال : « أبليته فأبلانى » أى استخبرته فأخبرنى ، يريد هنا : عرفوا منى واستيقنوا . كيف أقع : يريد كيف أصنع .

(٧٦) المئرة : العداوة والإحنة .

(٧٧) أصقع الناس : أشدهم صقعا ، وهو الضرب على الرأس . الرجم : الرمى . وأراد به هنا الكلام .

(٧٨) الثلب : الكبير الهرم من الإبل ، وهو العود . الشخت : الدقيق النحيف الصغير . ضرع : صغير السن .

(٧٩) سقاط : مصدر ساقطة أى أسقطه وأوقعه .

(٨١) ودع : ترك .

(٨٢) الترة : الوتر وهو الثأر . الوهى : الشق . الرقع : الإصلاح بالرقاع .

٨٣ مُقْعِيًا يَرْدِى صَفَاةً لم تُرَم ... فى ذُرَى أَعْيطَ وَعْرِ المُطَّلَع

٨٤ معتِلٍ يَأْمَنُ مَنْ كان بهِ ... غلبَت مَن قبْلَهُ أن تقتلع

٨٥ غلبت عَادًا ومَن بَعْدَهُمُ ... فأَبَتْ بَعْدُ فليستْ تتَّضع

٨٦ لا يَرَاهَا النَّاسُ إلا فوقَهم ... فهىَ تأتِى كيْف شاءتْ وتدع

٨٧ وهْو يَرْمِيها ولنْ يَبْلغها ... رعَةَ الجَاهِلِ يَرْضَى ما صَنَعْ

٨٨ كَمَهتْ عَيْنَاهُ حَتَّى ابيَضّتا ... فهوَ يلْحَى نفسَهُ لمَّا نزعْ

٨٩ إذْ رَأَى أَنْ لم يَضِرْها جَهْدُهُ ... ورأَى خلْقَاءَ مافيها طَمَع

٩٠ تعضِبُ القرْنَ إذا ناطَحَها ... وإذا صابَ بها المِرْدَى انجَزع

٩١ وإذا ما رَامَها أَعْيَا بهِ ... قِلَّةُ العُدةِ قِدْمًا والجَدَع

---

(٨٣) الإقعاء ، فى الناس : كهيئة جلوس الكلب . يردى : يرمى . الصفاة : الصخرة الملساء . لم ترم : لم يرمها أحد لعظمها . الذرى : الأعالى . الأعيط : الجبل الطويل . المطلع : الموقع الذى يطلع منه ويشرف .

(٨٥) تتضع : يقال : اتضع بعيره ، أى أخذ برأسه وخفضه إذا كان قائما ليضع قدمه على عنقه فيركبه .

(٨٧) : الرعة : الحالة والشأن .

(٨٨) كمهت : عميت . يلحى : يلوم . نزع : كف .

(٨٩) الخلقاء : الصخرة الملساء .

(٩٠) تعضب : تكسر . صاب : وقع . المردى الحجر : الذى يرمى به ، وهو المرداة أيضا . انجزع : انقطع وانكسر .

(٩١) الجدع : سوء الغذاء .

٩٢ وعدوٍ جاهدٍ ناضلته في تراخي الدهر عنكم والجُمَع

٩٣ فتساقينا بمُرٍّ ناقعٍ في مَقامٍ ليس يَثْنِيهِ الْوَرَع

٩٤ وارتمينا والأعادي شُهَّدٌ بنِبالٍ ذاتِ سُمٍّ قد نَقَعْ

٩٥ بنِبالٍ كلُّها مَذْرُوبَةٌ لم يُطِقْ صَنْعَتَها إلا صَنَعْ

٩٦ خرجَتْ عن بغضةٍ بيِّنةٍ في شباب الدهْر والدهْرُ جَذَع

٩٧ وتحارَضْنا وقالوا : إنَّما يَنْصُرُ الأقْوامُ مَن كان ضرَع

٩٨ ثمَّ وَلَّى وهو لا يحمِي استَهُ طائِرُ الإتْرافِ عنْه قد وَقعْ

٩٩ ساجِدَ المَنْخِرِ لا يرفَعُهُ خاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ المُسْتَمَعْ

١٠٠ فرَّ مِني هاربا شيطانه حيثُ لا يُعطِي ولا شيئًا مَنعْ

١٠١ فرَّ مِنِّي حِينَ لا يَنْفَعُهُ مُوقَرَ الظَّهْر ذلِيلَ الْمُتَّضَع

١٠٢ ورَأَى مِنِّي مَقَامًا صادِقًا ثابت الْمَوْطِن كتَّامَ الوَجَع

---

(٩٢) الجمع : الجماعات .

(٩٣) الناقع : المجتمع القاتل . الورع : الهيوب الجبان .

(٩٤) ارتمينا : ترامينا . النبال السهام .

(٩٥) مذروبة : محددة . الصنع : الحاذق الرفيق .

(٩٦) الجذع : الشاب الحدث ، أراد في أول الدهر .

(٩٧) التحارض : تفاعل من الحرض وهو الهلاك . الضرع : الضعيف من الرجال .

(٩٨) الإتراف : الترف والتنعم .

(١٠١) موقر الظهر : مثقله .

(١٠٢) كتام الوجع : صبورا لا يظهر وجعه .

١٠٣ ولِسَانًا صَيْرَفِيًّا صَارِمًا كحُسَام السَّيْفِ مامسَّ قطَعْ

١٠٤ وأَذَانِى صَاحِبٌ ذُو غَيِّثٍ زفيَانٌ عِنْدَ إنْفادِ القُرَعْ

١٠٥ قالَ : لَبيْك ، وما استصْرَخْتهُ حاقِرا لِلنَّاسِ قوَّالَ القَذعَ

١٠٦ ذُو عُبَابٍ زَبِد آذِيُّهُ خمِطُ التَّيَّار يَرْمِى بِالقَلَعْ

١٠٧ زَغْرَبِىٌّ مُسْتَعِزٌّ بَحْرُهُ ليس لِلمَاهِرِ فِيهِ مُطَّلَعْ

١٠٨ هلْ سُوَيْدٌ غيرُ لَيْثٍ خادِرٍ ثَئِدَتْ أَرْضٌ عليه فَانْتَجَعْ

* * *

---

(١٠٣) الصيرفى : المتصرف فى الأمور المجرب لها ، يتصرف كيفما شاء . حسام السيف : السيف الحسام وهو القاطع .

(١٠٤) ذو غيث : ذو إجابة ، وأصله أن يقال : بئر ذات غيث ، إذا كانت لها مادة ، كلما ذهب ماء جاء ماء آخر . الزفيان : الخفيف السريع . إنفاد : من قولهم : أنفدت الركية ، أى ذهب ماؤها . القرع : جمع « قرعة » وهى المزادة .

(١٠٥) قال لبيك : يعنى شيطانه الذى يوحى إليه الشعر على ما كانوا يزعمون . القذع : الكلام السيء القبيح .

(١٠٦) العباب : تكاثف الموج واضطرابه . الآذى : الموج ومثله التيار . خمط : مضطرب متلاطم . القلع : جمع « قلعة » وهى الصخرة العظيمة ، والمراد هنا الأمواج العظيمة .

(١٠٧) الزغربى : الكثير الماء . المستعز : الذى لا يقدر عليه من كثرته . الماهر : الحاذق فى السباحة . مطلع : مخرج ومنفذ .

(١٠٨) الخادر : الذى اتخذ الأجمة خدرا . ثئدت : نديت ، والثأد : الندى . انتجع : من النجعة ، وهى طلب الكلأ فى موضعه .

توبة بن الحمير

(ت ٦٤ هـ)

هو توبة بن الحمير بن حزن بن كعب بن خفاجة بن عمرو ابن عُقيل. وأُمه عامره بنتوالبة بن الحارث ، وقيل : اسمها زبيدة .

وقومه بنو خفاجة كانوا قبل الإسلام يسكنون الجنوب الشرقي من يثرب ، وملكوافيها بعض القرى والمزارع ، ثم تهيأً لهم الانتشار فيما بين الجزيرة والشام .

ويذكر أبو عبيدة أن توبة كان شريرًا كثير الغارةعلى جيرانه . كما يعده ابن قتيبةمن الشعراء اللصوص.ولمتتورع ليلى الأَخيلية عن اتهامهبالفجور ، وإن كانتعندماسئلت عنه قالت : « والله ما كان خاربًاولا للموت هائبًا ، ولكنه كان فتىله جاهلية ، ولو طال عمره وأنسأه الموت لا رعوى قلبه ، ولقضى فى حب الله نحبه ، وأقصر عن لهوه » .

وقد شهر توبةبحبليلى الأَخيلية وشهرت به ،وقد خطبها توبة إلى أَبيها فأَبى أَنيزوجه إياها ، وزوجها رجلًا من بنى الأَذلغ. وقد لقى توبة من قوملیلىومن الناس جميعًا مايلقاه غيره منالعشاق من العذل والملامة .

وقد قتل توبة بن الحمير فى أثناء خلافة معاوية فى معركة ضارية بينه وبين بعض بنى عوف بن عقيل .

وتوبة فى قصيدته هذه يصف ما صنعه قوم ليلى الأخيلية به ، ويذكر أنهم إن منعوا عنه ليلى وحسن حديثها ، فإنهم لن يستطيعوا منعه من البكاء على فراقها فى شعره ، كما يذكر حديث اللائمين فى حبها ، وأنه سيظل يعيش على ذكراها أبد الدهر .

* * *

قال :

١ رمانى وليلى الاخيلية قومُها
بأشياء لم تُخلقْ ولم أدرِ ما هيا

٢ فليتَ الذى تلقى ويُحزنُ نفسها
ويُلقونهُ بينى وبينَ ثيابيا

٣ [فهل يبدرنَّ البابَ قومُكَ أننى
قدَ اصبحت فيهم قاصىَ الدارِ نائيا

٤ تمسَّكْ بحبلِ الأَخيليةِ واطَّرح
عدَا النَّاسِ فيها ، والوشاةَ الأدانيا

---

(٢) يلقونه : يتكلمون به ، يعنى عذلها ، أى ما يؤذونها به .

(٤) عدا الناس : الأعداء منهم .

٥ فإن تمنعوا ليلى وحسنَ حديثها
فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
٦ ولا رَمَل العِيسِ النوافخ فى البُرى
إذا نحنُ رفَعنا لهنَّ المثانيا
٧ فهلّا منعتمْ إذ منعتمْ كلامَهَا
خيالًا يُوافينى على النأى هاديا]
٨ ولو كنتُ مولى حقِّها لمنعتُها
ولكنَّ مِن دونى لليلى مواليا
٩ ياوَمْكَ فيها اللائمونَ نصَاحةً
فليتَ الهوىٰ باللائمينَ مكانيا
١٠ لو أنَّ الهوىٰ عن حُبِّ ليلى أطاعنى
أطعتُ ، ولكنَّ الهوى قد عصانيا
١١ وكم مِن خليلٍ قد تجاوزتُ بذلَهُ
إليكِ وصادٍ لو أتيتُ سَقانيا
١٢ لعمرى لقدسهَّدتنِى يا حمامةَ العَقـ
ـيقِ ، وقد أبكيت من كان باكيا

(٦) الرمل : الهرولة . العيس : الإبل . البرى : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير .
رفعنا : أقمنا . المثانى : ركب الإبل ومرافقها .
(٧) النأى : البعد .
(٨) مولى حقها : وليها .
(٩) نصاحة : مصدر نصح بمعنى وعظ وأخلص المودة .
(١١) الصادى : العطشان .

١٣ وكنتُ وقورَ الحِلم ما يستهشُّنى
بكاءُ الصدى لو نحتُ نوحًا يمانيا

١٤ ولو أنَّ ليلى فى بلادٍ بعيدةٍ
بأقصى بلادِ النّاس والجنِّ واديا

١٥ لكانت حديثَ الرَّكبِ أو لانتحى بها
— إذا أعلنَ الركبُ الحديثَ — فؤاديا

١٦ تَرَبَّعُ ليلى بالمُضيح فالحِمى
وتقتاظُ ن بطنِ العَقيقِ السَّواقيا

١٧ ذكرتُكِ بالغَورِ التِّهامى فأَصعدتْ
شجونُ الهوى حتى بلغنَ التَّراقيا

١٨ فما زلتُ أُزجى العيسَ حتى كأنما
ترى بالحصى أخفاقها الجمرَ حاميا

١٩ بثمدين لاحتْ نار ليلى وصُحبتى
بفرع الغَضا تُزجى قِلاصًا نواجيا

(١٣) يستهشنى : يستخفنى . نحت : بكيت .

(١٥) انتحى بها : مال .

(١٦) تقتاظ : تقيم زمن القيظ .

(١٧) الغور التهامى : ما بين تهامة وما يلى اليمن . أصعدت : ارتفعت . التراقى : جمع الترقوة . والترقوتان عظمتان مشرفتان فى أعلى الصدر من رأس المنكبين إلى طرف النحر .

(١٨) أزجى العيس : أرفع الإبل وأسوقها سوقا رفيقا .

(١٩) القلاص : جمع قلوص وهى الفنية من الإبل . النواجى : جمع ناجية وهى السريعة

عمرو بن أحمر الباهلى

(ت ٦٥ هـ)

هو عمرو بن أحمر الباهلى ، وكنيته أبو الخطاب . ولد فى نجد ونشأ فيها وذلك قبل الإسلام بمدة لا تزيد على عشرين عاماً ، وعندما جاء الإسلام أسلم وحسن إسلامه ، وشارك فى الفتوحات الإسلامية ، وأصيب بإحدى عينيه فيها. وقد حدثت بينه وبين الخليفة الأموى يزيد بن معاوية جفوة أدت إلى هجاء ابن أحمر له ، فطلبه يزيد وتوعده ، ففر منه وأمعن فى هجائه وفى الاستخفاف بتهديده له وتعقبه إياه ، معلناً أنه لن يقدر عليه ولن يستسلم قومه له ، حتى لو قاتل فرسانهم الأشداء أعنف قتال .

وقد سَقِيَ بطن ابن أحمر بأخرة من عمره ، واعتلت نفسه اعتلالاً شديداً وعالجه الأطباء حتى مل حياته وسئمها ، وأخذ يضرع إلى الله أن يشفيه أو يكتب له الموت ؛ لأنه رأى فى لقاء وجه ربه خلاصاً له مما يقاسى من الآلام ، ولم يلبث أن مات فى حدود سنة ٦٥ هـ .

وفى هذه القصيدة اليائية يصف ابن أحمر مرضه ،وما لاقاه فيه من صنوف العذاب والتداوى بكل الوسائل دون جدوى.ثم يعرج فى آخرها على هجاء يزيد بن معاوية ، وإعلان العصيان له ومجاهرته بالعداء .

* * *

قال :

١ لعمرِىَ ما خُلِّفت إلَّا لما أرى

وراءَ رجال أسلمونى لما بيَا

٢ أَلَّا لا أَرى هذا المُسَرَّعَ سابقاً

ولا أَحدًا يرجُو البقيَّةَ باقيا

٣ رأَيت المنايا طبَّقت كلَّ مَرْصَدٍ

يقدن قيادا أَو يجردن حاديا

٤ وما كنت أَخشى أَن تكون منيتى

ضَريبَ جِلَاد الشَّوْل خَمْطاً وصافيا

٥ فأَمسى جَنابُ الشَّوْل أَغبرَ كابيًا

وأَمسى جنابُ الحىِّ أَبلجَ واريا

---

(١) هذا مطلع القصيدة كما نص على ذلك قدامة بن جعفر (فى نقد الشعر ٢٢) وقال فى شرحه : وكان ابن أحمر قد سقى بطنه، فتركه أصحابه مع رجل يتعهده ومضوا ، فقال : أسلمونى لما بى .

(٢) المسرع : المسرع . البقية : البقاء والحياة .

(٣) طبقت كل مرصد : ملأت كل طريق ، يقدن إلى هذه المراصد قيادا أو يجردن سائقا .

(٤) الضريب لبن يحلب بعضه على بعض حتى يتلبد ، ولا يكون إلا من إبل شتى ، لا يكون من ناقة واحدة ، فمنه ما يكون رقيقا ومنه ما يكون خاثرا . الخمط : اللبن الحامض . وابن أحمر يريد بهذا أن سبب سقاء بطنه هو شربه هذا اللبن المختلط . جلاد الشول : الإبل المسنة قليلة اللبن .

(٥) الجناب : الناحية . كابيا : متغيرا . أبلج : مضيئا . واريا : متقدا .

٦ إليك إلٰهَ الحق أرفعُ رغبتى
عِياذًا وخوفاً أن تطيل ضَمَانيا

٧ فإن كان برءًا فاجعل البرء نعمةً
وإن كان فَيْضًا فاقض ما أنت قاضيا

٨ لقاؤك خيرٌ من ضَمان وفتنة
وقد عشتُ أياما وعشتُ لياليا

٩ لبِستُ أبى حتى تَملَّيت عُمْرَهُ
وَبَلَّيْتُ أعمامى وَبَلَّيْتُ خاليا

١٠ أرجِّى شبابا مُطْرهِمًّا وصحةً
وكيف رجاءُ المرءِ ماليس لاقيا

١١ وكيف وقد جربتُ تسعين حِجَّةً
وضمَّ فؤادى نَوْطةً هى ما هيا

---

(٦) عياذا : لجوءا . الضمان : الزمانة فى الجسد من بلاء أو كسر أو غيره .

(٧) البرء : الشفاء . الفيض : زيادة المرض وإنتشار الداء فى جسمه . وقد ألجأت الضرورة الشاعر إلى أن يقول : فاقض ما أنت قاضيا ، وهى فى القرآن الكريم : فاقض ما أنت قاض .

(٨) لقاؤك : يريد لقاء الله بالموت .

(٩) لبست أبى : تمتعت به : تمليت عمره : عشت معه ملاوة من الدهر . يريد أنه عاش مع أبيه ومع أعمامه وأخواله عمرا طويلا حتى ماتوا كلهم .

(١٠) المطرهم : الشباب المعتدل التام .

(١١) الحجة : السنة . النوطة : ورم فى الصدر .

١٢ ولا عِلْمَ لى ما نَوْطَةٌ مُسْتَكِنَّةٌ
ولا أَىُّ من عاديتُ أَسْقَى سقائيا

١٣ وفى كل عام تَدعُوان أَطِبَّةً
إلىّ وما يُجدُون إلَّا الهَوَاهيـا

١٤ فإن تَحْسِما عِرْقاً من الداء تتركا
إلى جنبهِ عِرْقاً من الداءِ ساقِيًا

١٥ فلا تحرُقا جلدى سواءٌ عليكما
أَداويتُما العَصْرَين أم لم تُداويا

١٦ فإن تُقصِرَا عنى تكن لى حاجةٌ
وإن تَبْسُطا لا تمنعانِى قضائيـا

١٧ أَلا فالبثا شهرين أَو نصفَ ثالث
إلى ذاكما ما غَيَّبَتْنِى غِيابيـا

---

(١٢) يقول : لا علم لى بهذا الورم المستكن فى جوفى ، ولا أى البلاد التى وطئت وخالطت سببت لى هذا الداء .

(١٣) تدعوان : يعنى صاحبيه . وما يجدون إلا الهواهيا : ما يغنون شيئا . والهواهى اللغو من القول والأباطيل .

(١٤) حسم العرق : قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه . ساقيا : ممتلئا . والسقى : ماء أصفر يقع فى البطن .

(١٥) العصران : الليل والنهار .

(١٦) يقول الشاعر : إن تكفا عنى فلا تداويانى تكن لى حاجة فى صدرى من الدواء لأنى أظن شربى له نافعا لى ، وان تبسطا على تتداويانى لا تمنعانى ما قضى على .

(١٧) يريد : شهرين أو شهرين ونصف ثالث . غيبتنى غيابيا : أهلكتنى .

١٨ شَربْتُ الشُّكاعَى والتَدَدْتُ أَلِدَّةً
وأَقبلتُ أَفواهَ العروق المـكاويا

١٩ لأُنْسأً فى عمرى قليلا وما أَرى
لدائىَ إن لم يَشْفِهِ اللهُ شافيـا

٢٠ شَرِبْنَا وداوَيْنَا وماكان ضَرَّنا
إذا اللهُ حَمَّ القَدْرَ أَلَّا تُداويا

٢١ وقالوا أَنْتَ أَرضٌ به وتخيَّلتْ
فأمسى لما فى الصدر والرأس شاكيا

٢٢ أَقــول لِـكَنَّازٍ تَوَقَّــل فإِنه
أَبىً لا أَظنُّ الضأْنَ منه نَوَاجيا

٢٣ تتبعْ أَوضاحاً بسُرَّة يَذْبُل
وترعى هشيماً من حليمة باليا

---

(١٨) الشكاعى : نبت يتداوى به من السقاء . والألدة : جمع لدود ، وهو دواء يدخل فى الفم بالإصبع . يقول : شربت الشكاعى واستعملت الألدة النافعة ، وكويت أفواه العروق التى تنبعث منها الآلام فلم يغن عنى جميع ذلك شيئا .

(١٩) لأنسأ فى عمرى : ليمد الله فى أجلى .

(٢٠) حم القدر : قدره وقضاه .

(٢١) أنت : أدركت . أرض : زكام . تخيلت : اشتبهت .

(٢٢) الأبى : وجع يأخذ المعزى من شم أبوال الأروى . الكناز : الراعى . توقل : تدلل .

(٢٣) تتبع : ترعى . الأوضاح : ما ابيض من الكلأ . سرة الوادى : أكرم موضع فيه أو خصبه . يذبل : جبل فى بلاد نجد . حليمة : موضع تلقاء يذبل . الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

٢٤ فما لكِ من أرْوَى تعادَيْتِ بالعَمَى

ولا قيتِ كلاَّبًا مُطِلًا وراميـا

٢٥ فإن أخطأتْ نَبْلًا حِدادًا ظُباتها

على القَصْدِ لا تخطىء كلاباً ضواريا

٢٦ وكُنَّا وهمْ كابنَىْ سُباتٍ تفرَّقَا

سوًى ثم كانا مُنجدًا وتِهَامِيـا

٢٧ فألْقَى التِّهامى منهما بلَطَاتِـه

وأحْلَطَ هذا لا أرِيمُ مكانيا

٢٨ وبات بنو أُمِّى بليل ابن منذر

وأبناءُ أعمامى عُذوباً صواديا

٢٩ إذا جاءَ منهم قافِلٌ بصحيفة

يكون عناءً ما يُنَبِّقُ عانيـا

---

(٢٤) الأروى : جمع الأروية ، وهى أنثى الأوعال. تعاديت بالعمى : دعاء عليها بالهلاك من تعادى القوم : إذا أصاب هذا مثل داء هذا من العدوى . الكلاب : الصائد . المطل : المشرف المترصد .

(٢٥) الظبات : جمع ظبة وهى طرف السهم وحده . حداد : ماضية مسنونة . على القصد : من مكان قريب واضح . الضوارى : الكلاب المدربة على الصيد .

(٢٦) أبنا سبات : الليل والنهار . سوى : معا .

(٢٧) لطاته : ثقله . أحلط : أقام ، أو حلف الا يبرح مكانه .

(٢٨) بات بليل ابن منذر : بليلة شديدة ، ويعنى بابن المنذر النعمان بن المنذر الذى عذب الناس بالقتل فى يوم بؤسه . عذوبا صواديا : وقوفا لا ماء لهم ولا طعام .

(٢٩) قافل : راجع . عناء : شدة وبلاء . ينبق : يسطر .

٣٠ وتعرف فى عنوانها بعضَ لحنها
وفى جوفها صَمْعَاءُ تحكى الدواهيا

٣١ أَبا خالدٍ هَدِّب خميلَك لن ترى
بعينيك وفدًا آخر الدهر جائيا

٣٢ ولا طاعة حتى تُشَاجر بالقنا
قَنًا ورجالًا عاقدين النَواصيا

٣٣ ولم أَختلسْ بين الشَّقاشق حجة
وقد وقعتْ بالقُرّ إلا تِلاقيـــا

٣٤ ويوم قتَامٍ مزمهرٌ وهَبْـوَةٍ
جاوتُ بمرباع تزينُ المَتَاليـــا

٣٥ وخصمٍ مُضِلٍّ فى الضِّجاج تركْتُه
وقد كان ذا شَغْبٍ فوَلَّى مُواتيا

---

(٣٠) اللحن : المعنى والفحوى . الصمعاء : الداهية .

(٣١) أبو خالد : يزيد بن معاوية . هدب خميلك : أصلح ثوبك وتزين فلن يرى عندك غير ذلك .

(٣٢) تشاجر : تطاعن . القنا : الرماح . والرماح الشواجر : المتداخلة .

(٣٣) أختلس : أنقض بنيه غيرى من الخطباء بمهارتى وحذق . الشقشقة : لهاة البعير وقعت بالقر : أى فى مستقرها والموضع الذى ينبغى .

(٣٤) القتام : السحاب الأسود . المزمهر : الشديد البرد . الهبوة : الغبار . المرباع : الناقة التى وتدت فى الربيع . المتالى : النوق يتبعها أولادها . يقول : ذهبت بغبرة بؤس هذا اليوم بما نحرت فيه .

(٣٥) الضجاج : المشاغبة . الشغب : تهييج الشر : المواتى : المطاوع .

مجنون بنى عامر

(ت ٦٥ هـ)

اختلف الرواة حول اسم المجنون ونسبه ، وأحداث مأساته ؛ فقد رُوى ذلك كله بروايات متناقضة يمكننا أن نفرق فيها بين اتجاهين واضحين :

الأول ، إنكار وجوده التاريخى إنكارا تاما ، واعتبار قصته من وضع الرواة .

والآخر ، تصحيح وجوده التاريخى . وتوثيق أحداث مأساته .

وكان لهذا الاضطراب فى رواية أخباره أثره الذى يتمثل فى هذه الحقيقة ، وهى أن الاشعار المنسوبة إليه قد أختلطت بأشعار كثيرين غيره من شعراء الغزل العفيف .

وهو ،على مايقوله من صحح نسبه وحديثه ، قيس بن الملوح ابن مزاحم . . . بن ربيعة بن عامر بن صعصعه .

وقيل إنه لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبى حية النميرى .

وتتلخص مأساة المجنون فى أنه أحب ابنة عم له يقال لها : ليلى ، وقال فيها شعرا تناشده الناس ؛ فخطبها وبذل لها مالا عظيما ،

ولكن أباها أبى أن يزوجها له وقال :أأفضح نفسي وعشيرتى وآتى مالم يأته أحد من العرب ، وأسم ابنتى بميسم فضيحة! ثم زوجها رجلا من قومها وأدخلها إليه فما أمسى إلا وقد بنى بها ؛وبلغ الخبر قيسا فأيس منها حينئذ وزال عقله جملة ،فكان يهيم فى البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ماينبت فيها من بقل ،ولايشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها ؛وطال شعر جسده ورأسه ، وألفته الظباء فكانت لاتنفر منه ، وجعل يهيم فى الصحراء حتى مات على هذه الحال من التشرد .

ولاتثبت هذه القصة بتفاصيلها على نحو ماترويها المصادر القديمة للنقد التاريخي ؛ويظهر مما جاء فيها من إشارات وأحداث أن عناصر مختلفة قد دخلت فى تأليفها ؛ منها ماهو قبلى ، ومنها ماهو دينى ، وصوفى ، وسياسى. والشعر الذى يلحقه الرواة ببطلها قيس ، هو الأخر من هذا النوع الذى لايمكن تفسيره وفهمه فهما صحيحا إلا بالكشف عن رموزه السياسية والدينية والقبلية . . . إلخ .

بينما المجنون سائر وهو هائم على وجهه ، إذ مر بسرب من قطا يتطاير فقال (*) :

(*) والقصيدة التى بين أيدينا نموذج لشعر الغزل العفيف الذى ينسب لهذه الطائفة من الشعراء العذريين الذين اضطربت أخبارهم واختلطت أشعارهم .

١ شكَوْتُ إلى سِرْبِ الْقَطَا إذْ مَرَرْنَ بى
فَقُلْتُ ومِثْلى بالْبُكاء جَدير

٢ أَسرْبَ الْقَطَا هل منْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
لَعَلِّى إلى مَنْ قد هَويتُ أَطيرُ

٣ فجَاوبنى من فوق غُصْنِ أَراكة
أَلَا كُلُّنا يا مستعيرُ مُعيرُ !

٤ وأَىُّ قَطَاةٍ لم تُعِرْكَ جَنَاحها
فعَاشَتْ بضُرٍّ وَالْجَنَاح كَسيرُ ،

٥ وإلَّا فَمَنْ هٰذَا يُؤَدِّى رسالَةً
فَأَشْكُرَهُ إنَّ الْمُحِبَّ شَكُورُ

٦ إلى اللّٰه أَشكُو صَبْوَتِى بعد كُرْبَتِى
ونِيرَانُ شَوقى ما بِهِنَّ فُتُورُ ؛

٧ فإنِّى لَقَاسِى الْقَلْب إن كُنْتُ صَابراً
غَدَاةَ غَدٍ فيمَنْ يَسير تَسيرُ

٨ فإنْ لم أَمُتْ غَمًّا وهَمًّا وَكُرْبَةً
يعَاوِدُنِى بعد الزَّفِير زفير !

٩ إذا جَلَسُوا فى مَجلِسٍ نَذَرُوا دَمى
فكيف تُرَاهَا عند ذاك تُجير !

١٠ وَدُونَ دَمى هَزُّ الرِّمَاح كَأَنَّهَا
تَوَقُّدُ جَمرٍ ثَاقِبٍ وسَعيرُ

١١ وزُرْقٌ مَقِيلُ المَوْتِ تَحْتَ ظُبَاتِهَا
ونَبْلٌ وسُمْرٌ مَا لَهُنَّ مُجيرُ

١٢ إذَا غُمِزَتْ أَصْلابُهُنَّ تَرَنَّمَتْ
مُعَطَّفَةً ليست بهنَّ كُسورُ ؛

١٣ قَطَعْنَ الحَصى والرَّمْلَ حتَّى تَفَلَّقَتْ
قَلائدُ فى أَعْنَاقِهَا وضُفُور

١٤ وقالت أَخافُ الْمَوْتَ إنْ يَشْحَطِ النَّوَى
فيا كَبِداً مِنْ خَوْفِ ذَاكَ تَغورُ

١٥ سَلُو أُمَّ عَمْرٍو هل يُنَوَّلُ عَاشِقٌ
أَخُو سَقَمٍ ، أَم هل يُفَكُّ أَسيرُ!

١٦ أَلا قُلْ لِلَيْلَى هل تَرَاهَا مُجيرَتِى ،
فإنِّى لها فِيمَا لَدَىَّ مجيرُ ؛

---

(١١) الزرق : النصال . والظبات : جمع ظبة ، وهو حد السيف وحد السنان . وسمر : الرماح .

(١٣) الضفور : جمع ضفر ، وهو حزام الرحل .

(١٤) تغور : يشتد حرها ، من قولهم : غار النهار : إذا اشتد حره .

١٧ أَظَلُّ بحُزْنٍ إنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ
مِنَ الْوُرْقِ مِطْرابُ الْعَشِيِّ بَكورُ

١٨ بَكَتْ حين دَرَّ الشَّوْق لى وتَرَنَّمَتْ
فلا صَحَلٌ تبكى به وصَفيرُ

١٩ لها رُفْقَةٌ يسعدنَهَا ، فكأنَّمَا
تَعَاطَيْنَ كَأْسًا بَيْنَهُنَّ تَدُورُ !

٢٠ بجذْع مِنَ الْوَادِى فَضَاءٍ سِيلُهُ ،
وأَعْلاهُ أَثْلٌ نَاعِمٌ وسَديرُ

٢١ به بَقَرٌ لايَبْرَحُ الدَّهْرَ سَاكِناً ،
وآخَرُ وَحْشِىٌّ السِّخَال يَثُورُ

* * *

(١٨) الصحل : صوت به بحة وخشونة .

(٢٠) جذع الوادى : منعطف الوادى ووسطه أو منعطفه . والأثل : نوع من الشجر . والسدير : العشب .

(٢١) السخال : جمع سخلة وهو ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى .

عبد الله بن الحـــر

(ت ٦٨ هـ)

هو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك ، شاعر فاتك ،كان عثمانىّ الهوى شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان .

ويختلف الرواة حول حياة عبيد الله بن الحر ؛ فبينما يصفه البلاذرى بأنه كان لايقاتل للديانة وإنما لفتك وتصعلك وغارة ؛ يصفه الطبرى بأنه كان من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا «فما كان فى الأرض عربى أغير منه على هرة ؛ ولا أكفّ عن قبيح وعن شراب منه » !وهو مايطابق حياة ابن الحر ، فقد شهد القادسية مع خاليه ، كما شهد «صفين» مع معاوية وقال فى ذلك : «أما إن الله ليعلم أنى أحب عثمان ولأنصرنه ميتا » .

ويظهر أن اعتداد ابن الحر بجموع من أصحابه وبطانته وإخوانه ، يتقى بهم إذا نابه أمر أو واجه ظلامة أمير جائر ،قد ساهم فى غلبة الصورة التى رصدها له البلاذرى .

وقد اضطر هذا السلوك ابن الحر إلى مواجهة الحكام والأمراء مواجهة عنيفة ، منها خلافه مع مصعب بن الزبير بعد مقتل المختار ، فقد خافه على «ملكه »فى العراق ، فتلطف به حتى تمكن منه ،فحبسه فى وشاية حبسا طويلا .

ويصف ابن الحر فى القصيدة التى بين أيدينا غدر مصعب به ، على الرغم من وفائه له وانحيازه إلى جانبه. وهو يرى ذلك الغدر صفة غالبة على الإنسان وقد رسم لغدر مصعب صورة طريفة ، كما ألح فى وصف معاناته فى سجنه من خلال صور تكشف عن إحساس ذاتى عميق بمأساة الإنسان .

* * *

وقال فى حبس مصعب :

١ مَنْ مُبلغُ الفتيان أن أخاهُمُ
أتى دونَهُ بابٌ منيعٌ وحاجِبُهْ

٢ بمنزلةٍ ماكان يَرضى بِمثلِها
إذا قامَ غَنَّتْهُ كبولٌ تُجاوِبُهْ

٣ على الساقِ فوقَ الكعبِ أسودُ صامتٌ
شديدٌ يُدانى خَطْوَهُ ويُقارِبُهْ

٤ وماذاكَ من جُرمٍ أكونُ اجترمتُهُ
ولكن سَعى الساعى بما هو كاذِبُهْ

٥ وقد كان فى الأرض العريضة مسلكٌ
وأىُّ امرىءٍ أعيَتْ عليهِ مَذاهِبُهْ

٦ وفى الدّهرِ والأيامِ للمرءِ عِبْرَةٌ
وفيما مضى إن نابَ يوماً نوائِبُهْ

٧ دعانى إليه مُصْعَبُ فأَجَبْتُهُ
نهارى وليَلى كُلُّهُ أُنا دائِبُهْ

٨ أَروحُ وأغدو دائمًا وَكَأنما
أبادِرُ غُنْمًا فى الحيَاةِ أُناهِبُه

٩ فكان حِبائى إذ أنخت ببابه
حُجُولٌ وأحراس وصعب مَراتبه

١٠ فإنى لم أنكُثْ لهمْ عَهْد بيعة
ولم آتِ أمراً مُحدثًا أنا راهِبُهْ

١١ فإنّىَ لكمْ مثلى يُذَبِّبُ عنكُمُ
إذا الصفُّ دارتْ للقِراع كتائِبُهُ

١٢ وإنِّى من قوم سيُذكَرُ فيهُم
بلائى إذا ماغُصَّ بالماء شاربه

١٣ كأَن عبيد الله لم يُمْسِ ليلةً
مُوَطَّنَةً تَحْتَ الشرُوحِ جنائِبُهْ

١٤ ولم يَدْعُ فتياناً كأن وجوهَهُم
مَصابيحُ فى داج تَوارتْ كَوَاكِبُه

١٥ لعَمرُكَ إنى بَعد عَهدِى ونُصرتى
لكالسيف فُلَّتْ بعد حَدٍّ مضاربُه

١٦ وقد عَلِمَ المختَارُ أنى لهُ شَجىً
إذا صَدَّ عَنْهُ كُلُّ قرنٍ يُكالِبُهْ

١٧ أكُرُّ عليه الخيلَ تَدْمَى نُحُورُها
أُطاعِنُهُ طوراً وطَوْراً أُضَارِبُهْ

١٨ فكَمْ مِنْ صَريعٍ قدتركتُ بمعزل
عُكُوفاً عليهِ طيرُهُ وثَعَالِبُهْ

١٩ وحِصْنٍ منيع قَدْ صَبحتُ بغارَةٍ
وأهل نَعيمٍ يَضربُ الطَبْلَ لاعِبهْ

قيس بن ذريح

(ت ٦٨ هـ)

هو قَيس بن ذَريح بن سَنَّة بن حُذافه، وقيل بل هو قيس بن ذريح بن الحُباب بن سنَّة، وهو من بني لَيْث بن بَكر بن عبد مناة، من كنانة بن خُزَيمة ، من عرب الشمال .

وكان ينزل مع قومه ظاهر المدينة ، أما المدينة ذاتها فكان يغشاها بين الحين والآخر، ويصرح كل من كتب عنه أنه كان رضيعا للإمام الحسين ، فإذا تذكرنا أن الحسين قد ولد سنة ٤ هـ أو سنة ٦ هـ، كان معنى ذلك أن قيسا قد ولد فى إحدى هاتين السنتين أو فى حدودهما .

وترجع معرفته بصاحبته لُبْنى، التى يتغزل بها فى القصيدتين المختارتين له ، إلى إحدى زياراته لأخواله من بنى خُزَاعة ببادية مكة ، وقد تم زواجه بها بعد جهد جهيد، ولكنَّ أَبويه ظلاَّ يلحان عليه لكى يطلقها ، ويبدو أنهما احتالا لهذا الطلاق بكل حيلة، حتى كان الأَب يقف بالهاجرة إلى أن يسقط مغشيا عليه ، يريد أن يحمل ولده على مالايرضاه ، وكان للأَب ما أَراد .

غير أَنَّ حياته لم تهدأ بعدها؛ إذ بقى قلب قيس معلقا بصاحبته ، حتى بعد أن زُوجت من غيره، وشهر أَمره ، وغنَّى شعره كبار

المغنِّين . ويختلف مؤرخو الأَدب فى نهايته؛ فمن قائل إنه مات قبل لُبنى ، وبلغها ذلك فماتت كمدا عليه، ومن قائل إن لبنى ماتت قبله وأَنه أَكب مغشيا عليه حين زار قبرها، ولم يفق من غشيته حتى مات، وآخرون يقولون إنه تشفَّع بالحسين حتى عادت إليه لبنى. وأَيًّا كان الأَمر فلم تَطُلْ به الحياة كثيرا بعد ذلك؛ إذ يروى أَنه مات سنة ٦١ هـ ،وقيل بل كانت نهايته سنة ٦٨ هـ، على حين يرجىء آخرون هذه النهاية إلى سنة ٧٠ هـ .

* * *

قال قَيْسُ بنُ ذريح :

١ أَضَوءُ سَنَا بَرْقٍ بَدَا لَكَ لمْعُهُ
بذِى الأَثْلِ مِن أَجْراع بيشَةَ تَرقُبُ

٢ نَعَم إنِنى صَبٌّ هُنَاك مُوَكَّلٌ
بمَنْ ليْس يُدْنِينِى ولا يَتَقَرَّبُ

٣ ومَنْ أَشْتكى منْه الجَفَـاءَ ، وَحُبُّهُ
طَرائف كانَتْ زَوَّ منْ يَتَحَبَّبُ

٤ عَفَا اللهُ عنْ أَم الوَليدِ ، أَما تَرى
مَساقِطَ حُبِّى كيف بى تَتَلَعَّـبُ

---

(١) ذو الأثل موضع بين مكة والمدينة . الأجراع : جمع جرع ، وهو الرملة المستوية التى تنبت شيئا . بيشة : قرية فى أحد الوديان من بلاد اليمن على خمس مراحل من مكة .

(٣) الطريف من الشيء : الطيب النادر منه : الزو : الهلاك .

(٤) مساقط : مواقع . تتلعب بى : تتجاذبنى .

٥ فَتَأْوِى لِمَنْ كادت تَفِيظُ حَيَاتُــهُ
غَدَاةَ سَمَتْ نَحْوِى سَوَائِرُ تَنْعَبُ

٦ ومِنْ سقَمِى مِنْ نية الحِبِّ كُلَّما
أَتى راكبٌ مِن نَحْوِ أَرْضِك يَضْربُ

٧ مرضْتُ فجاءوا بالمُعَالِجِ والرُّقَى
وقالوا : بصير بالدَّوَا متطَبِّــبُ

٨ أَتانِى فَدَاوانِى وطَـــالَ اختلافُه
إِلَىَّ فأَعْيَاهُ الـــرُّقَى والتطَبُّبُ

٩ ولَمْ يُغْنِ عنِّى مـــا يُعقِّد طائِلا
ولا ما يُمنِّينى الطبيب المجَـــرِّبُ

١٠ ولا نُشُرَاتٌ بِـــات يَغْسِلُنى بهَا
إِذا ما بَدَا لىِ الكوْكَب المُتَصوِّبُ

---

(٥) تفيظ حياته : يموت . سوائر : جمع سائرة . تنعب : تسرع والمقصود الناقة التى تسرع إليه بأخبار من يحب .

(٦) النية : البعد . الحب بكسر الحاء : الحبيب يضرب : يسرع فى السير . وجواب كلما فى البيت التالى .

(٧) الرقى : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها المريض . بصير بالدواء : عالم به عارف بأسراره . متطبب : يتعاطى الطب .

(٩) ما يعقد : ما يفعله الراقى

(١٠) نشرات : جمع نشره وهى رقية يعالج بها المريض ومن يظن أن به مسا من الجن والظاهر أن العلاج بالكلمات كان يواكبه ضرب من الغسل. الكواكب المتصوب المنحدر الهابط .

١١ وبانُوا وقدْ زالَتْ بلُبْنَاكَ جَسْرَةٌ
سَبُوحٌ ومَوَّارُ المِلاَطين أَصْهَبُ

١٢ تَظُنُّ مِن الظَّنِّ المكذِّب أنَّهُ
وَرَاكِبُه داراً بمَكة يَطْلُبُ

١٣ فَلاَ والذى مَسَّحتُ أَركان بيتِهِ
أَطُوفُ بِهِ فِيمنْ يطُوفُ ويَحْصِبُ

١٤ نَسِيتُكَ ما أَرْسَى ثَبيرٌ مكانَهُ
ومَا دامَ جاراً للحَجُون المحَصَّبُ

١٥ وما سجَعَتْ ورْقاءُ تهتِفُ بالضُّحى
تُصَعِّدُ فى أَفْنانِها وتُصَوِّبُ

١٦ وما أَمْطَرتْ يوماً بنجدٍ سحابةٌ
وما اخْضَرَ بالأَجْرَاعِ طَلْحٌ وتَنْضُبُ

(١١) بانوا : فارقوا الجسرة : الناقة الطويلة الضخمة السبوح : السريعة الموار المتحرك المتردد جيئة وذهابا ، والمقصود الجمل الملاط : العضد والمرفق وموار الملاطين كناية عن النشاط والسرعة فى السير الأصهب : الضارب إلى حمرة يخالطها بياض .

(١٣) يحصب : يرمى بالحصباء . وهى صغار الحجارة

(١٤) نسيتك: أى لا نسيتك: ثبير : جبل بين مكة وعرفة: الحجون: جبل بأعلى مكة المحصب : موضع رمى الجمار فى الحج وهو بالقرب من منى ويريد أنه سيذكرها أبد الدهر .

(١٥) سجعت : رددت صوتها على طريقة واحدة : الورقاء الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة : الأفنان : الغصون تصعد وتصوب : تعلو وتهبط .

(١٦) الطلح : ضرب من الشجر . التنضب : شجر عيدانه بيض ضخمة وله أشواك قصار .

١٧ وقال أُناسٌ ، والظُّنُونُ كثيرة
وأَعْلَمُ شيءٍ بالهَوَى من يجَرِّبُ

١٨ ألاَ إن فى اليأْسِ المُفَرِّق رَاحَةً
سيُسْليكَ عمّنْ نفْعُهُ عنك يَعْزُبُ

١٩ فكُل الذى قَالُوا بَلَوْتُ فلَم أَجِدْ
لذِى الشَّجْوِ أَشْفَى مِنْ هوىً حينَ يَقْرُبُ

٢٠ علَيْها سَلامُ الله ما هبَّت الصَّبَا
وما لاَحَ وهْناً فى دُجَى الليل كَوْكَبُ

٢١ فلستُ بِمُبْتَاعٍ وصالاً بِوَصْلِهَا
ولستُ بِمُفْشٍ سِرها حين أَغْضَبُ

---

(١٨) أسلاه عن كذا : جعله يسلوه أى ينساه وتطيب نفسه بفراقه . يعزب : يبعد .

(١٩) بلوت : اختبرت وجربت . ذو الشجو : ذو الهم والحزن .

(٢٠) الصبا : ريح طيبة مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . وهنا عند منتصف الليل أو بعد ساعة منه

وقال قيس بن ذريح :

١ سأَصْرِمُ لُبْنَى حَبلَ وَصْلك مُجْمِلاً
وإنْ كَانَ صَرْمُ الحَبلِ منكِ يَرُوعُ

٢ وسوف أُسَلِّى النَّفْسَ عنكِ كمَا سَلاَ
عن البَلَدِ النائى البعيد نَزِيــعُ

٣ وإنْ مسنى للصبر منك كآبـــةٌ
وإنْ نَالَ جِسْمِي للفراق خُشُــوعُ

٤ أَراجِعَةٌ يا لُبْنُ أَيامُنَا الأُلَى
بِذى الطَّلْح أَم لا ، ما لهن رُجُوع

٥ سَقَى طَلَلَ الدار التى أَنْتُمُ بهَا
حياً ثُم وَبلٌ صيِّفٌ ورَبيــعُ

٦ يقولون : صَبٌ بالنِّساءِ مُوَكَّلٌ
ومـــا ذَاكَ مِن فِعل الرِّجال بديعُ

(١) أصرم : أقطع . حبل الوصل : علاقة الود بينه وبينها . مجملا : محسنا متلطفا . يروع : يفزع .

(٢) يسلى النفس : يصبرها . نزيع : غريب .

(٤) ذو الطلح : موضع بين المدينة وبدر .

(٥) طلل الدار : ما بقى من آثارها . الحيا : المطر . الوبل : المطر الشديد . الصيف : مطر الصيف . الربيع : مطر الربيع .

(٦) الصب : العاشق ذو الولع الشديد . البديع من الأشياء : مالا مثيل له ، يريد أن من شأن الرجال الولع بالنساء .

٧ مَضَى زمنٌ والناس يستَشْفِعُون بِى
فَهَلْ لى إلى لُبْنَى الغداة شَفيـــعُ

٨ أيَا حَرَجاتِ الحى حيث تَحَمَّلوا
بذِى سَلَم لا جادكُنّ ربيـــــعُ

٩ وخَيْماتُكِ اللاتى بمُنْعرَج اللِّوى
بَلين بلًى لم تُبْلَهُنّ رُبـــــوعُ

١٠ إلى الله أشكُو نِيةً شَقت العصا
هى اليومَ شَتَّى وهى أمسِ جميعُ

١١ وما كاد قلْبى بَعْد أيام جاوزتْ
إلى بأجْراع الثُّدِىِّ يَريعُ

١٢ فإن انْهِمال العين بالدمع كلَّمَا
ذُكرْتُكِ وحْدى خاليـــا لسَرِيعُ

---

(٨) الحرجات : جمع حرجة ، وهى مجتمع الشجر . تحملوا : ارتحلوا . ذو سلم : واد بالحجاز على طريق البصرة إلى مكة . جاد : أمطر . الربيع : مطر الربيع .

(٩) المنعرج : حيث ينعطف الوادى . اللوى : واد لبنى سليم . بلين : أدركهن البلى ، يعنى القدم .

(١٠) النية : البعد . شقت العصا : فرقتنا . شتّى : مفارقة بعيدة . جميع : مجتمعة معنا .

(١١) جاوزت إلى : أفضت إلى . الأجراع : جمع جرع ، وهو الرملة السهلة المستوية الثدى : موضع بتهامة يريع : يعود .

١٣ فَلَوْ لمْ يَهِجنِي الظاعنون لَهَاجَني
حمائِمُ وُرقٌ فى الديار وُقُوعُ

١٤ تَجَاوبْن فاستَبْكَيْنَ مَنْ كان ذاهَوى
نَوَائِحَ ما تَجْرِى لهن دُمُـــوع

١٥ لَعَمْرُكَ إِنِّى يوم جَرْعاءِ مالكٍ
لعاصٍ لأَمْرِ المُرشِدِين مُضِيــعُ

١٦ ندمْتُ على ما كان منِّى ، فَقَدتُنِى
كما يندم المَغْبونُ حين يَبِيــعُ

١٧ إذا مَا لَحانى العاذلاتُ بحبِّها
أَبَتْ كَبِدٌ مِمَّا أُجِن صَدِيـــعُ

١٨ وكَيف أُطيع العاذلات وحُبُّها
يُؤَرِّقُنِى والعاذلات هُجُــــوعُ

---

(١٣) هاجه : شاقه . الظاعنون : الراحلون . ورق : جمع ورقاء ، وهى من الحمائم ما يضرب لونها إلى خضرة . الوقوع : التى هبطت على الشجر أو الأرض .

(١٤) تجاوبن : تداعين بأصواتهن ، فكأن كلا منهن أجابت الأخرى . استبكين : بعثن بكاءه .

(١٥) لعمرك : قسم بحياته . جرعاء مالك : رملة بالدهناء .

(١٦) فقدتنى : دعاء على نفسه بالفقد والهلاك . المغبون : الخاسر فى صفقته المغلوب فيها .

(١٧) لحانى : لامنى . أجن : أكتم . صديع : مشقوقة منفطرة .

١٩ عدِمْتُكِ من نفْسٍ شَعاعٍ فإنني
نهيْتُكِ عن هذا وأنتِ جميـعُ

٢٠ فَقَرَّبْتِ لي غيرَ القريب وأَشْرفَتْ
هُنَاكَ ثَنَايا مـا لَهُن طلُـوعُ

٢١ فَضَعّفَنِى حُبِّيكِ حتى كأَننى
من الأَهل والمال التِّلادِ خَليـعُ

٢٢ وحتى دعانى الناسُ أَحْمَقَ مائِقاً
وقالوا : مُطيعٌ للضَّلال تَبُـوعُ

(١٩) عدمتك : دعاء على نفسه بالفقد . نفس شعاع : متبددة من الهموم والأحزان .

(٢٠) أشرفت : علت وارتفعت . ثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة . ما لهن طلوع لا يستطاع ارتقاؤها ، يعبر بذلك عن صعوبة الوصول إليها .

(٢١) التلاد : القديم الموروث . خليع : خال من الأهل والمال .

(٢٢) المائق : الأحمق الغبى . تبوع الضلال : ملازم لأتباع الضلال .

يزيد بن مفرغ الحميرى

(ت ٦٩ هـ)

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، ويكنى بأبى عثمان. وقد ذكر الشاعر نسبه إلى حمير فى بعض شعره ، وإن كان بعض الرواة يزعم أنه دعىّ فى حمير. وتذكر بعض المصادر أن جده مفرغا كان عبدا ثم أعتق فاشتغل حدادا فى بلدة « تبالة » بالحجاز .

وقدم الشاعر مع أبيه إلى البصرة ، وأتيح له فى نشأته الشعبية المتواضعة أن يختلط بطبقة العامة فى البصرة ، فدخل فى شعره بعض الصيغ والألفاظ المتداولة لدى العامة ، وتعلم الفارسية وأدخل جملة من ألفاظها فى شعره.وكان راويا للأشعار والأخبار مع الالمام بالأنساب وأيام العرب

وأول شعر وصل إلينا لابن مفرغ يتصل بفتح قلعة ذى الزناق سنة عشرين للهجرة ، وكان يتنقل بين البصرة والأهواز . ثم اتصل بعبيد الله بن أبى بكرة الذى ولى سجستان سنة خمسين للهجرة ، كما مدح سعيد بن عثمان بن عفان الذى ولى خراسان سنة ست وخمسين للهجرة ، وصحب عباد بن زياد بن أبيه فترة ، وحدثت بينهما جفوة فسجنه عباد ، ثم رقّ له وأخرجه من السجن ، فهرب إلى الشام وجعل يتنقل فى مدنها هاربا ، ويهجو زياداً وولده .

ثم عاد ابن مفرغ إلى البصرة فى جوار المنذر بن الجارود العبدى ، ولكن عبيد الله بن زياد أمسك به وزج به فى السجن ، وعذبه عذابا رهيبا ليعتبر من تسول له نفسه هجاء آل زياد . ثم خرج من السجن ومات فى طاعون البصرة سنة ٦٩ هـ .

* * *

وهذه القصيدة اللامية قالها الشاعر وهو فى السجن يخاطب عبيد الله ابن زياد ويصور العذاب الرهيب الذى جرعه إياه ، وهى قصيدة مطولة فاض مطلعها بالحزن والاستسلام والألم العميق ، وتفيض باللهجة الشاكية التى يخالها الإنسان نذير الخور والاستسلام ، تسربا إلى فؤاد الشاعر بعد أن أرهقه العذاب حتى كاد يسلمه للموت . ولكن الشاعر يكذب هذا الظن فى البيت السابع عشر ، الذى جاء فريدا فى شعر ابن مفرغ ، وكان القول الفصل فى المعركة التى دارت رحاها بين الشاعر الأعزل الذى لا سلاح له إلا لسانه ، والأمير المسلح بجنده وسلطانه . وقد اندملت جراح الشاعر بعد أن أطلق من السجن ، ولكن هجائياته فى آل زياد ظلت تضج فى أسماعهم ، وتلذع أفئدتهم ، وتنفذ إلى عظامهم بما لا تنفذ الإبر . وقد فاضت نهاية القصيدة باليأس من نصرة حلفاء الشاعر من قريش :

قال وهو فى السجن :

١ دارَ سَلْمَى بالخَبْتِ ذى الأَطْلال
كيف نَوْمُ الأَسيرِ فى الأَغْــــلالِ

٢ أَينَ منى السَّلامُ مِنْ بَعْدِ نَأْى
فارْجعى لى تَحِيَّتى وسُؤالى

٣ أَيْنَ مِنِى نَجائِبِى وجيــــادى
وغَزالى ، سَقى الإِلَهُ غزالى

٤ أَينَ لا أَينَ جُنَّتى وسِلاحى
ومَطايــــــا سَيَّرتُهــــا لارتحالى

٥ هَدَمَ الدَّهْرُ عَرشَنــــا فتَداعى
فبَلينا إِذ كُلُّ شىء بـــال

٦ إِذ دَعانا زَوالُهُ فأَجَبْنــــا
كُــلُّ دُنْيا ونِعمَــةٍ لِزَوالِ

٧ أَمْ قَضَيْنَـــا حاجاتِنا فإِلى المَوْ
تِ مَصيرُ المُلوكِ والأَقيـــال

---

(١) الخبت : ما اطمأن من الأرض . الأطلال : جمع طال وهو الأثر الدارس . الأغلال جمع غل وهو القيد .

(٢) النأى : البعد .

(٣) النجائب : النوق الكرام . ويقصد بالغزال هنا حبيبته .

(٤) الجنة : كل ما وقى من السلاح . المطايا : الركائب .

(٥) العرش : العز وقوام الأمر والركن الشديد .

(٧) الأقيال : جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير .

٨ لا وَصَومى لربِّنـــا وزَكاتى
وصَلاتى أدْعـــو بها وابتهـــالى

٩ ما أتَيْتُ الغَداةَ أمْــراً دَنِياً
ولدى الله كابرُ الأعمـــال

١٠ أيها المالكُ المُرهِّبُ بالنَّقـ
ـل بَلَغْتَ النَّكالَ كلَّ النَّكال

١١ فاخْشَ ناراً تَشْوى الوجوه ويوماً
يَقْذِفُ الناسَ بالدَّواهى الثِّقـــالِ

١٢ قد تعَدَّيْتَ فى القِصاص وأدْرَكْـ
ـتَ ذُحولاً لمَعْشَرٍ أقْتَـــال

١٣ وكَسَرْتَ السِنَّ الصَّحِيحةَ مِنِّى
لا تُذِلَّنْ فَمنْكَرٌ إذلالى

---

(٩) الأمر الدنى : الدنىء.

(١٠) المرهب : المتوعد . النكال من تكل به : أصابه بنازلة أو صنع به صنيعا يحذر غيره ويجعله عبرة .

(١١) الدواهى : جمع داهية ، وهى الأمر العظيم . وهو هنا يحذر ابن زياد من يوم الحساب وعذاب النار .

(١٢) القصاص : الجزاء على الذنب . الذحول : جمع ذحل وهو الثأر والعداوة والحقد أقتال : جمع قتل وهو المقاتل الكفء .

١٤ وقَرَنْتُمْ معَ الخنازيــــر هِراً
ويَمينى مَغْــلولَةٌ وشِمالى

١٥ وكلاباً يَنْهَشْنَنى مِنْ وَرائى
عَجبَ النَّاسُ مـــا لَهُنَّ ومَالِى

١٦ وأَطَلْتُمْ معَ العُقوبَةِ سَجْنى
فكم السِّجْنُ أَو متَى إرْسالِى

١٧ يَغْسِلُ الماءُ مـــا صَنَعْتَ وقَوْلى
راسخٌ منكَ فى العِظام البَوالى

١٨ لو قَبِلْتَ الفِداءَ أَو رُمْتَ مالى
قلتُ : خُذْهُ ، فِداءُ نَفْسِىَ مالى

١٩ لو بغَيرى من مَعْشَرٍ لَعِبَ الدهْ
رُ لما ذمَّ نُصْرَتى واحتيـــالى

---

(١٤) قرن : ربط بالقرن ، وهو حبل يربط به البعيران . مغلولة : مقيدة . وقد قرن الشاعر إلى خنزيرة وهرة .

(١٦) ارسالى : إطلاقى من السجن .

(١٧) هذا البيت مشهور سائر ، ومعناه : إن العذاب الذى أوقعته بى سرعان ما يزول وينسى ، ولكن هجائى لك سيلاحقك حتى القبر ، وسينفذ كالإبر فى عظامك النخرة .

(١٩) لعب الدهر بفلان : تصرف به . وفى هذا البيت وما بعده يعرض بحلفائه من قريش إذا تأخروا عن نصرته ، فيقول : لو أن خطوب الدهر نزلت بأحد من أصحابى أو حلفائى لما قصرت فى الانتصار له والسعى لتخليصه مما وقع فيه من شر .

٢٠ كم بَكانى من صاحب وخَليلٍ
حافِظِ الغَيْبِ حامدٍ للخِصال

٢١ ليتَ أنى كنتُ الحَليفَ لِلَخْمٍ
وجُذامٍ أو طَيِّءِ الأَجْبَال

٢٢ بَدَلاً مِنْ عِصابَةٍ من قُرَيْش
أَسْلَمونى للخَصْمِ عَنْدَ النِّضال

٢٣ البَهاليلُ من بنى عَبْدِ شَمْس
فَضَلُوا النَاسَ بالعُلا والفَعَال

٢٤ وبنى التَّيْم تَيْم مُرَّةَ لَما
لمَعَ المَوْتُ فى ظِلال العَوالى

٢٥ مَنَعوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّة ذا الحِجِ
رِ إذِ الطَّيْرُ عُكَّفٌ فى الظِّلالِ

٢٦ والبَهاليلُ خالدٌ وسعيدٌ
شَمْسُ دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهِلالِ

---

(٢٠) حافظ الغيب : يحفظ غيبة صديقه ، ولا يخون صحبته إذا فارقه . حامد الخصال يحمد خصال صديقه فلا يغتابه .

(٢٢) العصابة : الجماعة .

(٢٣) البهاليل : جمع بهلول ، وهو الضحاك والسيد الجامع لكل خير .

(٢٥) منعوا البيت : حموه . الحجر : ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال .

(٢٦) الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . يريد أنهم كالشمس يجلون الظلام .

٢٧ فى الأُرومات والذُّرا من بَنى العِيـ
صِ قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالى

٢٨ كنتُ مِنهُمْ ما حرَّموا فَحَرامٌ
لم يُرامُوا وحِلُّهُمْ مِنْ حَـلالى

٢٩ وذَوو المَجدِ مِنْ خُزاعَةَ كانوا
أَهلَ وُدى فى الخِصب والإِمْحالِ

٣٠ خَذَلونى وهُم لِذاكَ دَعَوْنى
ليسَ حامى الذِّمار بالخَذَّال

٣١ لا تَدَعنْى فِداكَ أَهْلى ومالى
إنَّ حَبْلَيْك مِنْ مَتين الحِبالِ

٣٢ حَسْرَتا إِذْ أَطَعْتُ أَمْرَ غُواتى
وعَصَيْتُ النَّصيحَ ضَلَّ ضَلالى

---

(٢٧) الأرومات : الأصول . بنو العيص بن أمية بن عبد شمس حلفاء الشاعر . قروم جمع قرم وهو السيد .

(٢٨) كنت منهم : أى حليفا لهم . لم يراموا : لا يستطيع أحد النيل منهم أو مناضلتهم .

(٢٩) الإمحال : الجدب وانقطاع المطر .

(٣٠) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٣٢) الغواة : جمع غاو ، وهو الضال .

زفر بن الحارث الكلابى

(ت ٧٥ هـ)

---

* هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب ، وكان خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى طاعته . وكان سيد قيس فى زمانه ، وهو من التابعين : سمع عائشة ومعاوية وروى عنه ثابت بن الحجاج .

وقد قال هذه الأبيات فى مرج راهط المشهورة ، وهى وقعة كانت بين بنى أمية بقيادة مروان بن الحكم وأهل دمشق بقيادة الضحاك ابن قيس الفهرى سنة ٦٤ هـ وكان أميرا لعبدالله بن الزبير على الشام ، ومعه يومئذ زفر بن الحارث الكلابى ؛ وقد التقى الجمعان بمرج راهط واقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الضحاك وعامة أصحابه ، وانهزم بقيتهم فتفرقوا ، وأخذ زفر بن الحارث وجها من تلك الوجوه ، هو وشابان من بنى سليم ، فجاءت خيل مروان تطلبهم ، فقالا لزفر : ياهذا ، انج بنفسك فإنا مقتولان ! فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا ، فاجتمعت إليه قيس فرأسوه عليهم .

* * *

قال :

١ أرينى سلاحى ، لا أبالك ، إننى
أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا .

٢ أَتانىَ عن مروانَ بالغيب أَنَّه
مُقيدٌ دمى ، أَو قاطع من لسانيا ،

٣ فنى العيس منجاةٌ ،وفى الأَرض مهربٌ
إذا نحنُ رفَّعْنا لهنّ المثانيا ،

٤ فلا تحسبونَى إن تغيَبتُ غافلًا ،
ولاتفرحوا إن جئتكمْ بلقائيا ،

٥ فقد ينبتُ المرعى على دَمِن الثَّرى ،
وتبقى حزازات النفوسِ كما هيا !

٦ أَتذهبُ كلبٌ لم تنلها رماحنا ،
وتُتْرَك قتلى راهط هى ماهيا

٧ لعمرى لقد أَبقت وقيعةُ راهطٍ ،
لحسان صدعا بيّنًا متنائيا .

٨ أَبَعْدَ ابن عمرو وابنِ معن تتابعا ،
ومقتل همّامٍ ، أُمَنَّى الأَمانيا

٩ فلم تُرمنى بنَوْةٌ قبل هذه ،
فِرارى وتركى صاحبىَّ ورائيا ،

١٠ عشيةَ أَعدو بالقرانِ فلا أَرى
من الناس إلا من علىَّ ولاليا ،

١١ أيذهب يوم واحد إن أسأته
بصالح أيامى وحسن بلائيا !

١٢ فلاصلح حتى تنحط الخيل بالقنا ،
وتثأر من نسوان كلب نسائيا

١٣ ألا ليت شعرى هل تُصِيبَنَّ غارتى
تنوخاً وحَيّى طيءٍ من شفائيا

ابن قيس الرقيات

(ت ٧٥ هـ)

هو عبيد الله بن قيس الرقيات بن شُريح بن مالك بن ربيعة ؛ شاعر أموى من شعراء الغزل المشهورين فى هذا العصر الذين رادوا فى شعر الغزل الصريح طريقا فنيةجديدة خلقت منه صيغة رمزية بديعة يعبرون من خلالها عن آمالهم وآلامهم ، وآرائهم فى الحياة والناس من حولهم . وقد اضطرت الأَحداث السياسية التى ثارت بين الأَمويين وخصومهم ، ابن قيس الرقيات إلى الانغماس فى هذه الأَحداث بسبب مقتل أَخيه وبعض أَقاربه فى وقعة الحرة المشهورة على أَيدى أَنصار بنى أَمية من الشاميين . وقد اتصل : فى بداية الأَحداث ، بالزبيريين فى شخص مصعب بن الزبير ، الذى أَخذ يناصره بمدائحه فيه وأَهاجيه فى بنى أَميةحتى قتله عبد الملك بن مروان ، فاضطر إلى الاختفاء من الخليفة عاما ثم عاد فوفد عليه فى دمشق بشفاعة من عبد الله بن جعفر على أَرجح الأَقوال . وقد قال فيه وفى أَخيه عبد العزيز بن مروان كثيراً من المدائح ؛ إلى أَن توفاه الله .

والقصيدة التى بين أَيدينا إِحدى مدائحه فى مصعب بن الزبير ؛ وهى من قصائده الفريدة فى بابها ، فقد بدأَها ابن قيس الرقيات بالغزل فى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوج الخليفة الأَموى عبد الملك

بن مروان، واتخذ من الغزل فى عاتكة وسيلة إلى لوم بنى أمية بتسجيل ماتسببوا فى وقوعه من حروب وفتن، سفكت فيها دماء المسلمين، وتفرقت وحدتهم، فذكر منها: وقعة الحرة، ومرج راهط، متخذا من مصعب بطلا سيخلص الأمة الإسلامية من محنتها، ويردها إلى وحدتها.

* * *

قال يمدح مصعب بن الزبير:

١ أَعاتِكَ بنتَ العَبْشَمِية عَاتِكا!
أَثِيبى امرءاً أَمسى بحبِّك هالكا،

٢ بَدَتْ لِىَ فى أَترابها فقتَلْنَنِى،
كذلك يقتلْنَ الرجالَ، كذالكا!

٣ نظرنَ إِلينا بالوُجوهِ كأَنَّما
جَلَوْنَ لنا فوق البغالِ السَّبائكا،

٤ إِذا غفلت عنا العيونُ الّتى ترى،
سلَكْنَ بنا حيث اشتهينَ، المسالكا!

٥ وقالتْ لو انَّا نستطيعُ لَزَارَكُم
طبيبان منَّا، عالمان بدائكا،

(١) أعاتك: يريد عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوج الخليفة الأموى عبد الملك
(٢) الأتراب: الأقران، يريد من كانوا فى مثل سنها من النساء
(٣) السبائك: قطع الذهب والفضه.
(٤) «حيث اشتهين المسالكا» أى سلكن بنا ما اشتهين من الحديث.
(٥) «طبيبان منا عالمان بدائكا» أى رسولان عالمان بما نريد.

٦ ولكنَّ قومى أحدثوا بعد عهدنا ،
وعهدِكَ أَضغاناً كَلِفْنَ بشانكا ،

٧ تُذكِّرنى قتلى بحرَّةِ وَاقمٍ ،
أُصيبتْ ، وأَرحاماً قُطِعْنَ شوابكا ،

٨ وقد كان قومى قبل ذاك وقومُها
قَدَ اوْرُوا بِها عَوْداً من المجدِ تامكا !

٩ هُمُ يرتُقُون الفَتْقَ بعد انخراقِه
بحلمٍ ، ويهدون الحجيجَ المناسكا ؛

١٠ فَقُطِّعَ أَرحامٌ ، وفُضَّتْ جماعةٌ
وعادتْ روايا الحلم بعدُ ركائكا ؛

١١ فمن مُبلغٌ عنِّى خليلىَّ آيةً ،
عُيَيْنَةَ أَعْنى ، بالعراق ومالكا ؛

---

(٦) الأضغان : من الضغن ، وهو الميل ، يقال ضغن : يضغن إذا مال

(٧) حرة واقم : مكان خارج المدينة . وبها كانت وقعة الحرة المعروفة فى أيام يزيد بن معاوية وفيها قتل الشاميون أهل المدينة مقتلة عظيمة .

(٨) أوروا : أوقدوا . والتامك : الطويل المرتفع : يريد أن قومها وقومه كانوا قبل هذه الأحداث أمة واحدة ذات مجد تامك .

(٩) يرتقون الفتق : أى يصلحون الفساد . يهدون الحجيج المناسكا : يهدون الناس لأمر دينهم وإنخراق الشىء : إنفتاقه .

(١٠) فضت جماعة : أى فرقت : قوله : روايا الحلم ، أصله الإبل التى تحمل الماء ، فصير كل من كان حليما كذلك . وركائكا : ضعافا الواحد منها ركيك .

(١١) عيينة ومالك ابنا أسماء بن خارجه بن حصين بن حذيفة بن بدر وكانا شاعرين غزليين

١٢ فهلْ مِنْ طبيب بالعراقِ لعلَّهُ
يداوى كريماً هالكاً متهالِكا ،

١٣ فلولا جيوشُ الشَّأْمِ كان شفاؤُهُ
قريباً ، ولكنِّى أَخافُ النَّيازكا .،

١٤ أَخافُ الرَّدى مِنْ دونها أَن أَرومها
وأَرهبُ كلباً دونها والسَّكاسكا .

١٥ رجالٌ همُ الأَقتالُ مِن يوم راهطٍ ،
أَجازوا الغوارَ بيننا والتَّسافُكا ،

١٦ فلا سلمَ إلاَّ أَن نقودَ إِليهمُ
عناجيجَ يَتْبَعْنَ القِلاصَ الرَّواتكا

١٧ إِذا حثَّها الفرسانُ ركضًا رأَيتَها
مصاليتَ بالنَّحْلِ القديم ، مداركا

---

(١٢) متهالك : هالك : يعنى نفسه .

(١٣) النيازك : الرماح .

(١٤) كلب والسكاسك قبيلتان يمنيتان من أنصار بنى أمية .

(١٥) الأقتال : الأعداء . الغوار : القتال . ومرج راهط ، إشارة إلى وقعة كانت بين الضحاك بن قيس وكان من أنصار بنى أميه ، ومروان بن الحكم سنة٦٤ ، وفيها قتل الضحاك وولى مروان خلافة المسلمين .

(١٦) العناجيج : جياد الخيل . القلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة القوية . ورتكت الناقة : قاربت فى خطوها . يريد إنهم يركبون الإبل ويجنبون الخيل .

(١٧) مصاليت : مسرعة .

١٨ تَدَارَكُ أُخْرانا ، ونَمْضِى أَمامنا ،
ونَتْبَعُ ميمونَ النقيبةِ ناسكا !

١٩ إذا فَرغَتْ أَظفارُهُ من قَبيلَةٍ
أَمالَ على أُخرى السيوفَ البواتكا ،

٢٠ على بيعةِ الإِسلام بايَعْنَ مُصعباً ،
كراديسَ من خيلٍ ، وجمعا ضُباركا

٢١ نَفَيْتَ بنَصْرِ اللهِ عنهمْ عَدُوَّهمْ
فأَصبحتَ تحمى حوضَهُم برماحكا ،

٢٢ تداركْتَ منهم عَثرةً نَهكَتْ بهم
عَدُوَّهم ، واللهُ أَولاكَ ذالكا .

وقال يذكر المغتاب والمرائى(*) :

خفيف

١ بَشَّرَ الظَّبْىُ والغُرابُ بسُعْدَى
مَرْحَباً بالذى يَقولُ الغُــرابُ

(١٨) ميمون النقيبة : أراد مظفر المطالب .

(١٩) السيوف البواتك : السيوف القواطع .

(٢٠) الكراديس : الجماعات . ضبارك : كثير

(٢٢) يقال : نهكته الحمى : أضنته وهزلته وجهدته .

(*) هذه القصيدة من جنس شعر الغزل الذى كان يوظفة ابن قيس الرقيات لتعبير عن آرائه ومواقفه من الأحداث السياسية على أيامه ومناسبة القصيدة تتلخص فى أن الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان كان أراد أن ينقل ولاية العهد من بعده من أخيه عبد العزيز إلى ابنه الوليد فبعث إلى أخيه بذلك وكان ابن قيس يلازمه فى مصر فحرضه ابن قيس على عصيان عبدالملك ، وأخذ يقول الشعر فى مديحه ومديح أبنائه ملمحا إلى أحقيتهم فى ولاية العهد وملحا على صفاتهم التى تؤهلهم لذلك .فلما بلغ عبد الملك ذلك غضب وقال لقد دخل ابن قيس مدخلا ضيقا والله لأطيرن به طيرة بطيئاً وقوعها فخاف ابن قيس وقال قصيدته تلك يبرئ نفسه فيها من الانحياز لعبد العزيز بن مروان وتحريضه على أخيه فى غزل رمزى يتخذ فيه من سعدى رمزا على الخير ومن الغراب رمزا على الشر .

٢ قَالَ لى : إنَّ خيْرَ سُعْدَى قَرِيبٌ
قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ اقْتِرَابُ ،

٣ قُلتُ : أَنَّى يَكُونُ ذاكَ قَرِيباً
وعَلَيْهِ الحُصُونُ والأَبْوَاب

٤ حَبَّذا الرِّئمُ ،والوِشَاحانِ وَالقَصْ
رُ الَّذى لا تَنـــالُهُ الأَسْبابُ

٥ إنَّ فى القَصْرِ لَوْ دَخَلْنا غَزَالاً
مُؤْصَداً مُصْفَقاً عَلَيْهِ الحِجَابُ

٦ أَرْسَلَتْ أَن فَدتْك نَفْسِى فاحذَرْ
شُرْطَةٌ هاهنا عَلَيْكَ غِضَابُ

٧ أَقْسَمُوا إنْ لَقُوكَ لا تطْعَمُ المَا
ءَ وَهُمْ حِين يَقْدِرُونَ ذِئابُ

٨ قُلْتُ : قَدْ يَغْفُلُ الرَّقِيبُ وتَغْفى
شُرطَةٌ أَوْ يَحِينُ مِنْهَا انْقِلابُ

٩ وَعَسَى اللهُ أنْ يُؤَتِّيَ أَمْرًا
لَيْسَ فِيهِ عَلى المُحِبَ ارْتِقابُ

١٠ ارْجِعِى فَاقْرئى السلام عَلَيْهَا
ثُمَ رُدِّى جَوَابَنا يا رَبَابُ

(٤) الرئم : الظبى الخالص البياض . الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

(٨) إنقلاب : تحول وإنصراف .

١١ حَدِّثِيها بمـا لَقِيتُ ، وَقُولى :
حُقَّ للعاشِق الكَريمِ ثَوَابُ

١٢ رَجُلٌ أَنْتَ هَمُّهُ حِين يُمْسِى
خَامَرتْهُ من أَجْلِك الأَوصَابُ

١٣ لا أَشُمُّ الرَّيحانَ إِلاَّ بعَيْنِى
كَرَمًا إِنَّمَا تَشَمُّ الكِـلابُ

١٤ رُبَّ زَارٍ علَىَّ لَمْ يَرَ مِنِّى
عَثْرَةً وهو مِمْأَس كَـذاب

١٥ خَادَعَ اللهَ حِينَ حَلَّ بهِ الشَّيْ
بُ فَأَضْحَى وبَانَ مِنهُ الشَّبَـابُ

١٦ يَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَبَرُّوا ويَنْسَى
وعَلَيْهِ مِنْ كَبْرَةٍ جلبـابُ

١٧ أَيُّهَا المُسْتَحِلُّ لَحْمِىَ كُلَّهُ
مِنْ وَرائى وَمِن وراكَ الحِسابَ

١٨ استَفِيقَنْ فَلَيْس عِنْدَكَ عِلْمٌ
لا تَنامَنَّ أَيُّهَا المُغْتَابُ

(١٢) الأوصاب ، المتاعب .

(١٣) الريحان هنا ، النساء . يريد أنه عفيف الحب .

(١٤) زار : عائب ، الممأس النمام وقيل هو الذى يسعى بين الناس بالفساد .

(١٥) بان : ذهب عنه الشباب .

١٩ تَخْتِلُ النَاسَ بالكتابِ فَهَلا
حِينَ تغتابنى نَهاكَ الكتَابُ

٢٠ لَسْتَ بِالمُخْبتِ التَّقِيُّ وَلاَالمَحـ
ضِ الذِى لا تَذمُّهُ الأَنْسَابُ

٢١ إنَّنِى والتى رَمَتْ بكَ كُرْهاً
سَاقِطاً خُفُّهَا عَلَيْهِ التُّرَابُ

٢٢ لَتَلُومَنَّ غِبَّ رَأْيك فِينَا
حِينَ تَبْقَى بعِرْضِك الأَنْدَابَ

---

(١٩) تختل : تخدع .

(٢٠) المخبت : الساكن الخاضع لله .

(٢١) يشتمه يريد أن أمه رمت به .

(٢٢) غب رأيك : خطل رأيك . الأنداب : آثار الجروح . ويريد أنه سوف يهجوه هجاء يجرحه وتبقى به آثاره لا تمحى كما تبقى آثار الجروح .

عبيد بن أيوب العنبرى

(ت من ٧٠ هـ ــ ٧٥ هـ تقريبًا)

هو عبيد بن أيوب العنبرى ،كان من لصوص العرب المعروفين .

ولكن على الرغم من إجماع المصادر القديمة على شهرته باللصوصية ؛ فإنها قد صمتت عن ذكر شيء من أخباره فيها .

وهذا الشعر القليل الذى وصل إلينا يعطينا صورة أخرى مناقضة للشاعر ،هى صورة إنسان مريف يتغنى بمأساة تشرده ، ويعى شعوره العميق بالخوف ، ولا يأنس إلَّا بحيوان الصحراءِ من الغول والسعلاة والذئب أنسًا يحمله على مصاحبته وحبه .

وقصيدة الشاعر تصور هذه المشاعر الإنسانية فى صورتها المختلطة من الخوف والشك والحب والوفاءَ . . . تلك التى تولدت فى نفسه من تشرده الطويل ،ومواجهته المتجددة للموت فى كل مكان يهرب إليه ، من خلال تصويره للقائه بالذئب والغول ، والأحلام والرؤى التى تستحضر إليه ذكريات الماضى القريب .

* * *

قال :

١ أرانى وذئبَ القفر خِدنين بعدما تَدانى كلانا يشمئزُّ ويذعر

٢ إذا ما عوى جاوبتُ سجعَ عُوائه بترنيم محزونٍ يموت وينشر

٣ تذلَّلته حتى دنا وأَلفتُه ... وأَمكننى لو أَننى كنتُ أَغدر

٤ ولكننى لم يأْتمنِّىَ صاحبٌ ... فيرتابُ بى مادام لايتغير

٥ فلله دَرُّ الغول أى رفيقةٍ ... لصاحب قفرٍ ،خائفٍ، يتقتّر

٦ تغنّتْ بلحنٍ بعد لحنٍ وأَوقدت ... حوالىَّ نيرانًا تبوخ وتزهر

٧ أَنِسْتُ بها لما بَدَتْ وأَلِفتُها ... وحتَّى دَنَتْ واللهُ بالغيب أَبصر

٨ فلمَّا رأَتْ أَلَّا أَهالٍ وأَننى ... وقورٌ إذا طار الجنان مطير

٩ دنت بعد ذاك الروع حتى أَلفتُها ... وصافيتُها والله بالغيب أَخبر

١٠ أَلم ترنى حالفتُ صفراءَ نبعةٍ ... ترنُّ إذا ما رعتها وتزمجر

١١ تزمجر غيرى أَحرقوها بضرةٍ ... فباتت لها تحت الخباء تذمر

١٢ لها فتيةٌ ماضون حيث رمت بهم ... شرابُهُم غالٍ من الجوف أَحمر

١٣ إذا افتقرت راشتهمُ بغناهم ... عطاءَ لهمْ حتى صفا ما يكدر

١٤ أَلمَّ خيالٌ من أُميمةً طارقٌ ... وقد تليت من آخر اللَّيل غُبَّرُ

١٥ فيا فرحًا للمدلج الزائر الذى ... أَتانِىَ في ريطاته يتبختر

١٦ فشرت وقلبى مقصد الذى به ... وعينىَ أَحيانًا تجمُّ فتغمر

(١) الخدن ، بالكسر : الصاحب الذى يخادنك فى كل أمر ظاهر .

(٤) يتقتّر : يتغضب

(٨) أهال : جمع أهل ، وهم عشيرة الرجل وذوو قرباه .

(١٥) الريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين ، كلها نسج واحد وقطعة واحدة ، أو هى كل ثوب لين رقيق .

١٧ إلى ناعجٍ أما أعالى عظامِهِ	فشمٌ وسفلاها على الأَرض تمهر
١٨ فقلتُ له قولًا وحادثتُ شَدّه	بـأَعواد ميسٍ نقشهن مُحبَّر
١٩ أيا جملى إن أنت زرتَ بلادها	برحلى ، وأَجلادى فأَنت محر[illegible]
٢٠ وهل جملٌ مجتابُ ما حال دونها	من الأَرض أَو ريحٌ تروح و[illegible]
٢١ وكيف ترجِّيها وقد حال دونها	من الأَرض مخشىٌّ التنا[illegible]
٢٢ وأَنت طريدٌ مستسرٌّ بقفرةٍ	مرارًا وأَحيانًا [illegible]
٢٣ فيا ليت شعرى هل يعودنّ مربع	وقيظ بـأَكناف الظليف ومحضر
٢٤ أَقـاتلتى بطَّـالةٌ عـامريَّةٌ	بـأَردانها مسك ذكى وعنبر

---

(١٧) الناعجة : الناقة البيضاء السريعة التى يصاد عليها نعاج الوحش .

قطريّ بن الفُجاءة

(ت ٧٨ هـ)

أبو نَعامة قطرى بن الفُجاءَة بن مازن بن يزيد بن زيد مَناة من بنى كابيه بن حُرقوص .

كان مواليًا للأمويين ، وسار مع المهلب بن أَبى صفرة إلى المشرق ، وحارب مع عبد الرحمن بن سَمُرة ، وشهد فتح سِجِسْتَان معه عام ٤٢ هـ/ ٦٦٢ م .

خرج فى مطلع ولاية مصعب بن الزبير على العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير ، وأصبح من أَتباع نافع بن الأَزرق .

حاربه المهلب بن أَبى صفرة تسع عشرة سنة (٦٩ –٨٨ هـ)، ثم اختلف مع بعض الأَزارقة فسار بمن معه إلى طبرستان ،وأَخذ الجزية من أهلها.

وحاربه سفيان بن الأَبرد الكلبى ،والى الحجاج على الرى ،فتخلى معظم أتباع قطرى عنه . وقتل قطرى فى عام ٧٨ هـ/٦٩٧م على الأَرجح .

* * *

قال قطرى بن الفُجاءة يخاطب نفسَه :

١ أقول لهـا وقد طـارت شعاعًا من الأبطـال ويحكِ لَا تُراعى
٢ فإنَّك لو سَـألتِ بقـاء يوم على الأجل الذى لك لم تُطاعى
٣ فصَبرًا فى مجـال الموت صبرًا فمـا نيل الخلود بمُسْتَطاع
٤ ولاثوبُ الحيـاة بثـوب عز فيُطوَى عن أخى الخَنَع اليَرَاع
٥ سبيل المـوتِ غـايةُ كل حىٍّ فداعِيهِ لأهل الأرض داع
٦ ومن لَا يُعتَبَطْ يسـأمْ ويَهْرَم وتُسْلِمه المنـونُ إلَى انْقطـاع
٧ وما للمـرءِ خـيرٌ فى حيـاة إذا ما عُـدَّ من سَقَطِ المَتَـاع

---

(١) شعاعا : متفرقا . طارت شعاعا : هلعت وخافت خوفا شديدا ، لاتراعى : لا تخافى
(٦) يعتبط : يموت شابا . تسلمه المنون إلى انقطاع : يموت .
(٧) سقط المتاع : الأشياء التى لا قيمة لها أو لا نفع فيها .

الأقيشر

(ت ٨٠ هـ)

هو المغيرة بن عبد الله بن مُعْرض الأَسدى ، كان يكنى أَبا مُعْرض والأَقيشر لقب غلب عليه لأَنه كان أَحمر الوجه أَقشر ، والقَشَر شدة الحمرة ، ولد فى الجاهلية ونشأ فى الإِسلام . وهو من أَهل بادية الكوفة ، كان يتردد إلى الحيرة لهيامه بالشراب والمجون ، وعاش عمرًا طويلًا حتى أَدرك عهد عبد الملك بن مروان ، وقتل بظاهر الكوفة خنقًا بالدخان حوالى عام ٨٠ للهجرة .

والأَقيشر إلى جانب مجونه وخمرياته له نوادر كثيرة ، كما أَنه كان شديد الهجاء ، متقلبًا فى آرائه السياسية ، فقد كان عثمانيًا ؛ ولكننا نجده يرثى مصعب بن الزبير ويهجو عبد الملك بن مروان .

ومناسبة النص الذى تخيرناه له أَن القباع وهو الحارث بن عبد الله ابن أَبى ربيعة قد أَخرج الأَقيشر مع قومه لقتال أَهل الشام ، ولم يكن عند الأَقيشر فرس فخرج على حمار ، فلما عبر جسر سُورا — وهى قرية بالعراق من أَرض بابل — فوصل إلى قرية يقال لها : قنِّين تُوارى عند خمَّار نبطى يبرز زوجته للفجور ، فباع حماره ، وجعل يشرب بثمنه ويفجر ، إلى أَن قفل الجيش . وهو يحكى فى هذا النص قصة هذا الخبر الذى يدل دلالة واضحة على سيرة حياته واتجاه شعره .

قال الأُقيشر :

١ خرجت من المِصْرِ الحَوَارِىَّ أَهلُه
بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ وَلَا جُعْلِ

٢ إلى جَيْشِ أهل الشَّأم أُغْزِيتُ كارهًا
سَفَاهًا بلَا سيفٍ حديد وَلَا نَبلِ

٣ ولكنْ بتُرْسٍ ليس فيه حِمَالةٌ
ورُمْحٍ ضَعِيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ

٤ حَبَانِى به ظُلْمُ القُبَاعِ ولم أَجِدْ
سوى أَمرِه والسَّيْرِ شيئًا من الفِعْلِ

٥ فأَزمعتُ أَمْرِى ثم أَصبحتُ غازيًا
وسَلَّمتُ تسليمَ الغُزَاةِ على أَهلى

٦ وقلتُ لَعَلِّى أَنْ أُرَى ثَمَّ راكبًا
على فرس أَوذَا مَتَاعٍ على بَغْلِ

٧ جَوادِى حمارٌ كان حينًا لِظَهْرِه
إكافٌ وإشناق المَزَادةِ والحبل

---

(١) الحوارى : الصديق ، الندبة : الدعوة ، احتساب : أجر ، الجعل : العطية .
(٢) أغزيت : حملت على الغزو كارها
(٣) الترس : ما يتستر به فى الحرب ، الحمالة : علاقة الترس ، الزج : حديدة فى أسفل الرمح ، منصدع : مكسور
(٧) الإكاف : البرزعة ، شنق المزادة وأشنقها أى ربطها .

٨ وقد خـان عينيه بيـاضٌ وخـانَه
قوائمُ سَـوْءٍ حين يُزْجَرُ فى الوَحْلِ

٩ إذا ما انتَحَى فى المـاءِ والوَحْلِ لم تَرِمْ
قوائمُه حتَّى يُؤَخَّرَ بالحِمْـــلِ

١٠ أُنَادِى الرِّفَاقَ بَارَكَ اللهُ فيكمِ ..
رُوَيْدَكُمُ حتَّى أَجوزَ إلى السَّـهْلِ

١١ فسِرنَا إلَى قنَين يومًـا وليـــلَةً
كأنَّا بَغَايَا ما يَسِرْنَ إلَى بَعْـــلِ

١٢ إذَا ما نزلنـا لم نَجِـدْ ظِلَّ سَـاحة
سوى يابس الأنهار أو سَعَفِ النخلِ

١٣ مَرَرْنَا عَلَى سُـورَاءَ نَسْمَع جِسْـرَها
يَئِطُّ نَقِيضًا عن سفائنه الفضـــلِ

١٤ فلمَّـا بدا جسرُ السَّراةِ وأعرضت
لنـا سُوق فُرَّاغ الحديثِ إلَى شُغْلِ

١٥ نزلنـــا إلَى ظِلٍّ ظليـــلٍ وباءَةٍ
حَـلَالٍ برغم القلطمـان وما نُغْلِى

---

(١٣) يئط : يصوت ، والنقيض: الصوت مثل صوت المحامل والرحال إذا ثقل عليها الركبان .

(١٥) الباءة : النكاح ، القلطمان : لعلها القلطبان وهو الديوث الذى لا يغار على أهله ، نغلى : أى نعطى ثمنا غاليا .

١٦ يُشَارِطُه مَنْ شــاءَ كان بدرهمٍ
عَرُوسًا بمــا بين السَّبيئة والنَّسْل

١٧ فأَتْبعتُ رُمْحَ السَّــوْءِ سمية نصله
وبعْتُ حمارى واسترحتُ من الثِّقْل

١٨ تقول ظبــايا قل قليلًا أَلَا ليــا
فقلتُ لهــا إِصوى فإِنِّى على رِسْل

١٩ مهرت لهــا جرديقة فتركتُها
عرها كطَرْفِ العين شَائلةَ الرِّجْلِ

(١٨) ربما كانت بعض الكلمات نبطية أوردها الشاعر حكاية لما كان بينه وبين من ظفر بها من بنات النبط من حوار .

(١٩) الجرديقة لفظة فارسية فى الغالب والمعروف لنا من الألفاظ الفارسية الجردقة بمعنى الرغيف .

ليلى الأخيلية

(ت ٨٠ هـ)

هى ليلى بنتعبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية من بنى عامر بن صعصعة ، شاعرة فصيحة سميت الأخيلية لقولها أو قول جدها :

نحن الأخايل ما يزال غلامنا　　　حتى يدب على العصا مذكورا

وقيل إن أباها هو الأخيل بن ذى الرحالة بن شداد بن عبادة ابن عقيل . اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحُمَيِّر ، وهو توبة ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، وكان توبة يهواها ويقول فيها الشعر فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فى بنى الأدلع ، وكان توبة إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه فى برقع ، فلما اشتهر أمره شكوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاهم ، فمكثوا له فى الموضع الذى كان يلقاها فيه ، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست فى طريقه ، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رُصِد ، وأنها سفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه ونجا . قال لها عبد الملك بن مروان : ما رأى منك توبة حتى عشقك ! فقالت : ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة ، ووفدت على الحجاج مرات فكان يكرمها ويقربها ، وقال لها مرة . إن شبابك قد ذهب ، واضمحل أمرك وأمر توبة ، فأقسم عليك إلا صدقتنى : هل كانت بينكما ريبة

قط ، أو خاطبك فى ذلك قط ؟ فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت .

وعندما قتل توبة بن الحمير رثته ليلى الأخيلية بعدة قصائد . وقد توفيت ليلى الأخيلية فى حدود عام ٨٠ هـ.

ويرى علماؤنا الأقدمون أنها تلى الخنساء فى طبقتها ولكننا نرى أنها لا تقل عن الخنساء من الناحية الفنية إن لم تتفوق عليها ، وقصتها مع توبة والأشعار التى تتعلق بهذه القصة إنما هى جزء من قصص العشاق العذريين فى العصر الأموى ، وهذا النص الذى تخيرناه لليلى الأخيلية هو واحد من نصوص كثيرة رثت بها توبة بعد مقتله وقد تفجرت عاطفتها التى يمتزج فيها الحب باللوعة والفجيعة وكان الأصمعى شديد الإعجاب بهذه القصيدة .

* * *

قالت ليلى الأخيلية فى رثاء توبة :

١ أيا عين بَكِّى توبةَ بن حُمَيِّر بسَحٍّ كفيض الجدول المُتَفَجِّر

(١) سح : دمع دائم السيل

٢ لتبكِ عليه من خفاجة نسوةٌ ... بماءِ شؤونِ العبرة المتحدّرِ

٣ سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

٤ كأن فتى الفتيان توبة لم يسرْ ... بنجدٍ ولم يَطْلُعْ مع المتغوِّرِ

٥ ولم يَرِد الماءَ السِّدام إذا بدا ... سنا الصبح في بادى الحواشى منوّرِ

٦ ولم يَغلب الخصمَ الضِّجاجَ ويملأ الـ ... ـجفانَ سديفاً يوم نكباءَ صرصرِ

٧ ولم يَعْلُ بالجُرْدِ الجياد يقودها ... بسُرّةَ بين الأشمسات فأيْصُرِ

٨ وصحراءَ تومَاةٍ يحارُ بها القطا ... قطعتَ على هول الجَنان بمِنْسَرِ

٩ يقودون قُبّاً كالسَّراحِين لاحها ... سُرَاهم وسَيْرُ الراكب المُتهجِّرِ

---

(٢) خفاجة هم بنو خفاجة بن عقيل بن كعب رهط توبة .

(٣) الهيجا : الحرب ، أرهقت : أدركت أو الحقت وأغشت أى أن المحارب فيها يغشى خصمه ويلحقه .

(٤) النجد : ما ارتفع من الأرض والغور ما انخفض منها .

(٥) السدام : القديم المدفون ، سنا الصبح : ضوءه رواية الكامل للمبرد : فى أعقاب أخضر مدبر والأخضر الليل لأن العرب تسمى الأسود أخضر .

(٦) الضجاج : المشاغبة ، والسديف : قطع السنام ، والنكباء : الريح التى تنحرف فى مهبها فتجىء بين ريحين ، والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

(٧) الجرد جمع أجرد وهو الكريم من الخيل ، سرة : بئر تقيم الرباب ، الأشمسات : جمع أشمس وهو جبل فى شق بلاد بنى عقيل ، وقد جمعته الشاعرة لأنها أرادت الجبل وما يليه من البقاع وأيصر : موضع فى بلاد بنى عقيل .

(٨) المنسر : قطعة من الجيش أو جماعة من الخيل .

(٩) القب : الدقاق الخصور والواحد أقب وقباء ، والسراحين : الذئاب واحدها سرحان ، لاحها : غيرها ، والسرى : سير الليل ، والمتهجر : الذى يسير فى الهاجرة وهى نصف النهار والمراد سير النهار .

١٠ فلما بدت أرضُ العدو سَقَيْتَهَا ... مُجَاجَ بَقِيَّات المزاد المُقَيَّرِ

١١ ولما أهابوا بالنِّهاب حَوَيْتَهَا ... بخاظِى البَضِيع كَرُّه غيرُ أَعْسَرِ

١٢ مُمَرٍّ كَكَرِّ الأَنْدَرِىِّ مُثابرٍ ... إذا ماوَنَيْنَ مُهْلِب الشَّدِّ مُحضَرِ

١٣ فألوت بأعناقٍ طِوالٍ وراعها ... صَلاصِلُ بَيْضٍ سَابغ وَسَنَوَّرِ

١٤ ألم تر أن العَبْدَ يقتل ربَّه ... فَيَظْهَرُ جَدُّ العبد من غير مَظْهَر

١٥ قتلتم فتى لا يُسْقِطُ الروعُ رُمْحَه ... إذا الخيلُ جالت فى قَنًا مُتَكَسِّرِ

١٦ فياتوبُ الهَيْجَا وياتوبُ للندى ... وياتوب للمُسْتَنْبِحِ المُتَنَوِّرِ

١٧ ألا رب مَكروبٍ أَجبتَ ونائِل ... بَذَلْتَ ومعروفٍ لديك ومُنْكَرِ

---

(١٠) سقيتها : تعنى الخيل ، والمجاج ما يمج من الفم ، والمزار : الأسقية واحدتها مزارة المقير : المطلى بالقار .

(١١) النهاب : جمع نهبة وهو الغنيمة ، والخاظى المكتنز اللحم ، البضيع : اللحم وهى تصف الجواد ، الأعسر : الذى يعمل بيسراه .

(١٢) الممر : اسم مفعول من أمر الحبل أى أجاد فتله ، يريد مجدول الخلق ، والكر : الحبل الغليظ ، والأندرى : المنسوب إلى أندرين وهى قرية كانت بالشام ، ونين : فترن ، مهلب الشد : متتابع الجرى ، وأحضر الفرس : ارتفع فى عدوه .

(١٣) راعها : أفزعها ، صلاصل : أصوات ، والبيض من الحديد : ما يتق به الرأس من السلاح والسنور : جملة السلاح وخص بعضهم به الدروع .

(١٤) ربه : سيدة .

(١٦) المستنبح : الذى يكون فى فضلة فيخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه كلب الحى فيتوهمه كلبا فينبح فيستدل بنباحه فيهتدى ، والمتنور : الذى يبصر النار من بعيد .

(١٧) النائل : العطاء .

جميل بثينة

(ت ٨٢ هـ)

وهو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان من عذرة.

وجميل شاعر فصيح مقدم جامع بين الشعر والرواية ،فقد كان راوية هدبة بن خشرم ، وكان هدبة شاعرًا راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرًا راوية لزهير وابنه من بعده .وجميل مشهور بالغزل ، وارتبط اسمه بامرأة بعينها وقف غزله عليها ،هى بثينة ومن ثم فهو معروف بين القدماء والمحدثين باسم : جميل بثينة : وله معها ومع قومها قصص خصب لعب فيه الرواة كثيرًا ، وجعلوا منه ، مثلما فعلوا فى قصص العذريين جميعاً ، صورة لحياته ومنبعاً لأشعاره .

* * *

قال جميل :

١ أَلَا لَيْتَ أَيامَ الصَّفَاءِ جَـدِيدُ
ودَهْرًا تَوَلَّى يا بُثَيْنَ يَعُـودُ

٢ فَنَغْنَى كما كنا نـكونُ وأَنتمُ
صَدِيقٌ ، وإِذْ ما تَبذُلِين زَهِيد

---

(٢) نغنى : نقيم ونعيش

٣ وما أَنْسَ مِ الأَشْيَاءِ لا أَنْسَ قَوْلَهَا
وقد قَرَّبَتْ نِضْوى : أَمِصْرَ تُرِيدُ ؟

٤ ولا قَوْلَهَا : لولا العيونُ التى تَرَى
أَتيتُكَ فاعْذُرْنِى فَدَتْك جُدُود

٥ خَلِيلى ما أُخْفِى من الوَجْدِ ظَاهِرٌ
فَدَمْعِى بما أُخْفِى الغَدَاةَ شَهِيدُ

٦ أَلَا قَدْ أَرَى واللهِ أَنْ رُبَّ عَبْرَةٍ
إِذَا الدارُ شَطَّت بيننا سَتَرُودُ

٧ إذا قلتُ : ما بى يا بُثَيْنَةُ قاتِلِى
من الوَجْدِ . قالتْ : ثابتٌ وَيَزِيد

٨ وإنْ قلتُ :رُدِّى بعض عَقْلِى أَعِش بهِ
مع الناسِ . قالتْ : ذاكَ مِنْكَ بعِيدُ

٩ فما ذُكِر الخلَّانُ إلَّا ذكرتُهَا
ولا البخلُ إلا قلتُ : سوف تجودُ

١٠ إذا فكَّرتْ قالتْ : قَدَ ادْرَكتُ وُدَّه
وما ضَرَّنِى بُخْلٌ ، ففيم أَجـود ؟

١١ فلا أنا مَرْدُودٌ بما جئتُ طالبا
ولا حُبُّهـا فيما يَبيـدُ يَبيـدُ

---

(٣) النضو : المهزول من الإبل وغيرها

(٦) شطت : بعدت . وترود : تذهب وتجىء يريد : تحير ماء العين فيها .

١٢ جزَتْكِ الْجَوَازى يا بُثَيْنُ مَلَامَةً
إذا ما خَلِيلٌ بانَ وهو حَمِيـدُ

١٣ وقلتُ لها : بَيْنِى وبَيْنَكِ فاعْلَمِى
من اللهِ ميثاقٌ لنـا وعُهـود

١٤ وقد كان حُبِّيكُم طَرِيفاً وتالِدًا
وما الحبُّ إلا طارفٌ وتَلِيدُ

١٥ وإنْ عَرُوضَ الوَصْلِ بينى وبينها
وإن سَهَّلَتْـهُ بالمُنَى لَصعُودُ

١٦ فأَفنيتُ عَيْشِى بانتظارى نَوَالَهَا
وأَبْلَتْ بذاكَ الدهرَ وهو جَـدِيدُ

١٧ فليتَ وُشَاةَ النـاسِ بينى وبينها
يَدُوفُ لهم سُما طَمَاطِمُ سُودُ

١٨ وليت لهم فى كل ممسى وشارقٍ
تَضَاعَفُ أَكْبَالٌ لهم وقُيُودُ

---

(١٢) بان : فارق .

(١٤) الطارف : الحديث والتليد : القديم .

(١٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل فى مضيق ، ويريد الطريق إلى وصلها .

(١٧) يدوف : يخلط والطماطم : جمع طمطم ، بكسر الطائين ، وهو المولى الذى لا يبين لسانه عند التكلم .

(١٨) الممسى : المساء . والشارق : وقت شروق الشمس . والأكبال : القيود .

١٩ ويَحْسَبُ نِسْوَانٌ من الْجَهل أَنَّنِى
إذا جئتُ ، إيَّاهُنَّ كنتُ أُريدُ

٢٠ فأَقْسِمُ طَرْفَ العَيْنِ أَنْ يُعْرَفَ الهَوَى
وفى النَّفسِ بَوْنٌ بينهنَّ بعيدُ

٢١ فأَعْرِضْنَ إنِّى عن هَوَاكُنَّ مُعْرِضٌ
تماحَلَ غِيطانٌ بكنَّ وَبيدُ

٢٢ لكلِّ لقاءٍ نَلْتَقِيهِ بَشَاشَةٌ
وكلِّ قتيلٍ عندهنَّ شهيد

٢٣ عَلِقْتُ الهَوَى منها وَلِيدًا فلم يَزَلْ
إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّها ويَزيد

٢٤ فلو تُكْشَفُ الأَحشاءُ صُودِفَ تحتها
لِبثنةَ حبٌّ طارفٌ وَتَلِيدُ

٢٥ يُذَكِّرُنِيها كلُّ ريحٍ مَريضةٍ
لها بالتِّلاعِ القاوياتِ وَئِيدُ

---

(٢١) تماحل : بعد . والغيطان : جمع غوط وغائط ، وهو ما اتسع من الأرض .

(٢٥) التلاع : جمع تلعة ، وهى ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلا ، ومسيل الماء من المرتفعات والجبال حتى ينصب فى الوادى . والقاويات : المقفرة . والوئيد : الصوت عامة ؛ أو العالى الشديدمنه .

٢٦ أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً
بوادِى القُرَى إنِّى إذنْ لَسَعِيدُ

٢٧ وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهر مَرَّةً
ومارَثٌّ من حَبْلِ الصفاءِ جديدُ

٢٨ وقد تَنْتَقِى الأَهواءُ من بعد يَأْسَةٍ
وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعِيـدُ

٢٩ وهل أَزْجُرَنْ حَرْفاً عَلاةً شِمِلَّةً
بخَرْقٍ تُبَارِيها سَـواهِمُ قُودُ

٣٠ على ظَهْرِ مَرْهُوبٍ كأَنَّ نُشُوزَهُ
إذا جار هُـلَّاكُ الطريقِ وُفودُ

٣١ سَبَتْنِى بعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ وَسْطَ رَبْرَبٍ
وَصَدْرٍ كَفَاثُورِ الرُّخامِ وجِيدُ

---

(٢٧) رث : قدم وبلى .

(٢٩) الحرف : الناقة الضامرة المهزولة أو الناقة العظيمة . والعلاة : الناقة المشرفة . والشملة : الناقة السريعة . والخرق : القفر ، وهى الأرض الواسعة تنخرق فيها الريح . والسواهم جمع ساهمة ، وهى الناقة الضامرة . والقود : الذلولة المنقادة .

(٣٠) المرهوب : الطريق يرهب السير فيه . والنشوز : ما ارتفع من الأرض . وجار : ضل . وهلاك الطريق : المنتجعون الذين ضلوا الطريق

(٣١) الفاثور : خوان من فضة . يريد سبتنى عيناها وجيدها !

٣٢ تَزِيفُ كما زافتْ إلى سَلِفاتِها
مُبَاهِيَةٌ طَيَّ الوِشَاحَ مَيُودُ

٣٣ إذا جئْتُها يوماً من الدهر .زائِرا
تَعَرَّضَ منقوصُ اليدين صَدُودُ

٣٤ يَصُدُّ ويُغْضِى عن هَواىَ ويَجْتَنِى
عَلَىَّ ذُنوبا ، إنه لَعَنُودُ

٣٥ فأَصْرِمُهـا عَمْـدا كأَنِّى مُجَانِبٌ
ويَغْفُـل عنَّـا تارةً فَنَعُود

٣٦ فَمن يُعْطَ فى الدُّنيا قَريناً كَمِثْلِها
فذلِكَ فى عيشِ الحياةِ رَشِيد

٣٧ يموتُ الهَوَى مِنِّى إذا ما لَقِيتها
ويحْيَى إذا فارقتها فيعـودُ

٣٨ يقولون : جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ
وأَىُّ جهادٍ غَيْرَهن أُريد

---

(٣٢) تزيف : تتبختر فى مشيها . والسلفات : جمع سلفة ، وهى زوجة أخى الزوج والميود : المتبخترة .

(٣٣) منقوص اليدين : يريد قليل الخير بخيلا بالمعروف .

٣٩ ومَنْ كان فى حُبى بثينةَ يَمتَرِى
فبَرقْاءُ ذى ضال علىّ شَهيدُ

٤٠ لئِنْ كان فى حُبٍّ الحبيب حبيبَه
حُدودٌ لقد حَلّت على حـدود

٤١ وأحسنُ أيامى وأبهجُ عِيشَتى
إذا هِيجَ بِى يوماً وهن قُعـود

٤٢ ألَمْ تَعلَمِى يا أمَّ ذِى الوَدْعِ أنَّنى
أُضاحِكُ ذِكْرَاكُم وأنتِ صَلُود

---

(٣٩) يروى القدماء حول هذا البيت قصة تتلخص فى أن جميلا أراد أن يثبت لقوم بثينة صلته بها ولقاءه إياها ، فواعدها ببرقاء ذى ضال فتحادثا طويلا ثم اضطجعا ونامت ، فانسل جميل وتركها ، فلم يرع الحى إلا بها راقدة عند مناخ راحلته ؛ فقال جميل فى ذلك البيت . وهذا كله من خيال شراح الشعر .

(٤٠) الحدود : العقاب الذى حدده الله لانتهاك الحرم .

(٤٢) الصلود : الصلب الأملس : ويريد هنا البخيلة التى تضن بكل شىء !

وقال جميل أيضاً(*) :

١ أعائدةٌ يابثْنَ أيَّامُنـا الأُلى
بذى الظُّلْم أم لا ؟ ما لهنَّ رجوع

٢ سقَى منزلَيْنا يا بُثَيْنَ بحاجرٍ
على الهجْر منا صَيِّفٌ ورَبيعُ

٣ ودُورَك يا ليلى وإنْ كُنَّ بَعْدَنا
بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُـوع

٤ وخَيْمَاتِكِ اللاَّتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى
لقُمْرِيِّهـا بالمَشْرِفَيْن سَجيـع

٥ تُزَعْزِع منها الريحُ كلَّ عشيةٍ
هَزيـمٌ بسُلاَّفِ الرياح رَجيعُ

---

* كان السلطان أهدر دم جميل لرهط بثينة ، إن وجدوه قد غشى دورهم فحذرهم مدة ؛ ثم وجدوه عندها : فأعذروا إليه وتوعدوه ولم يشاءوا قتله كراهة أن يقع بينهم وبين قومه حرب فى دمه ، فأعادوا شكواه إلى السلطان فاشتد فى طلبه ، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة ، ولم يزل هناك حتى عزل ذلك الوالى عنهم ، وانتجعوا ناحية الشام فعاد إليهم ، وقال هذه الأبيات .

وتروى هذه الأبيات فى المصادر القديمة مختلطة بأبيات لشعراء آخرين ، منهم : مجنون ليلى ، وقيس بن ذريح ، والضحاك وغيرهم من شعراء الغزل العفيف .

(١) ذو الظلم : موضع .

(٢) حاجر : موضع . والصيف : مطر الصيف . والربيع : مطر الربيع .

(٤) السجيع : الهديل ، وهو صوت الحمام .

(٥) الهزيم : الصوت الشديد . وسلاف الرياح : متقدماتها . ورجيع : مردد ، وهو صفة لهزيم .

٦ وإنِّى أنْ يَعْلَى بكِ اللَّومُ أو تُرَىْ
بدار أذًى من شامتٍ لَجَزُوع

٧ وإنى على الشىءِ الذى يُلتَوى بهِ
وإن زجَرتْنى زَجـرةً لَوَريع

٨ فَقَدتُكِ من نَفْسٍ شَعاعٍ فإنَّنى
نهَيْتُكِ عن هـذا وأنتِ جميع

٩ فَقَربتِ لى غيرَ القريب وأشرفت
هناك ثَنَايَا مالهن طُلُـوع

١٠ يقولون : صَبٌّ بالغَوَانى مُوَكَّلٌ !
وهل ذاك من فعل الرجال بَدِيع ؟ !

١١ وقالوا : رعيتَ اللهوَ والمالُ ضائع
فـكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيع

---

(٧) وريع : أراد أنه إذا زجر عن شىء، كف نفسه عنه .

(٨) شعاع : متفرقة متبددة . وجميع : مجتمعة .

(٩) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة أو الطريق فى الجبل . ما لهن طلوع : لا يستطاع طلوعها .

(١٠) بديع : فريد لا يماثلنى فيه أحد .

عمران بن حِطّان

(ت ٨٤ هـ)

أبو شهاب عمران بن حطان بن ظبيان من بنى سَدوس بن شيبان من بكر بن وائل . كان أول أمره من أهل السنة ، ثم انتقل إلى مذهب الخوارج لما تقدمت به السن . كان ينصر الخوارج بلسانه ، فطلبه الحجاج بن يوسف عندما تولّى البصرة ، فهرب عمران إلى الشام ثم إلى قرقيسيا ، ثم إلى عمان وروذميسان (قرب الكوفة) حيث توفى عام ٨٤ هـ .

روى الحديث عن نفر من الصحابة ؛ وكان من علماء الخوارج وخطبائهم ومفتيهم وشعرائهم . وكان لا يحب الشعراء المداحين .

روى صاحب الأغانى قال : « لما دخلت غَزَالة الحرورية على الحجاج هى وشبيب الكوفة ، تحصّن منها وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عِمران بن حطان – وقد كان الحجاج نجّ في طلبه – نال . أسد على (الأبيات التالية) ... ثم لحق بالشام فنزل على رَوح بن زِنباع .

كتاب عِمْران بن حِطَّان إلى الحجاج

قال عمران :

أَسَدٌ عليَّ وفى الحروب نَعامةٌ ربْدَاءُ تجفُلُ من صفير الصَّافِرِ

هَلَّا بَرَزْتَ إلى غزالةَ فى الوغَى بل كان قلبُك فى جناحَى طائِرِ

صَدَعَتْ غَزَالةُ قلبَه بفوارس تركَتْ كتائبه كأَمسِ الدَّابِرِ

(١) الربدة كحمرة : لون إلى نغبرة ، وهو أربد ، وهى ربداء . جفلت النعامة (كضرب وقعد) وأجفلت : أسرعت وذهبت فى الأرض

قال عِمران بن حطان (*) :

يا روحُ كم من أخي مَثْوى نزلت به … قد ظن ظنَّك من لخمٍ وغسَّانِ
حتّى إذا خفته فارقت منزلَه … من بعد ما قيل : عمران بن حِطَّان
قد كنتُ ضيفَك حولًا لا تروِّعُني … فيه الطوارِق من إنْس ولا جان
حتى أردت بيَ العُظمى فأوحشنِي … ما أوحش الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنْباع فإنَّ له … في الحادثات هَنات ذات ألوان
يومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمنٍ … وإن لقيتُ مَعَدِّيا فعدنانى
لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغية … كنتَ المقدَّم في سِرِّى وإعلانى
لكن أبتْ ذاك آياتٌ مُطَهَّرةٌ … عند التِّلاوة في طه وعِمْرَان

(*) الأبيات كتبها عمران بن حطان فى رقعة خلفها فى كوة عند فراشه بمنزل روح ابن زنباع ، وكان يلجأ إليه بالشام عندما خرج هارباً من الحجاج . وبقى عنده حتى أحس أن امره انكشف .

كعب بن زهير

(ت ٨٥ هـ)

هو كعب بن زهير بن أبى سُلمى المازنى نسبة إلى مزينة إحدى قبائل مضر ، وأمه كبشة بنت عمار بن عدى بن سحيم أحد بنى عبد الله ابن غطفان ، تزوجها أبوه زهير ثم نزل فيهم وكانت منازلهم بالحاجر من أرض نجد . وكبشة أم أولاد زهير جميعًا تزوجها فوق امرأته الأُولى أم أوفى التى ذكرها فى معلقته ، لأنه كان يريد الولد وأم أوفى كانت لا يعيش لها ولد . فلما تزوج كبشة غارت أم أوفى من ذلك فآذته فطلقها .

اشتهر كعب فى الجاهلية فكان أحد الفحول المقدمين ، وقد جعله ابن سلام فى الطبقة الثانية من الجاهليين ، ولما بزغ نور الإسلام هجا النبى – صلى الله عليه وسلم – وشبب بنساء المسلمين ، فهدر النبى دمه ، فجاءه كعب مستأمنًا وأنشده لاميته المشهورة التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبُول مُتَيَّم إثرها لم يُجزَ مكبول

فعفا عنه النبى – صلى الله عليه وسلم – وخلع عليه بردته . وقد امتد العمر بكعب حتى زمن معاوية ، وكان – فيما تقول المصادر – علوى الرأى .

نبغ كعب فى الشعر وهو صغير ، وقد اتفق الرواة على أن الشعر لم يتصل فى مولد أحد من فحول الشعراء فى الجاهلية اتصاله فى ولد زهير ، فكعب وأبوه زهير وجده أبو سلمى وعمتاه سلمى والخنساءُ — غير الخنساء المعروفة فى بنى سليم — وأخوه بُجَيْر وولده عقبة وحفيده العوام بن عقبة كلهم شعراء. وكان أبوه زهير ينهاه عن قول الشعر وهو صغير مخافة أن يقول مالا خير فيه ، فيروى له ، فطال ذلك عليه فأخذه فحبسه ، فلم يكف عن قول الشعر ، فعقد له زهير امتحانًا فاطمأن إلى شاعريته وأذن له فى قول الشعر .

قال كعب يمدح الرسول : *

١ — بانتْ سعادُ فقلبى اليومَ مبتولُ
مُتَيَّمٌ إثرهـا لم يُفْدَ مكبولُ

٢ — دما سعادُ غداة البينِ إذْ رحلوا
إلاَّ أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحـول

(*) قال كعب بن زهير هذه القصيدة بعد أن أهدر الرسول دمه وضاقت عليه نواحى الأرض ، فجاءه مسلما تائبا ، ودخل عليه المسجد وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار ، فاستجاره ، فأجاره الرسول وقبل توبته وإسلامه ، واستمع لمديحه وخلع عليه بردته ودعا له ، إعجابا بقصيدته .

(١) بانت : فارقت . ومبتول : سقيم بالحب . ومتيم : مضلل بالحب . والمكبول : المحبوس .

(٢) الأغن : الذى فى صوته غنة . غضيض الطرف : فاتر الطرف .

٣ ـ تجلُوا عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ
كأنه مُنْهلٌ بالراحِ معلولُ

٤ ـ شجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ
صافٍ بأَبطح أَضحى وهو مشمول

٥ ـ تجلو الرياحُ القذى عنه وأَفرطَهُ
مِن صوب ساريةٍ بِيضٌ يَعاليلُ

٦ ـ يا ويْحَها خُلَّةً لو أنها صدقت
ما وعَدتْ ، أو لو أنَّ النصح مقبولُ

٧ ـ لكنّها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دمها
فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتبديلُ

٨ ـ فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها
كما تكوّنُ فى أثوابها الغولُ

---

(٣) العوارض : الأسنان ، وهى ما بين الثفية والضرس . والظلم : ماء الأسنان . ومفهل : قد أنهل بالخمر .

(٤) شجت : عوليت بالماء ومزجت . بذى شبم : بمء ذى برد ؛ والشبم البرد المحنية : ما اغنى من الوادى ، فيه رمل وحصى صغار .

(٥) أفرطه : ملأه . سارية : سحابة تسرى فتمطر بالليل . اليعلول : الغدير وأراد أن هذه اليعاليل ملأت مواضع الماء فى الأبطح ، يعنى سيولا .

(٦) خلة : يقال للذكر وكذلك للأنثى . يقول : ما أتمها لو لم يكذب موعدها ، ولو قبلت نصحى لها فى أمرى ، ولكن هذا مما ينقصها .

(٧) سيط : خلط ، والذى يخلط به . المسواط والفجع : المصيبة . والولع : الكذب ، يقال : رجل دلوع ، أى كذوب .

(٨) الغول : السعلاة . وللعرب فيها أمور منها أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم بألوان شتى وتضلهم عن الطريق .

٩ - دما تمسَّكُ بالوصـــلِ الذى زَعَمتْ
إلا كما تُمْسِكُ المـــاءَ الغرابيلُ

١٠ - كانت مواعيـدُ عُرقُوب لهـــا مَثلا
وما مـواعيدهـــا إلاّ الأَباطيـــلُ

١١ - أَرجو وآمَلُ أَن يعْجَلَنْ فى أَبَد
وما لهنّ طـوال الدهـرِ العجيـلُ

١٢ - فَلَا يَغُرّنْكَ ما منّـتْ وما وعـدَتْ
إن الامانىَّ والأَحلامَ تضليـــلُ

١٣ - أَمسـتْ سعادُ بـأَرضٍ لايُبلِّغُهَـــا
إلاَّ العِتَاقُ النجيبـــاتُ المراسيلُ

١٤ - ولنْ يبلِّغَهَـــا إلاَّ عُـذَافِـرةٌ
فيها على الأَيْنِ إرقالٌ وتبغيـــلُ

---

(٩) يقال : تمسك بالشئ وأمسك .

(١٠) عرقوب بن نصر : رجل من العماليق نزل المدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى عليه السلام ، وكان صاحب نخل وعرف بإخلاف الوعود وله فى ذلك قصة ترويها العرب ، تتلخص فى أنه وعد صديقا له أن يعطيه تمرا من نخله ، ولكنه ما طله حتى نضج ثم حصده دون أن يعطيه شيئا منه ، فذهب عمله مثلا ترويه العرب على إخلاف الوعود .

(١١) تنويل : يقال ، نولته إذا أعطيته . وما لهن تعجيل ، أى تصديق يريد : أرجو أن يفين بما وعدن على عجل ولو مرة فى الدهر ، ولكنهن لا يصدقن طول عمرهن .

(١٢) أراد أنها لا تفى بوعودها .

(١٣) المراسيل : الخفاف التى تعطيك ما عندها عفوا . يقول : لا يبلغنى سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها .

(١٤) عذافرة : شديدة غليظة . والأين : الإعياء ، والإرقال : أن مقدو وتنفض رأسها . والتبغيل : ضرب من الهملجة دون .

١٥ - من كلِّ نضَّاخَـــةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقتْ
عُرْضَتُهَا طامسُ الأَعلامِ مجهـولُ

١٦ - تَرْمِى الغُيوب بِعينَىْ مُفردٍ لَهَقٍ
إذا توقَّدتِ الحزَّانُ والميـــــــلُ

١٧ - ضخمٌ مُقَلَّدُهـا ، فَعْمٌ مُقَيدُهَـــا
فى خَلقها عن بناتِ الفحلِ تفضِيلُ

١٨ - حَرْفٌ ، أَخوها أَبوها مِنْ مُهَجَّنَـةٍ
وعمُّهَا خالُهَا قَوْداءُ شِمْلِيــــلُ

١٩ - يَمْشِى القُرادُ عليهـــا ثم يُذْلِقُـه
منها لَبانٌ وأَقرابٌ زهاليــــلُ

---

(١٥) النضخ : شدة فور الماء فى جيشانه وإنفجاره من ينبوعه ، وفى التنزيل : « فيها عينان نضا ختان » أى فوارتان . والذفرى من الحيوان : العظم خاف الأذن ، وهى أول ما يعرق من الناقة عند السير . والعرضة : الهمة . والطامس : ما طمس من الأرض يقول : إن هذه الناقة لعرضة السفر قوية عليه

(١٦) المفرد: الفرد الذى خذل عن صواحبه ، ويريد به الثور الوحشى الذى تأخر عن القطيع ، وهو لذلك يكثر نشاطه وخفته للحاق به .

واللهق : الشديد البياض . والحزان : ما غلظ من الأرض ، وإحدها حزيز . والغيوب : ما غاب عنك . والميل من الأرض : مد النظر .

ويريد أن هذه الناقة لقوتها وشدة نشاطها لا تكسل ولا تفتر فى الهاجرة !

(١٧) فعم مقيدها : ممتلىء رسغها . يقال : أفعم فلان حوضه ،إذا ملأه . وبنات الفحل يعنى النوق ، أى لها فضل عليهن فى عظم خلقها !

(١٨) قوراء : طويلة العنق . يقول : حمل حمل على أمه فوضعت ناقة فصار الجمل أخاها وأباها . وقوله : عمها خالها ، يريد أن ثلاثة أجمال من ناقة ذكرين وأنثى ، فأنزى أحد الذكرين على أمه فوضعت ثلاثة ، فصار أحد الأخوين أباها ، والآخر عمها وخالها !

وقوله : من مهجنة ، أى من إبل كريمة أخذت من الهجان ، أى البيض الكرام . والشمليل الخفيفة .

(١٩) أداب : خواصر ، الواحد قرب . والزهاليل : الملس ، واللبان : الصدر .

٢٠ ـ عَيْرَانَةٌ قذِفَتْ فى اللحمِ عن عُرُضٍ
مِرْفَقُهَـا عن بنِات الزور مفتـولُ

٢١ ـ كأَنَّ ما فاتَ عينَيْهَـا ومذبَحهَـا
من خَطْمِهَـا ومن اللَّحْيَيْن برْطِيلُ

٢٢ ـ تُمِرُّ مثلَ عسِيب النَّخلِ ذَا خُصَل
فى غارزٍ لم تَخُونْهُ الأَحاليـلُ

٢٣ ـ قَنْواءُ فى حُرَّتَيْهَـا للبصيرِ بِهـا
عِتْقٌ مُبِينٌ وفى الخَدَّين بَسهيـلُ

٢٤ ـ تَخْدِى على يَسَرات وهى لاحقـةٌ
ذَوابِلٌ وَقْعُهنَّ الأَرْضَ تحليـلُ

---

(٢٠) عيرانة : تشبه العير لصلابتها . وقوله : عن عرض ، أى رميت باللحم فى أعراضها أى فى جوانبها ونواحيها ، قذفت : أى رميت ، ويريد أنها اعترضت باللحم اعتراضا ، ونبات الزور : المضلتان !

والزور : عظام الصدر

وهو نصف ناقته بالقوة والصلابة فقد قذفت باللحم أى لم تحلب وهى لذلك تامة الخلق !

(٢١) الخطم : الأنف أو الموضع الذى يقع عليه الخطام . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية من الإنسان وتطير ذلك من بقية الحيوان . والبرطيل ، واحد البراطيل ، وهى حجارة طويلة وقد يكون البرطيل المعول !

(٢٢) الغارز : ضرعها ، والغراز : إنقطاع اللبن ، وقوله : لم تخونه : أى لم تنقصه . والأحاليل : مجارى اللبن ، والإحليل : الثقب ، يريد أنها لم تنج فتحلب فيضر ذلك بقوتها .

(٢٣) قنواء : فى أنفها كالحدب . وحرتاها : أذناها ، والعتق : الكرم . وعتقهما أن تكونا مؤللتين أى محددتى الطرف !

(٢٤) تخدى : تسير بسرعة . واليسرات : القوائم الخفاف . لا حقة : ضامرة ذوابل : ليست برهلة ، أراد أنها ضخمة .

٢٥ – سُمْرُ العُجَاياتِ يترُكنْ الحصى زِيَماً
لم يَقِهِنّ رءُوسَ الأُكْمِ تنعيـــلُ

٢٦ – يوماً يظلُّ به الحرباءُ مُصْطَخِماً
كان ضاحيَـــهُ بالنَّـــار مملولُ .

٢٧ – كأنّ أوْبَ ذراعيهـــا وقد عَرِقَتْ
وقد تلَفَّعَ بالقور العساقِيـــلُ

٢٨ – وقال للقـــوم حاديهُمْ وقد جَعَلَتْ
وُرق الجنادبِ يركُضْنَ الحصى قِيلُوا

٢٩ – شدَّ النهار ذراعَيْ عَيْطل نَصِفَ
قامتْ فجاوَبَهَـــا نُكْدٌ مثاكيلُ

٣٠ – نواحةٌ رِخْوَةٌ الضَّبْعَيْن ليس لها
لمـــا نعى بِكرَها النـــاعونَ معقولُ

---

(٢٥) سمر : فى ألوانها . العجايات : عصب باطن اليدين ، واحدها عجاية ، زيما : متفرقة واحدته : زيمة . الأكم : جمع إكام ، الأماكن والجبال العالية .

(٢٦) المصطخم : القائم من الحر . ضاحيه : ما ظهر منه للشمس .

(٢٧) أوب : رجع . تلفع : تلحف . القور : جمع قارة ، وهى الأكمة . العساقيل : السراب .

(٢٨) الورق : الطوال .

(٢٩) شد النهار : إرتفاع النهار . العيطل : الطويلة . ونكد : قليلات الأولاد . والنصف : هى التى قامت تنوح : يشبه يدى الناقة بيدى هذه النائحة .

(٣٠) بكرها : أول ولدها . والمعقول : العقل ، يقال : ما لفلان معقول وماله محصول وماله مجلود . ويقال: نواحة يعنى هذه النصف ؛ ورخوة الضبعين : يريد أنها شديدة الحركة وألا لتدام . والضبعان : هما العضدان ، والواحد ضبع .

٣١ـ تَفْرِى اللَّبانَ بكفَّيها ومِدْرَعُهَــا
مُشَقَّقٌ عن تَرَاقيها رعابيــلُ

٣٢ـ يسعى الوُشاةُ بجنْبيهـــــا وقولهمُ
إنْك يابنَ أَبِى سُلمى لمقتـــولُ

٣٣ـ وقال كلُّ خليــلٍ كُنتُ آمُلُهُ
لا أُلْفِينَّكَ إنّى عنك مشغـــولُ

٣٤ـ فقلتُ خلُّوا طريقى لا أبا لــكُمُ
فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مفعـــولُ

٣٥ـ كلُّ ابن أُنْثى وإنْ طالت سلامتُه
يوماً على آلةٍ حدباءَ محمــولُ

٣٦ـ أُنْبِئْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوعـــدنى
والعفُـــو عنـــد رسول اللهِ مأَمولُ

---

(٣١) تفرى : تشق الثياب عن اللبان . واللبان : الصدر وما حوله ؛ شبه ناقته بهذه التى تفرى صدرها ومدرعها بما هلك من ولدها . ويقال : الافراء : الشق فى فساد ، والفرى : الشق فى صلاح .

(٣٢) بجنبيها : أى حواليها ، أراد أن الوشاة يسعوى إلى سعاد بوعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه .

(٣٣) لا ألفينك : لا أكون معك فى شىء .

(٣٤) خلوا طريق : دعونى وشأنى .

(٣٥) الآلة : الحالة . وحدباء : معوجة ، يريدا لنعش !

(٣٦) النافلة هنا : العطية ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أنعم على رسوله صلى الله عليه وسلم بعلوم كثيرة علمه إياها .

٣٧ـ مهلاً هـداكَ الذى أَعطاك نافلة
القرآنِ فيهـــا مواعيظٌ وتفصـــيلُ

٣٨ـ لاتـأَخُذَنِّى بـأَقوالِ الوُشاةِ ولم
أُذْنِبْ ولو كثُرتْ عنى الأَقاويلُ

٣٩ـ لقد أَقومُ مَقَاماً لو يقـــومُ بــه
أَرى وأَسمعُ مالَوْ يسمَعُ الفيـــلُ

٤٠ـ لَظَلَّ يُرعَدُ إلاَّ أن يكونَ لـــــه
من الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ

٤١ـ حتّى وضَعْتُ يمِنى لا أُنازعُـــــهُ
فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قِيلُه القِيلُ

٤٢ـ لَذَاك أَهيبُ عندى إذ أُكَلِّمُـــــهُ
وقيلَ إنَّكَ مسبـــورٌ ومسئولُ

---

(٣٧) التنويل : من النائل ، العطاء . وهو هنا الأمان والعفو .

(٣٨) أراء وضعت يمنى فى يمينه وضع طاعة لا أنازعه ، يعنى أنه أسلم نفسه له وبايعه .

(٣٩) يريد أنه لما مثل بين يديه صلى الله عليه وسلم حصل له من الرعب والفزع محصل !

(٤٠) الضيغم : الأسد . مخدره : مكانه يريد أنه أسد اتخذ الغيضة خدرا .

(٤١) يلحم ضرغامين : يعطيهما اللحم . ومعفور : مطروح فى التراب ، وخراذيل : مقطع .

(٤٢) مفلول : مقتول .

٤٣ ـ مِن ضَيْغَمٍ من ضِراءِ الأُسْدِ مُخْدرُه
ببطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ

٤٤ ـ يغدو فَيلْحَمُ ضِرغامين عِيشُهما
لحمٌ من القوم معفورٌ خراذيلُ

٤٥ ـ إذا يُسَاور قِرناً لايحِلُّ لهُ
أن يترك القِرنَ إلاّ وهو مفلولُ

٤٦ ـ منه تظلُّ حميرُ الوحش ضامِزَةً
ولا تُمَشِّى بواديه الأَراجيلُ

٤٧ ـ ولايزالُ بواديه أَخُو ثِقَة
مُطَرحُ البَزِّ والدِّرسان مأْكولُ

٤٨ ـ إن الرسولَ لسيفٌ يُستَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مسلولُ

---

(٤٣) الضامزة : الساكنة خوفا وهلعا . الأراجيل : الرجالة .

(٤٤) الدرسان : ثياب خلقات والواحد دريس .

(٤٥) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .

(٤٦) زولوا : هاجروا من مكة إلى المدينة .

(٤٧) الكشف : الذين ينهزمون ولا يثبتون . والميل : الذين لا يثبتون على السرج . النكس : الضعيف .

(٤٨) العرانين : الأنوف ، الواحد عرنين .

٤٩ ـ فى عُصـــبةٍ من قريشٍ قال قائلهم
ببطنِ مَكَّةَ لما أَسلمـــوا زولوا

٥٠ ـ زالو، فمازال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ
عنـد اللِّقاءِ، ولا مِيـلٌ معازيـــلُ

٥١ ـ شُمَّ العرانين ، أَبطالٌ لَبـوسُهُمْ
من نَسْجِ داودَ فى الهيجا سرابيـلُ

٥٢ ـ بيض سوابغ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ
كأَنهـا حَلَقُ القَفْعـاء مجـدولُ

٥٣ ـ يمشون مَشْيَ الجِمالِ الزُّهر يعصمُهمْ
ضربٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التنابيلُ

٥٤ ـ لا يفرحون إذا نالتْ رماحُهـــمُ
قوماً ، وليسُوا مجَازيعاً إذا نِيلُوا

٥٥ ـ لايقع الطعنُ إلا فى نحورهمُ
ما إن لهم عن حياضِ الموت تهليلُ

---

(٤٩) بيض سوابغ : يعنى الدروع أنها سابغة ضافية فضفاضة . شكت : أدخل بعض حلقها فى بعض وسموت ، فشبه حلقها بنور القفعاء .

(٥٠) يعصمهم : يمنعهم . ويقال إنه تعريض بالأنصار . الزهر : البيض .

(٥١) يريد أنهم يصبرون إذا نكبوا .

(٥٢) تهليل : تكذيب . يقول : لا يفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن فى أدبارهم .

وقد اشتهرت لاميته التى أوردناها شهرة واسعة وكثر مخمسوها ومشطروها ومعارضوها وشراحها . وهى تتصل بالنص الذى تخيرناه لكعب بسبب ، ذلك أنه ذكر المهاجرين فى لاميته ولم يذكر الأنصار ، فشق ذلك عليهم وقالوا : ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريش، فكانت هذه القصيدة الرائية التى تعد من عيون شعر كعب .

* * *

قال كعب (*)

١ مَن سَرَّهُ كَرَمُ الحياة فَلَا يَزَلْ ... فى مِقْنَبٍ من صالحى الأَنصار

٢ تَزِنُ الجِبَـالَ رَزَانةً أَحلامُهم ... وأَكفُّهم خَلَفٌ من الأَمطار

٣ المُكْرِهِينَ السَّمْهَرِىَّ بِأَذْرُعٍ ... كصَواقِل الهندىِّ غير قِصار

٤ والنَّـاظرين بأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْرِ غيرِ كَلِيلَةِ الإِبصار

(*) أنظر ديوانه برواية السكرى – مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م : ٢٥ – ٤٠

(١) المقنب : الجماعة من الفرسان .

(٢) أحلامهم : عقولهم ، خلف : بديل .

(٣) السمهرى : الرمح الشديد ، ويعنى بصواقل الهندى : السيوف ، ويعنى بالمكرهين الذين يحملونها على المكروه .

(٤) يعنى بالأعين المحمرة أن أعينهم لا تتحير من الدهشة فى وقت الحرب ولكنها تتقد كالجمر غضبا ورغبة فى القتال ، والكليلة : الضعيفة .

٥ والذائدينَ النّـاسَ عن أديانهم بالمَشْرَفيِّ وبالقنـا الخَطّار

٦ والبـاذلين نُفُوسَهم لِنَبِيِّهم يَوْمَ الهِيَاج وقُبَّةِ الجَبّـار

٧ دَرِبُوا كما دَرِبت أُسودُ خَفِيَّةٍ غُلْبُ الرِّقَابِ من الأُسود ضَوارِى

٨ وَهُمُ إذَا خَوَتِ النُّجُومُ فإنهم للطائفين السائلين مَقارِى

٩ وَهُمُ إذا انقلبوا كأَن ثيابَهم منهـا تَضَـوَّعُ فَأْرَةِ العطار

١٠ والمُطْعِمُونَ الضَّيْفَ حِينَ يَنُوبُهم من لَحْمِ كُومٍ كالهضاب عِشار

١١ والمُنْعِمُونَ المُفْضِلُون إذا شَتَوْا والضّـاربون عِلَاوةَ الجبّـار

١٢ رُمِيَتْ نَطاةُ من الرسول بِفَيلَقٍ شَهباءَ ذات مناكب وفقـار

---

(٥) المشرفى : السيوف ، والقنا : الرماح والخطار الذى إذا هز تتابع مقدمه ومؤخره .

(٦) الهياج : الحرب ويعنى بقبة الجبار بيت الله الحرام وهو يقسم به .

(٧) دربوا : اعتادوا ، خفية : إسم موضع كان كثير الأسد ، الغلب جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة ،

(٨) خوت النجوم : لم يكن لها مطر ، والمقارى جمع مقرى وهو الذى يكرم الضيف .

(٩) انقلبوا : أى عادوا من الحرب ، وتضوع الطيب فيحانه وانتشار رائحته ، وفأرة العطار : نافجة المسك .

(١٠) ينوبهم : يأتيهم ، الكوم : جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام ولهذا شبهها بالهضاب ، والعشار جمع عشراء وهى الناقة التى أتت عليها عشرة أشهر من حملها ، وهى عزيزة عليهم لأنها إذا نحرت نحر إثنان : هى وولدها .

(١١) شتوا : أى دخلوا فى الشتاء وهو وقت الجدب ويحمد من يطعم ويفضل فيه . والعلاوة : العنق .

(١٢) نطاة : اسم لأرض خيبر وقال بعض العلماء : هى حصن بها ، وقيل : هى عين تسقى بعض نخيل قراها ، الفيلق : الجيش العظيم .

١٣ بالمُرْهَفاتِ كأَن لَمْعَ ظُبَاتها لَمْعُ السَّوارى فى الصَّبِيرِ السَّارى

١٤ لا يشتكون الموتَ إن نزلتْ بهم شَهباءُ ذاتُ مَعَاقِمٍ وأُوار

١٥ وإذا نزلت لِيَمْنَعُوكَ إليهمُ أَصبحتَ عند مَعَاقِلِ الأَغْفار

١٦ وَرِثُوا السِّيادةَ كابرًا عن كابر إنَّ الكرامَ هُمُ بنو الأَخيار

١٧ للصُّلْب من غَسَّانَ فوق جَرَاثِمٍ تَنْبُو خوالِدُها عن المِنْقار

١٨ لو يعلم الأَحياءُ علمىَ فيهمُ حقًّا تَصَدَّقنى الذين أُمارى

١٩ صَدَموا عَلِيًّا يوم بَدْرٍ صَدْمَةً دانت علىٌّ بعدها لِنزار

---

(١٣) المرهفات : السيوف ، الظبات جمع ظبة وهى مقدم السيف ، السوارى : السحائب التى تأتى ليلا وهو أشد للمع البرق فيه ، الصبير : السحاب الأبيض .

(١٤) معاقم : أى هلاك من قولهم : حرب عقيم وذلك لكثرة قتلاها ، الأوار : الغبار الذى يثور من الحوافر لشدة وقعها .

(١٥) معاقل : حصون ، الأغفار : جمع غفر وهو ولد الأروى أى أنثى الوعول ، ولا يكون الغفر إلا فى الجبال .

(١٦) كابر : أى كبير شريف .

(١٧) الجراثم : الأصول ، خوالدها : جبالها ، يريد أن المعاول لا تؤثر فيها وهو معنى تنبو والمنقار الذى تقطع به الحجارة ، والصلب : الجد الأعظم ، وغسان : ماء نسب إليه بنو عمرو بن عامر مزيقياء وهم من الأزد فغلب على نسبهم هذا الموضع .

(١٨) أمارى : أشك

(١٩) على : هو على بن بكر بن وائل وقيل على أخو عبد مناة بن كنانة بن خزيمة من أمه، وقيل على بن مسعود بن مازن بن ذئب بن حارثة بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد من غسان ، وهذا القول الثالث بيان للثانى .

٢٠ يتطهّرون كأنّه نُسْكٌ لهم … بدماء مَن عَلِقُوا من الكُفّار

٢١ وإليهمُ استقبلْتُ كُلَّ وَرِيقَةٍ … شَهباءَ يَسْفَعُ حَرُّها كالنّار

٢٢ ومَريضَةٍ مَرَضَ النُّعَاسِ ذَعَرْتُها … بادَرْتُ عِلَّةَ نَومِها بفِرار

٢٣ وعلمتُ أنّي مُصْبِحٌ بمَضِيعَةٍ … غبراءَ تَعْزِفُ جِنُّها مِذكار

٢٤ وكَسَوْتُ كاهلَ مُرَّةٍ مَنْهُوكَةٍ … بالفجر حارِيًّا عديم شِوار

٢٥ سلِسَتْ عَرَاقِيه فكل قبيلةٍ … مِن حِنْوه قَلِقَت إلى مِسمار

---

(٢٠) النسك : كل شيء ذبح في الحرم

(٢١) الوريقة : شدة الحر ، يسفع : يلفح

(٢٢) مريضة مرض النعاس يعني عين نفسه ، وعلة نومها : ما تعتل به من النوم ، يقول : لم أتركها تنام والفرار : قلة النوم ، ذعرتها : أفزعتها .

(٢٣) مضيعة : أرض خالية يضاع فيها لأنها لا تسلك ، غبراء : علتها هبوة من جدبها وقلة خيرها ، تعزف : تصوت ، مذكار : قيل لا يسلكها إلا الرجال ، وقيل ذات هول وفزع ، تذكرهم ذلك وتذكر إليهم الخراب .

(٢٤) منهوكة : نهكها السير ، حاريا : هو الرحل المنسوب إلى الحيرة ، عديم شوار : أي رحل حسن لا شيء عليه يواريه ، أو أنه رحل قد عدم نظيره ، وقد فعل ذلك لشدة بأسه لأنه لا يرهب أحدا .

(٢٥) سلست : استمرت ، والعراقي عيدان صغار تكون في مقدمة الرحل ، وقيل العرقوتان من الرحل والقتب خشبتان تضمان ما بين الواسط والمؤخرة . وكل قبيلة حنو ، وأحناء الرحل : خشبه وي[illegible]وي علقت على مسمار .

٢٦ وَسَدَتْ مُهَمْلِجَةً عُلَالَةَ مُدْمَجٍ — من فالقٍ حَصِدٍ من الإمرار

٢٧ حتى إذا اكْتَسَتِ الأَبَارِقُ نُقْبَةً — مثل المُلاءِ مِن السَّراب الجارى

٢٨ ورَضِيت عنها بالرِّضا لما أتت — من دُونِ عُسْرَةِ ضِغْنِها بيَسَار

٢٩ تَنْجُو بها عُنُقٌ كِنَازٌ لحمُها — حفَزَت فَقَارًا لاحِقًا بِفقَار

٣٠ فى كاهِلٍ وَشَجَتْ إِلَى أَطْباقِه — دَأَيَاتُ مُنْتَفِخٍ من الأَزْوار

---

(٢٦) وسدت : من السدو وهو أن تدحو بيديها دحوا أى ترمى بهما رميا ، والمهملجة : ضرب من سيرها السريع ، وعلالة كل شىء بقيته التى يتعلل بها ، والمدمج : السوط والفالق يعنى سوطا من فليق العنق ، وهو ما انفلق من العلباوين من الجلد ، والعلباوان عصبتان صفراوان فى صفحتى العنق بينهما منبت العرف . والحصد : الشديد الفتل ، والإمرار : الفتل .

(٢٧) الأبارق : جمع أبرق وهو مرتفع من الأرض غليظ ، وقيل : أماكن يختلط فيها الرمل والطين والحصى ، ونقبة : لباس من السراب ، يقول : تلفعت به فكأنها انتقبت والملاء : الملاحف البيض ، الجارى : الذى يترقرق ويتخيل .

(٢٨) الضغن هنا أن تشتاق إلى وطنها فتراها كالمتكارهة لوجهها الذى يراد بها لأنه طريق غير طريق وطنها ، واليسار : اليسر واللين ، فكأن الناقة كان فى قلبها هذا الضغن الذى بينا معناه فكانت لا تسير سيرا سريعا ثم ياسرت بعد ذلك .

(٢٩) حفزت فقارا أتبعت بعضه بعضا أى لا تخذل المقدمة المؤخرة ، وتنجو : من النجاء وهو السرعة . كناز : مكتنزة ، حفزت : رفعت ، والفقار : خرز الصلب والعنق والذنب .

(٣٠) وشجت : دخلت بعضها فى بعض ، الأطباق والدأيات شىء واحد وهى فقار العنق وقيل الدأيات : مغارز الأضلاع فى الجنب والأطباق : صفحات العنق ، الأزوار : جمع زور وهو الصدر .

٣١ وتُدِيرُ لِلخَرْقِ البعيدِ نياطُهُ بعد الكلال وبعد نَوْم السَّارى

٣٢ عيْنًا كمرآة الصَّناع تُدِيرُها بـأَنامل الكَفَّيْن كُلَّ مُدار

٣٣ بجمال محْجرها وتعلمُ ما الذى تُبْدِى لِنَظْرةِ زوجها وتوارى

---

(٣١) نياطه : متعلقه ، يقول : ليس يكسر سير الليل والأعياء من عينها لأنها لا تبالى بالإدلاج ، والخرق الذى انخرق فى الفلاة فذهب ، وأراد أن نياطه متعلقة ببلد آخر ، والكلال : الإعياء ، والسرى : سير الليل .

(٣٢) الصناع : المرأة الحاذقة بالعمل فمرآتها أبدا مجلوة حسنة

(٣٣) يشبه عين الناقة فى حدتها وصفائها بمرآة هذه المرأة ، والمحجر : ما أحاط بالعين من خارجها والمرأة الصناع تجلو مرآتها لأنها تكثر النظر إلى وجهها متزينة لزوجها .

العجاج

(ت ٨٦ هـ)

العجاج :

عبد الله بن رؤبة بن لبيد من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة من تميم . ويكنى بأبى الشعثاء ، ابنته. راجز مجيد ولد في الجاهلية وقال الشعر ثم أسلم وعاش إلى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد . وهو والد رؤبة الراجز المشهور.

وهو في هذه القطعة يصف الشيب الذى جلل رأسه وجعل النساء يعرضن عنه بعد ما كن يواصلنه ويتهافتن عليه .

* * *

قال :

١ ما للغوانى مُعرِضاتٍ صُدَّدَا

٢ وقد أراهنَّ إليـنَا عُنَّـدا

٣ بالطَّرْفِ واللبـاتِ خُزرًا قُوَّدا

٤ لما رأين الشيبَ قـد تعَهَّدَا

(١) معرضات : مبتعدات . صددا : متجافيات

(٢) عندا : مائلات .

(٣) اللبة : النحر . الأخزر : الذى ينظر من جانب ، قودا : طائعات .

٥ وَجَانِبَىْ لِمَّتِهِ تَجَـــرَّدا

٦ والشـعَراتِ المقـدِماتِ بُيَّدا

٧ أَجْـلَى جَـلًا منه الذى تَفَقَّدَا

٨ مِنْ أَمَـلِى اليـومَ وترجائى غَدا

٩ فَقَد أكون للغوانى مِصْيَـدا

١٠ مُـلاوةً كأَن فوقى جَـلَدَا

١١ فَقُلْن قد أَقصَرَ أَوقد عَـوَّدا

١٣ عن وَصْلِنَا العَجَّاجُ أَو تَجَلَّدا

(٥/٦) اللمة : مقدمة الرأس إذا طال شعرها إلى الجانبين ، وإلا فهى جمة . تجرد : ذهب ، بيدا : بائدات ، يصف صلع مقدمة رأسه .

(٩—١٠) مصيدا : كثير الإغواء لهن ، ملاوة : زمنا . كأن فوقى جلدا : كأنه البو ، وهو جلد حوار الناقة يحشى تبنا فترأمه أمه وتدر عليه يقول : كانت النساء يتعطفن على ويرأمننى زمنا .

(١١) عودا : لعلها عردا : أى تجنب ونأى معرضا .

مسكين الدارمى

(ت ٨٩ هـ)

هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْف بن شريح الدارمى التميمى ،ومسكين لقب غلب عليه لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جِدٌّ نَطِقْ

كما لقب نفسه بالمسكين فى مواضع أُخرى كثيرة من شعره. شاعر شريف من سادات قومه من أهل العراق ، هاجى الفرزدق لأنه نقض رثاءه لزياد بن أبيه ، وكان الفرزدق لزياد كارها لطلبه إياه وإخافته له ، فقال :

أمسكين أبكى الله عينك إنما جرى فى ضلال دمعها فتحدرا ...الخ.

فأجابه مسكين ، ولكن الفرزدق اثناه أن يعين عليه جريرا ، وكان الفرزدق يقول : نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبنى ، ونجوت من ابنى رُمَيْلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى لأنه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبى وفخرى ، لأنه من بحبوحة نسبى وأشراف عشيرتى .

ويرى بعض رواتنا الأقدمين أن أبيات مسكين في الغيرة هي أشعر ما قيل فيها. وله أخبار كثيرة مع معاوية وزياد بن أبيه ويزيد بن معاوية ، ومسكين هو الذى دعا في شعر له إلى البيعة ليزيد .

وفيها قوله :

إذا المنبر الغربىُّ خَلَّاه ربُّه فإن أمير المؤمنين يزيدُ

ولمسكين أبيات طريفة فى فتاة من قومه خطبها فكرهته لسواد لونه وقلة ماله ، وتزوجت بعده رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، ومن هذه الأبيات قوله .

رب مهزول سمين بيته وسمين البيت مهزول النسب
أَصبحتْ تُرزق من شحم الذرى وتخال اللومُ دُراً يُنتهب

توفى مسكين الدارمى عام ٨٩ هـ . على أرجح الأقوال .

والنص الأول يودع فيه الشاعر خلاصة تجربته فى الحياة ، أما النص الثانى فيصور فخره بنسبه وشيمه الكريمة و كلا النصين من روائع شعر مسكين .

* * *

قال مسكين الدارمى :

١ إتَّق الأحمق أن تصحبَه إنما الأحمقُ كالثوب الخَلَق

٢ كلمَّا رقَّعتَ منه جانبًا حرَّكَتْه الرِّيحُ وَهْنًا فانخرق

٣ أو كصَدْعٍ فى زجاج فاحشٍ هل ترى صَدْعَ زجاج يَتَّفِق

٤ وإذا جالسته فى مجلس أفسد المجلسَ منه بالخَرَق

٥ وإذا نهنهته كى يرعوى زاد جهلًا وتمادى فى الحُمُق

٦ وإذا الفاحشُ لاقى فاحشًا فهنا كم وافق الشَّنُّ الطبَق

٧ إنما الفُحشُ ومن يعتادُه كغُراب السَّوْءِ ما شاءَ نعَق

٨ أو حِمار السَّوْءِ إن أشبعتَه رَمَحَ النَّاسَ وإن جاع نَهَق

٩ أو غُلَامِ السَّوْءِ إن جَوَّعْتَه سرقَ الجارَ وإن يَشْبَع فَسَق

١٠ أو كغيرى رَفَعت من ذَيْلها ثم أَرْخَتْه ضِرَارًا فانْمَزَق

١١ أيها السَّائل عمَّا قد مضى هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَق

١٢ أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جِدُّ نَطِق

١٣ لا أَبيع النَّاسَ عِرضى إننى لو أَبيعُ النَّاسَ عرضى لَنَفَق

---

(١) الخلق : البالى .

(٢) وهنا : ضعفا .

(٣) صدع : كسر ، فاحش : غالب ، يتفق : يلتئم .

(٤) الخرق : الحمق .

(٥) نهنهته : كففته وزجرته ، يرعوى : يكف ويزدجر .

(٦) وافق الشن الطبق مثل عربى يقصد به التطابق والتماثل وفيه تفسيرات كثيرة .

(٨) رمح : رفس .

وقال أيضًا :

١ إن أدعَ مسكينًا فمـا قَصَرَتْ قِدْرِى بُيُوتَ الحىِّ والجُدُرُ

٢ ما مَسَّ رَحْـلِى العَنْكَبُوتُ ولا جَدَيَاتُه من وَضْعِهِ غُبر

٣ لا آخـذُ الصِّبيانَ أَلْثِمُهُم والأَمرُ قد يُعـزَى به الأَمر

٤ ولَرُبَّ أمر قد تركتُ وما بينى وبين لقائه سِتْر

٥ ومُخَـاصِمٍ قاومتُ فى كَبَدٍ مثلِ الدِّهـانِ فكان لى العُذْر

٦ ما عِلَّتِى قـومى بنو عُـدُسٍ وهمُ المـلُوك وخـالىَ البشْر

٧ عَمِّى زُرَارةُ غـير مُنْتَحَل وأبى الذى حُـدِّثْتَهُ عمرو

٨ فى المجد غُرَّتُنا مُبَيَّنةٌ للناظرين كأنها البدر

٩ لا يرهب الجـيرانُ غَـدْرَتَنا حتى يُوَارِىَ ذكرنَا القَـبْرُ

١٠ لسـنا كأقوام إذا كَلَحت إحـدَى السِّنينَ فَجَارُهُم تَمْر

---

(١) قصرت : سترت فهى بارزة لا تحجبها السواتر والبطان .

(٢) جديَاته جمع جدية وهى باطن دفة الرحل . وفيه كناية عن الرحلة المستمرة وعدم الخمول .

(٣) يعنى لا يقبل الصبى وهو يريد أن يصل لأمه .

(٥) الكبد : المشقة والمزلة التى لا تثبت فيها الأرجل ، الدهان : الأديم الأحمر .

(٦) عدس قومه ويقول العلماء كل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس بن زيد هذا فإنه مضموم الدال .

(١٠) فجارهم تمر : أى يستحل الغدر به كما يستحل التمر ، السنين : جمع سنة وهى المجاعة .

١١ مولَاهُم لحمٌ علـى وَضَمٍ — تنتـابُه العِقْبَـان والنَّسْر

١٢ نارى ونار الجـار واحـدة — وإليه قبـلى تُنْزَل القِـدْر

١٣ ماضَرَّ جَـارىَ أن أُجَـاوِرَه — أنْ لا يكون لبيتـه سِـتْرُ

١٤ أعشَى إذا ما جـارتى خرجت — حتى يوارىَ جـارتى الخِدْر

١٥ ويَصِمُّ عمَّـا كان بينهمـا — سمعى وما بى غـيرَه وَقْر

---

(١١) أصل الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير ، وتركهم لحما على وضم : أوقعهم فذللهم وأوجعهم .

(١٥) الوقر : ثقل فى الأذن أو ذهاب السمع .

الأخطل

(ت ٩٠ هـ)

هو غياث بن غوث بن الصَّلْت بن طارقة بن عمرو بن سيحان التغلبى ، والأَخطل لقب له ، نشأعلى المسيحية – وهى قديمة فى بنى تغلب – فى أَطراف الحيرة بأَرض العراق واتصل بالأُمويين فكان شاعرهم الذى يمدحهم ويدافع عنهم ضد الأَحزاب السياسية الأُخرى المعارضة لهم ، وتهاجى مع جرير بسبب الخلاف بين قبيلتى قيس وتغلب ، وتردد فى إقامته بين دمشق مركز الخلافة الأموية ، والجزيرة حيث يقيم بنو تغلب ، وهو أَحد الثلاثة المتقدمين على كونهم أَشعر أَهل عصرهم ، والآخران جرير والفرزدق . وكان شديد العناية بصقل شعره وتهذيبه ، ويقدمه عدد من العلماء بالشعر على غيره حتى على جرير والفرزدق . ولد سنة ١٩ هـ .

ومناسبة النص الأول الذى اخترناه له أَنه قدم الكوفة وقد حمل حمالتين ، فأَتى شداد بن المنذر فمنعه ، ثم أَتى حوشب بن يزيد بن رُوَيْم فنهره ، فأَتى عكرمة بن ربعى الفياض فحكى له أَن تحمل حمالتين يحقن بهما دماء قومه فرده شداد وحوشب ، فأَعطاه عكرمة ما سأَل .
ثم حدث أَمر بالكوفة اجتمع الناس له فى المسجد ، فقيل للأَخطل : إن أَردت أَن تكافئ عكرمة يومًا فاليوم . فركب فرسه ، ولبس جُبَّة خزر ومطرفا وتقلد صليبًا من الذهب ، فلما صار بباب المسجد نزل ،

فلما رآه شداد وحوشب نكسا رأسيهما ، وقال عكرمة : إلينا أبا مالك أوسع له فاندفع ينشد القصيدة فى مديحه وهجاء من منعه .

أما النص الثانى فهو فى مديح عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاص .

* * *

قال الأخطل :

١ لِمَنِ الديارُ بحائلٍ فَفُوعالِ	دَرَستْ وغَيَّرَها سِنُونَ خوالى
٢ درجَ البوارحُ فوقها فتنكَّرتْ	بعدَ الأَنيس معارفُ الأَطلال
٣ فكأَنما هى من تَقادُمِ عهدها	رَقٌّ نُشِرْنَ من الكتاب بوالى
٤ دِمَنٌ تُذَعْذِعُها الرِّياحُ وتارةً	تُسقَى بمُرتجزِ السَّحاب ثقال
٥ باتت يَمانِيَةُ الرِّياحُ تقودُه	حتى استقاد لها بغير حبال
٦ فى مظلمٍ غَدِقِ الرَّباب كأَنما	يَسقى الأَشَقَّ وعالجاً بِدوَالى

(١) درست : امحت وعفا أثرها ، الخوالى : جمع خالية وهى الماضية .

(٢) درج : جرى جريا شديداً ، البوارح : الرياح التى تحمل التراب فى شدة الهبوب .

(٣) تقادم : قدم .

(٤) دمن : آثار ، تذعذعها : تفرقها ، مرتجز السحاب : رأعدها والثقال : لكثرة ما فيها من ماء .

(٥) استقاد : خضع وانقاد .

(٦) غدق : كثير المياه ، الرباب : السحاب ، الأشق وعالج اسما موضعين ، الدوالى جمع دالية وهى الناعورة .

٧ وعلى زُبالةَ باتَ منه كلكلٌ ... وعلى الكثيب وقُلَّة الأَرْحال

٨ وعلا البسيطة فالشقيقَ بريِّق ... فالضَّوْجَ بين رُوَيّةٍ فَطِحال

٩ دارٌ تبدَّلت النَّعام بأهلها ... وصِوارَ كل مُلمَّعٍ ذَيَّال

١٠ أُدْمٌ مُخَدَّمَةُ السَّواد كأنها ... خَيْلٌ هوامِلُ بِتن فى الأَجلال

١١ ترعَى بمازِجُها خِلَال رياضها ... وتَميس بين سباسِب ورمال

١٢ ولقد تكون بها الرَّبابُ لذيذةً ... بفم الضجيع ثقيلةَ الأَوصال

١٣ يجرى ذكيُّ المسك فى أَردانها ... وتَصِيد بعد تقتُّلٍ ودلال

١٤ قَلْبَ الغَوىِّ إذا تنبَّه بعدما ... تَعثَلُّ كلُّ مُنالةٍ مِتفال

---

(٧) زبالة : اسم مكان ، الكلكل : الصدر ، الكثيب : التل من الرمل ، القلة : الذروة والأرحال : أرض منخفضة غائرة .

(٨) البسيطة والشقيق وروية وطحال : أسماء مواضع ، والريق : مقدم المطر وثقله وضوج الوادى : جانبه .

(٩) الصوار : جماعة البقر الوحشى ، والملمع : الثور الوحشى فى جسده بقع تخالف سائر لونه ، الذيال : الطويل الذيل .

(١٠) أدم : بيض ، مخدمة السواد : أى فى أرساغها سواد ، هوامل : مهملة ، الأجلال جمع جل وهو ما يجعل على الدابة ليصونها وقد شبه بياض البقر الوحشى بخيل عليها جلال بيض وقد بدت قوائمها سودا .

(١١) المازج : جمع بمزج وهو ولد البقر ، تميس : تتبختر فى مشيتها ، السباسب : جمع سبسب وهى الأرض القفر المستوية .

(١٢) يريد أنها ممتلئة الأعضاء .

(١٣) الأردان : جمع ردن وهو الكم ، التقتل : التثنى فى المشى .

(١٤) الغوى : المحب للغواية واللهو ، تعثل : تتغير رائحة فيها ، المنالة : المرفوضة المكروهة متفال : نتنة الرائحة .

١٥ عشنا بذلك حِقبَةً من عيشنا وثَرًى من الشَّهوات والأَموال

١٦ ولقد أكون لهن صاحبَ لذَّة حتى تغَيَّرَ حالُهن وحالى

١٧ فتنكَّرَتْ لما عَلَتْنى كَبْرَةٌ عند المشيب وآذنت بزيال

١٨ لما رأَت بَدَلَ الشباب بكت له والشَّيْبُ أَرذلُ هذه الأَبدال

١٩ والناس هَمهمُ الحياةُ وماأَرى طُولَ الحياة يزيد غيرَ خَبال

٢٠ وإذا افتقرْتَ إلى الذخائر لم تجد ذُخْرا يكون كصالح الأَعمال

٢١ ولئن نَجَوْت من الحوادث سالماً والنفسُ مشرِفةٌ على الآجـال

٢٢ لأُغَلْغِلَنّ إلى كريم مِدْحةً ولأُثْنِيَنَّ بنَـائلٍ وفَعـال

٢٣ إن ابن ربْعىٍّ كفـانى سَيْبُهُ ضِغْنَ العـدوِّ ونَبوَةَ البُخَّال

٢٤ أَغْلَيْتَ حين تَوَاكَلَتْنِي وائل إن المكارمَ عنـد ذاك غوالى

٢٥ ولقد شَفَيْتَ غَليلَتى من معشر نزلوا بعَقْـوةِ حَيَّةٍ قَتَّـال

٢٦ بَعُدَتْ قُعورُ دِلائهم فرأَيتَهُم عنـد الحمَالة مغلقى الأَقفال

---

(١٥) الثرى : الندى .

(١٧) كبرة : كبر السن ، آذنت : أعلمت ، الزيال : المفارقة .

(٢٢) أغلغل : أرسل ، النائل : العطاء ، الفعال : العمل الطيب .

(٢٣) سيبه : عطاؤه ، نبوة : جفوة ومنع .

(٢٤) أغلى : بالغ وجاوز الحد فى الكرم ، تواكلتنى : تركتنى ولم تهتم بى .

(٢٥) الغليلة : الحر الكامن من شدة العطش ، العقوة : الساحة .

(٢٦) الحمالة : الدية التى يحملها الإنسان عن غيره .

٢٧ ولقد مَنَنْتَ على ربيعةَ كلها ... وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذّال

٢٨ كَزِّمِ اليدين عن العطية مُمْسِك ... ليست تَبِضُّ صفاتُه ببلال

٢٩ مِثل ابن بَزْعَة أو كآخرَ مثلِهِ ... أَوْلَى لكَ ابنَ مُسِيمَةِ الأَجمال

٣٠ إن اللَّئِيم إذا سأَلتَ بَهَرْتَهُ ... وترى الكريم يَراحُ كالمُختال

٣١ وإذا عَدَلْتَ به رجالًا لم تَجدْ ... فَيْضَ الفُرات كراشِح الأَوْشال

٣٢ وإذا تَبَوَّعَ للحَمَالةِ لم يكن ... عنها بمُنْبَهِرٍ ولا سَعَّال

٣٣ وإذا أَتى بابَ الأَمير لحاجةٍ ... سَمَتِ العُيُونُ إلى أَغَرَّ طُوال

٣٤ ضَخْمٍ سُرادِقُه يُعارض سَيبُهُ ... نفحاتِ كلِّ صبا وكلِّ شَمال

٣٥ وإذا المُؤُونَ تُؤُوكِلَتْ أَعناقُها ... فاحملْ هنَاكَ على فَتًى حَمّال

(٢٧) مواكل : متخاذل ، خذال : مناع العطاء .

(٢٨) كزم اليد : ضيق الكف كناية عن بخله ، تبض : تندى ، الصفاة : الصخرة الملساء ، بلال : جمع بلل .

(٢٩) ابن بزعة هو شداد بن البزيعة ، وأراد بالآخر : مرشد بن يزيد ، أولى لك ويلك المسيمة : الراعية .

(٣٠) يراح : تأخذه الأريحية ، بهرته : فدحته .

(٣١) عدلت : قارنت ، الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .

(٣٢) تبوع : من باعه ، منبهر : منقطع النفس .

(٣٣) أغر : أبيض ، طوال : مفرط فى الطول .

(٣٤) السرداق : ستر الدار يمد حول صحنها ، السيب : العطاء ، الصبا : ريح لطيفة ، شمال : ريح باردة تأتى من الشمال .

(٣٥) تؤوكلت : اتكل بعضها على بعض ، أعناقها : جماعاتها .

٣٦ ليست عَطِيَّتُه إذا ما جئته نَزْرًا وليس سِجالُه كَسِجَال

٣٧ فهو الجَواد لمن تقرَّض سَيْبة وابنُ الجواد وحاملُ الأثقال

٣٨ ومُسَوَّمٍ بِخِرَقٍ الحُتُوف تقودُه للطعن يوم كريهةٍ وقتال

٣٩ أَقْصَدْتَ قائدَها بعامل صَعْدَةٍ ونَزَلْتَ عند تواكُل الأبطـال

٤٠ والخَيْلُ عابسَةٌ كأَن فُروجَها ونُحورَها يَنْضَحْن بالجريال

٤١ والقومُ تختلف الأَسِنَّةُ بينهم يَكْبُونَ بين سَوافِلٍ وعوالى

٤٢ ولقد تَرُدُّ الخيلَ عن أهوائها وتلُفُّ حَـدٌّ رجالها برجـال

٤٣ ومُوَقَّعٍ أَثَرُ السِّفار بخَطْمِه من سُودِ عَقَّةَ أَو بنى الجَـوَّال

٤٤ يَمْرِى الجَلَاجِلَ مَنْكِباهُ كأَنه قُرْقُورُ أَعجمَ من بحَـار أُوال

---

(٣٦) النزر : القليل ، السجال : جمع سجل وهى الدلو العظيمة .

(٣٨) المسوم : المعلم بعلامة دليل الشجاعة . الخرق : الرايات .

(٣٩) أقصده : قتله فى مكانه، العامل : القسم الأعلى من الرمح ، الصعدة : القناة المستوية . تواكل : اتكال بعضهم على بعض .

(٤٠) ينضح : ينزف ، الجريال : الخمر شبه الدماء بها .

(٤١) السوافل : جمع سافلة وهو النصف الأسفل من الرمح والعوالى عكسها .

(٤٢) تلف : تقهر وترد .

(٤٣) الموقع : البعير به أثر القتب ، السفار : حبل يشد على خطم البعير ، والخطم مقدم الأنف والفم ، والسود : يعنى الجمال السود ، وعقة : قبيلة من النمر بن قاسط ، وبنو الجوال من تغلب .

(٤٤) يمرى : يحرك ، الجلاجل : جمع جلجل وهو الجرس . القرقور : السفينة العظيمة ، التجار : جمع تاجر ، أوال : مكان بالبحرين .

٤٥ بَكَرَتْ عليَّ به التِّجَارُ وفوقه أحمـالُ طيِّبةِ الرِّياحَ حَـلال

٤٦ فوضعتُ غـيرَ غَبيطِه أثقالَه بسِـباء لَا حَصِـرٍ وَلَا وَغَّـال

٤٧ ولقد شَربْتُ الخَمْرَ فى حانوتِها وشربتُهـا بـأريضَةٍ مِحْلَال

٤٨ ولقد رَهَنْتُ يدى المَنِيَّةَ مُعْلِمَا وحَمَلْتُ عنـدَ تَوَاكُلِ الحُمَّال

٤٩ فلأَجعلنَّ بنى كليب شـهرةً بعَوارمٍ ذَهَبَتْ مع القُفَّال

٥٠ كلُّ المكارم قد بَلَغتُ وأنتمُ زَمَعَ الكِلَاب مُعانِقو الأَطفال

٥١ وكأنما نَسِيَتْ كليْبٌ غَيْرَها بين الصَّريح وبين ذى العُقَّال

٥٢ يمشون حول مُخَدَّمٍ قد سَحَّجَتْ مَتْنَيْه عِـدْلُ حَناتِم وسِخال

(٤٥) الرياح : يعنى الروائح .

(٤٦) الغبيط : الرحل وعيدانه ، السباء : شراء الخمر ، الحصر : البخيل ، الوغال : الداخل على القوم فى شرابهم دون دعوة .

(٤٧) الأريضة : الخصبة ، المحلال : المختارة للنزول .

(٤٨) إذا ضمن فقدرهن به ، المعلم : الذى يضع فى الحرب علامة دلالة على شجاعته .

(٤٩) شهرة : أى مشهرا بهم ، العوارم : جمع عارمة وهى القصيدة الشديدة الهجاء . القفال : جمع قافل وهو العائد ، أى أن القصيدة سوف تسير بها الركبان .

(٥٠) زمع : جمع زمعة وهى الزائدة فوق رسغ الكلب من مؤخر الرجل ، معانقو الأطفال : يعنى أنهم لايفارقون أطفالهم لإكتساب مجد ، دلالة على ضعفهم وخنوعهم .

(٥١) الصريح وذو العقال : فحلان من الخيل مشهوران ، الأول لبنى نهشل بن دارم والآخر لبنى رياح بن يربوع .

(٥٢) المخدم : الحمار الذى اسود موضع خلخاله ، سحج : قشر وخدش ، السخال جمع سخلة وهى ولد الشاه . والحناتم : الجرار الخضر .

٥٣ وإذا أَتَيْتَ بنى كليب لم تجد عـددًا يُهابُ ولا كبيرَ نَوال

٥٤ العـادلين بدارمٍ يَرْبُوعَهم جَدْعًا جريرُ لألأَمِ الأعـدال

٥٥ وإذا وَرَدْتَ جريرُ فاحبسْ صاغرا إنَّ البُكُورَ لحاجب وعِقَـال

* * *

(٥٤) دارم : رهط الفرزدق ، ويربوع رهط جرير ، الجدع : القطع .

(٥٥) حاجب وعقال : من بنى دارم ، أراد : إذا وردت بحميرك فاحبسها حتى يستق بنو دارم دلالة على قوتهم وضعف قومك .

وقال الأخطل :

١ أَلم تَعْرِضْ فتسأَلَ آلَ لَهْوٍ   وأَرْوَى والمُدِلَّةَ والرَّبابا

٢ بأَيامٍ خَوالٍ صالحاتٍ   ولَذَّاتٍ تذكِّرُني الشبابا

٣ نزلتُ بهن فاستَذْكَيْن نارًا   قليلًا ثم أَسرعن الذهابا

٤ نواعِمُ لم يقِظْنَ بجُدِّ مَقْلٍ   ولم يَقْتلِفْنَ عن حَفَضٍ غُرابا

٥ وكُنَّ إِذا بَدَوْنَ بقُبْلِ صَيْفٍ   ضَرَبْنَ بجانب الحَفَرِ القِبابا

٦ كأَن الرَّيْطَ فوق ظِباءِ فَلْجٍ   غداةَ لَبِسْنَ للبَيْنِ الثيابا

٧ ففارَقْنَ الخَليطَ على سفينٍ   تشقُّ بهن أَمواجًا صِعابا

٨ ترى المَلَّاحَ مُحتَجِزًا بليفٍ   يؤُمُّ بهن آجامًا وغابا

٩ إِذا التُّبَّانُ قَلَّصَ عن مُشِيحٍ   صدَفْنَ ولم يُرِدْنَ له عتابا

---

(١) لهو أروى والمدلة والرباب : أسماء نساء .

(٢) الخوالى : الماضية .

(٣) استذكين : أوقدن .

(٤) يقظن : أقمن فى الصيف ، الجد : البئر ومقل : موضع معروف ، والحفض : البعير يحمل متاع القدم ، وكل ما كان من سقط المتاع ورديه ومن الناس أيضا سمى خفضا .

(٥) قبل الصيف : أوله ، الحفر : موضع ويريد الشاعر أنهم لا يتبذلن أنفسهن فوصفهن بالستر والخفر .

(٦) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة البيضاء ، فلج : إسم موضع .

(٧) الخليط : العشير والقرين وقد جعل الشاعر هنا الإبل كأنها سفين .

(٨) محتجزا : أى شد وسطه وهنا جعل الجمال ملاحا .

(٩) التبان : السروال القصير يلبسه الملاحون ، قلص : ارتفع وانشمر ، المشيح : الجاد المنكمش صدفن : عدلن .

١٠ يَعِجُّ الماءُ تحت مُسَخَّرَاتٍ يَصُكُّ القارَ والخَشَبَ الصِّلابا

١١ يَعُمْنَ على كلاكلهنَّ فيه ولو يُزْجَى إليه الفِيلُ هابا

١٢ إذا ما اضطرَّهُنَّ إلى مَضِيقٍ ومَوْجُ الماءِ يَطْرُدُ الحَبَابا

١٣ تَتابُعَ صِرْمَةِ الوَحَدِىِّ تأوى لأُولَاها إذا الراعى أَهابا

١٤ رَجَنَّ بحيث تَنْتَسِغُ المطايا فلا بَقًّا يَخَفْنَ وَلَا ذُبابا

١٥ إذا أَلقَوْا مَرَاسِيهنَّ حَلُّوا دَبِيبَ السَّبْىِ يَبْتَدِرُ النِّقابا

١٦ تَفَرَّجَ مائحُ السُّبحَاءِ عنها إذا نَزَحت وقد لَذَّ الشرابا

١٧ ليالىَ وافتِ الصُّبْحَ الثريا وأَحْمَتْ كلُّ هاجرةٍ شهابا

١٨ أفاطمَ أَعْرِضى قبل المنايا كفى بالموت هَجْرًا واجتنابا

(١٠) يعج : يصخب ويضطرب ، المسخرات : السفن ، يصك : يضرب .

(١١) الكلاكل جمع كلكل وهو مقدم الصدر ، يزجى : يدفع .

(١٢) يطرد : يطرد ، الحباب : ما تتابع منه بعضه فى إثر بعض .

(١٣) الصرمة : العدد من الإبل إلى الثلاثين ، الوحدى : نسبة إلى الوحد وهى قبيلة من تغلب أهاب : زجر وحث على المعنى .

(١٤) رجن : أقمن ، الإنتساغ التفرق فى المرعى .

(١٥) ألقوا مراسيهن : ثبتوا بالمكان ، حلوا : نزلوا ، دبيب : المشى البطىء وقد تكون حلوا بمعنى فكوا والدبيب على ذلك هى الدابة ، النقاب : جمع نقب وهو الطريق النافذ فى الجبل .

(١٦) تفرج : أى هابها إذا بعدت ، والميح : السباحة ، السبحاء : جمع سابح ، لذ الشرابا أى انتشى .

(١٧) وافت : جاءت وأدركت ، وإذا أدركت الثريا الصبح فذلك أشد ما يكون الحر والشهاب : شعلة نار ساطعة والهاجرة : من زوال الشمس إلى قرب العصر .

(١٨) العرض : الممكن المقدور عليه .

١٩ بَرَقْتِ بعارضَيْكِ ولم تجودى ولم يكُ ذاكَ من نُعْمَى ثوابا

٢٠ كذلك أَخْلَفَتْنَـا أُمُّ بشـرٍ على أن قد جَلَتْ غُرًّا عِـذابا

٢١ شَتِيتًا يرتوى الظمـآنُ منه إذا الجوزاءُ أَجْحَرَت الضِّبابا

٢٢ وقد قالت مُدِلَّةُ إذ قَلَتْنِى أَراك كَبِرْتَ والصُّدْغَيْن شابا

٢٣ فإن يكُ رَيِّقى قد بان مِنِّى فقد أُرْوِى به الرَّسَلَ اللِّهابا

٢٤ وكُنَّ إذا وردن لِيمٍّ ظِمْءٍ عَبَـأْتُ لكل حـائمةٍ ذنابا

٢٥ أَزُودُ الَّلخْلَخَـانِيَّـاتِ عنه وأَمنحُـه المُصَرَّحة العِرابا

٢٦ وحائمتيْن تبتغيـان سِرِّى جعلتُ القلبَ دونهما حِجَابا

٢٧ وصاحب صَبْوَةٍ صاحبتُ حينا فَتُبْتُ اليوم من جَهْلٍ وتابا

(١٩) برقت : تبسمت ، العارضان : النابان وأراد الثغر كله .

(٢٠) الغر : الأسنان البيض الحسان .

(٢١) الشتيت : الأسنان المفلجة ، وأيام الجوزاء أشد أيام القيظ حرا . والضباب : جمع ضب وهو الحيوان المعروف ، وأجحرته : أى ألزمته جحره .

(٢٢) مدلة : اسم امرأة ، قلتنى : أبغضتنى .

(٢٣) ريقى : يعنى شبابى ، بان : فارق وزال والرسل : القطع من الإبل ، اللهاب : العطاش وأراد بالرسل النساء .

(٢٤) تم : تمام ، الظمأ : مابين الوردين ، عبأت : أعددت ، الحائمة : التى تحوم حول الماء من العطش ، والذناب : الدلو فيها ماء .

(٢٥) اللخلخانيات : الأعجميات ، المصرحة : الصريحات النسب ، فهو يدفع عن مودته الأعجميات ويواصل العربيات .

(٢٦) سرى : صفو مودتى ومواصلتى .

(٢٧) الصبوة : اللهو من الغزل .

٢٨ ونفسُ المرءُ ترصُدها المنايا وتَحدُرُ حوله حتى يُصابا

٢٩ إذا أُمِرَت به أَلقتْ عليه أَحَدَّ سِلاحها ظُفْرًا ونابا

٣٠ وأَعلم أَننى عمَّا قليلٍ ستكسُونى جنادلَ أَو ترابا

٣١ فمن يكُ سائلًا بنى سَعِيدٍ فعبدُ الله أَكرمُهم نِصابا

٣٢ تَذَرَّيْتَ الذَّوائب من قريشٍ وإن شُعِبُوا تَفَرَّعْتَ الشِّعَابا

٣٣ بُحُورُ بنى أُميةَ أَورثوه حَمَالَاتٍ وأَخلَاقًا رغابا

٣٤ وتجمعُ نَوْفَلًا وبنى عَكَبٍّ كلَا الحيَّيْن أَفلح مَن أَصابا

٣٥ ومِنَّا قد نَمَتْكَ عُرُوقُ صِدْقٍ إذا الجَحَراتُ أَعْوَيْن الكلابا

٣٦ مِنَ الفِتْيَانِ لَا بَهِجٌ بدنيا وَلَا جَزِعٌ إذا الحَدَثَانُ نابا

٣٧ أَغَرُّ من الأَبَاطِحِ من قريش به يَسْتَمْطِرُ العَرَبُ السَّحابا

---

(٣١) النصاب : الأصل .

(٣٢) تذريت : صرت فى ذروتها ، شعبوا : فرقوا ، تفرعت : علوت .

(٣٣) حمالات حمالة جمع حمالة وهى الغرامة و الدية ، والرغاب الواسعة .

(٣٤) كانت أم عبد الله بن سعيد — الممدوح — من بنى نوفل بن عبد مناف ، وجدته من بنى عكب تغلبية .

(٣٥) الجحرات : السنون الشداد .

(٣٦) الحدثان : نوائب الدهر .

(٣٧) الأباطح : بطاح مكة وقريش البطاح أكرم بنى قريش .

الراعى النميرى

(ت ٩٠ هـ)

هو عُبَيْد بن حُصَيْن بن معاوية ، ينتمى إلى بنى نُمير ، وهم بطن من قيس عَيْلان ، كانوا ينزلون الغَوْر من تِهامة فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام نزلوا باليمامة ، واستقروا فيها بجوار بنى حنيفة أصحاب البلاد الأصليين ، وقد كان هذا الجوار سببا فى النزاع بين القبيلتين - بنى نمير وبنى حنيفة - على المدى الطويل ، حتى اضطرت جماعات من النميريين إلى الهجرة إلى نجد .

ويُكنى الراعى «أبا جَنْدل» ، وقد لقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل والرّعاء فى شعره ووفرة نعته إياها حتى عرف بها . وليس ثمة تاريخ محدد أو مُقارب لمولده بل إننا نفتقد مثل هذا التحديد بالنسبة لوفاته .

كان الراعى معنيا بهموم قومه من بنى نمير ، وكانوا هم بدورهم يفزعون إليه إذا حزبهم أمر ، وبلغ من اكتراثه بشئونهم أنه كان يمدح بعض خلفاء بنى أمية [لا عن رغبة] فى العطاء ، بل ليأمن قومُه مرهم . وقد كان هواه مع ابن الزبير ، كما كان هوى قيس برمتها ، ومع ذلك نراه يتبرأ من ابن الزبير فى مدائحه الشاكية لعبد الملك بن مروان .

وربما كان هذا الحس القبلى فى التعامل مع سياسة العصر هو الذى جعل النميريين يختصون الراعى بالسفارة عنهم إلى عبد الملك أكثر من مرة ؛ فقد وفد عليه عاماً يشكو إليه جور العمال وعسف السعاة جامعى الصدقات ، وأنشد بين يديه «مُلْحمته» ، ولكنه لم ينجح فى سفارته ، فوفد عليه فى العام التالى فأنشده هذه الدالية التى نقدمها ، والتى يروى أن عبد الملك حين سمعها علّق عليها قائلا للراعى : «أنت العامَ أعقَل منك عامَ أولٍ» ، وأجاب طلبه وأزال بواعث شكايته .

* * *

قال الراعى يمدحُ عبد الملك بن مروان ويشكو السُعاةَ :

١ بانَ الأَحِبَّةُ بالعَهْدِ الَّذِى عَهِدُوا
فَلا تَمالُكَ عن أَرْضٍ لها قَصَدُوا

٢ ورَادَ طَرْفُكَ فى صحْراءَ ضاحِيةٍ
فيها لعَيْنَيْكَ والأَظعَانِ مُطَّرَدُ

---

(١) بان الأحبة : فارقوا . لا تمالك : لا تماسك بعد رحيلهم ولا جلد .

(٢) راد الطرف : تردد ذهابا وجيئة . الضاحية : من كل شيء ناحيته البارزة للشمس أى المكشوفة . فيها للعين مطرد : من قولهم طرد بصره فى أثر القوم ، أى أرسله .

٣ وَاسْتَقْبَلَتْ سربُهُم هيفٌ يَمانِيَةٌ
هاجَتْ نِزاعاً وَحاد خَلْفَهم غَرِدُ

٤ حَتّى إذا حالَتِ الارْجاءُ دُونَهُمُ
أرْجاءُ يَرمُلَ حارَ الطَرْفُ اذْ بَعُدُوا

٥ حَثُّوا الجِمالَ وقَالوا إنَّ مَشْرَبَكُمْ
وادي المِياهِ وَأحْساءٌ بِـه بُـرُدُ

٦ وَفى الخِيامِ إذا ألقَتْ مَراسِيهَا
حُورُ العُيُون لإخْوانِ الصبًا صُيُدُ

٧ كَأَنَّ بيْضَ نَعامٍ فى مَلاحِفِها
إذا اجْتَلاهُنَّ لَيلٌ قَيظُهُ وَمِدُ

---

(٣) السرب : الفريق من الطير والحيوان ، ويقال للنساء تشبيها لهن بالظباء . هيف يمانية : ريح حارة تأتى من قبل اليمن ، وهى النكباء التى تجرى بين الجنوب والدبور يهيف منها ورق الشجر . نزاعا : من قولهم ناقة نزوع وجمل نزوع ، وهو الذى يطرب إلى بلده فينزع إليها واسم ذلك النزاع .

(٤) يرمل : موضع فى شعر الراعى .

(٥) حثوا الجمال : أعجلوها إعجالا متصلا . وادى المياه واد : ببادية السماوة تجاه الشام . أحساء برد : أى باردة ، وهى جمع حسى ، ويراد به السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، أو الرمل المتراكم تحته صلابة ، فاذا نزل المطر منع الرمل حر الشمس أن يجفف الماء ومنعته الصلابة أن يغور ، فاذا حفر وجه الرمل نبع الماء باردا عذبا .

(٦) ألقى القوم مراسيهم : أقاموا ، والمراسى جمع مرساة . الحور فى العيون اشتداد بياضها وسوادها ، مع استدارة الحدقة ورقة الجفون .

(٧) بيض النعام : تشبه العرب النساء به لنقائه وصفاء لونه . الملاحف : جمع ملحف وهى الملاءة دون المبطنة ، وكل ما تغطيت به . الومد : الندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح ، وهو يسبب الأذى لنتن رائحته ، وقيل الومد شدة حر الليل .

٨ لها خُصُورٌ وَأعجازٌ ينُوءُ بها
رمْلُ الغِناءِ وَأعلَى مَتْنِها رُؤُدُ

٩ مِنْ كُلِّ واضِحَةِ الذِّفْرَى مُنَعَّمَةٍ
غَرَّاءَ لَمْ يَغْذُها بؤُسٌ وَلا وَبَدُ

١٠ يَثْنِى مَسَاوِفُها غُرْضُوفَ ارْنَبَةٍ
شَمَّاءَ من رَخْصَةٍ فى جيدِها أَوَدُ

١١ لَها لِثاتٌ وَأَنْيابٌ مُفَلَّجَةٌ
كَالأُقْحُوانِ عَلَى اطْرافِهِ البَرَدُ

١٢ يَجْرِى بِها المِسْكُ وَالكافُورُ آونَةً
وَالزَعْفَرانُ عَلَى لَبَّاتِها جسِدُ

(٨) ناء بحمله : نهض به مثقلا . الغناء : موضع بالبادية . رؤد : من رؤد الغصن : كان أرطب وأرخص ما يكون .

(٩) الذفرى : العظم الذى خلف الأذن . غراء : بيضاء مشرقة . الوبد : شدة العيش وسوء الحال من كثرة العيال وقلة المال .

(١٠) مساوف : جمع مساف ، وهو الأنف ، لأنه يشم به ، من قولهم ساف الشيء بمعنى شمه . أرنبة الأنف : طرفه ، وأرنبة شماء : عالية عزيزة . الغرضوف : كل عظم لين رخص ، وهو من الأنف الجزء اللين اللدن . الرخصة : الناعمة اللينة . أود : اعوجاج .

(١١) فلج الأسنان : تباعد ما بينها . الأقحوان : نبت زهرة أصفر أو أبيض ، ورقه ذوأ طراف كأسنان المنشار ، وكثر تشبيه الأسنان بالأبيض منه .

(١٢) اللبات : جمع لبة ، وهو موضع القلادة من العنق . جسد : من قولهم جسد الدم أو الصبغ إذا يبس .

١٣ كَأَنَّ رَيطَةَ حَبَّارٍ إذا طُوِيَتْ
بَهْوُ الشَراسِيفِ مِنْها حِينَ تَنْخَضِدُ

١٤ نِعْمَ الضَجيعُ بُعَيْدَ النَوْمِ يُلْجِئُها
إلى حَشاكَ سَقِيطُ اللَيْلِ وَالثَأَدُ

١٥ كأَنَّ نَشْوَتَها وَاللَيْلُ مُعْتَكِرٌ
بَعْدَ العِشاءِ وَقَد مالَتْ بنا الوُسُدُ

١٦ صَهباءُ صافِيَةٌ أَغْلَى التِّجارُ بها
مِنْ خَمْرِ عانَةَ يَطفُو فَوقَها الزَبَدُ

١٧ لَولا المَخاوِفُ وَالأَوْصابُ قَد قَطَعَت [illegible]
عُرْضَ الفَلاةِ بِنا المَهْرِيَةُ الوُخُدُ

---

(١٣) الريطة : الملاءة كلها نسج واحد . الحبار : من يحبر البرود ، أى يوشيها ويزينها البهو : الواسع . الشراسيف : جمع شرسوف ، وهى مناط الأضلاع . تنخضد : تتثنى من غير كسر .

(١٤) الحشا : ما دون الحجاب مما فى البطن : السقيط : ما يسقط من الندى . الثأد : الندى .

(١٥) الوسد : جمع وسادة .

(١٦) الصهباء : الخمر . عانة : بلدة على الفرات ينسب إليها الخمر .

(١٧) الأوصاب : جمع وصب ، وهو الألم والمرض . الفلاة : الصحراء . المهرية : نجائب الإبل تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مهرة . الوخد : من الوخد ، وهو ضرب من سير الإبل تتسع فيه الخطوات .

١٨ فى كُلِّ غَبْراءَ مَخْشِيٍّ مَتالِفُها
جَدَّاءُ ليس بها عِدٌّ ولا ثَمَــدُ

١٩ تُمْسِى الرِّياحُ بها حَسْرَى ويَتْبَعُها
سُرادِقٌ لَيْسَ فى أطْرافِهِ عَمَدُ

٢٠ بَصْباصَةُ الخِمْسِ فى زَوْراءَ مَهْلَكَةٍ
يَهْدِى الأدِلَّاءَ فيها كوكَبٌ وحَدُ

٢١ كَلَّفْتُ مَجهُولَها نُوقًا يَمانِيَةً
إذا الحُداةُ عَلَى أكْسائِها حَفَدوا

٢٢ حُسْبَ الجَماجِمِ أشْباهاً مُذَكَّرَةً
كأنَّها دُمُكٌ شِيزِيَّةٌ جُدُدُ

---

(١٨) الغبراء : الأرض . مخشية المتالف : يخاف من مهالكها . جداء : لا ماء بها . العد الماء القديم الذى لا ينتزح . الثمد : الماء القليل الذى لا مدد له .

(٢٠) فلاة خمس : بعيد ماؤها . البصباص من الماء : القليل . الزوراء : البعيدة . الكوكب الوحد : الجدى ، لأنه منفرد واحد .

(٢١) مجهولها : الضمير عائد على الفلاة فى الأبيات السابقة ، وكونها مجهولة يعنى أن يضل السائر فيها . الأكساء : جمع كسى ، وهو العجز . حفدوا : أسرعوا ، والحفد هو الخفة والسرعة فى العمل .

(٢٢) حسب الجماجم : وصف للنوق فى البيت السابق ، والحسب سواد يضرب إلى الحمرة . دمك : جمع دموك ، يقال بكرة دموك أى صلبة أو عظيمة ، ويقال رحى دموك أى سريعة الطحن . شيزية : نسبة إلى الشيز أو الشيزى ، وهو الخشب الأسود .

٢٣ قامَ السُقاةُ فَناطُوها إلى خُشُبٍ
عَلَى كُباب وَحَوْمٌ خامِسٌ يَرِدُ

٢٤ ذَوُو جَآجِيَ مُبْتَلٌّ مآزِرُهُمْ
بِيضُ المرافِقِ فى أَيدِيهم حَرَدُ

٢٥ أَوْ رَعْلَةٌ مِنْ قَطا فَيْحانَ حَلَّأَها
عَن ماءِ بَيْثَرَةَ الشُباكُ والرَصَدُ

٢٦ تنجو بهنَّ مِنْ الكُدْرِىّ ناجِيَةٌ
بالرَوْضِ رَوْضِ عَماياتٍ لها وَلَدُ

٢٧ لمَّا تَخلَّسَ أنفاساً قَرائِنُها
مِنْ غَمْرِ سَلْمَى دَعاها تَوْءَمٌ قَرِدُ

---

(٢٣) ناطوها : ربطوها . كباب : اسم ماء بعينه . الحوم : القطيع الضخم من الإبل خامس : يرد الماء لخمس .

(٢٤) الجآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو عظم الصدر . حردت يده : إذا خبط بها ، ولا تكون اليد كذلك إلا إذا يبس عصبها خلقة أو من داء .

(٢٥) القطا : جمع قطاة ، وهو نوع من اليمام الصحراوى : الرعلة : القطعة أو الجماعة منه . حلأها : طردها ومنعها من ورود الماء بيثرة : بلد . الشباك والرصد : من يرصدون حركة القطا بغية صيده .

(٢٦) الكدرى : ضرب من القطا قصار الأذناب . روض عمايات : اسم موضع يصف القطاة فى تخلصها من الرصد « بأن لها ولدا » ، لأن هذا أدعى لإسراعها .

(٢٧) تخلس : استلب الشىء نهزة ومخاتلة . الغمر : الماء الكثير . التوءم : المولود مع غيره فى بطن واحد . قرد : كثيف الشعر .

٢٨ تَهْوِى لَهُ بِشَعِيبٍ غَيْرِ مُعْصِمَةٍ
مُنْغَلَّةٍ دُونَها الأَحْشاءُ وَالكَبِدُ

٢٩ دُونَ السماءِ وَفَوْقَ الأَرْضِ مَسْلَكُها
تِيهٌ نَفانِفُ لا بَحْرٌ ولا بَلَدُ

٣٠ تَطاوَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَمٍّ تَضَيفنِى
دُون الأَصارم لَمْ يَشْعُرْ به أَحَدُ

٣١ إِلَّا نَجِيةَ آرابٍ تُقَلِّبُنِى
كما تَقَلَّبَ فى قُرْمُوصِهِ الصَّرِدُ

٣٢ فى صَدْرِ ذى بَدَوَاتٍ ماتَزالُ لَهُ
بِزْلاءُ يَعيا بها الجَثَّامَةُ اللُّبِد

---

(٢٨) تهوى له : تسرع إليه . الشعيب : المزادة ، والمقصود بها هنا حوصلة القطاة غير معصمة : لا عصام لها ، والعصام سير القربة ، ويعنى ذلك أنه ليس فى حوصلتها ما يعصم . منغلة : ذات غلة ، وهى حرارة العطش . يصف القطاة وهى تسرع إلى فرخها .

(٢٩) التيه : المفازة ليس فيها ما يهتدى به . النفنف : المفازة أيضا .

(٣٠) تضيفنى : نزل بى . الأصارم جمع صرم : الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية الماء .

(٣١) نجية : ما يناجيه من هم . الآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة . القرموص : حفرة يستدفئ فيها الإنسان الصرد من البرد . الصرد : المقرور .

(٣٢) البدوات : الآراء المختلفة . جمع بداة ، ويقال للرجل : ذو بدوات ، أى ذو آراء تظهر له يختار بعضها ويسقط بعضا . البزلاء : الحاجة التى أحكم أمرها . الجثامة : البليد الذى لا يبرح محله وبلدته . اللبد : من لا يسافر ولا يترك منزله .

٣٣ وَعَيْنَ مُضْطَمِرِ الكَشْحَيْنِ أَرَّقَهُ
هَمٌّ غَرِيبٌ وَنَاوى حاجَةٍ افِـدُ

٣٤ وَناقَةٍ من عِتاقِ النُوقِ ناجِيَةٌ
حَرفٌ تَباعَدَ مِنْها الزَورُ وَالعَضُدُ

٣٥ ثَبْجاءُ دَفواءُ مَبْنِيٌّ مرافِقُها
على حَصِيرَيْنِ فى دَفَّيْهِما جُدَدُ

٣٦ مَقَّاءُ مَفْتُوقَةُ الإِبْطَيْنِ ماهِرَةٌ
بالسَوْمِ ناطَ يَدَيْها حارِكٌ سَنَدُ

٣٧ يَنْجُو بها عُنُقٌ صَعْدٌ وَتُلحِقُها
رِجلًا أَصَكُّ خِدَبٌّ فَوْقَهُ لَبَدُ

(٣٣) مضطمر : ضامر . الكشح : ما بين الخاصرة والضلوع . الأفد : المتعجل .

(٣٤) الناجية من الإبل : السريعة . الحرف : النجيبة الماضية التى أنضتها الأسفار . الزور : ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت .

(٣٥) الثبجاء : العظيمة الجوف . الدفواء : الناقة التى تمشى مائلة إلى الجنب ، وهو لها أسرع وأحسن : وقيل هى الناقة الضخمة العظام . الحصيران : الجنبان . الدف من كل شىء جنبه أو صفحته . الجدد : الخطط والطرق ، واحدتها جدة .

(٣٦) مقاء : واسعة الأطراف . السوم : سرعة المر . الحارك : أعلى الكاهل . السند : ما يستند إليه .

(٣٧) صعد : مستقيم . الأصك : القوى الشديد من الناس والإبل . الخدب : الضخم قوى .

٣٨ تُضحِى إذا العيسُ أدْركنا نكائثَها
خرقاءُ يَعتادُها الطُّوفانُ والزُّودُ

٣٩ـ كأنها حُرَّةُ الخدَّيْن طاوِيَـةٌ
بعالِجٍ دُونَها الخَلاَّتُ والعُقَدُ

٤٠ تَرْمِى اللِّجاجَ بكَحلاوَيْنِ لَم تَجِدا
ريحَ الدُّخانِ ولَم يأْخُذْهما رَمَدُ

٤١ باتَتْ بشَرْقِىِّ يَمؤُودٍ مُباشِرَةً
دِعْصًا أَرَذَّ عَلَيْهِ فُرَّقٌ عُنُدُ

٤٢ فى ظلِّ مُرتَجِزٍ تَجْلُو بَوارِقُهُ
للناظِرِين رِواقًا تحتَهُ نَضَدُ

---

(٣٨) نكائث : جمع نكيثة ، وأدركنا نكائثها أى بلغنا بها غاية الجهد فى السير . الخرقاء من الإبل . التى لا تتعهد مواضع قوائمها الزؤد : الفزع .

(٣٩) طاوية : لم تطعم ، عالج : موضع به رمل . الخلات : جمع خلة ، وهى اليتيمة المنفردة من الرمل . العقد : جمع عقدة ، وهى بقية المرعى ، ويفهم من سياق القصيدة أن المقصود بحرة الخدين البقرة الوحشية .

(٤٠) اللجاج : مفردها لجة ، ولجة الشيء معظمه ، ولج الليل : شدة ظلمته وسواده . الكحلاوان المراد بهما العينان ، من قولهم كحلت عينه إذا اسودت أجفانها . لم يأخذهما رمد : لم يصبهما .

(٤١) يمؤود : ماء بأعلى الرمة لبنى مرة وأشجع . الدعص : كثيب الرمل . أرذ : أمطر رذاذا ، وهو المطر الدائم الصغير القطر . العند : جمع عنود ، وهى السحابة لا تكاد تقلع لكثرة مطرها .

(٤٢) المرتجز : السحاب المرعد . البوارق : جمع بارق أو بارقة ، وهى السحابة الممطرة . الرواق : البيت أو سقف فى مقدمته النضد من السحاب : المتراكم منه ، وكأن السحب تصنع ما يشبه السقف الذى تتراكم عبره طبقات من الغمام .

٤٣ طَوْرَيْن طَوْراً يَشُقُّ الأَرْضَ وابِلُهُ
بَعْدَ العَزاز وَطَوْراً ديمَةٌ رَغَدُ

٤٤ حَتَّى غَدَتْ فى بَياضِ الصُبْحِ طَيِّبَةً
ريحَ المباءَةِ تَجْرِى وَالثَرَى عَمِدُ

٤٥ لَمَّا رَأَتْ ما أُلاقِى من مُجَمْجَمَةٍ
هِىَ النَّجى إذا ما صُحْبَتى هَجَدُوا

٤٦ قامَتْ خُلَيْدَةُ تَنْهانِى فَقُلْتُ لها
انَّ المنايا لِمِيقات لَهُ عَدَدُ

٤٧ وَقُلْتُ ما لامْرِىءٍ مِثْلِى بِـأَرْضِكُم
دُونَ الإمام وَخَيْرُ النَاسِ مُتَّأَدُ

٤٨ إنِّى وَإياكَ وَالشَكْوَى الَّتِى قَصَرَتْ
خَطْوِى وَنَـأْيكَ وَالوَجد الذِى أَجِدُ

٤٩ كالماءِ والظَّالِعُ الصَدْيانُ يَطْلُبُهُ
هُوَ الشِفاءُ لَهُ وَالرِّىُّ لَوْ يَرِدُ

---

(٤٣) الوابل : المطر الشديد . العزاز : صلابة الأرض . ديمة : مطر يدوم فى سكون دون رعد . رغد : طيبة خصبة الأثر .

(٤٤) حتّى غدت : الضمير عائد على حرة الخدين (البقرة الوحشية) المذكورة فيما سبق المباءة : مكنس البقرة أى ملجأها . عمد : شديد الإبتلال .

(٤٥) المجمجمة من الجمجمة ، وهى تردد الشيء فى الصدر دون أن يبدو . النجى : السر . هجدوا : رقدوا .

(٤٦) خليدة : اسم صاحبته . المنايا جمع منية ، وهى الموت .

(٤٧) الإمام : الخليفة عبد الملك بن مروان . متأد : التؤدة والتمهل .

(٤٨) النأى : البعد . الوجد : الحزن .

(٤٩) الظالع : من الظلع ، وهو العرج فى المشى . الصديان : الظمآن .

٥٠ إنَّ الخِلافَةَ مِنْ رَبِّى حَباكَ بها
لَمْ يُصْفِها لَكَ إلاَّ الواحِدُ الصَّمَدُ

٥١ القابضُ الباسِطُ الهادِى لِطاعتهِ
فى فِتنَةِ الناس إذْ اهْواؤُهُم قِدَدُ

٥٢ أمْرًا رضِيتَ له ثُمَّ اعتَمدْتَ لَهُ
وَاعْلَمْ بأنَّ أمِينَ اللهِ مُعتَمدُ

٥٣ واللهُ أخرجَ مِنْ عَمْياءَ مُظْلِمَةٍ
بحَزْمِ أَمْرِكَ والآفاقُ تُجتَلَدُ

٥٤ فَأصبحَ اليومَ فى دارٍ مُبارَكَةٍ
عِنْدَ المليكِ شِهابا ضَوْءُهُ يَقِدُ

٥٥ ونَحنُ كالنَّجْمِ يَهْوِى من مَطالِعِهِ
وَغُوطَةُ الشامِ من أَعْناقِنا صَدَدُ

٥٦ نَرْجو سِجالاً من المعرُوفِ تَنْفَحُها
لِسائِليكَ فلا مَنٌّ ولا حَسَدُ

---

(٥٠) أصفاها له : جعلها خالصة له .

(٥١) قدد : فرق وجماعات ، يقال تقدد القوم أى تفرقوا ؛ ومفرده قدة ، وهى القطعة من الشىء أو الفرقة من الناس .

(٥٣) عمياء مظلمة : ضلالة لا يستبين فيها الحق ، ويقصد بها اضطراب أمر المسلمين قبيل خلافة عبد الملك . تجتلد : من قولهم : اجتلد ما فى الإناء أى شربه كله ، وتلك إشارة إلى ما يشكوه الراعى من قحط وفقر وإمحال .

(٥٥) صدد : قصد .

(٥٦) سجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة المملوءة ، والضرع ، والنصيب من الشىء بعامة . تنفحها : تعطيها .

٥٧ ضافى العَطِيةِ ، راجيهِ وَسائِلُهُ
سِيان أَفْلَحَ مَنْ يُعطى وَمَنْ يَعِدُ

٥٨ أَنْتَ الحيا وَغِياثٌ نَسْتَغِيثُ بهِ
لو نَسْتَطِيعُ فَداكَ المالُ والوَلَدُ

٥٩ اَزْرَى بِأَمْوالِنا قَوْمٌ أَمَرْتَهُمُ
بِالعَدْلِ فينا فما أَرْفَقوا وما قَصَدُوا

٦٠ نُعْطِى الزَكاةَ فما يَرْضَى خَطِيبُهُمُ
حَتَّى نُضاعِفَ أَضْعافاً لها عَدَدُ

٦١ أَمَا الفَقيرُ الَّذى كانَتْ حَلُوبَتَهُ
وَفْقَ العِيالِ ، فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ

٦٢ واخْتَلَّ ذُو المال وَالمُثْرُونَ قَدْ بَقِيَتْ
عَلَى التَلاتِلِ من أَمْوالِهِمْ عُقَدُ

٦٣ فَإِنْ رَفَعْتَ بِهِمْ رأَسًا نَعَشْتَهُمُ
وَإِنِ لَقُوا مِثْلَها فى قابل فَسَدُوا

---

(٥٨) الحيا : المطر .

(٥٩) أزرى بأموالنا : ذهب بأموالنا .

(٦١) حلوبة : ناقة تحلب . وفق العيال : قدر كفاية العيال . لا فضل فيه عنهم . السبد القليل من الشعر أو الوبر ، كناية عن ذهاب الإبل والغنم فلم يبق للفقير قليل أو كثير .

(٦٢) اختل ذو المال : افتقر . التلاتل : جمع تلتلة ، وهى الشدة . العقد : جمع عقدة وهى ما يعتقده الإنسان ملكا له من ضيعة أو عقار ، والمقصود بها هنا البقايا القليلة من المال .

(٦٣) رفعت بهم رأسا : أكرمتهم بعد ذل نعشتهم : جبرتهم بعد فقر

وقال الراعى النميرى وقد ضافه رجل من بنى كلاب ، ولم يحضره قرى ، وكان الكلابى على ناب له ، فأمر الراعى ابن أخ له يقال له « حَبْتَر » فنحرها ، فأطعمها إياه ولا يعلم الكلابى ؛ فعيره بنو عمٍّ له من قومه كانوا يهاجونه ، فزعم الراعى أنه أخلفها له ، وقال :

١ عَجِبْتُ مِنَ السارين والريح قَرَّةٌ
إلى ضَوْءِ نار بين فَرْدَة فالرَّحى

٢ يَشُبّ لِرَكْبٍ مِنْهُمُ مِنْ وَرَائِهِم
فكلهم أمسى إلى ضَوئها سَرَى

٣ إلى ضَوْءِ نار يَشْتَوِى القِدَّ أَهلُها
وقد يُكْرَمُ الأَضيافُ والقِدُّ يشْتَوى

٤ فلمّا أَتونا فاشْتَكَيْنا إِلَيْهِمُ
بَكَوْا ، وكلاَ الحيَّيْن مما بهِ بكَى

(١) السارى : من يسير ليلا . قرة : باردة . فردة والرحى : موضعان .

(٢) فاعل يشب هو ضمير النار فى البيت السابق .

(٣) القد : السير الذى يقطع من الجلد ، واشتواء القد كناية عن القحط ؛ فقد كانوا إذا أجدبوا يشتوون القد ويأكلونه .

٥ بَكَى مُعْوِزٌ مِنْ أن يُلامَ ، وطارقٌ
يَشُدُّ من الجوع الإِزار على الحَشَا

٦ فأَلْطفْتُ عينى هلْ أَرَى مِنْ سمينة
ووَطّنْتُ نفْسى للغرامة والقِرَى

٧ فأَبْصرتُها كَوْماءَ ذَاتَ عريكة
هِجَاناً مِن اللائى تَمتَّعْنَ بالصُّوَى

٨ فأَوْمأْتُ إِيماءً خَفِيًّا « لحَبْتَر »
ولله عيْنا « حَبْتَر » أَيَّما فَتَى

٩ وقُلْتُ له أَلْصِق بأَيْبَسِ سَاقِها
فإِنْ يُجبَر العُرْقُوبُ لا يَرْقَأُ النَّسَا

(٥) المعوز : الفقير الذى ساءت حاله . الطارق : الذى يطرق القوم ليلا . الحشا : ما بداخل البطن : الإزار : المراد به الحزام ، وشده على البطن يخفف ألم الجوع .

(٦) ألطفت عينى : ضممت أجفانى ، فعل من يدقق النظر فى الشىء .

(٧) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . العريكة : السنام ، إذا عركته بيدك تبين لك مدى سمنه . الهجان : جمع هجين » وهى الناقة البيضاء . الصوى : جمع « صوة » ، وهى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا .

(٨) أومأ : أشار بعينه . حبتر : اسم رجل ، هو ابن أخيه ، وقيل غلامه ، ومعناه فى اللغة قصير .

(٩) ألصق فلان ببعيره : اعتمده بالسيف لينحره . أيبس الساق : ما فوق العرقوب قليلا . العرقوب : عصب موتر خلف الكعبين من مفصل الساق والقدم . جبر العظم : عالجه . رقأ الدم : انقطع ، النسا : عرق يخرج من الورك مستبطنا الفخذين يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر .

١٠ فأَعْجَبَنِى من حَبْتر أَن حبتْرا
مَضَى غيرْ مَنكودٍ ومُنْصُلَهُ انْتَضَى

١١ كأَنِّى وقد أَشْبَعْتُهمْ مِنْ سَنَامها
جلَوْتُ غِطَاءً عن فُؤَادِى فانْجَلَى

١٢ فبتْنَا وباتَتْ قِدْرُنا ذَات هِزة
لَنَا ، قَبْلَ ما فيها ، شِوَاءٌ ومُصطَلَى

١٣ وأَصْبح راعيناً «بُرَيْمَةُ» عِنْدنا
بسِتِّين أَنْقَتْها الأَسِنةُ والخَلا

١٤ فقُلْتُ لرب الناب خُذْها فَتِيةً
ونابٌ عَلَيْهَا مِثْلُ نَابك فى الحَيَا

---

(١٠) منكود : مشئوم . المنصل : السيف . انتضاه : سله .

(١١) جلوت : كشفت .

(١٢) الهزة : صوت غليان القدر . مصطلى : نار للاستدفاء .

(١٣) بريمة : راعى إبل الراعى النميرى . أنقتها : جعلت لها نقيا وهو مخ العظم . الأسنة : المراد بها الحمض الذى يس الإبل ، أى يشحذها على الخلة ويشهيها الخلا : الرطب من الحشيش .

(١٤) رب الناب : صاحبها ، وهو ضيفه الذى عقر ناقته .
الفتية : البكر من الإبل . الناب : الناقة المسنة . الحيا : المطر والخصب .

الصمة القشيرى

(ت ٩٠ هـ)

الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ شاعر إسلامى مقل ، من شعراء الدولة الأموية .

خطب ابنة عمه إلى أبيها ولم يستطع أن يسوق إليه الإبل التى طلبها. ولم يرض عمه بالإبل التى ساقها إليه والد الصمة، بعد أن عدّها فوجدها تنقص بعيراً . فغضب الصمة وركب ناقته، ورحل إلى ثغر من ثغور الشام فأتى الخليفة فكلمه ، فأعجب به الخليفة ، وفرض له فرضا ، وألحقه بالفرسان ، فأقام بذلك الثغر حتى مات . وفى ذلك يقول هذا الشعر .

* * *

قال الصِّمة بن عبد الله القشيرى

١ حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونَفْسُك باعَدَتْ
مَزَارك من رَيَّا وشَعْبَا كما مَعَا

٢ فما حَسَنٌ أن تأتِى الأَمْرَ طَائِعاً
وتَجْزَعَ أن داعِى الصَّبابةِ أَسْمَعا

٣ قِفا وَدِّعَا نَجْدا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى
وقلَّ لِنَجدٍ عِنْدَنا أن يُوَدَّعا

٤ وليْست عَشِيَّات الحِمَى بروَاجع
عليك ولكن خلِّ عَيْنَيك تَدْمَعَا

٥ ولمَّا رأيتُ البِشْرَ أعرضَ دُونَنَا
وحالَت بناتُ الشَّوق يَحْنِنَّ نُزَّعا

٦ بَكَتْ عَيْنِىَ اليُمنى فلما زجَرْتُها
عن الجَهْلِ بَعْدَ الحِلْم أَسْبَلَتَا مَعا

٧ تَلَفَّتُّ نحو الحَىِّ حتى وجَدْتُنى
وَجِعْتُ من الإصغاءِ ليتاً وأَخْدَعَا

٨ وأَذكُرُ أيامَ الحِمَى ثم أَنْثَنِى
على كَبِدِى من خَشْيةٍ أن تَصَدَّعا

---

(١) الشعب : شعب الحى يقال التأم شعبهم : أى اجتمعوا بعد تفرق
(٢) الحمى : موضوع فيه ماء وكلأ يمنع منه الناس .
(٥) البشر : جبل أعرض دوننا : أبدى عرضه
حالت : تحركت

عمر بن أبى ربيعة

(ت ٩٣ هـ)

هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المغيرى المخزومى ، من بنى مخزوم القرشيين ، وكانوا بيت شرف وثراء منذ الجاهلية . وكان والد عمر عبد الله ، ثريا واسع الثراء ، تولى للنبى صلى الله عليه وسلم إقليم اليمن . وظل عليه حتى عهد عثمان . وجاء ينجده فى حصاره بالمدينة ، لكنه مات فى الطريق سنة ٣٥ هـ .

وقد ولد له ابنه عمر سنة ثلاث وعشرين من أم يمنية ، ونشأ عمر بمكة نشأة مترفة فى عز أبيه وجاهه وسعة نعمته .

وقال الشعر صبيا ، وشغف بالغناء ، والتف المغنون والمغنيات ممن عاشوا فى مكة حوله . ويقول الرواة إنه كان ببيته مغنيتان تغنيانه بشعره .

وممن اشتهر بالغناء فى مكة آنذاك ، ابن سريج ، وابن مِسجح والغريض .

وقد أُولع عمر بحب النساء ، يتتبع الجميلات ، وقد كلف بالجمال ، واتخذ من مواسم الحج مناسبات للقاء من يهوى . وله فى مكة وما حولها كالخيف من منى وغيره مغامرات وجولات غرامية سجلها فى شعره .

ولم يقتصر غزله بالجميلات على من كان يلقاهن فى مكة ، بل إنه ارتحل إلى المدينة ، يلقى منهن من يسمع عن جمالها من الكريمات والنبيلات . وما زال عمر يتبع المشهورات النساء ويتغزل فيهن ، ويصف مظاهر النعمة والترف التى يعشن فى بحبوحتها .

وما زال عمر يحيى هذه الحياة الناعمة ، بين القصف والغناء ولقاء الجميلات والحديث معهن وعنهن ، متنقلا بين مكة والمدينة وغيرها ، حتى مضى به العمر ، وأسنّ ، وقيل إنه توفى وقد قارب السبعين من عمره .

ولم يشغل نفسه بهموم السياسة ، ولا بالمديح أو غيره إلا ما ندر. وشعره كله فى هذا الغزل الرقيق ، بين العفيف والمكشوف ، وإن بدا حسيا ، يمتع حواسه بالجمال والحديث الحلو دون إفحاش .

وامتاز شعره بالطابع الحضرى المترف فى رقة اللفظ ، وعذوبة العبارة ، وجمال الصورة ، وخفة الإيقاع والوزن . وغلب عليه القصص الغرامى الذى بدأ به امرؤ القيس ، وأكثر من الحوار ، وهو يجرى ملساً بينه وبين صاحباته على ما نرى فى هذه القصيدة .

والقصيدة : تعتبر هذه الرائية من أجود شعره وأكثره شهرة . وهى طويلة تجمع كل مزايا قصيده ، وتبرز شخصيته الفنية ، وتنم عن روحه ؛ فهو فيها عاشق مدله ، مغامر ، يحب النساء ويحببنه ، فيفدينه ، ويلقين الجهد للاجتماع به ، والاستماع إلى حديثه وشعره .

قال عمر بن أبى ربيعة

١ أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ
غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

٢ لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوابِهَا
فَتُبْلِغَ عُذْراً ، والْمَقَالَةُ تعذِر

٣ أَهِيمُ إِلَى نُعْمٍ ، فَلاَ الشَّملُ جامِعٌ
وَلاَ الحبْلُ مَوْصُولٌ ، وَلاَ الْقَلْب مقْصِرُ

٤ وَلاَ قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ
وَلاَ نأْيُهَا يُسْلِي ، وَلاَ أَنْت تَصْبرُ

٥ وَأُخرىأَتت مِنْ دُونِ نُعْمٍ ومِثْلُهَا
نَهَى ذا النُّهَى لَوْ يَرْعَوِى أَوْ يُفَكر

٦ إِذَا زُرْتُ نُعْماً لَم يَزَل ذو قَرابة
لَهَـــا كُلَّمَا لاَقَيتُها يتَنَمَّـــرُ

---

(١) مهجر : من التهجير وهو السير وقت الهجير أو الهاجرة ، شدة الحر

(٢) لم تقل فى جوابها : كتمتها عن كل من يسأل عنها ، وتعذر : بضم التاء تنق العذر ، وبفتح التاء تعذرتقيم العذر .

(٣) مقصر : اسم فاعل من أقصر أى كف عن دواعى الصبابة .

(٤) يسلى : يورث السلو والنسيان .

(٥) النهى : العقل ، يرعوى : يكف عما يستقبح منه الإتيان به .

(٦) يتنمر : يتشبه بالنمر فى طباعه ، كأن يعبس وجهه ويكلح فى وجه من يقابله يتنكر له .

٧ عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَّ بِبَيْتِهَا
يُسِرُّ لِى الشَّحْنَاءَ ، والْبُغْضَ يُظْهِر

٨ أَلِكْنِى إِلَيْهَا بالسَّلامِ فَإِنَّهُ
يُشَهَّرُ إِلْمَامِى بِهَا وَيُنَكَّرُ

٩ بِآيَةِ مَا قَالَت غَدَاةَ لَقِيتُهَا
بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهٰذَا الْمُشَهَّرُ ؟

١٠ قِفِى فَانْظُرِى أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِينَهُ
أَهٰذَا الْمُغِيرِىُّ الَّذِى كَانَ يُذْكَرُ

١١ أَهٰذَا الَّذِى أَطْرَيْتِ نَعْتاً فَلَم أَكُنْ
وعَيْشِك أَنْسَاهُ إِلى يَوْمِ أُقْبرُ

١٢ فَقَالَت : نَعَمْ لاَ شَكَّ غَيَّرَ لَوْنَهُ
سُرَى اللَيل يُحيِى نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ

١٣ لَئِنْ كَانَ إِياه لَقَدْ حَالَ بعْدَنَا
عَن الْعَهْدِ ، وَالإِنْسَانُ قَد يَتَغَيَّرُ ؟

١٤ رَأَتْ رَجُلاً أَمَّاإِذا الشَّمْسُ عارَضَت
فَيَضْحَى وَأَمَّا بالْعَشِىِّ فَيَخْصَر

(٧) الشحناء : العداوة .

(٨) ألكنى إليها بالسلام : أى كن رسولى إليها بالسلام .

(٩) آية : علامة ، مدفع أكنان : اسم مكان .

(١٢) نصه : سيره الشديد ، والتهجر : السير وقت الظهيرة أو الهاجرة .

(١٤) يضحى : يظهر للشمس ولا يستتر ، يخصر من خصر إذا أصابه البرد فآلمه .

١٥ أخاسَفر ، جوَّابَ أرْضٍ تَقَاذَفَتْ
بِهِ فَلَواتٌ ؛ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

١٦ قَليلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ
سِوَى مَا نَفَى عَنهُ الرِّدَاءُ الْمُحبَّرُ

١٧ وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَة
وَرَيَّانُ مُلْتَفُّ الْحَدَائِق أَخْضَرُ

١٨ وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيءٍ يُهِمهَا
فَلَيْسَتْ لِشَيءٍ آخِرَ اللَّيل تَسهَرُ

١٩ وليلة ذِي دَوْرَان جَشَّمتِنِي السُّرَى
وَقَدْ يَجْشَمُ الهَوْلَ المحبُّ الْمُغَرَّرُ

٢٠ فَبتُّ رَقِيباً لِلرِّفَاقِ عَلَى شَفاً
أُحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَأَنْظُرُ

٢١ إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمْكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمُ
وَلِي مَجْلِسٌ ، لَوْلَا اللبَانَةُ ، أَوْعَرُ

---

(١٥) أشعث : منتشر الشعر غير مرجله ، أغبر : عليه غبار لكثرة أسفاره .

(١٦) الرداء المحبر : المخطط والمزين .

(١٧) ريان ملتف الحدائق أخضر ، بستان كثير الشجر ملتف الأغصان .

(١٩) ذو دوران : موضع ، وجشمني : كلفني . المغرر : الذي غرر به .

(٢١) اللبانة : الحاجة ، أوعر : شاق وشديد .

٢٢ وبَاتَتْ قَلُوصِى بالْعَرَاءِ وَرَحْلُهَا
لِطَارِق لَيْلٍ أَوْ لِمَن جَاءَ مُعْوِرُ

٢٣ وَبِتُّ أُنَاجِى النفْسَ أَيْنَ خِبَاؤُهَا
وَكَيْفَ لِمَا آتِى مِنَ الأَمْرِ مَصْدَرُ

٢٤ فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رَيًّا عَرَفْتُهَا
لَهَا وَهَوَى النَّفْسِ الذِى كَادَ يَظْهَرُ

٢٥ فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ
مَصَابِيحُ شُبَّتْ بالْعِشَاء وَأَنْوُرُ

٢٦ وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَهْوَى غُيُوبَهُ
وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

٢٧ وَخُفِّضَ عَنِّى الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ —
الْحُبَاب وَشَخْصِى خَشْيَةَ الْحَىِّ أَزْوَرُ

٢٨ فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأْتُهَا فَتَوَلَّهَت
وَكَادَتْ بمَخْفُوضِ التحِيَّةِ تَجْهرُ

٢٩ وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بالْبَنَان : فَضَحْتَنِى
وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعسَرُ

---

(٢٢) قلوصى : القلوص الناقة الشابة الفتية ، معور واضح بين .

(٢٧) الحباب : بضم الحاء الحية ، وأزور : قليل ، ومتخف متضائل .

٣٠ أَرَيتكَ إذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَم تَخَفْ
وُقِيتَ وَحَوْلِى مِن عَدُوِّك حُضَّرُ

٣١ فَوَاللهِ مَا أَدْرَى أَتَعْجِيلُ حاجَةٍ
سَرَتْ بِكَ أَمْ قَد نَامَ مَن كُنْتَ تَحذَرُ

٣٢ فَقُلْتُ لها : بَلْ قَادَنِى الشَّوْقُ وَالْهَوى
إِلَيْكِ وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ

٣٣ فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَخَ رَوْعُهَا :
كَلَاكَ بِحِفْظٍ رَبُّكَ الْمُتَكَبِّرُ

٣٤ فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّاب غَيْرُ مُدَافِعٍ
عَلَىَّ أَمِيرٌ مَا مَكَثْتَ مُؤَمَّرُ

٣٥ [فَبِتُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ أُعْطِيتُ حَاجَتِى
أُقَبِّلُ فاهَا فِى الْخَلَاءِ فَأُكْثِرُ]

٣٦ فيالكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ
وَمَا كَانَ لَيْلِى قَبلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ

٣٧ وَيَالَكَ مِنْ مَلْهًى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ
لَنَا لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ

٣٨ يَمُجُّ زَكِىُّ الْمِسْكِ مِنْهَا مُقَبَّلٌ
نَقِىُّ الثَّنَايَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ

---

(٣٨) مقبل : الفم ، والثنايا الأسنان الأمامية ، والغروب : الأسنان الدقيقة المفلجة .
من صفات الثغر المحببة . ومؤشر : ذو أشر ، أى حدة ورقة فى الأسنان .

٣٩ تراه إِذَا مَا افْتَرَّ عَنْـهُ كأَنَّهُ
حَصَى بَرَدٍ أَوْ أُقْحُوَانٌ مُنَوَّرُ

٤٠ وتَرْنُو بعَيْنَيْهَـا إِلَىَّ كَمَا رَنَا
إِلَى ظَبْيَةٍ وَسْطَ الخميلَةِ جُؤْذَرُ

٤١ فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْـلُ إِلَّا أَقلَّهُ
وَكَادَتْ تَوَالِى نَجمِهِ تَتَغَوَّرُ

٤٢ أَشَارَتْ بأَنَّ الْحَىَّ قَد حَانَ مِنْهُمُ
هُبُوبٌ وَلٰـكِنْ مَوْعِدٌ مِنْكَ عَزْوَرُ

٤٣ فَمَا رَاعَنِى إِلَّا مُنَادٍ تَرَحَّـلُوا
وَقَدْ لَاحَ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبحِ أَشْقَرُ

٤٤ فَلَمَّا رأَت مَنْ قَد تَنَبَّـهَ مِنْهُمُ
وَأَيْقَاظَهُمْ قَالَتْ : أَشِرْ كَيفَ تَأْمُرُ

٤٥ فَقُلْتُ : أُبَادِيهمْ فَإِمَّـا أَفُوتُهُم
وَإِمَا يَنَالُ السَّيْفُ ثأْرا فَيَثْأَرُ

٤٦ فَقَالَتْ : أَتَحقِيقَا لِمَا قَالَ كَاشِحٌ
عَلَيْنَا وَتَصْدِيقاً لِمَا كَانَ يُؤْثَرُ

---

(٣٩) أقحوان : زهر أبيض من زهور الروض تشبه به الأسنان فى البياض وطيب الرائحة . ومنور متفتح النور . وافتر : انفرج .

(٤٠) جوذر : ولد الظبية أو البقرة الوحشية ، والخميلة : الشجر المجتمع الكثيف .

(٤١) تتغور : تغرب وتغيب .

(٤٢) عزور : إسم مكان بعينه ، وهو ثنيه بمكة .

٤٧ فَإِنْ كَانَ مَالَا بُدَّ مِنْـهُ فَغَيْرُهُ
مِنَ الأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ

٤٨ أَقُصُّ عَلَى أُخْتَىَّ بَدْءَ حَدِيثِنَا
وَمَالِىَ مِن أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ

٤٩ لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجاً
وَأَنْ تَرْحُبَا سِرْباً بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ

٥٠ فَقَامَتْ كَئِيباً لَيْسَ فى وَجْهِهَا دَمٌ
مِنَ الْحُزْنِ تُذْرِى عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ

٥١ فَقَامَتْ إِلَيْهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَـا
كِسَاآنِ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٍ وَأَخْضَرُ

٥٢ فَقَالَتْ لأُخْتَيْهَا : أَعِينَا عَلَى فَتًى
أَتَى زَائِرًا ، وَالأَمْرُ لِلأَمْرِ يُقْدَرُ

٥٣ فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَـا
أَقِلِّى عَلَيْكِ اللَّوْمَ فَالخَطْبُ أَيسرُ

٥٤ [فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى : سَأُعْطِيهِ مُطْرَفِى
وَدِرْعِى ، وَهٰذَا الْبُرْدَ إِنْ كَانَ يَحذَرُ]

---

(٤٩) ترحبا سربا : بكسر السين أى ترحبا نفسا ، وأحصر : أضيق صدراً .

(٥١) الدمقس : ضرب من الحرير عرفت به الشام وهو الدمشقى .

(٥٤) مطرفى : المطرف بضم الميم رداء من خز معلم . ودرعى : الدرع القميص . البرد : الغطاء كالرداء والعباءة .

٥٥ يَقُومُ فَيَمْشِى بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا
فَلا سِرُّنَا يَفْشُو ، وَلا هُوَ يَظْهَرُ

٥٦ فَكَانَ مِجَنِّى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِى
ثَلاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

٥٧ فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحىِّ قُلْنَ لِى
أَمَا تَتَّقِى الأَعْدَاءَ وَاللَّيلُ مُقْمِرُ

٥٨ وَقُلْنَ : أَهٰذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا ؟ !
أَمَا تَسْتَحِى أَوتَرْعَوِى أَوْ تُفَكِّرُ ؟

٥٩ إِذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا
لِكَىْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

٦٠ فَآخِرُ عَهْدٍ لِى بِهَا حَيْثُ أَعْرَضَتْ
وَلاحَ لَهَا خدٌّ نَقِىٌّ وَمَحجرُ

٦١ سِوَى أَنَّنِى قَدْ قُلْتُ يَا نُعْمُ قَوْلَةً
لَهَا وَالْعِتَاقُ الأَرْحَبِيَّاتُ تُزْجرُ

---

(٥٦) مجنى : الجن الساتر كاعبان مثنى كاعب . وهى من برز نهدها أو ثديها والمعصر بضم الميم وكسر الصاد الجارية أول إدراكها .

(٥٨) سادراً غير مهتم ولا مبال بما تصنع . ترعوى تمتنع .

(٦١) عتاق الأرحبيات : الخيل الأرحبية ، منسوبة إلى أرحب ، قبيلة من همدان كانت مشهورة بتربية الجياد . تزجر : تساق للرحيل .

٦٢ هَنِيئاً لأَهْلِ الْعَامِرِيَّةِ نَشْرُهَا
الـلذِيذُ وَرَيَّاهَا الذِى أَتَذَكَّرُ

٦٣ وَقمْتُ إلى عَنْسٍ تَخَوَّنَ نِيَّهَا
سُرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحْمُهَا مُتَحَسِّرُ

٦٤ وَحَبْسِى عَلَى الحاجَاتِ حَتَّى كأَنَّهَا
بَقِيَّةُ لَوْحٍ أَوْ شِجَارٌ مُوَسَّرُ

٦٥ وَمَاءٍ بموْمَاةٍ قَلِيـلٌ أَنِيسُـهُ
بَسابِسَ لَمْ يَحْدُثْ بِهِ الصَّيْفَ مَحْضَرُ

٦٦ بِهِ مُبْتَنًى لِلْعَنْـكَبُوتِ كَأَنَّهُ
عَلَى طَرَفِ الأَرْجَاءِ خَامٌ مُنَشَّرُ

٦٧ وَرَدْتُ وَمَا أَدْرى أَمَا بَعْدَ مَوْرِدِى
مِنَ اللَّيْلِ أَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ

٦٨ فَقُمْتُ إلى مِغْلَاةِ أَرْضٍ كَأَنَّهَا
إِذَا الْتَفَتَتْ مَجْنُونَةٌ حِينَ تَنْظُرُ

---

(٦٣) عنس : ناقة . تخون نيها : يريد أذاب شحمها ، متحسر : مكشوف كأنها ضامرة من كثير السير ذاب عنها شحمها وانكشف لحمها .

(٦٤) حبسى على الحاجات : أى حبسى لناقتى على قضاء حاجاتى . اللوح الصفيحة من الخشب . شجار : مركب دون الهودج ، موسر : مشدود يشبهها بهذه الأشياء لضمورها .

(٦٥) موماة صحراء بسابس : قفر لا أنيس فيه ، محضر : حضور والصيف منصوب على الظرفية . يريد لم ينزل به أحد وقت الصيف .

(٦٦) خام : جلد لم يدبغ .

(٦٨) مغلاة أرض : أى قاطعة أرضا بسرعة ؛ من قولهم غلت الدابة فى سيرها واغتلت

٦٩ تُنَازِعُنِى حِرْصاً عَلَى الْمَاءِ رَأْسَهَا
وَمِنْ دُون مَا تَهْوَى قَلِيبٌ مُعَوَّرُ

٧٠ مُحَاولة لِلْمَـاءِ لَوْلَا زِمَـامُهَـا
وَجَذْبِى لَهَا كَادَتْ مِرَارًا تَكَسَّرُ

٧١ فَلَمَّا رَأَيْتُ الضرَّ مِنْهَا وَأَنَّنِى
ببَلْدَةِ أَرْضٍ لَيسَ فِيهَا مُعَصَّرُ

٧٢ قَصَرْتُ لَهَا مِنْ جَانِبِ الْحَوْضِ مُنْشَأً
جَدِيدًا كَقَاب الشِّبْرِ أَوْ هُوَ أَصغَرُ

٧٣ إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ فَلَيْسَ لِمُلْتَقَى
مَشَافِرِها مِنْهُ قدَى الكفِّ مُسْأَرُ

٧٤ وَلَا دَلْوَ إِلَّا الْقَعبُ كَانَ رِشَاءَهُ
إِلَى الْمَاءِ نِسْعٌ وَالأَدِيمُ الْمُضَفَّرُ

٧٥ فَسَافَتْ وَمَا عَافَتْ وَمَا رَدَّ شُرْبَهَا
عَنِ الرِيِّ مَطْرُوق مِنَ الْمَاءِ أَكْدَرُ

---

(٦٩) قليب : بئر ، ومعور : فاسد الماء .

(٧١) معصر : ملجأ ومنجى .

(٧٣) مشافرها : شفاهها وهى للناقة دون غيرها . وقدى الكف : قدر الكف ، مسأر : فضلة و ما تبقى من الماء والشراب .

(٧٤) القعب : إناء شرب ورشاه : حبل الدلو الذى يدلى به فى البئر . والنسع حبل من الجلد يربط به النعل .

(٧٥) سافت : شمت ، وما عافت : ما كرهت ، مطروق من الماء ، أى وردته الإبل فلوثته بما خاضت فيه وبالت .

عدى بن الرقاع

(ت ٩٥ هـ)

أبو دُؤاد عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع من بنى معاوية ابن الحارث من بنى الحارث بن مرة بن أُدَد ، وقومه يُنسبون إلى عاملة بنت وديعة القضاعية أم معاوية بن الحارث .

كان منقطعًا إلى بنى أمية ثم إلى الوليد بن عبد الملك خاصة . وكان مشهورًا بالهجاء . وتعرض لهجاء جرير فى مجلس الوليد فأفحمه جرير ، غير أن الوليد هدد جريراً إن هو عاد إلى هجاء عدى فعرّض به جرير فى عدد من قصائده ، ولكن لم يهجه . توفى فى عام ٩٦ هـ .

وكان عدى شاعرا مداحًا ، مدح بنى أمية . وكان يعنى بتنقيح شعره . يحسن الوصف ويجيد القول فى الغزل مع شىء من المجون ، إلّا أن كثيِّرًا كان يقول فى شعره : « هذا شعر حجازى مقرود ، إذا أصابه قُرّ الشام جمد وهلك » .

* * *

قال ابن الرقاع :

١	عرف الديار توهمًا فاعتادها	من بعد ما شمل البلا أبلادها
٢	إلّا رواسى كلهن قد اصطلى	جمرًا وأشعل أهلها إيقادها
٣	كانت رواحل للقدور فعريت	منهن واستلب الزمان رمادها
٤	وتنكرت كل التنكر بعدنا	والأرض تعرف بعلها وجمادها
٥	ولرب واضحة العوارض حرة	كالريم قد ضربت به أوتادها
٦	تصطاد بهجتها المعلل بالصبا	عرضا فتقصده ولن يصطادها
٧	كالظبية البكر الفريدة ترتعى	من أرضها قفاتها وعهادها
٨	خضبت بها عقد البراق جنينها	عن عكرها علجانها وعرادها
٩	كالزين فى وجه العروس تبذلت	بعد الحياء فلاعبت أرآدها

(٥) واضحة العوارض ، الواضح من الإبل : الأبيض وليس بالشديد البياض . الواضحة أيضا : الأسنان التى تبدو عند الضحك صفة غالية . العارضة : السن التى فى عرض الفم والجمع عوارض ضرب : قطع .

(٦) المعلل من يعلّ مرة بعد مرة .

(٧) القف (بالضم) : ما ارتفع من الأرض . والجمع قفاف وأقفاف . العهدة : أول مطر الوسمى والجمع عهاد . أرض معهدة اصابتها النفضة من المطر .

(٩) الرئد : الترب . والجمع أرآد .

١٠ تزجى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

١١ ركبت به من عـالج متحيرًا ... قفرا تريث وحشه أولادهـا

١٢ فترى محانيه التى تسق الثرى ... والهبر يونق نبتهـا روادهـا

١٣ بانت سعاد وأخلفت ميعادها ... وتباعدت عنا لتمنع زادهـا

١٤ إنى إذا ما لم تصـلنى خـلتى ... وتباعدت عنى اغتفرت بعادها

١٥ إما ترى شيبى تَفشَّـغَ لمّتى ... حتّى علا وضح يلوم سوادها

١٦ فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة ... لى جاعلًا يسرى يدىَّ وسادها

١٧ وأصاحب الجيش العرمرم فارسًا ... فى الخيل أشهد كرَّها وطرادها

١٨ وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتّى أقوم ميلهـا وسنادها

١٩ نظر المثقف فى كعوب قنـاته ... حتّى يقيم ثقـافه منآدها

---

(١١) العالج (اسم فاعل) : بعير يرعى العلجان (نبات) ، وعالج : رمال معروفة بالبادية .

(١٢) المحانى : معاطف الأودية ، المفرد محنية ومحنوة ومحناة . الهبر : ما أطمأن من الأرض والرمل . والجمع هبور وهبر

(١٤) الخلة : الصاحبة ، الخليلة .

(١٥) فشغ : كثر . اللمة : الشعر فى مقدم الرأس . وضح : بياض (الشيب)

(١٨) الميل : الاعوجاج والاضطراب .

السناد : عيب من عيوب القافية .

(١٩) ثقف القناة : جعل القصبة فوق النار لتقوم إذا كانت معوجة (منآدة) لتجعل رمحا .

٢٠ فسترت عيب معيشتى بتكرم — وأتيت فى سعة النعيم سدادها

٢١ وعلمت حتى ما أسائل واحدًا — عن علم واحدة لِكَىْ ازدادها

٢٢ صلى الإله على امْرِئٍ ودعته — وأتم نعمته عليه وزادها

٢٣ وإذا الربيع تتابعت أنواؤه — فسقى خناصرة الأحص فجادها

٢٤ نزل الوليد بها فكان لأهلها — غيثًا أغاث أنيسها وبلادها

٢٥ أو لا ترى أن البرية كلها — ألقت خزائمها إليه فقادها

٢٦ ولقد أراد الله إذ ولاكها — من أمة إصلاحها ورشادها

٢٧ أعمرت أرض المسلمين فأقبلت — وكففت عنها من يروم فسادها

٢٨ وأصبت فى أرض العدو مصيبة — عمت أقاصى غورها ونجادها

٢٩ ظفرًا ونصرًا ما تناول مثله — أحد من الخلفاء كان أرادها

٣٠ فإذا نشرت له الثناء وجدته — جمع المكارم طرفها وتلادها

٣١ غَلَبَ المساميح الوليد سماحة — وكفى قريش المعضلات وسادها

٣٢ تأتيه أسلاب الأعزة عنوة — قسرا وتجمع للحروب عتادها

٣٣ وإذا رآى نار العدو تضرمت — سامى جماعة أهلها فاقتادها

---

(٢٠) السداد (بكسر السين) : الكفاية من الرزق

(٢٣) خناصرة الأحص : موضع قرب حلب . جادها : كثر فيها (المطر).

(٢٤) الأنيس . المكان المسكون .

٣٤ بعرمرم تبدو الروابي ذي وعى كالحرة احتمل الضحى أطوادها

٣٥ أطفأت نارًا للحروب وأوقدت نار قدحت براحتيك زنادها

٣٦ فبدت بصيرتها لمن يبغي الهدى وأصاب حر شديدها جسادها

٣٧ وإذا غـدا يومًا بنفحة نائل عرضت له الغد مثلها فأعادها

٣٨ وإذا عدت خيل تبـادر غاية فالسابق الجالي يقود جيادها

القطامى

(ت ١٠١ هـ)

هو عُميرْ بن شُيَيم بن عمرو بن عباد بن بكر،وينتهى نسبة إلى قبيلة تغلب . وقد ذكرت بعض المصادر أنه ابن أخت الأخطل ، ولكن بعض الباحثين ينكرون ذلك قائلين إنهما ينتميان إلى بطن واحد من تغلب ، وهو بطن بنى بكر بن حبيب .

والقطامى لقبه معناه الصقر وهو مشتق من القطم وهو اشتهاءُ اللحم ، وقيل إنه لقب أيضا بصريع الغوانى قبل مسلم بن الوليد الشاعر العباسى الذى اشتهر باللقب ذاته . وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى أنه لقب بذلك لقوله :

صريع غوانٍ راقهنَّ ورُقْنَه لدن شَبَّ حتى شاب سودالذوائب

وكان القطامى نصرانيا ثم أسلم ، كما تذكر بعض المصادر ، وإن كان الأب لويس شيخو – كعادته – ينفى ذلك ويبرهن على تمسكه بديانته النصرانية بانتمائه إلى تغلب المتحمسة لنصرانيتها حتى أيام العباسيين ، ثم بقرابته للأخطل – وهو أمر غير ثابت كما سبق أن ذكرنا – ، ثم بافتخاره بقومه وحروبهم ومآثرهم ، وبأن شعره لايخلو من إشارات إلى التوراة والكتب النصرانية .

وأخبار القطامى قليلة جدا فى المصادر الموجودة بين أيدينا ، وواضح من أشعاره وأخباره أنه عاصر الوليد بن عبد الملك وأراد مدحه ، لكنه تحول إلى مديح عبد الواحد بن سليمان أحد الأمراء البارزين فى بنى أمية ، كذلك مدح زفر بن الحارث الكلابى بعد أن أطلق سراحه ، ومدح أسماء بن خارجة الفزارى .

وقد عده ابن سلام فى الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين مع البعيث وكثير بن عبد الرحمن وذى الرمة . وأبدى كثيرون من العلماء والشعراء القدامى إعجابهم بشعر القطامى وخاصة فى الوصف والغزل والمديح . وقيل إن أحسن الناس ابتداء قصيد فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

ألاعم صباحا أيها الطلل البالى

وفى الإسلاميين القطامى حيث يقول :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

واختلف فى سنة وفاة القطامى ، لكن من المرجح أنه توفى سنة ١٠١هـ وتذكر بعض المصادر أنه توفى سنة ١٣٠ هـ ، وقد طبع ديوانه لأول مرة فى إبريل سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق بارث **J. Barth** ثم أعاد تحقيقه ونشره إبراهيم السامرائى وأحمد مطلوب سنة ١٩٦٠ م .

والنص الأول الذى اخترناه له فى مدح عبد الواحد بن الحارث ابن الحكم بن أبى العاص أحد أمراء بنى أمية ، وقيل إنه عبد الواحد

ابن سليمان ، وأن القطامى حين وفد إلى دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك ليمدحه قيل له إنه بخيل لايعطى الشعراء . وقيل : بل قدمها فى خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له إن الشعر لاينفق عند هذا ولايعطى شيئا ، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه ، فمدحه بتلك القصيدة ، فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين ، قال : أملت أن يعطينى ثلاثين ناقة ، فقال : قد أمرت لك بخمسين ناقة موقرة برا وتمرا وثيابا ، ثم أمر بدفع ذلك إليه . وهذا الأمير هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان الذى ولى إمرة مكة والمدينة سنة ١٢٩ هـ فى أيام خلافة مروان بن محمد ، وقد قتل على أيدى العباسيين ضمن أمراء بنى أمية .

أما مناسبة النص الثانى فقيل فيها إن القطامى نزل فى بعض أسفاره بامرأة من مُحارب قيس ، فنسبها ، فقالت : أنا من قوم يشتوون القَد (وهو جلد الحمل ساعة يولد ، يشوى ويؤكل فى الجدب) من الجوع ، قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ . قالت : محارب ، ولم تقدم له القِرى . فبات عندها بأسوء ليلة فقال فيها تلك القصيدة .

* * *

قال القطامى :

١ إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلمْ أيهــا الطللُ
وإن بليتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ

٢ إنى اهتديْتُ لتسليمٍ على دِمَنٍ
بالغَمْر غَيَّرَهُنَّ الأَعْصُرُ الأُوَلُ

٣ صافَت تَمُعُّجُ أعناقَ السيول به
من باكرٍ سَبط أورائح يبِلُ

٤ فَهُنَّ كالخِلَلِ الموشِيِّ ظاهِرُهــا
أو كالكِتاب الذى قد مَسَّه البَلَل

٥ كانت منازلَ منا قد نَحِلُّ بها
حتى تغيرَّ دهرٌ خائِنٌ خَبل

٦ ليس الجديدُ به تبقى بَشَاشَتُه
إلَّا قليــلا ولا ذو خِلةٍ يصِــل

٧ والعيشُ لا عَيْشَ إلا ما تَقَرُّ به
عَيْنٌ ولا حالةٌ إلا ستنتقل

---

(١) الطلل : الدهر .

(٢) الزمن : آثار الدار ، الغمر : اسم موضع ، الأعصر : جمع عصر .

(٣) تمعج : من معج أى أسرع ، باكر : فى أول النهار ، سبط : كثير الصب ، رائح فى آخر النهار يبل : من الوبل وهو المطر الشديد .

(٤) الخلل : النقش الذى يكون على جفن السيف .

(٦) به : يعنى الدهر ، خلة : صداقة .

٨ والناس من يَلْقَ خيرًا قائلون له
ما يَشْتهى ولأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَل

٩ قد يدركُ المتأنِّى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزَّلَل

١٠ أمست عُلَيَّةُ يرتاحُ الفُؤَادُ لها
وللرواسم فيما دونهـا عَمَـل

١١ بكل مُخْتَرَقٍ يجرى السَّرابُ به
يُمسى وراكبُه من خَوْفهِ وَجِـل

١٢ يُنْضِى الهجان التى كانت تكون بها
عُرْضِيَّـةٌ وهَبَـابٌ حين ترتحل

١٣ حتى ترى الحُرَّةَ الوَجْنـاءَ لاغِبةً
والأرْحَبِىَّ الذى فى خَطْوِه خَطَل

١٤ خُوصًا تُدِيرُ عيوناً ماؤُها سَربٌ
على الخدود إذا ما اغْرَوْرَقَ المُقَل

---

(٨) الهبل : الثكل .

(١٠) علية : اسم إمرأة ، الرواسم : النوق .

(١١) المخترق : مخترق الرياح : مهبها .

(١٢) ينضى : يهزل ، الهجان : كرام الإبل ، ناقة عرضية : فيها صعوبة ، هباب : نشاط .

(١٣) الوجناء : الناقة الشديدة القوية ، لاغبة : متعبة ، الأرحبى : الجمل المنسوب إلى أرحب .

(١٤) الخوص : ضيق العين وصغرها والخوص جمع خوصاء .

١٥ لواغِبَ الطَّرْف مَنْقوبا حَواجِبُهـا
كأنَّهـا قُلُـبٌ عادِيَةٌ مُـكُلُ

١٦ يرمى الفِجاجَ بها الركبانُ مُعْتَرِضًا
أعناق بُزَّلِهـا مُرْخًى لها الجُدُلُ

١٧ تَمْشِين رَهْوًا فلا الأَعجازُ خاذِلَةٌ
ولا الصدور على الأعجاز تَتَّكِلُ

١٨ فَهنَّ مُعْتَرِضَـاتٌ والحصى رمِضٌ
والرِّيحُ ساكنة والظل معتدل

١٩ يَتْبَعْن ساميةَ العينين تحسبُها
مجنونةً أو ترى مالاترى الإبل

٢٠ لما وَرَدْنَ نَبِيًّا واستَتَبَّ بها
مُسْحَنْفِرٌ كخُطوطِ السِّيح مُنْسَحِلُ

---

(١٥) لواغب : متعبات ، قلب : جمع قليب وهى البئر ، والعادية القديمة منها ، مكل : قليلة الماء .

(١٦) الفجاج : جمع فج وهو الطريق ، بزل : جمع بازل وهى الناقة البالغة القوية ، الجدل : جمع جديل وهو الزمام .

(١٧) الرهو : السير السهل .

(١٨) رمض : حار .

(١٩) سامية : رافعة ، مجنونة : بسبب شدة نشاطها .

(٢٠) نبيا : اسم موضع . مسحنفر : فج واسع وطريق مستقيم ، السيح : الكساء المخطط ، منسحل : يعنى أن الطريق واضح .

٢١ على مكانٍ غِشاشٍ ما يقيم به
إلّا مُغَيِّرُنا والمُسْـتَقِى العَجِـلُ

٢٢ ثم استمرَّ بهـا الحـادى وجَنَّبَها
بطْنَ التى نَبتُها الحَوْذَانُ والنَّفَل

٢٣ حتى وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ العُوَيْر وقد
كاد المُـلاءُ من الكَتَّانِ يَشْتَعِل

٢٤ وقد تَعَرَّجْنَ لمـا وَرَّكَتْ أَرَكاً
ذاتَ الشِّمَال وعن أيماننا الرِّجَـل

٢٥ على مُنادٍ دعانا دعوةً كشفت
عنا النُّعاسَ وفى أعناقنا مَيَـل

٢٦ سَمِعتُها ورِعانُ الطُّـورِ مُعْرِضَـةٌ
من دونها وكَثِيبُ العَيْثة السَّهَلَ

---

(٢١) غشاش : غير مرىء ، المغير : الذى يغير على بعيره أراته فيخفف عنه ويريحه .

(٢٢) جنبها : أبعدها ، الحوذان : بقلة طيبة الرائحة والنفل مثلها .

(٢٣) الركيات : جمع ركية وهى البئر ، العوير : اسم مكان .

(٢٤) تعرجن : أقامت عليه ومالت إليه وركت : قصدت الإقامة ، أركا : اسم موضع الرجل : جمع رجلة وهى مسايل الماء .

(٢٦) رعان الطود : الرعن أنف يتقدم الجبل ، العيثة : اسم موضع .

٢٧ فقُلتُ للرَّكْبِ لمَا أَنْ علا بِهِمُ
من عن يَمِينِ الحُبَيَّا نَظْرَةٌ قَبَلُ :

٢٨ أَلمحةً من سَنَى بَرْقٍ رأى بَصرى
أم وَجْهُ عاليةَ اختالتْ به الكِلَلُ

٢٩ تُهْدِى لنَا كلَّ ما كانت علاوتُنا
رِيحَ الخُزَامَى جَرَى فيها الندى الخَضِل

٣٠ وقد أَبِيتُ، إذا ما شئتُ بات معى
على الفراش الضَّجيعُ، الأَغْيَدُ الرَّتِل

٣١ وقد تُبَاكِرُنى الصهباءُ ترفَعُهَا
إلىَّ لَيِّنَةٌ أَطرافهاُ ثَمِل

٣٢ أَقول للحرْف لما أن شَكَت أُصُلًا
من السِّفارِ فأَفْنَى نَيَّهَا الرِّحَل

٣٣ إن ترجعى من أَبِى عثمانَ مُنْجِحَةً
فقد يهونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَل

---

(٢٧) الحبيا : اسم مكان . القبل فى العين : إقبال السواد على الأنف أو مثل الحول .

(٢٨) الكلل : الستور .

(٢٩) العلاوة : الموضع المرتفع .

(٣٠) الرتل : المنضد الأسنان الأبيض .

(٣٢) الحرف : الناقة الصلبة القوية ، السفار : السفر ، النى : الشحم .

٣٤ أهـلُ المدينة لا يَحزُنْكَ شَأْنُهمُ
إذا تَخَطَّأَ عبدَ الواحد الأَجَـل

٣٥ أما قُرَيْشٌ فلن تلقاهمُ أَبدًا
إلا وهم خيرُ من يحفى وينْتَعِل

٣٦ إلَّا وَهُم جَبَلُ الله الذى قَصُرَت
عنه الجِبَالُ فما ساوى به جَبَل

٣٧ قومٌ همُ ثَبَّتوا الإِسلام وامتنعوا
قومَ الرسول الذى ما بعده رُسُل

٣٨ من صالحوه رأى من عَيْشِه سَعةً
ولا ترى من أَرادوا ضَرَّه يَئِل

٣٩ كم نالنى منهمُ فَضْلٌ على عَدَمٍ
إذ لا أَكاد من الإِقْتار أَحتمل

٤٠ وكم من الدهر ما قد ثَبَّتوا قدمى
إذ لا أَزال مع الأَعداء أَنْتَضِل

٤١ فـلاهمُ صالحوا من يبتغى عَنَتِى
ولا هُمُ كَدَّروا الخيرَ الذى فعلوا

٤٢ همُ الملوكُ وأَبنـاءُ الملوك همُ
والآخـذون به والساسةُ الأُوَل

(٣٨) يئل : ينجو .
(٣٩) الإِقتار : الفقر .
(٤٠) أنتضل : أتصارع .

وقال القطامى :

١ نَأَتْكَ بليـلى نِيَّـةٌ لم تُقـارِبِ

وما حُبُّ ليـلى مِن فـؤادى بذاهب

٢ مُنَعَّمَـةٌ تجـلو بعُـــودِ أَرَاكَةٍ

ذَرَى بَرَدٍ عَـذْب شَنِيب المَناصِب

٣ كأَنَّ فَضيضًــا من غَرِيض غَمامةٍ

على ظمـأ جـادت به أُمُّ غـالب

٤ لِمُسْتَهْلَكٍ قد كان من شِدَّة الهـوى

يموت ومن طول العِدات الكواذب

٥ صَـريعُ [غَـوانٍ راقهنَّ ورُقْنَـهُ

لَدُنْ شَبَّ حتَّى شاب سُود الذوائب

٦ وثِنْتَينِ] مِمَّـا قد يَلَذُّهمـا الفتى

جمعتُهما : راحٌ وبيضَـاءُ كاعب

(١) نية ، الوجه الذى يذهب فيه ، والبعد كالنوى . تقارب : تقرب .

(٢) خوط : قضيب . أراكة : نوع من الشجر تؤخذ منه المساويك . شنيب : به شنب وهو ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان . المناصب : المنابت .

(٣) فضيض : ما تفرق من الماء . غريض : طرى .

(٤) مستهلك : مستنفد القوة . العدات : جمع عدة ، وهو الموعد .

٧ قُدَيْدِيمَةِ التجريب والحــلم إننى
أرى غَفَلاتِ العيش قبل التجارب

٨ وما ريحُ روْض ذى أَقاحٍ وحَنْــوَةٍ
وذى نَفَلٍ من قُلَّةِ الحَـزْن عـازب

٩ سَـقَتْهُ سَماءٌ ذاتُ ظِـلٍّ فَنَقَّعتْ
نطافا ولمَّـا يـأْتِ سَيلُ المَذَانب

١٠ بـأَطيبَ من ليـلى إذا ما تمـايلت
من اللَّيل وَسْنَى جـانبًا بعـد جانب

١١ تُلاعِبُ أَترابًا من الحىِّ مَوْهِنًـا
قِصَـارَ الخُطا مُسْتَرْضِيات المناكب

١٢ تلاهَين واسْتَنْعَت بهن خَـريدةٌ
إلَى مَلْعَبٍ نـاءٍ من الحى ناصب

---

(٧) قديديمة : تصغير قدام :قال ابن منظور : قدام نقيض وراء،وهما يؤنثان ويصغران بالهاء : قديلمة وقديديمة وورئية وهما شاذان لأن الهاء لا تلحق الرباعى فى التصغير .

(٨) أقاح : جمع أقحوان،وهى زهرة معروفة. والحنوة : نبات سهلى طيب الرائحة،وقيل إنها الريحانة . والنفل نبت نوره أصفر طيب الرائحة . قلة الحزن : أعلى المكان المرتفع . عازب بعيد .

(٩) نقعت : روت . نطافا : جمع نطفة،وهو الماء الصافى : المذانب . مسايل الماء .

(١١) موهنا : وقت منتصف الليل .

(١٢) استنعت : تقدمت . ناصب : بعيد .

١٣ وبيضٍ حسانٍ يتّبعن إلى الصِّبا
رسولًا كميعاد العِتاق النجائب

١٤ فأَقبلن ما يمشين إلّا تأَوُّدا
حِسانُ الوجوه ضافيات الذوائب

١٥ فلما التقينا قام للعاج رَنّةٌ
وكنَّ صريعًا من سَلِيبٍ وسالب

١٦ وإِنى وإن كان المسافرُ نازلًا
وإن كان ذا حَقٍّ على الناس واجب

١٧ ولابد أَن الضَّيْفَ مخبرُ مارأى
مُخَبِّرُ أَهلٍ أَو مُخَبِّرُ صَاحب

١٨ لَمُخْبِرُك الأنباءَ عن أُم منزل
تَضَيَّفْتُها بين العُذَيْب فراسب

١٩ تَلَفَّعْتُ فى طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّنى
وفى طَرْمِساءٍ غير ذاتِ كواكب

---

(١٣) العتاق النجائب : النوق الأصيلة .

(١٤) تأودا : بمعنى التمايل والتثنى . ضافيات : طويلات . الذوائب : جمع ذؤابة وهى الناصية، والمقصود بها هنا الشعر بصفة عامة .

(١٧) فى بعض الروايات : يخبر ما رأى .

(١٨) فى بعض الروايات : سأخبرك الأنباء . تضيفتها : نزلت عليها ضيفا . العذيب وراسب : اسما موضعين .

(١٩) الطرمساء : الظلمة الشديدة .

٢٠ إلى حَيزَبُونٍ تُوقِدُ النَّارَ كلما
تلفعت الظلماءُ من كل جانب

٢١ تَصلىّ بها بَرْدَ العِشاء ولم تكن
تخالُ وبيصَ النار يبدو لراكب

٢٢ فما راعها إلّا بُغامُ مطيتى
تُريحُ بمحسورٍ من الصوت لاغب

٢٣ تقول وقد قَرَّبْتُ كورى وناقتى
إليك ، فَلَا تَذْعَرْ علىَّ ركائبى

٢٤ فَجُنَّت جنونًا من دَلاتٍ مُنيخة
ومن رَجُل عارى الأَشاجع شاحب

٢٥ سَرَى فى جَليد اللَّيل حتى كأنما
تَخَزَّمَ بالأَطراف شَول العقارب

٢٦ فسلَّمتُ والتسليم ليس يسرُّها
ولكنه حقٌّ على كل جانب

---

(٢٠) حيزبون : عجوز .

(٢١) الوبيص : البريق وفى بعض الروايات (وميض) .

(٢٢) بغام : صوت الظبية إلى ولدها والناقة عند الحنين . لاغب : متعب .

(٢٤) دلات : ناقة ماضية الأشاجع : أطناب الأصابع فوق ظهر الكف .

(٢٥) تخزم : شكه ودخل فيه .

(٢٦) جانب : غريب .

٢٧ فردَّت سـلامًا كارهًا ثم أعرضت
كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

٢٨ فقلت لهـا لَا تفعـلى ذا براكب
أتاكِ مُصِيبٍ ما أَصـابَ فذاهب

٢٩ فلمـا تَنَـازعْنَا الحـديثَ سأَلْتُها
مَنِ الحَىُّ ؟ قالت : معشرٌ مِن مُحارب

٣٠ من المُشْتَوِين القَـدَّ مَّـا تراهم
جِيـاعًا وريفُ الناس ليس بناضِب

٣١ فلمـا بدا حِرمانُهـا الضَّيْفَ لم يكن
علىَّ مُناخُ السـوء ضـربةَ لازب

٣٢ فَقُمتُ إلَى مَهْـرِيَّةٍ قد تعـوَّدت
يداها ورجـلاها خبيب المواكب

٣٣ تُفَرِّى قميصَ الليل عنهـا وتنتحى
كأَن بذفْراهـا بُزاق الجنـادب

٣٤ ترى كل ميل جـاوزته غنيمـةً
سُحيرًا وقد صـار الْقُمَيْرُ بحاجب

---

(٣٠) الريف : السعة فى المآكل والمشرب .

(٣٢) مهرية : ناقة أصيلة منسوبة إلى حى من العرب يقال له . مهرة بن حيدان .

(٣٣) تفرى : تمزق . الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . بزاق : بصاق .

٣٥ تَخَـوَّدُ تَخْويدَ النعـامة بعـد ما
تَصوَّبت الجوزاءُ قَصْدَ المغـارب

٣٦ كأَنى ورحـلى من نَجَـاءٍ مُواشِـكٍ
على قارحٍ بالمنصـلية قـارب

٣٧ حدَا : إننـا من ذى حَماسٍ وعرعر
لِقاحًا يُغَشِّيهـا رؤوسُ الصَّياهب

٣٨ مفـدحةً قُبًّـا خِفـافا بطونُهـا
وقد وازنت جِحْشانَها بالحوالب

٣٩ تَمُرُّ كَمَرِّ الطَّـير فى كل غَمْرَةٍ
ويكتحل التـالى بِمَورٍ وحـاصب

٤٠ أَلا إنمـا نيران قَيْسٍ إذا اسْـتووْا
لطـارق ليل مثـلُ نار الحباحب

---

(٣٥) تخود : أسرع . تصوبت : مالت .

(٣٦) نجاء : خلاص . القارح : "تام النضج من الإبل . المنصلية : اسم مكان .

(٣٧) ذو حماس وعرعر . اسما موضعين ، اللقاح . الإبل : الصياهب : جمع صيهب وهو الصخرة الصلبة والموضع الشديد والأرض المستوية والحجارة وكل موضع تحمى عليه الشمس .

(٣٨) فى بعض الروايات : موقحة أى مجربة ، والمفدحة قد تؤدى هذا المعنى فهى مثقلة صعبة ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وازنت : كبرت معها ، الحوالب : الخواصر

(٣٩) التالى : التابع ، المور ، الغبار ، الحاصب : ريح تحمل التراب .

(٤٠) نار الحباحب : التى تخرج من تحت حوافر الدواب .

٤١ إذا مت فانعيني بما كنت أهلَهُ
لتغلبَ إن الحق لابد غالبي

٤٢ إذا الحيُّ حَلُّوا فرط حولٍ بغائط
جديب مُنَدَّاه أنيقٍ لحاطب

(٤١) الحق : الموت .

الأحوص الأنصارى

(ت ١٠٥ هـ)

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح.

لقب الأحوص لِحَوَص كان فى عينيه (أى ضيق فى مؤخر العين).

كان ثالث ثلاثة نهضوا بالغزل فى الحجاز زمن بنى أمية . وقف شعره على بنى أمية.

مدح عبد العزيز بن مروان أمير مصر ، ومدح الوليد بن عبد الملك عندما تولى الخلافة بعد وفاة أبيه. ومدح عمر بن عبد العزيز ، وسليمان ابن عبد الملك .

توفى بدمشق فى خلافة يزيد بن عبد الملك على الأرجح : أى فيما بين ١٠١ ، ١٠٥ هـ .

جمع ديوانه وحققه عادل سليمان جمال . وصدر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر فى عام ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م :

* * *

قال الأَحوص الأَنصارى :

١ رامَ قلبي السُّلُوَّ عن أَسماءِ ... وتعزَّى وما به من عَزَاءِ

٢ سُخْنةٌ فى الشتاءِ باردة الصّيْـ ... ـف سِرَاجٌ فى الليلَة الظَّلْمَاءِ

٣ كَفِّنانى إنْ مِتُّ فى دِرْعِ أَرْوَى ... وامتَحالى من بئْرِ عُرْوَةَ مائى

٤ إنَّنِى والَّذى تحُجُّ قريشٌ ... بيتَه سالكين نقْبَ كداءِ

٥ لَمُلِمٌّ بها وإن أُبْتُ منهـا ... صادرًا كالذى وردْتُ بِدَاءِ

٦ ولها مَربْع بِبُرْقَةَ خـاخ ... ومَصِيف بالقصر قصر قُبَاءِ

٧ قَلَبَتْ لى ظَهْر المِجَنِّ فأَمْسَتْ ... قد أَطاعَتْ مَقَالَةَ الأَعداءِ

* * *

---

(٣) درع «أروى» : درع المرأة قميصها ، وهو أيضا الثوب تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها . امتحا لى : استقيا لى . بئر عروة : بئر بعقيق المدينة ، تنسب لعروة بن الزبير .

(٦) برقة خاخ : موضع . والبرقة كالروضة ، فهى ذات حجارة وتراب وحجارتها الغالب عليها البياض .

(٧) قلب له ظهر المجن : تضرب مثلا لمن تغير فى مودته لصاحبه . والمجن هو الترس .

وقال الأحوص :

١ ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا
فقد غُلِبَ المحزونُ أن يتجلَّدَا

٢ بكَيْتُ الصِّبا جُهْدى فمن شاءَ لامَنِى
ومن شاءَ آسَى فى البُكَاءِ وأَسْعَدا

٣ وإنِّي وإنْ فُنِّدتُ فى طَلَبِ الصِّبَا
لَأَعْلَمُ أنِّى لَسْتُ فى الحُبِّ أَوْحَدَا

٤ إذا أَنت لم تعشَقْ ولم تدْرِ ما الهوى
فكُنْ حَجَرًا منْ يابسِ الصَّخْر جَلْمَدَا

٥ فما العيش إلَّا ما تَلَذُّ وتشتهى
وإن لامَ فيه ذو الشَّنان وفَنَّدا

٦ وعَهْدِى بها صفْراء رُودًا كأَنَّما
نضا عرقٌ منها على اللَّون عَسْجَدَا

---

(١) التبلد : نقيض التجلد ، أى أن يصير المرء كالذاهب العقل إذا ما أصيب فى شىء عزيز عليه .

(٢) أسعد : أعان .

(٣) فند فلان فلانا : إذا ضعف رأيه وأنكر عقله .

(٥) الشنان : لغة فى الشنآن وهو البغض .

(٦) صفراء : المرأة الرقيقة اللون . الرود : الشابه الرخصة . نضا : خلع وأخرج .

٧ مُهَفْهفةُ الأَعلى وأَسْفَلُ خَلْقِها
جرى نحْمُه من دون أَنْ يتخدَّدا

٨ من المُدْمَجاتِ اللَّحْمِ جَدْلًا كأنَّها
عِنانُ صَنَاعٍ مُدْمَجِ الفتلِ مُحصَدا

٩ كأنَّ ذَكيَّ المِسْكِ منها وقد بدَتْ
وريحَ الخُزَامى عَرْفُه ينْفَحُ النَّدا

١٠ وإنى لأَهواها وأَهوى لِقاءَها
كما يشتهى الصَّادِى الشرابَ المُبرَّدا

١١ فقلتُ ألا ياليت أَسماء أَصْقَبَتْ
وهل قولُ ليتٍ جامع ما تبدَّدا

١٢ علَاقَةُ حُبٍّ لَجَّ فى زمن الصِّبَا
فأَبلَى وما يزدادُ إلَّا تَجَدُّدَا

---

(٧) المهفهفة : الخميصة البطن ، الدقيقة الخصر . تخدد اللحم : هزل ونقص .

(٨) أدمج الحبل : أحكم فتله . الجدل : شدة الفتل . أى أن لحمها غير مترهل . العنان : الحبل . الصناع : الحاذق بالصنعة . المحصد : الشديد الفتل .

(٩) الخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج . العرف : الريح طيبة كانت أو خبيثة ، وإن كان أكثر الاستعمال فى الطيبة .

(١٠) الصادى : الظامىء .

(١١) أصقبت الدار وصقبت (كفرح) : دنت وقربت .

١٣ سُهُوبٌ وأعلامٌ تَخَالُ سَرابَها
إذا استَنَّ فى القيظ المُلَاءَ المُعَضَّدا

١٤ نظرتُ رَجَاءً بالمُوَقَّر أنْ أرى
أكاريسَ يحتلون خاخاً فمُنْشِدا

١٥ فأوفيتُ فى نَشْزٍ من الأرض يافعٍ
وقد تسْعِفُ الأيفاعُ من كان مُقْصَدَا

١٦ كريمُ قريش حين يُنْسَبُ والذى
أقرّتْ له بالمُلْكِ كَهْلاً وأمْرَدَا

١٧ وليْسَ عطاء كان منه بمانع
وإن جلَّ عن أَضْعَافِ أَضْعَافِه غدا

١٨ لعَمْرى لقد لاقيتُ يومَ مُوَقَّرٍ
أبا خالد فى الحى يحْمِل أَسْعُدا

---

(١٣) سهوب : جمع سهب وهى الفلاة أو نواحيها التى لا مسلك فيها . الأعلام : جمع علم وهو الجبل ، وما يبنى فى الطريق من منازل يستدل بها . استن السراب : جرى واضطرب . المعضد المخطط على شكل العضد .

(١٤) الموقر : موضع بنواحى البلقاء من نواحى دمشق .
الأكاريس : الأجرام من الناس واحدها كرس . خاخ : موضع بين الحرمين يقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . منشد : جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع .

(١٥) أوفى : أشرف وارتفع . النشز : المتن المرتفع من الأرض . اليافع واليفع : المشرف والجمع أيفاع . المقصد : المرمى بسهم الحب .

(١٦) الأمرد : الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته .

(١٨) أبو خالد : يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ — ١٠٥هـ) .

١٩ وأوقدْتُ نارى باليَفَاع فلم تَدَع
لنيران أعدائى بنُعماك مَوْقِدا

٢٠ وما كان مَالِى طارفاً عن تِجَارة
وما كان ميراثاً من المال مُتْلَدا

٢١ ولكن عطاءً من إمام مُبَارَك
مَلَا الأَرض معروفاً وعدلًا وسؤددا

٢٢ شكوتُ إليه ثُقْلَ غُرْمٍ لو انَّه
وما أَشْتَكى منه على الفِيل بَلَّدا

٢٣ فَلَمَّا حَمِدْنَاه بما كان أهلَهُ
وكان حقيقاً أَن يُسَنَّى ويُحمَدا

٢٤ وإن تُذْكر النُّعْمى التى سلفت له
فأَكرِمْ بها عندى إذا ذُكرت يدا

٢٥ أهانَ تِلَادَ المالِ فى الحَمْد إنَّه
إمامُ هدًى يجرى على ما تَعَوّدا

---

(١٩) اليفاع : التل .

(٢٠) طارف : المال المستفاد ، أى ما استحدث . والمتلد والتليد : المال القديم ، وهو نقيض الطارف .

(٢٢) بلد الرجل : لم يتجه لشىء لثقل ما تنوء به نفسه .

(٢٣) يقال هو حقيق بكذا وحق بكذا : جدير به .

٢٦ فكم لك عندى من عطاءٍ ونِعْمَةٍ
تسوءُ عَدُوًّا غائبين وشُهَّدَا

٢٧ تردَّى بمجْد من أبيه وجَدِّه
وقد أورثا بُنْيان مجْدٍ مشيَّدا

٢٨ ولى منك موعودٌ طَلَبْتُ نجاحَه
وأنت امرُؤٌ لا تُخْلِفُ الدَّهرَ موعدا

٢٩ وعوّدتَنى أن لا تَزَال تُظِلُّنى
يَدٌ منك قد قدَّمْتَ من قبلها يدا

٣٠ ولو كان بذلُ المال والجودِ مُخْلِدًا
من الناس إنساناً لكنتَ المخَلَّدا

٣١ فأقسِم لا أنفكُّ ما عشت شاكرًا
لنعماك ماطارَ الحَمَامُ وغَرَّدا

---

(٢٧) تردى الشيء : توشحه ولبسه .

كثير عزة

(ت ١٠٥ هـ)

هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود ، من مليح ، ثم من خزاعة ويكنى بأبى صخر ، ولكن إضافته إلى «عزة» قد غلبت عليه فعرف بها .
ولم ترد إشارة محددة إلى عام مولده ، وإن اتفقت المصادر على أن وفاته كانت سنة ١٠٥هـ . فإذا أضفنا إلى ذلك ما يقوله المرزبانى فى معجم الشعراء من أنه زاد واحدة أو اثنتين على ثمانين سنة رجحنا أن مولده كان عام ٢٣ ، أو ٢٤ هـ ، أى فى أواخر خلافة عمر أو فى أوائل خلافة عثمان ، وإن كنا لا نعرف له مشاركة مذكورة فى الحياة العامة قبل سنة ٦٥ هـ ، ، أى حين بلغ الأربعين أو جاوزها فمنذئذ نجد عطاءه الشعرى فى ذروة توهجه وسخائه .

ويروى أنه قضى صباه وصدر شبابه فى رعى غنم عمه بعد وفاة والده . وإلى هذه المرحلة ترجع بداية معرفته بعزة ؛ فقد تصادف أن بلغ بأغنامه « الخبت » على ساحل البحر الأحمر ، فوقف على نسوة من « بنى ضمرة » فسألهن عن أقرب ماء يرده ، وكانت فيهن فتاة صغيرة السن تكلفت بإرشاده ، وكانت هى عزة التى انقطع للحديث عنها والتشبيب بها من يومئذ .

وقد حظى شعر كثير بإعجاب كثير من رواة الأدب ، حتى ليعده أبو عبيدة أشعر أهل الإسلام ، ويعده ابن سلام شاعرا فحلاً مقدما عند أهل الحجاز ، وإن كان منقوص الحظ بالعراق (طبقات

فحول الشعراء) . أما المصعب الزبيرى فيقول : « هو أشعر من جرير والفرزدق والراعى وعامتهم ، ولم يدرك أحد فى مديح الملوك ما أدرك كثير » (الأغانى ٩ / ٥) .

ومن نقاط التحول فى حياة كثير ما يتعلق باعتناقه الكيسانية ، دعوة المختار الثقفى الذى نهض بالتشيع لآل البيت بعد مقتل الحسين سنة ٦١ هـ ، ومن ثم نرى قصيدته التى نقدمها له فى مدح عمر بن عبد العزيز تذكر من فضائل « عمر » عدم شتمه « عليا » . ويقال إن « عمر لم يأذن له بالدخول عليه لإنشادها إلا بعد أن تركه ببابه أشهرا ، ثم أذن له فى الإنشاد قائلا : « قل ولا تقل إلاّ حقا » .

أما القصيدة الأُخرى التى اخترناها من شعره فتتناول أبرز ملامح حياته العاطفية ، نعنى علاقته بعزة بنت حُمَيْل بن حفص الغفارى . وهو كعادة العذريين يولع بها ، فيحال بينه وبينها ، وتُزوّج من آخر فيسكب « كثير » حرمانه شعرا ينبض بالأَلم والالتياع

❋ ❋ ❋

قال كثيِّر يمدح عمر بن عبد العزيز :

١ عرِّجْ بأَطرافِ الدّيار وسَلِّمِ
وإن هيَ لم تَسمعْ ولم تتكلم

٢ فقد قدُمَتْ آياتُها وتنكَّرتَ
لما مرَّ مِن ريحٍ وأَوطفَ مُرْهِمِ

---

(١) عرج : من قولهم « عرج بالمكان » أى نزل به .

(٢) آياتها : جمع آية ، والمقصود بالآية هنا العلامة والأمارة . الأوطف : الذى دنا من الأرض لكثرة مطره . المرهم : السحاب الذى يرسل الرهمة ، وهى المطر الدائم دون شدة .

٣ تأمَّلْتُ مِن آياتِها بعدَ أَهلِها
بأَطرافِ أعظامٍ فأَذنابِ أَزْنُمِ

٤ محانِى آناءٍ كأَنَّ دروسَها
دروسُ الجوابى بعدَ حوْلٍ مجرَّمِ

٥ يقولُ خليلى سِرْ بنا أَىَّ موقفٍ
وقفتَ وجهلٍ بالحليمِ المعمَّمِ

٦ تلومُ ولم نعلم بأَسرارِ خُلَّةٍ
فتعذرَ إلا عن حديثٍ مرجَّمِ

٧ فإن كنتُ لم أَجهلْ فقد لمتَ ظالماً
وإن كنتُ قد أَزرى بِىَ الجهلُ فاحلمِ

٨ وفى الحِلْمِ والإسلامِ للمرءِ وازعٌ
وفى تَرْكِ طاعاتِ الفُؤادِ المُتيَّمِ

---

(٣) أعظام وأزنام موضعان ، ويقول بعض الرواة إنهما بالقرب من المدينة .

(٤) آناء : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة . الجوابى : الأحواض ، والمفرد جابية . حول مجرم : عام كامل .

(٥) المعمم : من قولهم « عمم القوم فلانا أمرهم » أى قلدوه إياه فصار ملجأ لعامتهم .

(٦) الخلة : المحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله . الحديث المرجم : الحديث بالظن من غير دليل .

(٧) أزرى بى : أهاننى وقصر بى .

(٨) الوازع : الناهى . المتيم : من تيمه الهوى ، أى ذهب بعقله .

٩ بصائرُ رُشدٍ للفتى مُسْتبِينَةٌ
وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بالتَعَلّمِ

١٠ وليتَ فلم تَشتِم علياً ولم تُخِفْ
بريئاً ولم تقْبَلْ إشارَةَ مُجرمِ

١١ وأظهرْتَ نورَ الحقّ فاشتَدَّ نورهُ
على كلّ لَبْسٍ بارق الحَقّ مُظلمِ

١٢ وعاقبتَ فيما قد تقدّمْتَ قَبْلَهُ
وأعرَضتَ عمّا كان قبلَ التَقدّمِ

١٣ وصدَّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مع الذى
أتَيْتَ فأمْسَى راضياً كلُّ مُسلمِ

١٤ تكلمْتَ بالحَقّ المُبينِ وإنّما
تبَيّنُ آياتُ الهُدى بالتّكلّمِ

١٥ ألا إنما يكفى الفتى بعدَ زَيْغِهِ
مِن الأَوَدِ البادى ثِقافُ المقوِّمِ

١٦ وقد لبسَت لُبس الهَلوك ثيابَها
تراءَى لك الدُّنيا بكَف ومِعصَم

(١٢) عاقبت : جعلته عاقبا وتاليا .

(١٥) الزيغ : الجور عن الحق . الأود : الميل والأعوجاج . الثقاف : حديدة يقوم بها المعوج .

(١٦) لبست : يعنى الدنيا . الهلوك : البغى الفاجرة . تراءى لك بكف ومعصم : أى تتراءى لك بزينتها لتخدعك .

١٧ وتومضُ أحياناً بعينٍ مريضَة
وتَبسِمُ عَن مِثلِ الجُمان المُنظَّم

١٨ فأَعرَضْتَ عنها مُشمئزاً كأنَّما
سقتكَ مَدوفاً مِنْ الإِسمامِ وعلقَم

١٩ وقد كُنتَ من أَجبالها فى مُمَنَّعٍ
ومِن بحرها فى مُزْبدِ الموج مُفعم

٢٠ وما زلتَ توّاقاً إلى كلِّ غايةٍ
بَلَغْتَ بها أَعلى البناءِ المُقدم

٢١ فلما أَتاكَ المُلْكُ عفواً ولم يكُنْ
لطالب دُنيا بعْدهُ مِن تكَلم

٢٢ تركت الذى يَفْنَى وإن كان مونقاً
وآثرتَ ما يَبقَى برأى مُصمِّم

٢٣ وأَضرَرْتَ بالفانى وشمَّرْتَ للذى
أَمامك فى يوم مِن الشرّ مُظلم

٢٤ ومالك إذ كنتَ الخليفةَ مانعٌ
سوى الله من مال رغيبٍ ولادمٍ

---

(١٧) تومض : تغمز بطرفها ، أو تنظر نظرا مريبا . الجمان : اللؤلؤ .

(١٨) مشمئزا : نافرا منها ضيقا بها . المدوف : الممزوج المخلوط . السمام : السم .

(٢٠) تواقا : من قولهم تاق إلى الشيء ، أى خف إليه وهم بفعله .

(٢٢) مونق : أنيق معجب . آثرت : اخترت وفضلت .

٢٥ سما لك هَمٌّ فى الفُؤَاد مُؤرَّقُ
بلغتَ بهِ أعلى المعالى بسُلَّم

٢٦ فما بينَ شرق الأرض والغرب كلها
مُنادٍ يُنادى من فَصِيحٍ وأعْجَم

٢٧ يقولُ أميرَ المؤمنين ظَلَمْتَنى
بأخْذ للدينار ولا أخْذ درهَمِ

٢٨ ولا بَسْطِ كفٍ لامْرِئٍ غير مجرم
ولا السّفك منهُ ظالماً مِلءِ مِحجم

٢٩ ولو يستطيعُ المُسلمون لقَسَّموا
لك الشَّطْرَ من أعمارِهم غيرَ نُدَّم

٣٠ فعِشتَ بهِ ما حجَّ لله راكبُ
مُغذٌّ مُطيفٌ بالمقام وزَمْزم

٣١ فأَرْبِحْ بها مِن صَفقةٍ لمُبايعٍ
وأعظمْ بها أَعظِم بها ثمَّ أعْظِم

وقال :

١ خَليلىَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعقِلا
قَلُوصَيكُمَا ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ

٢ ومُسّا تُراباً كان قد مسّ جِلدها
وبِيتَا وظَلاَّ حيث باتتْ وظَلّتِ

(١) الربع : الدار أو موضعها . اعقلا : اربطا . القلوص : الناقة الفتية .

٣ ولا تَيْأَسا أن يمْحُوَ اللهُ عَنكما
ذُنوباً إذا صلّيْتُما حيث صَلَّتِ

٤ وما كنت أدْرى قبل عزة ما البُكا
ولا مُوجِعات القلب حتى تَوَلَّت

٥ وما أَنْصَفَتْ أمّا النساءُ فبَغَّضَتْ
إليْنَا وأمّا بالنّوال فَضَنَّت

٦ فقد حلفتْ جَهْدًا بما نحرتْ له
قريش غَدَاة المأْزِمَيْن وصلَّتِ

٧ أُناديكِ ما حَجّ الحجيجُ وكبّرتْ
بفَيْفَاءِ آلٍ رُفْقةٌ وأهلّتِ

٨ وما كبّرتْ مِن فوق رُكْبَة رُفْقةُ
ومِنْ ذى غَزَال أشعرت واستَهلَّتِ

---

(٤) تولت : ذهبت وأعرضت .

(٥) أنصفت : عدلت . ضنت بخلت . النوال : العطاء .

(٦) حلفت جهدا : بالغت فى يمينها . الجهد — بفتح الجيم — المبالغة والغاية . المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضى آخره إلى بطن عرفة .

(٧) الحجيج : جمع حاج . فيفاء آل : موضع بمكة يهبط منه الناس إلى الأبطح بالقرب من منى . أهلت : رفعت صوتها بالتلبية .

(٨) ركبة : واد بين مكة والطائف ، وقيل جبل بالحجاز . ذو غزال : موضع بناحية عسفان، وعسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . أشعرت : اتخذت شعارا . استهلت رفعت الصوت بالإهلال .

٩ وكانت لقطع الحبْل بينى وبينها
كَنَاذِرة نَــــذْرا وفَتْ فأَحَلَّتِ

١٠ فقلْتُ لها يا عَزَّ كلُّ مُصيبة
إذا وُطِّنت يوماً لها النفْسُ ذَلَّتِ

١١ ولم يَلْق إنسانٌ من الحب مَيْعةً
تَعُمُّ ولا عمياء إلاّ تَجلَّتِ

١٢ فإنْ سأَل الوَاشُون فيمَ صَرَمْتَها
فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فتَسَلتِ

١٣ كأَنّى أُنادى صخرةً حين أَعْرَضَتْ
من الصُّمِّ لوْ تَمّشى بها العُصْمُ زَلتِ

١٤ صَفوحٌ فما تَلْقاكَ إلاّ بخيلَةً
فمن ملَّ منها ذلك الوَصْلَ ملَّتِ

---

(٩) وفت : استوفت المدة المضروبة للنذر . أحلت : خرجت من الميثاق الذى ارتبطت به .

(١٠) وطنت : من قولهم وطن نفسه على الشيء فتوطنت له ، أى حملها عليه فذلت له وانقادت .

(١١) الميعة : أول الشيء . تعم : تشمل . العمياء : الجهالة . تجلت : انفرجت وظهرت .

(١٢) صرمتها : هجرتها . تسلت : تكلفت السلوان .

(١٣) أعرضت : صدت . الصم : جمع صماء ، وهى الصخرة الصلبة . العصم : جمع أعصم وعصماء ، وهو من الوعول ما فى ذراعيه بياض ، ومن عادة العصم أن تحسن القفز فوق الصخور . زل : زلقت قدمه .

(١٤) الصفوح : المعرضة الهاجرة. الوصل : سمى هذا النوع من البخل وصلا ، لأنها لا تجود بغيره .

١٥ أباحت حِمىً لم يَرْعَهُ الناسُ قَبْلَها
وحلّتْ تِلاعاً لم تكن قبلُ حُلّتِ

١٦ فليتَ قَلُوصِى عند عزّة قُيِّدت
بحَبْلٍ ضعيف غُرّ منها فَضَلّتِ

١٧ وغُودِرَ فى الحىّ المقيمين رَحْلُها
وكانَ لها باغٍ سِوَاىَ فَبَلّتِ

١٨ وكنتُ كذى رِجلَين رِجلٍ صحيحة
ورِجْلٍ رَمَى فيها الزّمان فَشَلّتِ

١٩ وكنتُ كذاتِ الظّلْعِ لمّا تَحَامَلَتْ
على ظَلْعِها بعد العِثار استقلّتِ

٢٠ أُريدُ الثَّواءَ عِنْدها وأَظُنّها
إذا ما أَطَلْنا عندها المُكْثَ ملّتِ

---

(١٥) أباح : أحل . الحمى : الأرض التى يحمى كلؤها فلا يرعاها غير صاحبها . التلاع جمع تلعة ، وهو مرتفع يجرى منه الماء إلى بطن الأرض .

(١٦) غر منها : عقد على غرة . ضلت : هامت على وجهها ، يعنى ناقته .

(١٧) بلت : ذهبت ولم يعثر عليها أحد ، يقال بلت مطيته على وجهها إذا هامت ضالة فى الأرض .

(١٨) وكنت : يريد « وليتنى كنت » تمنى أن تشل إحدى رجليه وهو عندها حتى لا يرحل عنها وقال بعضهم : تمنى أن يفقد قلوصه فيبقى فى حى عزة فيكون ببقائه كذى رجل صحيحة ويكون بفقد قلوصه كذى رجل عليلة .

(١٩) الظلع : العرج . تحاملت : تكلفت السير بمشقة .
العثار : الزلل . استقلت : ارتحلت .

(٢٠) الثواء : الإقامة .

٢١ يُكلِّفها الخِنْزير شَتْمِى ومَا بِها
هَوَانى ولكنْ للمليك اسْتَذَلَّتِ

٢٢ هنيئاً مريئاً غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ
لِعَزة مِنْ أَعْراضنا مـــا اسْتَحَلَّتِ

٢٣ وَوَاللهِ ما قَارَبْتُ إلاَّ تَبَاعَدَتْ
بصَرْمٍ ، ولا أَكْثَرتُ إلا أَقَلَّتِ

٢٤ وكُنَّا سلكنَا فى صَعُودٍ من الهوى
فلمَّا تَوَافيْنا ثَبَتُّ وزَلَّـــــتِ

٢٥ وكُنَّا عَقَدْنا عُقْدة الوصْل بيننا
فلمّا تَوَاثَقْنَا شَدَدْتُ وحَلَّتِ

٢٦ فإنْ تَكُن العُتْبَى فأَهْلاً ومرحباً
وحُقَّت لها العُتبى لدينا وقَلَّتِ

---

(٢١) الخنزير : كلمة سب لزوج عزة ، ويقال إن زوج عزة مر على كثير وهو ينشد فحمل زوجته على أن تشتم الشاعر ، ففعلت نزولا على إرادة زوجها . استذلت : خضعت واستكانت . المليك : مالكها وصاحبها .

(٢٢) مخامر : مخالط ، يعنى : هنيئا مريئاً لعزة ما استحلته من أعراضنا ، إلا أن يكون داء مخامرا .

(٢٣) الصرم : الهجر والقطيعة .

(٢٤) الصعود : الطريق الصاعد .

(٢٦) العتبى : الرضا ، وهى الإعتاب ، إذا نزعت عما عاتبك عليه . حقت : وجبت . قلت : أى أنه يستقل الرضا فى جانبها .

٢٧ وإن تكن الأُخرى فإنّ وَرَاءنَا
بلاداً إذا كَلَّفْتُها العِيسَ كَلَّتِ

٢٨ خليلىّ إنّ الحاجبيَّةَ طَلَّحتْ
قَلُوصَيْكُمَا وناقَتِى قــد أَكَلَّتِ

٢٩ فلا يَبْعَدَنْ وصْل لعزّة أصبحتْ
بِعاقِبةٍ أسبابُــه قد تَوَلّتِ

٣٠ أَسيئِى بِنَا أَوْ أَحْسِنِى لا مَلُومةً
لدينا ولا مقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتْ

٣١ ولكن أَنِيلِى واذْكُرِى من مودّة
لنا خُلَّةً كانت لديْكُم فَضَلَّتِ

٣٢ وإنّى وإن صدَّتْ لمثْنٍ وصادق
عليْها بما كانت لدينَا أَزَلَّتِ

---

(٢٧) الأخرى : أى ما عدا العتبى . العيس : الإبل البيض . كلت : أعيت وتعبت من السير .

(٢٨) الحاجبية : يريد عزة ، نسبة إلى جدها الأعلى حاجب بن غفار . طلحت : أتعبت أكلت : أجهدت .

(٢٩) بعاقبة : بآخرة ، فى آخر الأمر . الأسباب : الحبال والعلائق ، يريد أن علائق ذلك الوصل قد تقطعت .

(٣٠) أسيء بنا : قولى ما أسوأه . أحسى : قولى ما أحسنه . مقلية : مكروهة بغيضة تقلى : تبغض .

(٣١) أنيلى : صلى . الخلة : المودة والصداقة . ضلت : نسيت .

(٣٢) أزلت : من قولهم أزل إليه نعمة : أسداها.

٣٣ فَمَا أَنا بالدّاعى لعزّة بالرّدَى
ولا شامِتٍ إنْ نَعْلُ عزّة زلّتِ

٣٤ فلايحسب الواشُون أَن صبابتى
بعزّة كانت غَمْرَةً فتجَلّتِ

٣٥ فأَصبحتُ قد أَبْللتُ منْ دَنفٍ بها
كمَا أُدْنِفَتْ هَيْمَاءُ ثم اسْتَبلّتِ

٣٦ فَوَاللهِ ثُمّ اللهِ لا حلّ بعدها
ولا قَبلَها مِنْ خُلّة حيث حَلّتِ

٣٧ وما مرّ مِن يومْ علىّ كيَوْمها
وإنْ عَظُمَتْ أَيّامُ أُخرى وجَلّتِ

٣٨ وحلّت بأَعْلى شاهِقٍ مِنْ فُؤادِهِ
فلا القَلْبُ يَسْلاَها ولا النّفْس مَلّتِ

٣٩ فَوَاعَجَبا للقلْب كَيْفَ اعتْرافُهُ
وللنّفس لمّا وُطنتْ فاطمأَنّتِ

---

(٣٣) الردى : الهلاك . زلت به النعل : كناية عن العثار والخطأ .

(٣٤) الواشون : جمع واش : وهو الذى يمشى بالنميمة .
الصبابة : الرقة والشوق . غمرة : شدة الشيء .

(٣٥) أبللت : برئت . دنف : مرض . هيماء : من الهيام وهو داء يصيب الإبل فتهيم على وجهها ولا ترعى . استبل من المرض : برىء منه .

(٣٧) أيام أخرى : يقصد أيام امرأة أخرى .

(٣٨) شاهق : عظيم الإرتفاع . يسلاها ينساها ويطيب عنها نفسا .

(٣٩) اعترافه : اصطباره : والعروف عند الشدة : الصبور عند المصيبة ، والعارف : الصابر .

٤٠ وإنِّى وتَهْيَامِى بِعزَّة بَعْدمَا
تَخَلَّيْتُ مِمَّا بيننا وتخلَّتِ

٤١ لَكَا لْمُرْ تَجِى ظِلَّ الغَمَامة كُلَّما
تَبَوَّأَ مِنْها للمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتِ

٤٢ كأَنِّى وإيَّاها سحَابَةُ مُمْحِلٍ
رَجَاها فلمَّا جَاوزَتْه اسْتَهَلَّتِ

(٤٠) تهيام : مصدر للمبالغة من الهيام . تخليت : تركت وخبر إن فى البيت التالى .

(٤١) لكالمرتجى : خبر إن فى البيت السابق . تبوأ : أقام بالمكان . المقيل : النوم وسط النهار . اضمحلت الغمامة : انقشعت .

(٤٢) ممحل ، أى بلد ممحل ، يعنى مجدب . استهلت : بدأت إرسال المطر .

نُصَيب بن رباح

(ت ١٠٨ هـ)

هو أبو الحجفاء أو أبو محجن نُصَيب بن رباح . كان عبدا رقيقا لرجل من أهل وَدّان فى وادى القرى شمال الحجاز ثم كاتب على نفسه ، ورحل إلى مصر ليمدح واليها عبد العزيز ابن مروان (٦٥ - ٨٤ هـ) ، فاشتراه عبد العزيز من مولاه مع أهله وولده وأعتقهم جميعاً . فكان نصيب يرحل فى كل عام إلى عبد العزيز مادحا . ومدح عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ، ثم اتصل بعمر بن عبد العزيز ومدحه واليا وخليفة . واتصل بعد بيزيد بن عبد الملك : ومات فى خلافة هشام بين عامى ١٠٥ ، ١١٠ هـ على الأرجح .

وكان نصيب شاعراً مقدماً فى المديح والنسيب والرثاء . وله فى سواد لونه شعر كثير . جمع ديوانه وقدمه الدكتور داود سلوم ، وصدر عن مكتبة الأندلس ببغداد عام ١٩٦٨ .

قال نصيب بن رباح :

١ دعا المحرمون اللهَ يستغفرونه بمكة يوماً أن يُمَحىً ذنوبُها

٢ وناديت ياربّاه أول سؤلتى لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها

---

(١) المحرمون : أحرم بالحج أى حرم عليه ما كان حلالا من قبل كالصيد والنساء .

(٢) سؤلتى : السؤل ما يطلبه الإنسان . حسيبها : المحاسب .

٣ فإن أُعْطَ ليلى فى حياتى لم يتُب إلى الله عبدٌ توبة لا أتوبها

٤ أهابُك إجلالًا ومابك قدرة علىَّ ولكن ملءُ عين حبيبها

٥ وما هجرتُك النفس ياليل إنَّها قَلَتْكِ ولكن قلَّ منك نصيبها

٦ ولكنَّهم ياأملح الناس أُولِعوا بقول إذا ماجئت هذا حبيبها

٧ وهل مثل ليلات لهن رواجع إلينا وأيام تحوّل طيبها

٨ إذا هىْ وأهل العامرية جيرةٌ بحيث النَّقَا هَضْبُ السرى وكثيبها

٩ إذا لم تعد أمواه جزع سُويْقة بحارًا ولم يحذرعليها خصيبها

١٠ إذا لم تُرَب فى أم عمرو ولم تُرِب عيونَ أناس كنت بَعْدُ تُرِيبُها

١١ وأمست تبَغَّانى بجرم كأنَّها إذا علمت ذنْبى تُمَحَّى ذنوبُها

---

(٥) قلا ، يقلى قلى وقلاء : بغضه .

(٨) النقا : كثيب الرمل . هضب السرى : مرتفع الوسط . الكثيب : المجتمع من الرمل .

(٩) الأمواه : جمع قلة الماء . جزع سويقة : مكان بين ينبع والمدينة .

(١٠) لم ترب : لم تر ما يريبك . تريبها : لم ترتب فيها .

موسى شهوات

(ت ١١٠ هـ)

هو موسى بن يسار المدنى مولى قريش ، يكنى أبا محمد وشهوات لقب غلب عليه ، لأنه كان سؤولا ملحفا ، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتهى هذا ، فسمى موسى شهوات. وذكر لبعض العلماء أنه كان من أهل أزربيجان وأنه نشأ بالمدينة ، وكان يجلب إليه القَنَد (وهو عسل قصب السكر إذا جمد) ، والسكر ، فقالت له امرأة من أهله : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات ، فغلب عليه .

ونزل موسى شهوات الشام فى أيام سليمان بن عبد الملك فكان من شعرائه ، وقد مدح بنى أمية فى معظم أشعاره ، وتوفى نحو عام ١١٠هـ .

ومناسبة النص الأول الذى اخترناه له أنه قال لمعبد المغنى المشهور فى العصر الأموى : أأمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات وتغنى فيها ، ويكون ما يعطينا بينى وبينك ؟ فوافقه معبد ، فقال تلك الأبيات فى مديح حمزة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة فأساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، وقيل فيه إنه كان يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه إلا وهبه ، ويمنع أحياناً مالا تمنع من مثله .

أما النص الثانى لموسى شهوات فمناسبته أن موسى شهوات هوى جارية بالمدينة فساوم مولاها فيها فطلب عشرة آلاف درهم ، فجمع موسى كل ما يملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى إلى سعيد بن خالد العثمانى فأخبره بحاله واستعان به فدافعه واعتل عليه ، فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته ، فأمر له بستة آلاف درهم ، فلما قبضها ونهض ، قال له : اجلس ، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ما تملك فبأى حال تعيشان ؟ ثم دفع إليه ألفى درهم وكسوة وطيبا ، وقال : أصلح بهذا شأنكما ، فمدحه بهذه القصيدة وعرض بسعيد بن خالد العثمانى فشكاه إلى سليمان بن عبد الملك فأحضر موسى وشتمه ، فأخبره موسى بالقصة ، فقال للعثمانى : قد صدق إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف ، قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول :

لعمرى والله ما أنت عن أحسابنا برقود

* * *

قال موسى شهوات :

١ شاقنى اليومَ حبيبٌ قد ظَعَن ففؤادى مُسْتَهـامٌ مُرْتَهَنْ

٢ إنَّما هندا تَيمَّتْنِى حِقْبَـةً ثم بانت وهى للنفس شَجَن

٣ فِتْنَـةٌ أَلحقهـا اللهُ بنـا عائِذٌ بالله من شر الفِتَن

(١) ظعن : رحل وهجر .

(٢) بانت : فارقت .

٤ حمزةُ المبتاعُ بالمال الثَّنا ويرى فى بَيْعِه أَنْ قد غبن

٥ فهو إن أعطى عطاء فاضلا ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَن

٦ وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَةٌ بَرَتِ الناسَ كَبَرْيٍ بالسَّفَن

٧ حَسَرَتْ عنه نقياً عِرضُه ذا بلاءٍ عند مُخْنَاهَا حَسَن

٨ نورُ صِدْقٍ بَيِّنٌ فى وجهه لم يُدَنِّس ثَوْبَهُ لونُ الدَّرَن

٩ كنتَ للناس ربيعاً مُغْدِقا ساقط الأكناف إن راحَ ارْجَحَنْ

* * *

(٦) سنة : مجاعة : مجحفة : مهلكة : السفن : جلد خشن أو حجر ينحت به .

(٧) حسرت : كشفت : مخناها : مصدر ميمى من أخنى أى أهلك .

(٨) الدرن : الوسخ .

(٩) ساقط الأكناف : يعنى يعم كل ناحية : ارجحن : مال واهتز .

وقال أيضاً :

١ أَبا خالدٍ أَعنِى سعيدَ بن خالدٍ
أَخا الْعُرْف لا أَعنِى ابنَ بنتِ سعيد

٢ ولكننى أعنى ابن عائشةَ الذى
أَبو أَبويه خالدُ بن أَسِيدٍ

٣ عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى
فإن مات لم يرض الندى بعقيد

٤ فِدًى للكريم العبشمىّ ابن خالدٍ
بَنِىَّ ومالى . طارفى وتليدى

٥ على وجهه تلقَى الأَيامِنَ واسمِهِ
وكلُّ جوارى طيره بسُعُود

٦ أَبان وما استغنى عن الثَّدْى ، خيرَه ،
أَبانَ به فى المهد قبل قعود

٧ دعوه دعوه إنكم قد رقدتُمُ
وما هو عن أحسابكم برقُود

(١) أم سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاص .

(٢) أم خليد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد هى عائشة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية .

(٣) عقيد الندى : كريم بطبعه .

(٤) الطارف : المحدث ، التليد : الموروث .

٨ ترى الجُنْدَ والجُنَّابَ يَغْشَوْنَ بابَهَ
بحاجاتهم من سَيِّدٍ وَمَسود

٩ فَيُعطِى ولا يُعْطَى ويُغْشَى ويُجْتَدَى
وما بابُه للمجتدى بسَلِيد

١٠ قَتَلْتَ أُناساً هكذا فى جُلُودهم
من الغَيْظِ لَم تقتلهمُ بحديد

١١ يعيشون ما عاشوا بِغَيْظٍ وإن تَحِنْ
مَنَاياهمُ يوماً تَحِنْ بحُقُود

١٢ فقُل لبُغَاةِ العُرْفِ قد مات خالد
ومات الندى إلا فُضولَ سعيد

---

(٨) الجناب : جمع جانب وهو الغريب .

(٩) يجتدى : يطلب منه العطاء والمجتدى : طالب العطاء ، سديد بمعنى مسدود .

جـــرير

(ت ١١١ هـ)

* هو جرير بن عطية الخطفى ؛ والخطفى لقب . واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة . . . .

وكان جرير يكنى أبا حزرة . وهو أحد ثلاثة من الشعراء يقدمهم القدماء على غيرهم من شعراء عصرهم ، هم : جرير والفرزدق والأخطل ؛ وقد كانت بينهم خلافات قبلية وسياسية أشعلت نار الهجاء بينهم ، وأثمرت شعرا هجائيا كثيرا ، وفنا بعينه من الهجاء هو فن النقائض . .

وكانت فى جرير ، على الرغم من حدة طبعه وقسوة هجائه وفحشه فى أكثر الأحيان ، رقة ودماثة أنتجتا غزلا رقيقا فى مقدمات قصائده لم يصدر مثله عن صاحبيه ؛ ولكن الرواة بسبب شغفهم بأخبار النقائض التى كانت بينه وبين صاحبيه ، أغفلوا الحديث عن هذا الجانب من شعره ، ولم تصلنا من أقوالهم عنه إلا إشارات قليلة ، ولكنها مع ذلك دالة . وعلى الرغم من أن كثيرين من القدماء يؤكدون ولاء جرير لآل الزبير فإنهم لم يثبتوا شيئا كافيا من أخباره معهم أو أشعاره فيهم .

والقصيدة التى بين أيدينا من هذا النوع من شعره الذى كان يغنى فيه عواطفه الذاتية ، ويعبر فيه عن مواقفه الاجتماعية من أسرته وعلى الرغم من أنه يقولها فى عتاب جده الخطفى فإنه قد بدأها بالوقوف على الأطلال والغزل ، وأطال فى ذلك طولا ملفتا . وقد كان حريصا فى هذا القسم من القصيدة على تأكيد وفائه والتعبير عما يصيبه بسبب هذا الوفاء من عناء ، على طريقة الشعراء العذريين .

أما القسم الآخر فقد أخلصه لمعاتبة جده فى لغة عاطفية مؤثرة .

* * *

قال يعاتب جده الخطفى :

١ أَلا حَىِّ رَهْبَى ، ثمّ حَىِّ المَطالِيَا !
فَقَد كانَ مأْنُوسًا ، فأَصْبَحَ خالِيَا

٢ فَلا عَهْدَ إلاَّ أَنْ تَذكَّرَ أَوْ تَرَى
ثُماماً حَوالَىْ مَنْصَب الخَيَم بالِيَا

٣ أَلا أَيّها الوَادى ، الذى ضَمّ سَيْلُهُ
إلينَا نَوَى ظَمياءَ ، حُيِّيْتَ وَادِيَا

٤ إذا ما أَرَادَ الحَىُّ أَنْ يَتَزَايلُوا ،
وَحَنَّتْ جمالُ الحَىِّ حنَّتْ جمالِيَا

٥ فَيَا لَيتَ أَنَّ الحَىَّ لم يَتَفَرَّقُوا ،
وَأَمسَى ، جَميعاً ، جيرَةً مُتَدانِيَا !

٦ إذا نَحْنُ فى دارِ الجَميعِ ، كأَنَّمَا
يكونُ عَلَينا نِصْفُ حَوْلٍ لَيَالِيَا !

٧ إلى اللهِ أَشْكُو أَنَّ بالغَوْرِ حَاجَةً ،
وَأُخرَى إذا أَبصرتُ نَجداً بَدالِيَا !

٨ نَظَرْتُ برَهْبَى وَالظّعائِنُ باللِّوَى ،
فطارتْ برَهْبَى شُعبَةٌ من فُؤَادِيَا !

٩ وَما أَبصَرَ النَّاسُ التى وَضَحَتْ لَهُ ،
وَرَاءَ خُفَافِ الطَّيرِ ، إلاَّ تَمَادِيَا

١٠ وكائِنْ ترَى فى الحَىِّ من ذى صَداقةٍ
وَغَيرَانَ يَدْعُو وَيْلَهُ مِنْ حِذاريا

١١ إذا ذُكرَتْ ليَلى أُتيحَ لِىَ الهوَى ،
على ماترَى مِن هِجرَتى وَاجتِنابِيَا

١٢ خَليلَىَّ ! لَوْلا أَنْ تَظُنَّا بِىَ الهوَى ،
لَقُلْتُ : سَمِعْنا مِن عَقيلةَ داعيا

١٣ قِفا ! فاسمَعا صَوْتَ المُنادى، لَعَلَّهُ
قَريبٌ ، وَما دانَيْتُ بالوُدِّ دَانِيا

١٤ إذا ماجَعَلْتُ السِّىَّ بَيْنى وَبَيْنَهَا ،
وَحَرَّةَ لَيْلى ، وَالعَقيقَ اليَمَانِيَا ؛

---

(١٤) السى : على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة . حرة ليلى : لبنى سليم . العقيق : واد لبنى كلاب نسبة إلى اليمن لأنه يليها .

١٥ رَغِبْتُ إلى ذى العَرْشِ مَولى مَحمَّد
لِيَجمَعَ شَعباً ، أو يُقَرّبَ نَائِيَا

١٦ أذا العَرْشِ ! إنى لستُ ماعشتُ تاركاً
طِلابَ سُليمى ، فاقض ماكنتَ قاضِيا

١٧ وَلَوْ أنَّها شاءَتْ شَفَتْنى بهَيّنٍ ،
وَإنْ كانَ قَدْ أعْيَا الطَّبيبَ المُداويَا

١٨ سَأتْرُكُ للزُّوّار هِنْدًا ، وَأبْتَغى
طَبيباً ، فيَبْغِينى شِفاءً لِمَا بيا

١٩ فإنَّكِ إنْ تُعْطَى قَليلاً ، فَطَالَمَا
مَنَعْتِ وَحَلَّأْتِ القُلُوبَ الصَّوادِيَا

٢٠ دُنُوَّ عِتَاقِ الخَيل للزَّجْرِ : بَعدَمَا
شَمَسْنَ وَوَلَّينَ الخُدودَ العَوَاصِيَا

٢١ إذا اكتَحَلَتْ عَينى بعيَنِكِ مسنى
بخَيرٍ ، وَجَلَّى غَمْرَةً عن فُؤاديَا

٢٢ ويأمُرُنى العُذّالُ أنْ أغلب الهوى ؛
وَأنْ أكْتُم الوَجدَ الذى ليس خَافِيَا

٢٣ فَياحَسَرَاتِ القَلبِ فى إثْرِ من يُرَى
قَريباً ، وَيُلْفَى خَيرُهُ منكَ نَائِيَا

---

(٢١) اكتحلت عينى بعينك أراد إذا رآها فى نومه .

٢٤ تُعَيِّرُنِى الإِخلافَ لَيلى ، وَأَفْضَلَتْ
على وَصْلِ ليلى قُوَّةٌ مِنْ حِبَالِيَا

٢٥ فَقُولا لِوَادِيهَا ، الذى نَزَلَتْ بهِ :
أَوَادىَ ذى القَيْصُومِ أَمرَعتَ وَادِيًا

٢٦ فَقَدْ خِفتُ أَلاَّ تَجمعَ الدَّارُ بَينَنا ،
وَلا الدَّهرُ إلاَّ أَنْ تُجِدَّ الأَمَانِيا

٢٧ أَلاطَرَقَتْ شَعْثاءُ .وَاللَّيْلُ مُظلِمٌ ،
أَحَمَّ عُمَانِيًّا وَأَشعَثَ مَاضِيَا

٢٨ لَدَى قَطَرِيَّاتٍ ، إذا ما تَغَوَّلَتْ
بِنا البِيدُ غاوَلْنَ الحُزُونَ القِيَاقِيَا

٢٩ تَخَطَّى إِلَينا مِنْ بَعِيدٍ خَيَالُهَا ،
يَخوضُ خُدارِيًّا مِنَ اللَّيل داجِيَا

٣٠ فحُيِّيتَ مِن سارٍ تَكَلَّفَ ، مَوْهِنًا ،
مَزَارًا على ذى حاجةٍ مُتَرَاخِيَا

٣١ يَقولُ لِىَ الأَصْحابُ :هلْ أَنتَ لاحِقٌ
بِأَهْلِكَ ، إِنَّ الزَّاهِرِيَّةَ لا هِيَا

(٢٥) القيصوم ضرب من النبات زهره مر جدا ورائحته طيبة .

(٢٧) الأحم : الأسود . العمانى : المنسوب إلى عمان . وأراد بالأشعث نفسه .

(٢٨) القطريات : إبل منسوبة إلى قطر ، بلدة بين البحرين وعمان . تغولت به : أضلته وأهلكته . غاولن : بادرن . الحزون ، الواحد حزن : الغليظ من الأرض . القياقى ، الواحدة قيقاءة : النشز الغليظ .

(٢٩) الخدارى : الأسود .

(٣١) لا هى : أى ليست كما عرفتها .

٣٢ لَحِقْتُ وَأَصْحابِى على كُلِّ حُرَّةٍ
وَخُودٍ تُبَارِى الأَحْبَشِىَّ المَكارِيَا

٣٣ تَرَامَيْنَ بالأَجْوَازِ فى كلِّ صَفْصَفٍ،
وَأَدْنَيْنَ من خَلْجِ البُرِينِ الذّفارِيَا

٣٤ إذا بَلَّغَتْ رَحْلِى رَجيعٌ أَمَلَّهَا
نُزُولِىَ ، بالمَوْمَاةِ ، ثم ارْتِحَالِيَا

٣٥ مُخَفَّقَةٌ يَجْرِى على الهَوْلِ رَكبُها
عِجالاً بهَا ما يَنظُرُونَ التَّوالِيَا

٣٦ يُخالُ بهَا مَيْتُ الشُّخاصِ ، كأَنَّهُ
قَذَى عُرَقٍ يُضْحِى به الماءُ طامِيَا

٣٧ لَشَقٌّ على ذى الحِلْمِ أَن يَتبَعَ الهوَى
وَيَرْجو منَ الأَقصَى الذى ليس لاقِيَا

٣٨ وَإِنِّى لَعَفُّ الفَقْرِ . مُشْتَرَكُ الغِنِى
سريعٌ ، إذا لم أَرْضَ دَارِى ، احتِمالِيَا

---

(٣٢) الحرة : الناقة الكريمة . الوخود ، من الوخد : السير السريع . الأحبشى : الأسود ، ويقصد به خيالها على الأرض . المكارى : الذى يكرو بيديه فى مشيه كأنه يقفز قفزا

(٣٣) الأجواز ، الواحد جوز : الوسط . الصفصف : القاع المستوى . خلج : جذب البرين ، الواحدة برة : حلقة توضع فى أنف البعير ، الذفارى ، الواحدة ذفرى : العظم الذى وراء الأذن .

(٣٤) الرجيع ، يقال ناقة رجيع : كالة من السفر ، رجعت به عدة مرات .

(٣٥) المخفقة : المفازة يخفق فيها السراب .

(٣٦) الشخاص : اعلاه الطريق .

٣٩ جَرِيءُ الجَنَانِ لا أُهَالُ من الردى
إذا ماجَعَلْتُ السيْفَ منْ عن شمالِيَا

٤٠ وَإِنِّى لأَستحيِيكَ ،وَالخرْقُ بينَنَا ،
من الأَرْضِ أَنْ تلقى أخاً لىَ قالِيَا

٤١ وَقائِلَةٍ ،وَالدَّمْعُ يَحدرُ كُحْلَها :
أَبَعْدَ جريرٍ تُكْرِمُونَ المَوَالِيا؟!

٤٢ فَرُدِّى جمالَ البَينِ ، ثمّ تحمّلى ،
فَما لكِ فيهم مِنْ مُقام ، وَلا لِيَا

٤٣ تعرَّضتُ ،فاستمرَرْتَ من دونِ حاجتى
فَحالَكَ ! إِنِّى مُسْتَمِرٌّ لحَالِيَا

٤٤ وَإِنِّى لمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بِالمُنى ،
لَيَالِىَ أَرْجُو أَنَّ مَالَكَ ماليَا !

٤٥ فأَنْتَ أَبى ، مالمْ تكُنْ لىَ حَاجَةٌ ،
فإِنْ عَرَضَتْ أَيقَنْتُ أَنْ لا أَبَا لِيَا

٤٦ بأَىِّ نِجاد تَحْمِلُ السيْفَ بَعدَما
قطَعتَ القُوَى من مِحمَلٍ كانَ باقيَا

٤٧ بأَىِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ القَوْمَ بَعْدَمَا
نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ ماضِيَا

---

(٤٠) الخرق : الأرض الواسعة . القالى : المبغض .

٤٨ أَلَمْ أَكُ نَاراً يَصْطَلِيها عَدُوُّكُمْ ،
وَحِرْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمُ مِنْ وَرَائِيَا

٤٩ وَبَاسِطَ خَيرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ ،
وَقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيا

٥٠ إذا سرّكم أَنْ تَمسَحُوا وَجهَ سابقٍ
جَوَادٍ فَمُدّوا وَابسُطوا من عِنانِيَا

٥١ أَلا لا تَخَافَا نَبْوَتِى فى مُلِمّةٍ ،
وَخَافَا المَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُما بِيَا

٥٢ أَنا ابنُ صَرِيحَىْ خِنْدِفٍ غيرَ دِعوَةٍ
يكُونُ مكانُ القَلْبِ مِنها مَكانِيا

٥٣ وَلَيسَ لسَيْفِى فى العِظامِ بَقِيّةٌ ،
وَلَلسّيفُ أَشوَى وَقعةً مِن لسانِيَا

٥٤ أَبِالمَوتِ خَشّتْنِى قُيُونُ مُجاشعٍ ،
وَمَا زِلْتُ مَجْنِيّاً عَلَىّ وَجَانِيَا

٥٥ وَما مَسَحَتْ عند الحِفاظِ مُجاشِعٌ
كَرِماً وَلا مِنْ غَايَةِ المَجدِ دَانِيَا

---

(٥٢) غير دعوة : أى دون ادعاء .

(٥٣) أشوى واقعة : أضعف على وقعة : أقل إصابة ؛ أى أن لسانه أحد من السيف .

٥٦ دَعُوا المجدَ إلا أن تسوقوا كَزُومَكم
وَقَيْناً عِرَاقِياً ، وَقَيْناً يَمَانِيَا

٥٧ تَرَاغَيْتُمُ يَوْمَ الزُّبَيرِ ، كأَنَّكُمْ
ضِبَاعٌ ، بذى قارٍ ، تَمَنَّى الأَمَانِيَا

٥٨ وَآبَ ابنُ ذَيَّالٍ بأَسلاب جارِكُمْ ،
فَسُمِّيتُمُ ، بَعدَ الزُّبَير ، الزَّوَانِيَا

---

(٥٦) الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرما . القين العراقى : أراد به البعيث ، وأراد بالقين اليمانى : الفرزدق ، وذلك لاتجاه منازلهما .

(٥٧) تراغيتم : صوت بعضكم لبعض .

الفرزدق

(ت ١١٢ هـ)

هو همام بن غالب بن صعصعة من بنى مجاشع من بيوتات تميم وكان أباؤه من سادات بنى تميم وبنى دارم خاصة، وأما لقبه الفرزدق فلجهامة كانت فى وجهه . وأصله من الفرزدقة رغيف الخبز الغليظ

وقد وفد جده صعصعة فى وفد بنى تميم إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وعرف أبوه غالب بن صعصعة بالكرم فى الإسلام .

ولرفعة شأن آبائه وأجداده كثر فخر الفرزدق بهم وبمآثرهم فى الجاهلية والإسلام وكانت جدته كذلك من بيت سيادة إذ كانت اسمها ليلى أخت الأقرع بن حابس وأمه من بنى ضبة من بيت شريف

يرجح أنه ولد سنة عشرين للهجرة .

وعاش فى ظل الدولة الأموية منذ قيامها ، وعاصر أحداثها العظام والتقى بكثير من خلفائها وكبار رجالها وقادتها وكانت له معهم وقائع ومحاورات .

وكانت تغلب على الفرزدق روح البداوة ويتخلق بأخلاق الجاهلية لم يهذب الإسلام من طبعه كثيرا . وكان يحس بالاعتداد بالنفس والاعتزاز بالشرف فى الأهل والعشيرة فيشمخ بأنفه ، ويكثر الفخر فى شعره .

وأوقعه الاعتداد بنفسه وقبيلته فى كثير من المشكلات ، وجره إلى متاعب مع بعض خلفاء بنى أمية وولاتهم . كما أكسبه عداوة الناس .

سكن البصرة ، وإن تردد كثيرا على البادية فى منازل تميم بالدهناء ورحل فى أنحاء الجزيرة إلى المدينة ومكة ودمشق والشام وبعض مدن العراق .

وكان الفرزدق مزواجاً ، تزوج أكثر من واحدة ، وكانت أشهر زوجاته النوار ، ولم يكن زواجهما موفقا إذ اعترضته خلافات فقد انفصلت عنه لأنها زوجت منه رغم أنفها ، فلم تكن راغبة فيه لشره ، ولأنه زئر نساء . ولم يكن الفرزدق عفاً ، بل كان كما قلنا فظاً فى خلقه يشرب الخمر ، ويسىء إلى الناس ، سليط اللسان

وانغمس الفرزدق فى صراعات العصر السياسية ، كان لسان قبيلته تميم والمدافع عن مصالحها بشعره ، ينشر مآثرها ، ويهجو أعداءها ، ويتهددهم ، ويكشف مثالبهم . وتعقبه لبعض ولاة بنى أمية الكبار ، ومنهم زياد بن أبيه والى البصرة الذى تهدده ، ففر منه إلى المدينة وبقى بها حتى توفى زياد . كما عادى الحجاج فتوعده كذلك ، وكانت له مع آل الزبير وقائع وأحداث فى ثورة عبد الله بن الزبير ، وتولى مصعب بن الزبير على البصرة زمنا .

وهاجى الفرزدق كثيرا من الشعراء ، وأشهر من هاجاهم جرير ابن عطية ، الذى صمد له وغلبه فى مواقف كثيرة ، لاقتدار جرير

وسخريته ، وإن شمخ الفرزدق عليه بفخره وتحقيره لقومه. وكان جرير ينتصر لقيس عيلان رغم أنه من تميم ، وقد أخذ عليه الفرزدق ذلك وعايره به ، وكان العداء شديداً بين قبائل قيس عيلان وتميم ، أدى إلى كثير من الأحداث وشارك خلفاء بنى أمية فى إذكاء نار هذه العداوة لدوافع سياسية .

وظهرت آثار هذا العداء بصورة واضحة فى شعر الفرزدق ومناقضاته لجرير خاصة ويعتبر شعرهما لذلك وثائق سياسية لذلك العصر .

ويعتبر شعر الفرزدق سجلا لكثير من أيام العرب ، وبخاصة تلك التى شاركت فيها تميم .

ورغم أن الهجاء غالب على شعر الفرزدق إلا أنه تعددت أغراضه ففيه المديح ، ومعظم مديحه سياسى أو قبلى ، وأشهر ممدوحيه من الخلفاء سليمان بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك .

وجر الشعر على الفرزدق المصاعب وألقاه فى السجن ، فقد أمر خالد بن عبد الله القسرى والى العراق بإلقائه فى السجن لقاء ماهجاه وإقذاعه فيه .

ويعتبر شعر الفرزدق من الشعر مديد الأسر ، قوى السبك ، بما يوفر له من لفظ قوى يصك الآذان. يغلب عليه الغريب لطابعه البدوى ، وقد استشهد به علماء اللغة ، وإن وقعت فيه بعض المخالفات لقواعد النحو ، وغرابة التراكيب مما عقد من معاظلة الكلام .

وقد كان الفرزدق يعانى أحياناً فى نظم الشعر، ويقول قد يمر على الوقت ونظم بيت من الشعر أشد على من خلع الضرس .

وهكذا كان شعر الفرزدق ممثلا لشخصه فى جساوته ، وبداوة لغته وأسلوبه وفى جرأته وسلاطة لسانه ، وفجوره واستهتاره . وشموخه واعتداده بنفسه وإحساسه بعلو منزلته وشرفه فى قبيلته.

وتقدم العمر بالفرزدق ، ويقال إنه تاب وأناب فى أخريات حياته ويعبر هذان البيتان عن توبته . يقول مخاطبا إبليس :

أطعتك يا إبليس سبعين حجة فلما انتهى شيبى وتم تمامى
فررت إلى ربى وأيقنت أننى ملاق لأيام المنون حمامى

وهكذا وافته المنية فى العام الرابع عشر بعد المائة من الهجرة (١١٤ هـ) .

* * *

تقديم القصيدة :

من أشهر وأجود قصائد الفرزدق ، وقد استشهد بكثير من أبياتها فى كتب اللغة والأدب والنقد .

والقصيدة صورة صادقة لشعر الفرزدق فى قوة السبك ، و جزالة اللفظ وهى فائية القافية ، والفاء من الروى النادر ، وقد اكتسبت موسيقى القصيدة نغمة خاصة تتفق وما فى معانيها من الفخر والشموخ .

ويستهل القصيدة بأبيات فى النسيب تطول حتى تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً، يأتى بعدها المديح بوصف الرحلة إلى الخليفة ومشاقها حتى البيت الثانى والخمسين الذى يبدأ به الفخر بقومه ومآثرهم حتى البيت الثانى بعد المائة : ثم يميل فى الجزء الأخير على جرير وقومه بالهجاء .

يذكر فى مطلع القصيده المرأة (حدراء) التى خطبها ولم يبن بها لأنها ماتت قبل الزواج . وكانت بنت رزيق بن بسطام الشيبانية نصرانية ، مدحها وعرض بزوجه نوار .

والنسيب هنا عادى .وإن لم تتناسب ألفاظه الجزله مع معانيه فالغزل يقتضى رقيق اللفظ ناعمه . ولهذا كان جرير أقدر على الغزل والنسيب من الفرزدق معصبوة الفرزدق للنساء وعفة جرير وعزوفه عنهن . ومما أخذ على معانيه فى النسيب قوله فى البيتين السادس والعشرين والسابع والعشرين :

فياليتنا كنا بعيرين لا نرد   على منهل إلا نشلُّ ونقذفُ
كلانا به عرٌّ يخاف قرافه   على الناس مطلىُّ المساعر أخشفُ

ونلاحظ عزوفه عن المديح فلم يحظ إلا ببيت واحد أتبعه بوصف مشاق الرحلة .وقد أبدع فى تصويرها ، ولعل هذا الجزء هو أجمل أجزاء القصيدة من الناحية الفنية ، وشاركه الجزء التالى الخاص بالفخر فى قوة النبرة والمقدرة على تصوير مآثر قومه فى جزالة وقوة تأثير :

* * *

قال الفرزدق :

١ عَزَفْتَ بأَعْشَـاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ
وَأَنْكَرتَ مِن حَدْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

٢ وَلَجَّ بِكَ الْهِجـرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَـا
تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتَ تِيلَفُ

٣ لجَاجَةُ صُرْمٍ لَيْسَ بالْوَصْلِ إنَّما
أَخُو الْوَصْـلِ منْ يَدْنُو ومَنْ يتَلَطَّفُ

٤ إذَا انْتَبَهَتْ حَـدْرَاءُ مِنْ نَوْمَةِ الضُّحَى
دَعَتْ وَعَلَيْهَـا دِرْعُ خَزٍّ وَمُطْـرَفُ

٥ بأَخْضَـرَ مِنْ نَعْمَـانَ ثُمَّ جَلَتْ بِهِ
عِـذَابَ الثَّنَـايَا طَيِّبًـا حِينَ يُرْشَفُ

٦ وَمُسْتَنْفِزاتٍ لِلْقُـلُوبِ كَأَنَّهَـا
مَهًـا حَـوْلَ مَنْتُوجَـاتِهِ يتَصَرَّفُ

---

(١) عزف عن اللهو ابتعد عنه ، وعزف عن النساء لم يصب إليهن . وهو يبد القصيدة بالنسيب وذكر النساء كالعادة ، ولكنه يقول إنه لم يصب إليهن ، وأنكر من حدراء ما كان يعتاده في صبابته .

(٢) تيلف : لغة تميمية في تألف ، ولج بك الهجران : تماديت فيه .

(٣) الصرم : القطيعة والهجر .

(٤) الدرع : ما لاصق الجسد من الثياب ، والمطرف : لباس من الخز مربع ذو أعلام .

(٥) بأخضر : يقصد سواكا أخضر ، ونعمان واد بناحية عرفات يكثر به شجر الأراك الذي منه تؤخذ المساويك ، ويسمى الوادي أحيانا نعمان الأراك .

(٦) مستنفزات : محركات للقلوب ، كالسهم يستنفز إذا حرك للاطلاق ، والمها : البقر الوحشي . منتوجاتها أطلاؤها وصغارها ، ويتصرف : يذهب ويجيء .

٧ يُشَبِّهْنَ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ كَأَنَّهَا
مِراضُ سُلَالٍ أَوْ هَوَالِكُ نُزَّفُ

٨ إذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ
جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرْمٍ يُقَطَّفُ

٩ مَوانِعُ لِلأَسْرَارِ إلَّا لأَهْلِهَا
وَيُخْلِفْنَ مَا ظَنَّ الْغَيُورُ الْمُشَفْشَفُ

١٠ يُحَدِّثْنَ بَعْدَ الْيَأْسِ مِن غَيْرِ رِيبَةٍ
أَحَادِيثَ تَشْفِى الْمُدْنَفِينَ وَتَشْغَفُ

١١ إذَا الْقُنبضَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بالضُّحَى
رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَالُ الْمُسَجَّفُ

١٢ وَإنْ نَبَّهَتْهُنَّ الْوَلَائِدُ بَعْدَمَا
تَصَعَّدَ يَوْمُ الصَّيْفِ أَوْ كَادَ يَنْصُفُ

---

(٨)،(٩) قد يقصد بأبكار الكرم أول ما يقطف من عنبه، وقد يقصد الخمر فالأبكار منها التى خبئت فى إنائها زمنا ثم فض الشاربون ختامها . وكثيرا ما يشبه الشعراء الريق بالخمر ، وتسمى الخمر باسم الكرم والعنب مجازا ، لأنها منه تصنع . والمشفشف الشديد الغيرة على نسائه .

(١٠) تشغف : بالعين تذهب بالعقل ، وتكون بالغين بمعنى شدة الحب ، وأصله من شغاف القلب المدنف : المحب ، وهو الدنف كذلك الشديد الحب .

(١١) القنبضات بالضاد ، وقد تروى بالصاد الندوة القصيرات القليلات الأجسام . والحجال ، الأستار المسجف المرخى أو المسدل .

١٣ دَعَوْنَ بِقُضْبَانِ الأَرَاكِ الَّتِى جَنَى
لَهَا الرَّكْبُ مِن نُعْمَانَ أَيَّامَ عَرَّفُوا

١٤ فَمِحْنَ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا ، غُرُوبُهُ
رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِّبْنَ أَعْجَفُ

١٥ لَبِسْنَ الْفِرِنْدَ الْخُسْرُوَانِيَّ دُونَهُ
مَشَاعِرُ من خَزِّ الْعِرَاقِ الْمُفَوَّفِ

١٦ فَكَيْفَ بِمَحْبُوسٍ دَعَانِي وَدُونَهُ
دُرُوبٌ وَأَبْوَابٌ وَقَصْرٌ مُشَرَّفُ

١٧ وَصُهْبٌ لِحَاهُمْ ، رَاكِزُونَ رِمَاحَهُمْ
لَهُم دَرَقٌ تَحتَ الْعَوَالِى مُصَفَّفُ

---

(١٣) أيام عرفوا : أيام وقفوا بعرفات أو مروا به وقضبان الأراك : المساويك تجنى من وادى الأراك أو نعمان قرب عرفة .

(١٤) محن به : حركن به ، والمائح الذى يحرك الدلو فى البئر يغرف به الماء يشبه تحريك السواك على الأسنان واللثة بتحريك المائح الدلو فى الماء ، والرضاب الريق . وغروب تقطع الأسنان ، وهو الفلج ويستحسن فى الثغر ، فهو يصف الأسنان هنا بأنها رقاق ، ركبت على لثاة عجفاء : أى رقيقة ضامرة ، وهى صفة حسن فى اللثة .

(١٥) والفرند الفريد ، والخسروانى الفارسى ، وفى اللسان الفرند اسم الثوب الفارسى وهو دخيل معرب . ودونه تحته ، ومشاعر جمع مشعر وهو الثوب يخالط الجسد ، ومفوف موشى .

(١٦) محبوس يقصد الشوق ، أو يقصد امرأة محجبة دعته إلى وصلها .

(١٧) صهب لحاهم ،صفة الحرس من الروم ، فهم حمر أو صفر اللحى ، درق : وهو جمع درقة ، يحتمى بها المحارب كالترس . والعوالى : الرماح .

١٨ وَضَارِيَةٌ ما مَرَّ إِلَّا اقْتَسَمْنَهُ
عَلَيْهِنَّ خَوَّاضٌ إِلَى الطِّنْءِ مِخْشَفُ

١٩ يُبَلِّغُنَا عَنْهَا بِغَيْرِ كَلَامِهَا
إِلَيْنَا مِنَ الْقَصْرِ الْبَنَانُ الْمُطَرَّفُ

٢٠ دَعَوْتُ الَّذِى سَوَّى السَّمٰوَاتِ أَيْدُهُ
وَلَلّٰهُ أَدْنَى مِن وَرِيدِى وَأَلْطَفُ

٢١ لِيَشْغَلَ عَنِّى بَعْلَهَا بِزَمَانَةٍ
تُدَلِّهُهُ عَنِّى وَعَنْهَا فَنُسْعَفُ

٢٢ بِمَا فِى فُؤَادَيْنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْهَوَى
فَيَبْرَأُ مُنْهَاضُ الْفُؤَادِ الْمُسَقَّفُ

٢٣ فَأَرْسَلَ فِى عَيْنَيْهِ مَاءً عَلَاهُمَا
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّى أَطَبُّ وَأَعْرَفُ

---

(١٨) ضارية : معطوف على صهب الحامم ، يعنى كلابا مدربة ، اقتسمنه عليهن ، أى بالنهش والعض . خواض إلى الطنء : مقتحم إلى الريبة والتهمة والفجور ، مخشف : مقدام جرىء .

(١٩) المطرف : المخضوب الأطراف .

(٢٠) أيده : قدرته .

(٢١) تدلهه : تذهب عقله وتلهيه وتشغله ، زمانة : مرض ، نسعف : نصل إلى ما نريد ونحقق بغيتنا !

(٢٢) منهاض : مكسور ، والمسقف : المجبر بخشب الجبائر

٢٤ فَدَاوَيْتُهُ عَامَيْنِ وَهْىَ قَرِيبَةٌ
أَرَاهَا وَتَدْنُو لِى مِرَارًا فَأَرْشُفُ

٢٥ سُلَافَةَ جَفْنٍ خَالَطَتْهَا تَرِيكَةٌ
عَلَى شَفَتَيهَا وَالذَّكِىُّ الْمُسَوَّفُ

٢٦ فَيَالَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ لَا نَرِدْ
عَلَى منهلٍ إِلَّا نُشَلُّ وَنُقْذَفُ

٢٧ كِلَانَا بِهِ عَرٌّ يُخَافُ قِرَافُهُ
عَلَى النَّاسِ مَطْلِىٌّ الْمَسَاعِرِ أَخْشَفُ

٢٨ بِأَرْضٍ خَلَاءٍ وَحْدَنَا وَثِيَابُنَا
مِنَ الرَّيْطِ والدِّيبَاجِ دِرْعٌ وَمِلْحَفُ

٢٩ وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ سُلَافَةٌ
وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ قَرْقَفُ

---

(٢٥) سلافة : أول ما يسيل من العصير ، والجفن : الكرم . والسلافة : من أسماء الخمر ، والتريكة ما تبقى فى الإناء من الخمر ، أو ما احتجزه الصخر من ماء المطر . والذكى المسوف : المسك المشموم أى الطيب الرائحة .

(٢٦) المنهل : الماء فى الآبار أو موارد المياه ، ونشل : نطرد .

(٢٧) عر : جرب ، قرافه : ملاصقته أو ملامسته ، المساعر : أصول الفخذين والإبطين وهى أول ما يظهر فيها الجرب ويشتد ، ومن عادتهم أن تطلى الإبل الجرب بالقطران لتشفى ، أخشف : يابس الجلد .

(٢٨) الريط : ثياب جيدة جديدة ، والدرع لباسها ، والملحف لباسه بدلا من الريط والديباج . والملحف : ثوب خشن ، والديباج القطيفة الناعمة الملمس .

(٢٩) فضلتان من خمر وماء الغمامة أى من الخمر والماء . وقرقف اسم من أسماء الخمر .

٣٠ وَأَشْلَاءُ لَحْمٍ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُها
إِذَا نَحْنُ شِئْنَا صَاحِبٌ مُتَأَلِّفُ

٣١ لَنَا ما تَمَنَّيْنَا مِنَ الْعَيْشِ ما دَعَا
هَدِيلا حَمَامَاتٌ بِنَعْمَانَ هُتَّفُ

٣٢ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا
هُمُومُ الْمُنَى وَالْهَوْجَلُ الْمُتَعَسِّفُ

٣٣ وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحِتًا أَوْ مُجَرَّفُ

٣٤ وَمُنْجَرِدُ السُّهْبَانِ أَيْسَرُ ما بِهِ
سَلِيبُ صُهَارٍ أَوْ قُصَاعٌ مُؤَلَّفُ

٣٥ وَمَائِرَةِ الأَعْضَادِ صُهْبٍ كَأَنَّمَا
عَلَيْهَا مِنَ الأَيْنِ الْجِسَادُ الْمُدَرَّفُ

(٣٠) متألف : أى تألفناه وربيناه يعنى غلامه وخادمه، وأشلاء اللحم : قطعه، والحبارى : طير كالحمام وأوفر حجما من صيد البرية ، يصطاد بواسطة الصقور المدربة .

(٣٢) يبدأ بهذا البيت جزء المديح بعد أن انتهى من مقدمة القصيدة فى النسيب . والهوجل : البطن الواسع من الأرض ، والفلاة البعيدة يسار فيها على غير هدى ، والمتعسف : الطريق المسلوك بلا علم ولا دليل .

(٣٣) مسحتا : الهالك والمستأصل ، وكذلك المجرف : المعدم يريد إن الذى دفع بنا إليك عض الزمان أى ميله عليهم حيث لم يدع من مالهم شيئاً .

(٣٤) قيل إن هذا البيت مجهول أنشده المازنى لبعض الأعاريب !

(٣٥) مائرة الأعضاد : متحركة اليدين . والأين : التعب والإعياء ، والجساد : العرق وهو ما أصفر وشيب بحمرة . والمدرف : المشوب بماء أو دهن .

٣٦ بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سِيفِ رَمْلِ كُهَيْلَةٍ
وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجْرَفُ

٣٧ فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى تَقَارَبَ خَطْوُهَا
وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُعَّفُ

٣٨ وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وغُودِرَتْ
إِذَا ما أُنِيخَتْ وَالْمَدَامِعُ ذُرَّفُ

٣٩ وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ يَسُوقُهَا
لَهَا بَخَصٌ دَامٍ وَدَأْىٌ مُجَلَّفُ

٤٠ وَحَتَّى بَعَثْنَاهَا وَمَا فى يَدٍ لَهَا
إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهْىَ رُسَّفُ

٤١ إِذَا ما نَزَلْنَا قاتَلَتْ عَنْ ظُهُورِنَا
حَرَاجِيجُ أَمْثَالُ الأَهِلَّةِ شُسَّفُ

---

(٣٦) عجرف : مراح ونشاط وقوة .

(٣٧) بادت ذراها : دابت أسنامها من النحافة والتعب لطول الرحلة . رعف : تنزف الدم لطول السير .

(٣٨) قتلنا الجهل : والجهل النشاط والقوة ، قتله بالتعب ، المدامع ذرف من الكلال والإجهاد .

(٣٩) بخص : البخص لحم الخف ، ودأى : الدأى فقار الظهر ، ومجلف : مقشور لطول احتكاك الرحال بظهرها .

(٤٠) رمة : قطعة من حبل ، رسف : مجهدة بالقيد

(٤١) حراجيج : طوال ، شسف : يابسه من الجهد والكلال ، وأمثال الأهلة لنحافتها يصف الإبل التى تحمله وصحبه . ويقصد من البيت أنه عند نزولهم عن ظهورها بدت جروحها فوقعت عليها الغربان فقاتلتها بأفواهها لتبعدها عنها . وقد يقصد بقوله حراجيج أمثال الأهلة ، الأغربة نفسها وتصبح هى التى تقاتل لتصل إلى ظهور المطايا أو تقع عليها ، وهى تقاتل الرجال من ظهور الإبل .

٤٢ إذَا ما أَرَيْنَاهَا الأَزِمَّةَ أَقْبَلَتْ
إلَيْنَا بُحرَّاتِ الْوُجُوهِ تَصَدَّفُ

٤٣ ذَرَعْنَ بنَا ما بَيْنَ يَبْرِينَ عَرْضَهُ
إلَى الشَّأْمِ تَلْقَانَا رِعانٌ وَصَفْصَفُ

٤٤ فَأَفْنَى مِرَاحَ الدَّاعِرِيَّةِ خَوْضُها
بنَا اللَّيْلَ إذْ نَامَ الدَّثورُ الْمُلَفَّفُ

٤٥ إذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّماءِ وَكَشَّفَتْ
كُسُورَ بُيُوتِ الْحَىِّ حمْرَاءُ حَرْجَفُ

٤٦ وَهَتَّكَتِ الأَطْنَابَ كُلُّ عَظِيمَةٍ
لَهَا تَامِكٌ مِنْ صَادِقِ النِّىِّ أَعْرَفُ

٤٧ وَجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبلَ إفَالِهَا
يَزِف وَرَاحَتْ خَلْفَهُ وَهْىَ زُفَّفُ

---

(٤٣) يبرين : أرض لبنى تميم بالدهناء شرقى نجد ، رعان : مرتفعات ، صفصف : منبسط من الأرض .

(٤٤) الداعرية : إبل منسوبة إلى فحل مشهور ، يقال له داعر معروف بالنجابة والكرم . الدثور : الرجل المتقل البدن والفؤاد ، الكسول الملفف فى ثيابه أو دثاره .

(٤٥) حمراء : ريح حمراء ، وحرجف : شديدة الهبوب ، والحمراء بما تحمل من الغبار ، فهى ريح عاصفة تحمل الرمال الحمراء ، تكشف البيوت ، وتوقعها .

(٤٦) هتكت : قطعت ، الأطناب : الحبال كل عظيمة : كل ناقة ضخمة ، تامك : سنام أعرف طويل . يصف الناقة القوية السمينة الممتلئة السنام ، وقد أثارتها الريح الباردة الشمالية فاقتحمت الخيام وقطعت الحبال لتحتمى من البرد .

(٤٧) قريع الشول : فحل الإبل . إفالها : الإفال صغار النوق ، يزف : يعدو

٤٨ وَبَاشَرَ رَاعِيهَا الصِّلَى بِلبَانِهِ
وَكَفَّيْهِ حَرَّ النَّارِ ما يَتَحَرَّفُ

٤٩ وَأَوْقَدَتِ الشِّعْرَى مَعَ اللَّيْلِ نارَهَا
وَأَمْسَتْ مُحُولًا جِلْدُهَا يَتَوَسَّفُ

٥٠ وَأَصْبَحَ مَوْضُوعُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ
عَلَى سَرَوَاتِ النِّيبِ قُطْنٌ مُنَدَّفُ

٥١ وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ
لِيَرْبِضَ فِيهَا وَالصِّلَاءُ مُتَكَنَّفُ

٥٢ وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا يَبِسَ الثَّرى
وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ

٥٣ تَرَى جَارَنَا فِينَا يُجِيرُ وَإِنْ جَنَى
فَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطِفُ الْجَارَ يُنْطَفُ

---

(٤٨) الصلى : النار ، بلبانها : اللبان الصدر ، ما يتحرف : ما يتحول .

(٤٩) الشعرى نجم معروف فى السماء تطلع فى أول الشتاء ، وقد عبدته أقوام فى الجاهلية وجاء ذكره فى القرآن (وأنه هو رب الشعرى) ، يتوسف : يتقشر ، يقصد جلد الأرض من جفافها وقلة المطر والمحول .

(٥٠) موضوع الصقيع ، ويروى مبيض الصقيع . وموضوع الصقيع متساقط البرد والثلج سروات : ظهور ، والنيب : الإبل .

(٥١) الصلا : موقد النار ، ومتكنف : اكتنفه الناس ، وأحاطوا به ، يقول إن كلب الحى قاتل أهله عن النار من شدة البرد .

(٥٢) الثرى : الندى .

(٥٣) جارنا يجير من عزنا ومنعتنا ، فهو يحتمى بنا ، وإن جنى فلا يصيبه أذى ، نطف : يصيب ، وينطف : يصاب .

٥٤ وَيَمنَعُهُ مَولانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
بِنَا جَارَهُ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ

٥٥ وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا
ضَوَامِنُ لِلأَرْزَاقِ وَالرِّيحُ زَفْزَفُ

٥٦ نُعَجِّلُ لِلضِّيفَانِ فى الْمَحل بالْقِرَى
قُدُورًا بِمَعْبُوطٍ تُمَدُّ وتُغْرَفُ

٥٧ تُفَرَّغُ فى شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا
حِياضُ جِبًى مِنْهَا مِلاءٌ وَنُصَّفُ

٥٨ تَرَى حَولَهُنَّ الْمُعتَفِينَ كَأَنَّهُم
عَلَى صَنَمٍ فى الْجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ

٥٩ قُعُودًا وَخَلْفَ الْقَاعِدِينَ سُطُورُهُمْ
جُنُوحٌ وَأَيْدِيهِمْ جُمُوسٌ وَنُطَّفُ

٦٠ وَمَا حَلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبَى حُنَفَائِنَا
وَلَا قائِلُ بِالْعُرْفِ فِينَا يُعَنَّفُ

---

(٥٥) زفزف : باردة شديدة الهبوب .

(٥٦) القرى : الطعام ، معبوط : لحم .

(٥٧) شيزى : جفان مصنوعة من خشب الشيز ، جبى : جوابى ، الحياض نصف : بلغ الطعام نصفها .

(٥٩) جنوح : قعود مائلون على القدور يمدون الأيدى للطعام ، أيديهم جموس : أى جمس الشحم عليها ، أى تجمد . نطف : سائلة يقطر منها الدهن .

٦١ وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِى نَدِيِّنَا
فَيَنْطِقَ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَعْرَفُ

٦٢ وَإِنِّى لِمِنْ قَوْمٍ بِهِمْ تُتَّقَى الْعِدَى
وَرَأْبُ الثَّأَى وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوَّفُ

٦٣ وَأَضْيَافِ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قِرَاهُمُ
إِلَيْهِمْ فَأَتْلَفْنَا الْمَنَايَا وَأَتْلَفُوا

٦٤ قَرَيْنَاهُمُ الْمَأْثُورَةَ الْبِيضَ قَبْلَهَا
يُثِجُّ الْعُرُوقَ الأَزْأَنِىُّ الْمُثَقَّفُ

٦٥ وَمَسْرُوحَةً مِثْلَ الْجَرَادِ يَسُوقُهَا
مُمَرٌّ قُوَاهُ وَالسَّرَاءُ الْمُعَطَّفُ

٦٦ فَأَصْبَحَ فِى حَيْثُ الْتَقَيْنَا شَرِيدُهُمْ
طَلِيقٌ وَمَكْتُوفُ الْيَدَيْنِ وَمُزْعَفُ

---

(٦٢) الثأى : الفساد ، وأصله الخرق ، والجانب المتخوف : الثغر .

(٦٣) نقلنا المنايا إليهم ، وأضياف الليل هنا هم المغيرون ليلا ، يقول أغاروا علينا فقتلنا منهم وقتلوا منا .

(٦٤) قريناهم البيض : أى أطعمناهم السيوف ، يثج العروق : أى ينزفها دما بالطعان والأزأنى واحد الرماح ، والمثقف : الذى قوم بالثقاف يعنى أنهم طعنوا المغيرين بالرماح وضربوهم بالسيوف .

(٦٥) مسروحة : صفة للنبل ، والسهام ، شبهها بالجراد ، والممر : وتر القوس وقواه : طاقاته . والسراء : شجر تتخذ منه القسى ، والمعطف صفة القسى أى المنحنى والمقوس . يعنى أنهم يطلقون على أعدائهم سهاما كثيفة كالجراد أطلقت من قسى قوية من شجر السراء .

(٦٦) مزعف : فى نزع الموت مما به من الجراح .

٦٧ وَكُنَّا إِذَا ما اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بالْقِـرَى
أَتَتْهُ الْعَوَالى وَهْىَ بالسُّمِّ تَرْعَفُ

٦٨ وَلَا نَسْتَجِمُّ الْخَيْـلَ حَتَّى نُعِيـدَها
غَوانِمَ مِن أَعْـدَائِنَـا وَهْى زُحَّفُ

٦٩ كَذَلِكَ كَانَتْ خَيْلُنَـا مَرَّةً تُرَى
سِمَانًا وَأَحْيَـانًا تُقَـادُ فَتَعجَفُ

٧٠ عَلَيْهِنَّ مِنَّـا النَّـاقِصُـونَ ذُحُولَهُمْ
فَهُنَّ بأَعْبَـاءِ الْمَنِيَّـةِ كُتَّفُ

٧١ مَـدَالِيقُ حَتَّى تَأْتِىَ الصَّـارِخَ الَّذِى
دَعَا وَهْوَ بالثَّغْرِ الَّذِى هُوَ أَخْـوَفُ

٧٢ وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كُلَيْبٌ عَنِ الْقِـرَى
إِلَى الضَّيْفِ نَمْشِى بالْعَبِيطِ وَنَلْحَفُ

---

(٦٨) نستجم الخيل : نريحها ، أى ما تلبث خيلهم أن ترتاح حتى تعود للغزو .

(٦٩) تعجف : تهزل وتضمر ، من كثرة الغارة واقتيادها فى الحروب ، فهى تستريح أحيانا فترى سمانا ، وتقاد إلى الغارات والحروب فتهزل وتضمر .

(٧٠) ذحولهم : من الذحل وهو الثأر . كتف : أى ناهضات بها يعنى الخيل ، يريد أنها تحمل فرسانهم للقاء أعدائهم فيقتلونهم لقاء ما بينهم من الثارات .

(٧١) مداليق : مسرعات ، الصارخ : المستنجد طالب النجدة والمستغيث .

(٧٢) كليب : كليب بنى اليربوع قبيلة جرير ، والعبيط : اللحم الطرى ، نلحف : نلبسه اللحف لتدفئته أى هم يغيثون الناس بالطعام ، والدفء وقت الشتاء إذا قعدت كليب عن القرى .

٧٣ وَقِـدْرٍ فَثَـأْنَا غَلْيَهَـا بَعْـدَ ما غَلَتْ
وَأُخْرَى حَشَشْـنَا بالْعَـوَالِى تُؤَثَّفُ

٧٤ وَكُلُّ قِرَى الأَضْـيَافِ نَقْرِى مِنَ الْقَنَا
وَمُعْتَبَطٍ فِيـهِ السَّـنَامُ الْمُسَدَّفُ

٧٥ وَلَوْ تَشْــرَبُ الْكَلْبَى المراضُ دِمَاءَنَا
شَفَتْهَا وَذُو الدَّاءِ الَّذِى هُوَ أَدْنَفُ

٧٦ مِنَ الْفَـائِقِ الْمَحْبُـوسِ عَنْهُ لِسَـانُهُ
يَفُـــوقُ وَفِيهِ الْمَيِّتُ الْمُتَكَنَّفُ

٧٧ وَجَـدْنَا أَعَزَّ النَّـاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصًى
وَأَكْرَمَهُمْ مَن بِالْمَكَارِمِ يُعْرَفُ

٧٨ وَكِلْتَاهُمَـا فِينَـا إِلَى حَيْثُ تَلْتَقِى
عَصَـــائِبُ لَاقٍ بَيْنَهُنَّ الْمُعَرَّفُ

---

(٧٣) فثأنا غليها : أى أسكناها وأطفأنا النار تحتها ، حششنا : أى أوقدنا نارها ، والحش إدخال الحطب فى الموقد ، العوالى : الرماح وتؤثف من الأثافى ، أى تجعل أثافى لها ، والأثافى الأحجار التى عليها القدر . والصورة كلها على المجاز ويقصد هنا نار الحرب .

(٧٤) العبيط : اللحم الطرى . والمسدف : المقطع .

(٧٥) الكلبى : المصابون بداء الكلب . وكانوا يعتقدون أنهم إذا شربوا دماء الأشراف يشفون من الداء . الأدنف : المريض

(٧٨) كلتاهما أى الخصلتان ، الكثرة والكرم ، حيث تلتقى جماعات الحجيج على عرفات المعرف : الوقوف بعرفة .

٧٩ مَنَازِيلُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلِيلِ كَثِيرُنا
إذا ما دَعَا فى الْمَجْلِسِ الْمُتَرَدِّفُ

٨٠ قَلَفْنَا الْحَصَى عَنْهُ الَّذِى فَوْقَ ظَهْرِهِ
بِأَحْلَامِ جُهَّالٍ إِذَا ما تَغَضَّفُوا

٨١ عَلَى سَوْرَةٍ حَتَّى كَأَنَّ عَزِيزَهَا
تَرَامَى بِهِ مِنْ بَيْنِ نِيقَيْنِ نَفْنَفُ

٨٢ وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ
وَمَا كَانَ لَوْلَا حِلْمُنَا يَتَزَحْلَفُ

٨٣ رَجَحْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَثَابُوا حُلُومَهُم
بِنَا بَعْدَ ما كادَ الْقَنَا يَتَقَصَّفُ

٨٤ وَمَدَّتْ بِأَيْدِيهَا النِّسَاءُ وَلَمْ يَكُن
لِذِى حَسَبٍ عَنْ قَوْمِهِ مُتَخَلِّفُ

٨٥ كَفَيْنَاهُمُ مَا نَابَهُمْ بِحُلُومِنَا،
وَأَمْوَالِنَا وَالْقَوْمُ بِالنَّبْلِ دُلَّفُ

---

(٧٩) المتردف : الذى أصابه الأذى أو الفقر ، يقول إننا ننزل مع كثرتنا عن القليل المقلين ونعين المتردف الذى أصابه الضير .

(٨٠) قلفنا : ألقينا ، تغضفوا : مالوا عليه بالتعطف والنظر .

(٨١) سورة : وثبة أو غضبة أو هجمة . بين نيقين : بين جبلين . نفنف : أرض واسعة .

(٨٢) يتزحلف : ينقشع أو يزول .

(٨٣) رجحنا بهم : أرغمناهم ، وغلبناهم حتى استثابوا حلومهم : أى استعادوها بعد أن بعدت عنهم .

٨٦ وَقَدْ أَرْشَدُوا الأَوْتَارَ أَفْوَاقَ نَبْلِهِمْ
وَأَنْيَابُ نَوْكَاهُمْ مِنَ الْحَرْدِ تَصْرِفُ

٨٧ فَمَا أَحَدٌ فِى النَّاسِ يَعْدِلُ دَرْأَنَا
بِعِزٍّ وَلَا عِزٌّ لَهُ حِينَ نَجْنَفُ

٨٨ تَثَاقَلُ أَرْكَانٌ عَلَيْهِ ثَقِيلَةٌ
كَأَرْكَانِ سَلْمَى أَوْ أَعَزُّ وَأَكْثَفُ

٨٩ سَيَعْلَمُ مَنْ سَامَى تَمِيماً إِذَا هَوَتْ
قَوَائِمُهُ فِى الْبَحْرِ مَنْ يَتَخَلَّفُ

٩٠ فَسَعْدٌ جِبَالُ الْعِزِّ وَالْبَحْرُ مَالِكٌ
فَلَا حَضَنٌ يُبْلَى وَلَا الْبَحْرُ يُنْزَفُ

٩١ وَبِاللهِ لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا تَكَاثَرَتْ
عَلَيْنَا تَمِيمٌ ظَالِمِينَ وَأَسْرَفُوا

٩٢ لَمَا تُرِكَتْ كَفٌّ تُشِيرُ بِأُصْبُعٍ
وَلَا تُرِكَتْ عَيْنٌ عَلَى الأَرْضِ تَطْرِفُ

---

(٨٦) أرشدوا الأوتار : شدوا أوتار القسى على النبال استعدادا لإطلاقها . نوكاهم : النوكى الحمق . والحرد : شدة الغيظ . تصرف : الصريف صوت اصطكاك الأسنان من الغيظ وتصرف تصطك فيسمع صوتها .

(٨٧) نجنف : نميل ونعوج أى نغضب عليه يعنى أنه لا أحد يعد لهم فى منع الأذى بعزهم ، ولا أحد يمنعهم إن مالوا أو غضبوا على أحد .

(٨٨) سلمى : جبل طيء وهو أحد جبليها والآخر أجأ .

٩٣ لَنَا الْعِزَّةُ الْغَلْبَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِى
عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَحَلَّفُ

٩٤ وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قاهِرٌ لَهُ
وَيَسْأَلُنَا النِّصْفَ الذَّلِيلُ فَيُنْصَفُ

٩٥ وَمِنَّا الَّذِى لَايَنْطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ
وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأْذَنُ الْمُتَنَصَّفُ

٩٦ تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ وَعُيُونُهُمْ
مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُها ما تَصَرَّفُ

٩٧ وبَيْتَانِ بَيْتُ اللهِ نَحْنُ وُلَاتُهُ .
وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلِيَاءَ مُشَرَّفُ

٩٨ لَنَا حَيْثُ آفَاقُ الْبَرِيَّةِ تَلْتَقِى
عَمِيدُ الْحَصَى وَالْقَسورىُّ الْمُخَنْدِفُ

٩٩ إِذَا هَبَطَ النَّاسُ الْمُحَصَّبَ منْ مِنًى
عَشِيَّةَ يَوْمِ النَّحر مِنْ حَيْثُ عَرَّفُوا

---

(٩٣) يتحلف : أى يجتمع الناس عليه حلفا متعاضدين .

(٩٥) المتنصف : المخدوم .

(٩٧) بيت بأعلى إيلياء : يقصد بيت المقدس .

(٩٨) عميد الحصى : أى صاحب الكثرة والغلبة ، والقسورى الكبير والرئيس ، المخندف : المنتمى إلى خندف .

١٠٠ تَرَى النَّاسَ ما سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
إِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَّفُوا

١٠١ أُلُوفُ أُلُوفٍ مِنْ دُرُوعٍ وَمِنْ قَنًا
وَخَيْلٌ كَرَيْعَانِ الْجَرَادِ وَحَرْشَفُ

١٠٢ وَإِنْ نَكَثُوا يَوْمًا ضَرَبْنَا رِقَابَهُم
عَلَى الدِّينِ حَتَّى يُقْبَلَ الْمُتَأَلَّفُ

١٠٣ فَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا
لَأَنْتَ الْمُعَنَّى يا جَرِيرُ الْمُكَلَّفُ

---

(١٠١) ريعان: مقدمات أسراب الجراد، حرشف: رجالة رماة.

وقال الفرزدق

مناسبة القصيدة :

كان قد نفى إلى المدينة . وقضى هناك زمناً ، وسمع وهو بالمدينة بمقتل القائد العربى العظيم قتيبة بن مسلم من قيس عيلان ،على يد أحد رجل بنى يربوع من تميم .

وينتهز الفرصة لينظم هذه القصيدة يمدح الخليفة سليمان بن عبدالملك ويتخذ المديح ذريعة للنيل من أعدائه من القيسية من قادة الدولة ، والتشفى بمقتل قتيبة ،وهجاء قيس والفخر بنفسه وقبيلته تميم التى ينتمى إليها قاتل قتيبة . ويهجو جريراً ، ويسخر من دفاعه عن قيس وانتمائه إليهم :

١ تحِنُّ بزوراء المدينة ناقتى
حنينَ عجولٍ تبتغى البوَّ رائمِ

٢ ويا ليت زوراءَ المدينة أصبحت
بأحفَار فلج أو بسيفِ الكواظِمِ

٣ وكمْ نام عنّى بالمدينةِ لم يُبَل
إلىَّ اطلاع النفس دون الحيازِمِ

---

(١) زوراء : الزوراء اسم المدينة القديم ، البو : ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة الأم فتعطف عليه وتدر اللبن .
ورائم : راغب من رام بمعنى رغب وأحب وطلب .

(٢) أحفار فلج ، وسيف الكواظم أسماء أماكن فى بلاد تميم قبيلة الشاعر .

(٣) لم يبل : لم يبال . الحيازم جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .

٤ إذا جشأَتْ نفسى أَقولُ لها ارجعى
وراءكِ واستحْيِى بياضَ اللهَازِمِ

٥ فإنَّ التى ضرتك لوذقت طعمها
عليك من الأَعباء يوم التخاصُمِ

٦ ولستَ بمأْخوذ بلَغْوٍ تقولُه
إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائمِ

٧ ولمَّا أَبَوْا إلَّا الرحيلَ وأَعلقُوا
عُرًى فى بُرًى مخشوشةٍ بالخزائمِ

٨ وراحُوا بجثْمانى وأَمسك قلبَهُ
حُشَاشَتُهُ بين المصَلَّى وواقمِ

٩ أَقولُ لغلوبٍ أَمات عِظامَهُ
تعاقُبُ أَدراج النُّجوم العوائمِ

١٠ إذا نحنُ ناديناَ أَبىَ أَن يُجيبَنَا
وإن نحنُ فَدَّيْنَاهُ غيرَ الغماغِمِ

١١ سَيُدْنِيكَ من خير البريَّةِ فاعتَدِلْ
تناقُلُ نصِّ اليعْمَلاتِ الرَّواسِمِ

---

(٤) جشأت نفسى : جاءت من حزن أو فزع ، اللهازم : جوانب الخدين ، يعنى بياض شعر سالفتيه .

(٧) برى : جمع براة وهى حلقة توضع فى أنف البعير ، ومخشوشة : داخلة ومثبتة فى الخزائم . الخزم ، خرم فى أنف الناقة ، والجمع خزام . يعنى بذلك إعداد الراحلة للرحلة .

١٢ إلى المؤمن الفكّاك كلّ مُقيَّد
يداهُ ومُلْقِى الثقْلَ عن كلِّ غارم

١٣ بكفّين بيضاوين فى رَاحتيْهما
حَيا كلِّ شيءٍ بالغَيوث السَّواجم

١٤ بخير يَدىْ من كان بعدَ مُحَمَّد
وجاريهِ والمظلوم للهِ صائم

١٥ فَلَمَّا حَبَا وَادِى الْقُرَى مِن وَرائِنا
وَأَشْرَفْنَ أَقْتَارَ الْفِجاج الْقَوَاتِم

١٦ لَوَى كُلُّ مُشْتَاقٍ مِنَ الْقَوْم رَأْسَهُ
بمُغْرَوْرقَاتٍ كالشِّنان الْهَزَائِم

١٧ وَأَيْقَنَ أَنَّا لا نَرُدُّ صُدورَها
ولَمَّا تُواجِهْها جبَالُ الجَرَاجم

١٨ أَكُنْتُمْ ظَنَنْتُمْ رحْلَتِى تَنْثَنِى بكُم
وَلَم يَنْقُضِ الإدْلاجُ طَىَّ الْعَمَائِم

١٩ لبئْسَ إذًا حَامى الحَقِيقَةِ وَالَّذِى
يُلَاذُ بهِ فى المُعضِلَاتِ العَظَائم

---

(١٤) جاريه : يقصد جارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، والمظلوم هو ثالث الراشدين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١٥) حبا : أشرف ، وأشرفن : ظهرن على أو علون ، الأقتار : من القترة وهى الغبرة ، والفج الطريق ، والفجاج الطرق .

(١٦) الشنان : القربة الخلقة ، والهزائم المتهرئة المثقوبة .

٢٠ ومَاءٍ كأَنَّ الدِّمْنَ فَوْقَ جِمَامِـهِ
عَبَاءٌ كَسَتْهُ مِن فُرُوجِ المَخَارِمِ

٢١ رِيَاحٌ عَلَى أَعْطَانِهِ حَيْثُ تَلْتَقِى
عَفَا وَخَلَا مِن عَهْدِهِ المُتَقَادِمِ

٢٢ وَرَدْتَ وَأَعْجَازُ النُّجُومِ كَأَنَّها
وَقَدْ غَارَ تَالِيهَا هَجَائِنُ هَاجِمِ

٢٣ بِغِيدٍ وَأَطْـلَاحٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا
نِطَاقٌ أَظَلَّتْهَا قِلَاتُ الجَمَاجِمِ

٢٤ كَأَنَّ رِحَالَ المَيْسِ ضَمَّتْ حِبَالُهَا
قَنَاطِرَ طَىٍّ الجَنْدَلِ المُتَلَاحِمِ

٢٥ إِلَيْكَ وَلِىَّ الحَقِّ لَاقَى غُرُوضَهَا
وَأَحْقَابَهَا إِدْرَاجُهَا بالمَنَاسِمِ

---

(٢٠) الدمن : العطن فوق الماء الراكد ، فروج : فتحات ، وممرات ، ومخارم جمع مخرم وهو منقطع الطريق من الجبل .

(٢١) رياح : فاعل كساق البيت السابق ، أعطانه : مشاربه ، حيث ترد الإبل للشرب .

(٢٢) غار تاليها : غاب آخرها . وقد يقصد بتاليها كوكب الصباح أو نجمة الصباح وهى آخر ما يظهر من النجوم قبل انبلاج النور . هجائن : جمع هجين وهى الإبل ، وهاجم الذى يوردها أو يسوقها إلى الماء

(٢٣) بغيد : الغيد جمع غيداء الفتاة الناعمة الشابة ، وأطلاح : الإبل التى أتعبها السفر . نطاق : عيون ماء والقلات ، جمع قلت والقلت للعين محجرها .

(٢٤) الميس : الرحال أو خشب الرحال ، وقد يطلق على الراحلة أيضاً . يصفها بالضخامة

(٢٥) غروضها : أحزمتها تتخذ من الجلد ، وكذلك الأحقاب : الحبال ، يريد أنها ضمرت من الرحلة فالتقت أحزمتها وأربطة رحالها من الضمور .

٢٦ نَوَاهِضَ يَحْمِلْنَ الهُمُومَ الَّتِى جَفَتْ
بِنَا عَنْ حَشَايَا المُحصَنَاتِ الْكَرَائِم

٢٧ لَيَبْلُغْنَ مِلْءَ الأَرْضِ نُورًا وَرَحْمَةً
وَعَدْلًا وَغَيْثَ الْمُغْبِرَاتِ القَوَاتِمِ

٢٨ جُعِلْتَ لأَهْلِ الأَرْضِ أَمْناً وَرَحْمَةً
وَبُرْءًا لآثَارِ القُرُوحِ الكَوَالِمِ

٢٩ كَمَا بَعَثَ اللّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ البَهَائِمِ

٣٠ وَرِثْتُم قَنَاةَ الْمُلْكِ غَيْرَ كَلَالَةٍ
عَن ابْنِ مَنَافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

٣١ تَرَى التَّاجَ مَعْقُودًا عَلَيْهِ كَأَنَّهُم
نُجُومٌ حَوَالَى بَدْرِ مُلْكٍ قُمَاقِمِ

٣٢ عَجِبْتُ إِلَى الْجَحَّادِ أَىَّ إِمارة
أَرادَ لِأَنْ يَزْدَادَهَا وَدَرَاهِم

٣٣ وَكَانَ عَلَى ما بَيْنَ عَمَّان واقِفًا
إِلَى الصِّينِ قَدْ أَلْقَوْا لَهُ بِالْخَزَائِمِ

---

(٢٧) المغبرات القواتم: يعنى السنين القاحلة التى لا مطر فيها .
(٣١) قماقم : عظيم الشأن .
(٣٢) الجحاد: يعنى الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق آنذاك .

٣٤ فَلَمَّا عَتا الْجَحّادُ حِينَ طَغَى بِهِ
غِنًى قالَ إنِّى مُرْتَقٍ فى السَّلالِمِ

٣٥ فَكانَ كما قالَ ابْنُ نوحٍ سَأَرْتَقِى
إلَى جَبَلٍ مِن خَشْيَةِ الماءِ عاصِمِ

٣٦ رَمَى اللهُ فى جُثْمانِهِ مِثْلَ مارَمَى
عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضاءِ ذاتِ الْمَحَارِمِ

٣٧ جُنُودًا تَسُوقُ الْفيلَ حَتَّى أعادَها
هَباءً وكانُوا مُطْرَخِمِّى الطَّراخِمِ

٣٨ نُصِرْتَ كَنَصْرِ الْبَيْتِ إذْ ساقَ فيلَهُ
إلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الأَعاجِمِ

٣٩ وَمَا نُصِرَ الْحَجَّاجُ إلَّا بِغَيْرِهِ
عَلَى كُلِّ يَوْمٍ مُسْتَحِرِّ الْمَلَاحِمِ

٤٠ بِتَمُومٍ أَبُو العاصِى أبوهُم تَوارَثُوا
خِلافَةَ مَهْدِىٍّ وَخَيْرِ الخواتِمِ

٤١ وَلا رَدَّ مُذْ خَطَّ الصَّحِيفَةَ ناكِثاً
كَلاماً وَلَا باتَتْ لَهُ عَيْنُ نائِمِ

٤٢ وَلا رَجَعُوا حَتَّى رَأَوْا فى شِمالِهِ
كِتاباً لِمَغْرُورٍ لَدَى النّارِ نادِمِ

---

(٣٧) مطرخمى الطراخم : المتغضب فى كبرياء .

٤٣ أتانى وَرَحْلِى بالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ
لآلِ تَمِيمٍ أقْعَدَتْ كُلَّ قائِمِ

٤٤ كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ إذْ سَمِعُوا بِهَا
مُدَمَّغَةٌ مِنْ هازِماتِ أمائِمِ

٤٥ فِدًى لِسُيُوفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَفَى بِهَا
ردائى وَجَلَّتْ عَن وجوهِ الأهاتِمِ

٤٦ شَفَيْنَ حَزازاتِ النُّفُوسِ وَلَمْ تَدَعْ
عَلَيْنَا مَقَالًا فى وفاءٍ لِلائِمِ

٤٧ أَبَأْنا بِهِمْ قَتْلَى وَما فى دِمَائِهِم
وَفاءٌ وَهُنَّ الشَّافِيــاتُ الْحَوَائِمِ

٤٨ جزَى اللهُ قَوْمِى إذْ أَرادَ خِفارَتى
قُتَيْبَةُ سَعْىَ الأَفْضَلِينَ الأَكارم

٤٩ هُمُ سَمِعُوا يَوْمَ الْمُحَصَّب مِن مِنًى
نِدائى إذا الْتَفَّتْ رِفاقُ الْمَواسِمِ

٥٠ هُمُ طَلَبُوها بالسُّيُوفِ وَبالقَنَـا
وَجُرْدٍ شَجٍ أَفْوَاهُهَا بالشَّكائِمِ

(٤٤) مدمغة : مشجوجة ، هازمات : صادعات . أمائم : ضربات تصل إلى أم الدماغ .

(٤٧) الشافيات الحوائم : أى شافيات الطير التى تحوم على جثثهم ودمائهم .

(٥٠) جرد : خيل قليلة الشعر وهى الكريمة ، شج : صفة للخيل ومعناها عاضة .
والشكائم : حدائد اللجام .

٥١ تُقادُ وَمَا رُدَّتْ إذا ما تَوَهَّسَتْ
إلى الْبَأْسِ بالْمُسْتَبْسِلِينَ الضَّراغِمِ

٥٢ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَع تَمِيماً إذا دَعَتْ
تَمِيمٌ وَلَم تَسْمَع بيَوم ِ ابْن خَازم

٥٣ وَقَبْلَكَ عَجَّلْنَا ابْنَ عَجْلَى حِمامَهُ
بأَسْيافِنَا يَصْدَعْنَ هــامَ الْجَمَاجم

٥٤ وَمَا لَقِيَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلَانَ وَقْعَةً
وَلَا حَرَّ يَوْم مِثْلَ يَوْم الأَراقِم

٥٥ عَشِيَّةَ لَاقى ابْنُ الْحُبابِ حِسابَهُ
بِسِنْجارَ أَنْضاءَ السُّيوفِ الصَّوارم

٥٦ نَبَحت لِقَيْسٍ نَبْحَةً لَمْ تَدَع لَهَا
أُنوفاً وَمَرَّتْ طَيْرُهــا بِالأَشائِم

٥٧ نَدِمْتَ عَلَى الْعِصْيَان لَمَّا رَأَيْتَنَا
كَأَنَّا ذُرَى الأَطْوادِ ذات المَخَارم

---

(٥١) توهست : وطئت وطئا شديدا ، والضراغم : جمع ضرغامة وهو الأسد يعني المحاربين الشجعان .

(٥٢) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السلمي صاحب خراسان قتله أحد أبناء تميم .

(٥٤) والأراقم جماعة من بني تغلب .

(٥٥) ابن الحباب : عمير بن الحباب السلمي قتلته بنو تغلب يوم سنجار بالجزيرة ، وأنضاء : أخلاق أو قديمة .

(٥٦) يخاطب جريرا : لم تدع لها أنوفا : أي خزيت .

(٥٧) المخارم جمع مخرم وهو قطع بالجبل .

٥٨ عَلَى طاعَةٍ لَوْ أَنَّ أَجْبالَ طَيِّءٍ
عَمَدْنَ لَهَا وَالهَضْبَ هَضْبَ التَّهائم

٥٩ لِيَنْقُلْنها لَمْ يَسْتَطِعْنَ الَّذِى رَسَا
لَهَا عِنْدَ عالٍ فَوْقَ سَبْعِينَ دائِم

٦٠ وَأَلْقَيْتَ مِنْ كَفَّيْكَ حَبْلَ جَمَاعَةٍ
وَطاعَةَ مَهدِىٍّ شَدِيدِ النَّقائِم

٦١ فَإِنْ تَكُ قَيْسٌ فى قُتَيْبَةَ أُغْضِبَتْ
فَلا عَطَسَتَ إِلَّا بأَجْدَعَ راغِم

٦٢ وَمَا كانَ إِلَّا باهِلِيًّا مُجَـدَّعاً
طَغَى فَسَقَيْنَاهُ بكَأْسِ ابن خَازم

٦٣ لَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كانَ نَصرُها
قُتَيْبَةَ إِلَّا عَضَّهَا بالأَبَاهِم

٦٤ فَإِنْ تَقْعُدُوا تَقْعُدْ لِئامٌ أَذِلَّةٌ
وانْ عدتُّمُ عُدْنا ببِيَضٍ صَوارم

٦٥ أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا
جِهارًا أَوْ لَمْ تَغْضَبْ لِيَوْمِ ابْنِ خَازم

٦٦ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَعَثْنَا برأْسِــهِ
إلى الشَّأْم فَوْقَ الشَّاحِجاتِ الرَّوامِم

---

(٦١) أجدع : مقطوع الأنف ، راغم : ذليل .

(٦٦) الشاحجات : يعنى التى تشجج ، أى تضج من مشقة السير والروامم : السائرات .

٦٧ تَذَبْذَبُ فى الْمِخْلَاةِ تَحْتَ بُطُونِها
مُحَذَّفَةَ الأَذْنابِ جُلْحَ المَقَادِمِ

٦٨ سَتَعْلَمُ أَىُّ الوادِيَيْنِ لَهُ الثَّرَى
قَدِيماً وَأَوْلَى بالْبُحُورِ الْخَضَارِمِ

٦٩ أوادِ بهِ صِنٌّ الْـــوِبَارِ يُسِيلُهُ
إذا بالَ فيهِ الْوَبْرُ فَوْقَ الْخَراشِمِ

٧٠ كَوَادٍ بهِ الْبَيْتَ العَتِيقُ تَمُـــدُّهُ
بُحُورٌ طَمَتْ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وهَاشِمِ

٧١ فَما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وَطاعَةً
وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَـــلاقِمِ

٧٢ وَكانَ لَهُمْ يَوْمانِ كانا علَيْهِمُ
كَأَيَّامِ عادٍ بالنُّحوسِ الأَشائِمِ

٧٣ وَيَوْمٌ لَهُمْ مِنَّا بحَوْمانَةَ الْتَقَتْ
عَلَيْهِمْ ذُرَى حَوْماتِ بَحْرٍ قُمَاقِمِ

٧٤ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا قُتَيْبَةُ إِذْ رَأَى
تَمِيمًا عَلَيْهَا الْبِيضُ تَحْتَ الْعَمَائِمِ

---

(٦٧) جلح : الأجلح القصير الناصية .

(٦٨) الخضارم : جمع خضرم وهو السيد العظيم .

(٦٩) الوبار والوبر : جمع وبرة ، دويبة كالسنور ، من حيوان الوحش الخراشيم

(٧٣) قماقم : ضخم .

٧٥ غَداةَ اضْمَحلَّتْ قَيْسُ عَيْلَانَ إِذْدَعا
كَمَا يَضْمَحِلُّ الالُ فَوْقَ الْمَخَارِم

٧٦ لِتَمْنَعَهُ قَيْسُ وَلَا قَيْسَ عِنْـدَهُ
إِذا مادعَا أَوْ يرتَقِى فى السَّلَالِم

٧٧ تُحَرِّكُ قَيْسُ فى رُءُوسٍ لَئِيمَةٍ
أُنُوفاً وَآذَاناً لِئَـامَ المَصَالِم

٧٨ وَلَمَّا رَأَيْنَا الْمُشْرِكِينَ يَقُودُهُمْ
قُتَيْبَةُ زَحفاً فى جُمُوع الزَّمازم

٧٩ ضَرَبْنَا بِسَيْفٍ فى يَمِينِكَ لَم نَدَع
بهِ دونَ بابِ الصِّين عَيْناً لِظَالِم

٨٠ بهِ ضَرَبَ اللهُ الَّذِينَ تَحَزَّبوا
ببَدْرٍ عَلَى أَعْنَاقِهم وَالْمَعَاصِم

٨١ فَإِنَّ تَميماً لَمْ تكُنْ أُمُّـهُ ابْتَغَتْ
لَهُ صِحَّةً فى مَهدِهِ بالتَّمَائِم

٨٢ كَأَنَّ أَكُفَّ الْقابلاتِ لأُمِّـهِ
رَمَيْنَ بعادِىِّ الأُسُود الضَّرَاغِمِ

---

(٧٥) الآل : السراب ، والمخارم شقوق الجبال .

(٧٧) المصالم : المقطوعة الأصول .

(٧٨) الزمازم من الزمزمة : صوت الجماعة غير المبين كالزجل .

٨٣ تَأَزَّرَ بَيْنَ الْقَابِلاتِ وَلَمْ يَكُن
لَهُ تَوْأَمٌ إِلَّا دَهاءُ لِحازم

٨٤ وَضَبَّةُ أَخوالى هُمُ الهَامَةُ الَّتِى
بِهَا مُضَرٌ دَمَّاغَةٌ لِلْجَماجِم

٨٥ إذا هِىَ ماسَتْ فى الحَدِيدِ وَأَعْلَمَتْ
تَمِيمٌ وَجاشَتْ كالْبُحورِ الْخَضارِمِ

٨٦ فَما النَّاسُ فى جَمْعَيْهِمُ غَيْرُ حِشْوَةٍ
إذا خَمَدَ الأَصْواتُ غَيْرُ الْغَمَاغِمِ

٨٧ كَذَبْتَ ابْنَ دِمْنِ الأَرْضِ وَابْنَ مَراغِها
لآلُ تَمِيمٍ بالسُّيوفِ الصَّوارم

٨٨ جَلَوْا حُمَماً فَوْقَ الْوُجوهِ وَأَنْزَلُوا
بِعَيْلانَ أَيَّامَ عِظَامَ الْمَلَاحِمِ

٨٩ تُعَيِّرُنا أَيَّامَ قَيْسٍ وَلَمْ نَدَعْ
لِعَيْلَانَ أَنْفاً مُسْتَقِيمَ الْخَيَاشِمِ

٩٠ فَما أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبَحَ دُونَهَا
وَلَا مِنْ تَمِيمَ فى الرُّءُوسِ الأَعاظِمِ

(٨٥) البحور الخضارم : العظيمة .

(٨٦) الغماغم : الصوت الخفيض غير المبين .

(٨٧) يقصد جريراً .

(٨٨) عيلان : قبيلة قيس عيلان أعداء تميم .

٩١ وَإِنَّكَ إِذْ تَهجو تَميماً وَتَرْتَشِى
تَبابينَ قَيْسٍ أَوْ سُحوقَ العَمائم

٩٢ كَمُهْرِيقِ ماءٍ بالْفَلاةِ وَغَرَّهُ
سَرابٌ أَثارَتْهُ رياحُ السمائم

٩٣ بَلَى وَأَبيكَ الْكَلْبِ إِنِّى لَعَالِمٌ
بهم فَهُمُ الأَدنَوْنَ يَوْمَ التَّزاحُمِ

٩٤ فَقَرِّب إِلَى أَشْياخِنا إِذْ دَعَوْتَهُمْ
أَباكَ وَدَعْلِج بِالْجِدَاءِ التَّوائم

٩٥ لَعَمْـــرِى لَئِنْ قَيْسٌ أَمَصَّتْ أُيُورَها
جَرِيرًا وَأَعْطَتْـــهُ زُيُوفَ الدَّارِهِمِ

٩٦ لَكَمْ طَلَّقَت مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ مِن حِرٍ
وقَدْ كَانَ قبقَــابًا رِمَاحُ الأَرَاقِمِ

٩٧ فَمِنْهُنَّ عِرْسُ ابْنِ الْحُبَابِ الَّذِى ارتَمَتْ
بِأَوْصالِهِ عُرْجُ الضِّــباعِ الْقَشَاعِمِ

٩٨ تَظَلُّ النَّصَــارَى مُبْرَكِينَ بَنَاتِهِمْ
عَلَى رُكَبٍ مُقِّ الرُّفُــوغِ الْخَلَاجِمِ

---

(٩١) تبابين : جمع تبان ، وهو السروال الصغير ، مسحوق : خلقان .

(٩٤) دعلج: أدع ، الجداء جمع جدى .

٩٩ إِذَا غَابَ نَصَرانِيّةٌ فِى حَنِيفِهَــا
أَهَلَّتْ بحَجٍّ فَوْقَ ظَهْر الْعَجَــارم

١٠٠ وَهَلْ يا ابْنَ ثَفْر الْكَلْب مِثْلُ سُيُوفنا
سُيُوفٌ وَلَا قَبْضُ الْعَــدِيدِ الْقَمَاقِمِ

١٠١ فَلَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ لَمْ تَعِبْ مِدْحَتِى لَهُمْ
وَلَكِنْ حِمَــارٌ وَشْيُهُ بالْقَــوائِمِ

١٠٢ مَنَعْتُ تَمِيمًا مِنْكَ إِنِّى أَنَا ابْنُهَــا
وَرَاجِلُهَا الْمَعْرُوفُ عِنْــدَ الْمَوَاسِمِ

١٠٣ أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالْمُحَــامِى وَرَاءَهَــا
إِذَا أَسْــلَمَ الْجَانِى ذِمَارَ الْمَحَارِم

١٠٤ إِذَا مَا وُجُوهُ النَّاسِ سَالَتْ جِبَاهُهَا
مِنَ الْعَرَقِ الْمَعْبُوطِ تَحْتَ الْعَمَائِم

١٠٥ أَبِى مَنْ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ أَنْتَ مُعْتَزٍ
إِذَا قِيلَ مِمَّنْ قَوْمُ هَــذَا الْمَرَاجِم

١٠٦ أَدِرْسَانَ قَيْسٍ لَا أَبَا لَكَ تَشْــتَرِى
بِأَعْرَاضِ قَــوْمٍ هُمْ بُنَاةُ الْمَكَارِم

---

(١٠٤) العرق المعبوط : العرق السائل .

(١٠٥) المراجم : المخاصم يعنى جريرا .

(١٠٦) درسان قيس : خلقان قيس .

١٠٧ وَمَا عَـلِمَ الأَقْوَامُ مِثْـلَ أَسِيرِنَا
أَسِـيرًا وَلَا أَجْـدَافِنَا بِالْكَوَاظِمِ

١٠٨ إِذَا عَجَزَ الأَحْيَـاءُ أَنْ يَحْمِـلُوا دَمًا
أَنَاخَ إِلَى أَجْـدَائِنَـا كُلُّ غَارِمِ

١٠٩ تَرَى كُلَّ مَظْـلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ
وَيَهْرُبُ مِنَّـا جَهْـدَهُ كُلُّ ظَالِمِ

١١٠ أَبَتْ عَامِرٌ أَنْ يَأْخُـذُوا بِأَسِيرِهِمْ
مِئِينَ مِنَ الأَسْرَى لَهُمْ عِنْـدَ دَارِمِ

١١١ وَقَالُوا لَنَـا زِيدُوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ
لَغَـاءٌ وَإِنْ كَانُوا ثُغَامَ اللَّهَـازِمِ

١١٢ رَأَوْا حَاجِبًا أَغْلَى فِـدَاءً وَقَوْمُهُ
أَحَـقُّ بِأَيَّامِ الْعُـلَا وَالْمَكَارِمِ

١١٣ فَلَا نَقْتُلُ الأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ
إِذَا أَثْقَلَ الأَعْنَـاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ

١١٤ فَهَـلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ
أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

١١٥ كَذَاكَ سُـيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا
وَيَقْطَعْنَ أَحْيَـانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ

---

(١٠٧) أجداف لغة تميم فى أجداث ، وهى الرفات والكواظم منزل لتميم .

(١١١) ثغام : بيض الهام ؛ السوالف أو جوانب الشعر يقصد شيب اللهازم

١١٦ وَيَوْمَ جَعَلْنَا الظِّلَّ فِيهِ لِعَامِرٍ
مُصَمِّمَةً تَفْأَى شُؤُونَ الْجَمَاجِمِ

١١٧ فَمِنْهُنَّ يَوْمٌ لِلْبَرِيكَيْنِ إِذْ تَرَى
بَنُو عَامِرٍ أَنْ غَانِمٍ كلُّ سَالِمِ

١١٨ وَمِنْهُنَّ إِذْ أَرْخَى طُفَيْلُ بْنُ مَالك
عَلَى قُرْزُلٍ رِجْلَى رَكُوضِ الْهَزَائِمِ

١١٩ ونَحْنُ ضَرَبْنَا مِنْ شُتَيْرِ بْن خَالِدٍ
عَلَى حَيْثُ تَسْتَسْقِيهِ أُمُّ الْجَمَاجِمِ

١٢٠ وَيَوْمَ بْن ذِى سَيْدَانَ إِذْ فَوَّزَتْ بِهِ
إِلَى الْمَوْتِ أَعْجَازُ الرِّمَاحِ الْغَوَاشِمِ

١٢١ وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ
يَزِيدَ عَلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْجَوَاثِمِ

١٢٢ وَنَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَىْ هُتَيْمٍ وَأَدْرَكَتْ
بُجَيْرًا بِنَارُكْضُ الذُّكُورِ الصَّلَادِمِ

---

(١١٦) تفأى : تشخ ، مصممة أى قاطعة للحم ، وشؤون الجاجم مجتمع عظامها .

(١١٧) البريكان : رجلان من بنى عامر قتلهما بعض بنى تميم فى يوم من الأيام بينهما هو يوم المروت .

(١١٨) أرخى : أرخى عنان فرسه أى هرب بها ، طفيل بنى مالك أحد فرسان بنى عامر وقرزل اسم فرسه . ركوض الهزائم : يعنى ركوض عند الهزائم .

(١٢١) أم الفراخ الجواثم : أى أم الرأس .

(١٢٢) الذكور الصلادم : الجياد القوية .

١٢٣ وَنَحْنُ قَسَمْنَا مِن قُدَامَةَ رَأْسَهُ
بِصَدْعٍ عَلَى يَا فُوخِهِ مُتَفَاقِمِ

١٢٤ وَعَمْرًا أَخَا عَوْفٍ تَرَكْنَا بِمُلْتَقَى
مِنَ الْخَيْلِ فِي سَامٍ مِنَ النَّقْعِ قَاتِمِ

١٢٥ وَنَحْنُ تَرَكْنَا مِنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ
ثَمَانِينَ كَهْلًا لِلنُّسُورِ الْقَشَاعِمِ

١٢٦ بِدَهْنَا تَمِيمٍ حَيْثُ سُدَّتْ عَلَيْهِمُ
بِمُعْتَرَكٍ مِنْ رَمْلِهَا الْمُتَرَاكِمِ

١٢٧ وَنَحْنُ مَنَعْنَا مِنْ مَصَادِ رِمَاحَنَا
وَكُنَّا إِذَا يُلْقَيْنَ غَيْرَ حَوَائِمِ

١٢٨ رُدَيْنِيَّةً صُمَّ الْكُعُوبِ كَأَنَّهَا
مَصَابِيحُ فِي تَرْكِيبِهَا الْمُتَلَاحِمِ

١٢٩ وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَ غَيْلَانَ بِالْقَنَا
وَبِالرَّاسِيَاتِ الْبِيضِ ذَاتِ الْقَوَائِمِ

١٣٠ وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَصْبَحَتْ
بِمُسْتَنِّ أَبْوَالِ الرِّبَابِ وَدَارِمِ

١٣١ لَكَانُوا كَأَقْذَاءٍ طَفَتْ فِي غُطَامِطٍ
مِنَ الْبَحْرِ فِي آذِيِّهَا الْمُتَلَاطِمِ

---

(١٣١) غطامط : مجتمع الماء ، والآذى : الموج .

١٣٢ فَإِنَّا أُناسٌ نَشْتَرى بدمائِنا
دِيارَ الْمَنَايا رَغْبَةً فى الْمَكارِمِ

١٣٣ أَلَسْنا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقايَسُوا
إلى الْمَجْدِ بالْمُسْتأْثِراتِ الجَسائِمِ

١٣٤ مُلُوكٌ إذا طَمَّتْ عَلَيْكَ بُحُورُها
تَطَحْطَحْتَ فى آذيِّها الْمُتَصَادِمِ

١٣٥ إذا ما وُزِنَّا بالْجِبَالِ رَأَيْتَنَا
نَميلُ بأَنْضادِ الجِبالِ الأَضاخِمِ

١٣٦ تَرانا إذا صَعَّدْتَ عَيْنَكَ مُشْرِفاً
عَلَيْكَ بأَطْوادٍ طِوالِ الْمَخارِمِ

١٣٧ ولَوْ سُئِلَتْ مَنْ كُفْؤُنا الشَّمْسُ أَوْمَأَتْ
إلى ابْنَىْ مُنافٍ عَبْدِ شَمْسٍ وهَاشِمِ

١٣٨ وَكَيْفَ تُلاقِى دارِماً حَيْثُ تَلْتَقِى
ذُراها إلى حَيْثُ النُّجُومِ التَّوائِمِ

١٣٩ لَقَدْ تَرَكَتْ قَيْسًا ظُباةُ سُيوفِنا
وَأَيْدٍ بأَعْجازِ الرِّماحِ اللَّهاذِمِ

١٤٠ وَقائِعُ أَيَّامٍ أَرَيْنَ نِساءَهُمْ
نَهاراً صَغِيراتِ النُّجُومِ الْعوائِمِ

---

(١٣٣) طمت : فاضت ، وعلت ، تطحطحت : اضطربت .

١٤١ بذِى نَجَبٍ يَوْمٌ لَقَيْسٍ شَرِيدُهُ
كَثِيرُ الْيَتامَى فى ظِلالِ الْمآتِمِ

١٤٢ وَنَحْنُ تَرَكْنا بالدَّفِينَةِ حاضِراً
لآلِ سُلَيْمٍ هامُهم غَيْرُ نائِمِ

١٤٣ حَلَفْتُ برَبِّ الرَّاقِصاتِ إلَى مِنًى
يَقِينَ نَهاراً داميِاتِ الْمَنَاسِمِ

١٤٤ عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ ما اتَّقَوْا مِنْ وَرِيقَةٍ
إذا ما الْتَظَتْ شَهْباؤُها بالْعَمائِمِ

١٤٥ لَتَحْتَلِبَنْ قَيْسُ بْنُ عَيْلانَ لَقْحَةً
صرى ثَرَّةٍ أَخْلافُها غَيْرُ رائِمِ

١٤٦ لَعَمْرِى لَئِن لامَتْ هَوازِنُ أَمْرَها
لَقَد أَصْبَحَتْ حَلَّتْ بِدارِ الْمُلاوِمِ

١٤٧ وَلَوْلا ارْتِفاعِى عَنْ سُلَيْمٍ سَقَيْتُها
كِئاسَ سِمامٍ مُرَّةٍ وعَلاقِمِ

١٤٨ فَما أَنْتُمُ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ فى الذُّرَى
وَلا مِنْ أَثافِيها الْعِظامِ الْجَماجِمِ

١٤٩ إذا حُصِّلَتْ قَيْسٌ فَأَنْتُمْ قَلِيلُها
وَأَبْعَدُها مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ لِعالِمِ

---

(١٤٤) وريقة : شجرة كثيرة الورق . شهباؤها : الشمس .

١٥٠ وَأَنْتُمْ أَذَلُّ قَيْسِ عَيْلَانَ حُبْوَةً
وأَعْجَزُهَا عِنْـدَ الأُمُورِ العَوَارِمِ

١٥١ وَمَا كانَ هَذَا النَّاسُ حَتَّى هدَاهُمُ
بِنَا اللّهُ إلاَّ مِثْلَ شَاءِ الْبَهَائِمِ

١٥٢ فَمَا مِنْهُمُ إلَّا يُقَادُ بأَنْفِهِ
إِلَى مَلِكٍ مِنْ خِنْدِفٍ بالْخَزَائِمِ

١٥٣ عَجِبْتُ إلَى قَيْسٍ وَمَا قَدْ تَكَلَّفَتْ
مِنْ الشِّقْوَةِ الحَمْقَاءِ ذَاتِ النَّقَائِمِ

١٥٤ يَلُوذُونَ مِنِّى بالْمَرَاغَةِ وَابْنِهَا
وَمَا مِنْهُمَا مِنِّى لِقَيسٍ بعَاصِمِ

١٥٥ فَيَاعَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِى
وَكَانَتْ كُلَيْبٌ مَدرَجاً لِلْمشاتِمِ

١٥٦ سَيُخْبِرُ خُصْيَا ابْنِ الْحُبَابِ وَرَأْسُهُ
عُمَيْرٍ عَلَى مَاكَانَ يَوْمَ الأَرَاقِمِ

١٥٧ عَشِيَّةَ أَلْقَوْا فِى الْخرِيطَةِ رَأْسَهُ
وَخُصْيَيْهِ مَشْدُوخاً سَلِيبَ الْقَوَائِمِ

١٥٨ عَشِيَّةَ يَدْعُوهُمْ قُتَيْبَةُ بَعْدَ ما
[illegible] رَأَى أَنَّهُ لَم يعْتَصِم بِالْعَوَاصِمِ

ذو الرمة

(ت ١١٧ هـ)

هو عيلان بن عقبة بن نهيس العدوى ، من فحول الطبقة الثانية فى عصره ، قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذى الرمة .

أكثر شعره تشبيب بمية وخرقاء، ووصف للصحراء وحيوانها يذهب فيه مذهب شعراء ماقبل الإسلام .

كان مقيما بالبادية ، يحضر إلى اليمامة والبصرة ، يروى أنه نظر فى صحيفة فقال لكاتبها : « ارفع هذا الحرف » أى احذفه ، فقال الكاتب « أتكتب ؟ » فوضع يده على فيه وقال : اكتم على فإنه عندنا عيب » .

وقصيدته الأولى هنا يبدؤها بوصف مرابع حبسته التى ارتحلت عنها ، وما سكن هذه المرابع من أسراب حيوان الصحراء . ثم يتابع بخياله رحيـــل مى وأترابها يتوسل بذلك لوصفها ولبيان حالة رحيلها . ويخلص بعد ذلك إلى وصف الصحراء التى تعود قطعها ، وبعيره الذى يعجب به قارنا إياه بالحمار الوحشى الصلب ، الذى يصبر على مشقة الحياة فى الفلوات. مصورا فى أثناء ذلك وبعده مايتصف به من جلد على قسوة حياة الصحراء ، وعزة نفسه ، وركوبه المخاطر .

أما قصيدته الثانية ، وإن كانت لاتخرج عن مساقات الوصف فى القصيدة الأولى ، فهى تنفرد بوصف رفاق الرحلة وما بلغه الإجهاد منهم ، وكذلك بوصف أسراب القطا حول الآبار المهجورة التى فسد ماؤها وتغير طعمه .

* * *

قال :

١ وَقَفْتُ على ربعٍ لِمَيَّةَ ناقَتى
فَمازلتُ أبكى عنده وأخاطبُه

٢ وأسقيه حتى كاد مما أُبِثُّهُ
تكلمنى أحجاره وملاعبه

٣ بأجرع مقفار بعيد من القُرى
فلاةٍ وحُفَّت بالفلاة جوانبُه

٤ به عَرَصاتُ الحى قَوَّيْن مَتْنَهُ
وَجرَّد أثباج الجراثيم حاطبُهُ

(١) وقفت وأوقفت بمعنى . متعد بنفسه لمفعوله « ناقتى» مثله فى ذلك « رجع » كما فى قوله تعالى : « فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها » . الآية .

(٢) أسقيه : بضم الهمزة وفتحها ، وكذلك أبثه : بضم الهمزة وكسر الباء ، بفتح الهمزة وضم الباء .

(٣) الأجرع : كثيب رمل وحصى والجرعاء : الأرض الغلبظ

(٤) قوين : قلعن ما فيه من نبات وشجر ، والعرصات : الأفنية.الأثباج : الأوساط ، والجراثيم : أصول الأشجار .

٥ تمشى به الثيران كل عشيةٍ
كما اعتاد بيت المرزبان مرازبُهْ

٦ كأن مسحيق المسك ريًّا ترابه
إذا هَضَبته بالطلال هواضبه

٧ إذا سَيَّرَ الهيفُ الصهيلَ وأهله
من الصيفِ عنه اعقبته نَوَازبُه

٨ نظرت إلى أظعَان مى كأنها
مُوَلِّيةً : مِيَسٌ تميلُ ذوائبه

٩ فأبديت من عينى والصدر كاتمٌ
بمُغرورقٍ نمت عليــه سواكبه

١٠ هوى آلف جاء الفراق فلم تُجِل
جوائلها أسراره وساتبه

١١ ظعائن لم يحللن إلا تنــوفَة
عذاة إذا ما البرد هَبَّت جنائبُ

(٦) سحيق : مسحوق . هضبته : أمطرته ، الريا : الرائحة الطيبة . والطلال : ج طل : الندى

(٧) الهيف : الريح الحارة ، النوازب : الظباء والنزيب صوت الظبي . يقول : إذا جاء الصيف برياحة الحارة ارتحلت الخيل وأهلها ، وجاءت أسراب الظباء وحيوان البر .

(٨) ميس : شجر ، ذوائبه : أعاليه .

(١١) تنوفة : صحراء وجمعها تنائف . عذاة : منبسطة ، بعيدة عن الماء .

١٢ يُعَرجن بالصَّمَّانِ حتى تعذرت
عَلَيْهن أَرباعُ اللّوى ومشارِبُه

١٣ وحتى رأينَ القِنَعَ من فاقِ السَّفا
قد انتسجت قريانه ومذانبُه

١٤ وَحتّى سَرتْ بَعد الكرى فى لَوِيِّه
أساريعُ معروفٍ وصرت جَنادبُهْ

١٥ فأَصبحن بالجرعاءِ جرعاءِ مالك
وآل الضحى تزهى الشبوح سبائبه

١٦ فلما عرفنا آية البين بَغْتَةً
ورُدَّت لاحداجِ الفِراقِ ركائبُهْ

١٧ وَقَرِبن للأَظعانِ كُلَّ مُوَقَّعٍ
من البزل يوفى بالحوية غاربه

---

(١٢) الصمان : جبل ، أو هو موضع بين الدو والدهناء . واللوى : منقطع الرمل ، أو علم على موضع بذاته .

(١٣) القنع : موضع . القريان والمذانب : مجارى المياه إلى الروض . يقول : لقد فارت مياه هذا الموضع« انقنع » ، وامتلأت مجارى مياهه بالغثاء الجاف كأنه انتسج فيها .

(١٤) اللوى : البقل اليابس . الأساريع : دود طوال تكون فى الرمل . معروف : موضع صرت : أصدرت الصوت المعروف بالصرير . والجنادب : ضرب من دوام الحقل له صرير حاد .

(١٥) الآل : السراب . الشبوح : الشخوص ، تزهى : تتضح ، سبائب : طرائق السراب .

(١٧) موقع : بظهره ندوب ، البازل : البعير أتم الثامنة ودخل التاسعة ، الحوية كساء يدار على ظهر البعير يركب عليه . غاربه : سنامه

١٨ ولم يَستطعَ إلفٌ لإلفٍ تحيّةً
من الناس إلا أن يُسَلم حاجبهُ

١٩ تَراءى لَنا من بين سِجفَين لَمحَةً
غَزالٌ أَحَمُّ العينِ بيضٌ ترائبهُ

٢٠ وقد حَلفتْ باللهِ مَيَةُ ما الذى
أُحَدِّثُها إلاَّ الذى أنا كاذِبُهْ

٢١ إذاً فَرَمانى اللهُ من حيث لا أرى
ولا زال فى أَرضى عدو أُحارِبُهْ

٢٢ إذا نازَعتكَ القول مَيَّةُ أو بَدَا
لكَ الوَجهُ مِنها أو نَضَاالدرعَ سالبُهْ

٢٣ فيالك من خد أَسيل ومنطقٍ
رخيم ومن خلق تعلل جاذبُه

٢٤ ألا لا أرى مثلَ الهوى داءَ مسلمٍ
كريمٍ ولامِثلَ الهوى لِيمَ صاحبُه

٢٥ متى يَعْصِه تبرح معاصاته به
وإن يتبع أَسبَابه فهو غالبهُ

---

(١٩) السجف : الستر ، أحم : أسود ، الترائب : الصدر .

(٢٢) نضا : نزع . الدرع والمدرعة : قطعة الثوب التى تغطى أعلى جسد المرأة .

٢٦ متى تظعنى ياميَّ عَن دَار جيرةٍ
لَنَا والهَوى بَرحٌ على من يغالبه

٢٧ أكن مثل ذى الأُلاف لزت كراعه
إلى أختها الأخرى وَوَلى صَواحِبُه

٢٨ تقاذفن أطلاقا وقارب خطوهُ
عن الذود تقييد وهن حبائبه

٢٩ نَأين فَلَا يَسْمعنَ إنْ حَنَّ صَوتُه
ولا الحبلُ منحلٌّ ولا هُو قاضِبُه

٣٠ وأشعثَ قد قايسته عرض هوجَلٍ
سواءٌ علينا صَحْوُه وغياهبُه

٣١ ومُنخَرَقٍ خاوى الممـــر قطعتُهُ
بمنعقد خَافَ الشراسِيف حالبه

---

(٢٧) ذى الألاف : يقصد بعيرا ألف الحياة فى مجموعة الإبل ، لزت كراعة إلى أختها : قيدت رجلاه

(٢٨) تقاذفن أطلاقا : سرن سيرا حثيثا . الذود : جماعة الإبل .

(٣٠) أشعث : يعنى صاحبه فى السفر ، هوجل : صحراء ، صحوه وغياهبه : نهاره وليله أو الضوء والظلام فيه يقول : إنه يقطع الصحارى المخوفة التى لا يهتدى فيها . وسواء ليلها ونهارها .

(٣١) منخرق : متسع رحيب ، يصف مرحلة من الطريق ، والشطر الثانى مفتتح الحديث عن بعيره ، بدأه بوصف العرقين البارزين فى جانبيه .

٣٢ يكادُ مِن التصدير ينسل كُلَّما
ترنم أَو مَسَّ العمامةَ رَاكِبُهْ

٣٣ طويل النَّسا والأَخدعين شمردلٌ
مُضَبَّرة أَوْراكهُ ومناكِبُــهْ

٣٤ طَوَى بَطنَه الترجافُ حتى كأَنه
هلالٌ بدا وانشق عنــه سحائبه

٣٥ كأَن يمامِيًّا طوى فوق ظهره
صَفيحاً يُدانى بينَهُ ويُقاربُه

٣٦ إذا عُجْتُ منه أَو رأَى فوق رحلهِ
تحركَ شيء ظن أَنِّى ضاربُهْ

٣٧ كأَنى وَرَحْلى فوق سَيِّد عانة
من الحُقب زَمَّامٍ تَلوحُ ملاحِبُه

---

(٣٢) التصدير : حزام الصدر ، مس العمامة : يصف توجس البعير كلما رفع راكبه يده ، خوف الضرب .

(٣٣) الأخدع : عرق فى القفا ، شمردل : طويل ، مضبرة : وثيقة مجتمعة .

(٣٥) الصفيح : الحجارة العراض ، يصف ظهر البعير بالصلابة . وأهل اليمامة مهرة فى طى الآبار والركايا .

(٣٦) هذا البيت يفسر البيت ٣٢ .

(٣٧) يشبه بعيره بالحمار الوحشى . العانة : جماعة الحمر ، الأحقب : الضخم ، زمام : رافع رأسه نشاطا ، الملاحب : الطرق الواضحة .

٣٨ رعى مَوقِعَ الوَسْمِىّ حَيثُ تبعّقت
عَزَالى السّواحى وَارْثَعَنَتْ هواضبُه

٣٩ لَهُ وَاحِفُ فالصُّلبُ حتى تقطّعَتْ
خِلافَ الثُّرَيّا مِن أَريكٍ مآدبُه

٤٠ يُقَلبُ بالصّمانِ قودا جَريدةً
ترامَى بهِ قيعانه واخاشِبُه

٤١ وَيومَ يُزيرُ الظبىَ أقصى كناسِهِ
وتنزو كَنَزو المُعْلَقَاتِ جنَادبُه

٤٢ أغرٌّ كلونِ الملح ضاحى ترابهِ
إذَا استَوقَدتْ حزانُهُ وَسَباسبُه

(٣٨) الوسمى : مطر الربيع ، تبعقت : تشبعت ، العزالى : أفواه القرب يصف انصباب المطر بغزارة ، ارثعنت : سقطت ، هواضبه : أمطاره . السواحى : الأمطار التى تقشر الأرض

(٣٩) واحف ، والصلب ، وأريك : مواضع يرعى فيها حمار الوحش الذى يصوره شبيها لبعيره . الثريا . منزلة من منازل القمر ، تطلع طلوعها الثانى فى شدة الحر ، ونوؤها محمود ، ومطرها آخر الوسمى .

(٤٠) قودا : أتنا طوالا ؛ جريدة : مجرودة ؛ القيعان : الأرض المستوية ؛ الأخاشب : الأرض الغليظة .

(٤١) الكناس : بيت يتخذه الوحشى فى أصول الشجر . يصف شدة الحر . تنزو : تثبت ، المعلقات : التى علقت فى الأشراك .

(٤٢) أغر كلون الملح : أبيض من السراب . الحزان : ضد السهول . السباسب : الأرض المستوية .

٤٣ تَلَثَّمتُ فاستقبلتُ مِنْ عُنُفوانِهِ

أُواراً إذا ما أَسْهَل استن حاصبُه

٤٤ وقد جَعَل الحرباءَ يبيض لونه

ويخضر من لفح الهجير غباغِبُه

٤٥ وَيشْبَحُ بالكَفين شَبْحاً كأَنه

أَخو فُجْرَةٍ عالى به الجذع صالبُهْ

٤٦ على ذاتِ أَلواحٍ طوالٍ وكاهل

أَنافَتْ أَعاليهِ ومَارت مناكبُه

٤٧ وأَعيسَ قد كلفتَهَ بَعدَ شُقَّةٍ

تعقد منها أَبيَضَاه وحالبُه

٤٨ متى يُبْلِنِى الدهرُ الذِى يُرجعُ الفتَى

عَلَى بَدئِهِ أَو تشتعِبنى شواعبُه

٤٩ فَرُبَّ امرىءٍ طاط عَن الحق طامحٍ

بعينَيه عَمَّا عودته أَقاربُه

٥٠ ركبتُ به عوصاءَ كُلَّ كريهةً

وَزوراءَ حتى يعرفَ الضيمَ جانبُه

---

(٤٣) الأوار : شدة الحر ، استن : جرى ، الحاصب : صغار الحصى تجرفها الريح .

(٤٤–٤٥) الغبغب : جلدة ما بين الحلق والصدر ، يشبح : يمد ، عالى : رفع .

(٤٦) يصف ناقته بالفراهة .

(٤٧) أعيس أبيض ، يعنى بعيره .

(٤٩–٥٠) طاط : متكبر منحرف . عوصاء : مشقة .

٥١ وأَزْوَرَ يمطو فى بلاد عريضةٍ
تعاوى به ذُؤْبانُه وثعالبُــهْ

٥٢ إلى كُلِّ ديَّار تعرفن شخصه
من القفرحتّى تقشعِرَّ ذوائبُهُ

٥٣ قطعتُ به ليلاً علىَ كُورِ نضوةٍ
تُعَاطى زمَامى تارَةً وتجاذِبُه

٥٤ إذا زاحَمَت رَعنا دَعَا فَوقه الصَّدا
دُعاء الرُّوَيعى ضلَّ فى الليل صَاحِبُهْ

٥٥ أخو قفرةٍ مستوحِشٌ ليس غيرُهُ
ضعيفُ النداءِ أصحَل الصوت لاغِبُه

٥٦ تَلَوَّمَ يهيــاهٍ بياهٍ وقد مضى
من الليل جَوْزٌ واسبطرت كواكبُهْ

٥٧ وَرَبْطَةِ خِرقٍ كالعقاب رَفَعْتهــا
وقد رَكَضَتْ وَصْفَ الهجير جنَادبُه

(٥١) أزور : طريق معوج . يمطو : يمتد .

(٥٢ – ٥٤) الكور : الرحل ، نضوة : مهزولة يعنى ناقة . الرعن : أنف الجبل ، رويعى : راع صغير

(٥٥) أصحل : أبح الصوت ، اللاغب : المعيى ، شديد التعب .

(٥٦) تلوم : تلبث ، يتسمع لصوت نداء «يهياه بياه» . جوز : هزيع من الليل . اسبطرت : مالت للمغيب .

٥٨ وَبيت بمهواةٍ هتكتُ سَمَاءه
إلى كوكب يَزْوى لَهُ الوَجهُ شَاربُه

٥٩ بمعقودة فى نسع رَحلٍ تقلقلت
إلى الماءِ حتّى انقدّ عنها طَحَالِبَه

٦٠ فَجَاءتْ بسَجْلٍ طعمه من أُجونِهِ
كما شَابَ للموروردِ بالبول شائِبُه

٦١ فَجَاءتْ بنَسْجٍ من صَناع ضَعِيفَة
ينوس كأخلاق الشفوف ذَعَالبُه

٦٢ هى انتسجته وحدها أو تعاونت
على نَسجِهِ بين المثاب عناكِبُه

٦٣ هَرَقناه فى بادى النشيئة داثرٍ
قديمٍ بعهد النَّاسِ بُقع نصائبُه

٦٤ على ضُمَّرٍ هِيمٍ فَرَاوٍ وعائِفُ
ونائلُ شىءٍ سيءِ الشُّرب قاضِبُه

---

(٥٨) المهواة : البئر ، والكوكب : مخرج الماء ، يصف بئر ماء آجن قد نسجت به العنكبوت بيوتها .

(٥٩) بمعقودة : متعلق بخرقت فى البيت السابق ، يصف دلوه التى أدلاها فى البئر ، موصولة بأنساع رحله ، فهتك بها بيوت العنكبوت ، ومزق الطحالب على وجه الماء .

(٦٠) السجل : الدلو ، أجونه : تغير مائه .

(٦١-٦٢) الصناع : الحاذقة ، ينوس : يتذبذب ، الشفوف : رقيق الثياب ، وأخلاقها : القديم منها ، ذعالبه : أطرافه الممزقة ، المثاب : مقام الساقى من البئر .

٦٥ سُحَيْراً وآفاق السَّماء كأنَّها
بها بَقَرٌ أَفتاؤه وقِراهِبُه

٦٦ ونطنا الأَداوَى فى السَّوادِ فيممتْ
بنا مصدراً والقرن لم يَبدُ حاجبُه

٦٧ تؤم فَتًى من آل مروانِ أَطلقتْ
يداهُ وطابَتْ فى قريش مضاربُهْ

٦٨ أَلَا رُبَّ من يهوى وفاتى ولو دنت
وفاتى لَذَلَّت للعَدُوِّ مراتبُه

٦٩ وقائلة تخشى عَلَيَّ : أَظُنُّهُ ،
سَيُودِى بِهِ ترحَالُهُ ومذاهِبُه

* * *

وقال أيضًا :

١ أَلا حَيِّ المنازلَ بالسَّلام — عَلَى بُخْلِ المَنَازِلِ بالكلامِ

٢ لِمى بالمعا درَجَت عَلَيْهَا — رياحُ الصَّيفِ عَامًا بَعدَ عَامِ

٣ سَحَبن ذُيُولَهُن بها فأمست — مُصَرَّعَةً بها دِعَمُ الخيام

٤ رَجَحنَ على بوارح كلِّ نَجمٍ — وطَيَّرت العواصِفُ بالثُّمام

٥ تجاورهُن بالعرصات شعثٌ — عواطلُ قد خُلِعن من الرِّمام

٦ كأَن مغانىَ الأَصرام فيها — مُلَمَّعةٌ معالمُها بشام

٧ أَلَا يا ليتنا يا مَىُّ ندرى — مَتَى نلقاكِ فى عُوجِ اللِّمام

٨ أَلَمَّ خيالُ ميةَ بعد وَهْنٍ — بظامى الآلِ خاشعَةِ السنام

٩ رَمَى الإِدلاج أَيْسَرَ مرفقيها — بأَشعث مثل أَشلَاءِ اللجام

---

(٢) المما : موضع .

(٤) البوارح : من رياح الصيف وهى شديدة . الثمام : نبات يجعلونه على الخيام التماسا الرطوبة ، وتثبيتا لها ؛ يقول إن الرياح قد عصفت بهذا الثمام ، أما الخيام فقد سقطت دعائم بعضها ، وثبت بعضها . رجحن : ثقلن وثبن .

(٥) شعث : متفرقة ، يصف الأوتاد التى خلعت من حبالها ، والرمة : قطعة الحبل .

(٦) مغانى : مواضع ، الأصرام : ج. صريمة وهى المجموعة من الإبل . والشام : جمع شامة .

(٨) وهن : ساعة من الليل ومثله : موهن وهدء . بظامى الآل : التى أظماها السراب . يصف ناقته : خاشعة السنام : مهزولة .

(٩) الإدلاج : سرى الدلجة أى أول الليل ، أشلاء اللجام : حديده ، يصف نفسه .

١٠ أَناخ فما توسد غير كف   لَوَى ببَنانها طَرَفَ الزِّمام

١١ صَريعَ تنائف ورفيقَ صَرْعَى   تُوفوا قَبلَ آجَال الحِمَام

١٢ سروا حتى كأَنهم تساقوا   على رَاحَاتِهم جُرَعَ المُدام

١٣ بأَغبرَ نازح نسجتْ عليه   ريَاحُ الصَّيْفِ شباكَ القتَام

١٤ وساهمةِ الوجوه من المَهَارَى   سَقيت بآجن السملات طام

١٥ نرى عَصَبَ القَطَا هملا إليه   كأَن رعاله قزع الجهام

١٦ بكل مُلمح القفراتِ غفلٌ   بَعِيدِ الماءِ مشتبهِ المَوَامى

١٧ كأَن دَوِيَّه من بعد هَدْءٍ   دَوِيُّ غناءِ أَروعَ مستهام

(١٠-١٢) يصف ما بلغ منه التعب فى رحله، ورفاقه، فهم مطروحون كأنهم موتى.

(١٣) أغبر نازح: يصف بلدا نائيا، والقتام: الغبار، والصيف أكثر غبارا.

(١٤) المهارى: الإبل، آجن: ماء تغير من سكونه.

(١٥) القطا: طير برىّ أصغر من الحمام. رعاله: مجموعاته، قزع الجهام: قطع السحاب.

(١٦) الموامى: جمع موماة وهى الصحراء.

العرجى

(ت ١٢٠ هـ)

هو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان . لُقب بالعرجى لأنه كان يسكن عَرْج الطائف ، وهى قرية من نواحى الطائف. وكان من الفرسان المعدودين والبارعين فى صنع السهام وفى الرماية. غزا فى بلاد الروم مع مسلمة بن عبد الملك وأبلى فى القتال بلاءً حسنا ، ثم اعتزل إلى الحجاز وانصرف إلى اللهو .

كان العرجى صاحب غزل ينحو فى غزله منحى عمر بن أبى ربيعة . توفى على الأرجح فى عام ١٢٠ هـ .

وقد روى ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ديوان العرجى وشرحه وحققه خضر الطائى ، ورشيد العبيدى . وصدر ببغداد فى عام ١٩٥٦م .

***

قال العرجى :

١حُور بعثْن رسُولاً فى مُلاطَفة
ثَقْفاً (١) إذا أَسقط النسَّاءَةُ الوَهِم

---

(١) الثقف : الحاذق الفهم .
النساءة : الكثير النسيان .

٢ إلىَّ أنْ إيتْنا هُدءًا إذا غَفَلَتْ
أحرَاسُنا إفْتَضَحنا إنْ هُمُ عَلموا

٣ فجئت أَمشى علَى هوْل أُجَشَّمُهُ
تجشُّمُ المرءِ هولاً فى الهوى كَرَمُ

٤ إذا تخوَّفْتُ من شئٍ :أقول له
قد جف – فامْضِ – بما قَد قُدِّرَ القلَم

٥ أَمْشِى كما حرّكت ريحٌ يمانية
غُصْناً من البان رُطباً طَلَّه الرِّهَمُ

٦ فى حُلَّة من طِراز السُّوس مُشْرِبَة
تعفو بهدَّابِها ما تُنْدِبُ القَدَمُ

---

(٢) الهدء : إبتداء سكون الليل .

(٣) اجشمه : بالبناء للمجهول . والتجشم : تحمل المشاق وتكلفها .

(٥) الريح اليمانية : التى تهب من الجنوب

طله : أمطره . والطل : المطر الخفيف

الرهم : جمع رهمة أى المطر الخفيف الدائم

(٦) السوس : بلدة فى خوزستان معروفة بطراز الخزوز الثمينة .

الإشراب : اللون يختلط به لون آخر

الهداب : ما استرسل من حواشى الثوب

تندب : أى جعل فيه أثرا ، وأصله من الندبة .

٧ وهُنَّ في مجلسٍ خالٍ وليس به
عَيْنٌ عليْهن أخشاها ولا بَــرَم

٨ لَمَّا بلغتُ إزاءَ الباب مُكْتَتِماً
وطالبُ الحاج تحت اللَيْل مُكْتَتم

٩ سَدَّدْن لى أَعيْناً نجُلاً كما نَظَرَتْ
أُدُمٌ هِجَــان أَتاهــا مُصْعب قَطِمُ

١٠ قالتْ كِلابَةُ :منْ هذا ؟ فقلْتُ لها
أنا الذى أَنت مِنْ أَعدائِه زعموا

١١ إنى امْرؤٌ لَجَّ بى حُب فأَحْرَضَنى
حتى بليت وحتى شفَّنى السَّقَم

---

(٧) العين : الرقيب
القلم : الساعى بالشر (هنا)

(٩) النجل : الواسعة ، جمع نجلاء .
الأدم الهجان : النوق البيض تعلوهن غبرة
المصعب : الفحل من الإبل يودع من الركوب والحمل ويترك للفحلة .
القطم : المشتهى للضراب .

(١٠) كلابة : مولاة لثقيف كانت تقول : لشد ما اجترأ العرجى على نساء قريش ولعمرى ما لق أحداً فيه خير . ولئن لقيته لأسودن وجهه . فبلغه ذلك عنها . ثم بلغه أن مولاها خرج لبعض شأنه . فأتى قصره فأطاف به . ثم استسقى كلابة ماء ، فأبت أن تسقيه وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فقال : « ستعلمين » . وانصرف ثم قال هذه القصيدة .

(١١) احرضنى : اسقمنى واشفانى على الهلاك . شفنى : رق جسمى .

١٢ لا تذكُرينى لأَعداءٍ لو انَّهم
مِنْ بُغْضِنا أَطْعِمُوا لحمِى إذن طعِموا

١٣ فأنْعِمِى نَعْمة تُجزَىْ بأَحسنها
فربما مَسَّنى من أهلِك النَّعمُ

١٤ سِتْرُ المُحِبِّين فى الدنيا لعلَّهُمُ
أن يحدثوا توبة فيها إذا أثموا .

١٥ إذا أنَاس من الآناس جَاورهُم
تذمَّمُوا باصطلاح بعدَ ما حَرِموا

١٦ هَذِى يمينى رَهيناً بالوفَاءِ لكم
فارْضَىْ به ، ولأنْفِ الكاشحِ الرَّغَمُ

١٧ قالت : رضِيتُ ولكنْ جئْتَ فى قمرٍ
هَلاَّ تَلَبَّثْتَ حتى تَدخُلَ الظُّلَمُ

١٨ خلتْ سبيلى كما خلَّيْتُ ذا عُذُرٍ
إذا رأَتْه إناثُ الخَيل تَنْتَحِمُ

١٩ حتى أَوَيْتَ إلى بيضٍ ترائِبها
مِنْ زيِّهَا الحَلْىُ والحِناء والكَتَمُ

---

(١٥) الآناس : جمع انسى . تذمموا : حفظوا الذمام

(١٨) العذر بضمتين : جمع عذار ، وهو السير الذى يعلق باللجام ويسيل على خد الفرس . تنتحم : تخرج النحيم ، وهو صوت يخرج من جوف الفرس .

(١٩) الترائب : جمع تريبة ، وهى موضع القلادة من الصدر . الكتم (بفتحتين) . نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر .

٢٠ فَبتُّ أُسْقى بأَكواسٍ أُعَلُّ بها
أَصنافَ شتَّى فطاب الطَّعمُ والنَّسَمُ

٢١ يَجْعَلْنَنِى بعد تسْويفٍ وتَغْدية
بحيث يُثْبِتُ غُرْضُ الضامرِ الوَلَمُ

٢٢ حتى بدا ساطع مِلْفَجْر تحسبَه
سَنا حريق بليل حين يضْطرم

٢٣ كَغُرَّة الأَزْهر المنسوب قد حُسِرَت
عنه الجلالُ تِلالا وهو مُصْطخِمُ

٢٤ ودعتُهن ولا شىءٌ يراجعنى
إلا البَنَانُ وإلا الأَعْيُن السُّجُمُ

٢٥ إذا أَردْن كلامى عنده اعترضَتْ
من دُونه عَبَرات فانثنى الكَلِمُ

---

(٢٠) أكواس : الكأس يجمع على أكؤس وكؤوس وكئاس ولم يعرف أكواس، أعل : أسقى مرة بعد مرة . النسم : جمع نسمة ، وهى النفس .

(٢١) الضامر من الإبل : اللطيف الجسم . الغرض للرحل كالحزام للسرج ، وربما أطلق على السرج . الولم : الرحل ومحل ثبوته الصدور والبطون . وهذا كناية عن العناق .

(٢٣) الغرة : البياض فى جبهة الفرس. الأزهر : الجواد الصافى اللون.

المنسوب : المعلوم نسبه من كرائم الخيل . تل الدابة : قادها أو ارتبطها . الجلال (بكسر الجيم) : جمع جل (بضم الجيم وفتحها) ما يوضع على ظهر الدابة لتصان به . المصطخم (بالخاء والحاء) : المنتصب القائم الساكت كأنه غضبان .

(٢٥) انثنى : ارتد بعضه على بعض فلم يبن منه شىء .

٢٦ لَمَّا تَبَيَّنَّه ، والوجد يعطفنى
لحبِّهن ، وهُنَّ الوُلَّه الرُّؤُمُ

٢٧ تَمِيلُ التين يجرى تحته نَهَرٌ
يغطى ، وتَرقَعُ من أَفْنَانه نَسَمُ

٢٨ تَكَادُ ما رُمْنَ نَهْضاً للقيام معاً
أَعجازُهُنَّ من الأَقطان تَنْقَصِمُ

٢٩ يخونها فوقها مهضومة طويَت
كما تخون عُكُومَ المُثْعِلِ الخَضَمُ

٣٠ مُسْتَنْشِداتٌ وقد مالت سَوالِفُهَا
إلى الوَلائِد ، لا غَيْرَ الهوى أَلَمُ

---

(٢٦) تبينه و (بتشديد النون) : أى النساء .

الوله (بتشديد اللام) : اللاتى فقدن أولادهن ، مفردها والهة . ورئمت الناقة ولدها ترأمه : عطفت عليه ولزمته من فرط حبها له .

(٢٧) يغطى النهر : يرتفع ماؤه . النسم : إبتداء كل ريح قبل أن تقوى .

(٢٨) الأقطان : جمع قطن وهو أسفل الظهر ، أو ما بين الوركين ، وأراد الخصور القصم : كسر الشيء حتى يبين .

(٢٩) المهضومة : الضامرة البطن . انطواؤها : ضمورها . العكوم : جمع عكم بكسر أوله ، وهو العدل والحمل الثقيل (يشبه به أعجازها) .

المثعل : الناقة التى فيها ثعل ، وهو أسنان زائدة متداخلة بين أسنانها فلا يمكنها أن تأكل قضما بأسنانها الأمامية .

(٣٠) السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق عند معلق القرط . الولائد : جمع وليدة وهى الجارية التى تبلغ الحلم .

٣١ لما رأيتُ الذى يلقيْن مِنْ كَمَدٍ
وأن آخِرَ ليْلى سوف ينْصَرِم

٣٢ لَبِسْتُ ساجى على بُرْدىَّ مُنْطَلِقاً
تَحْتَ الشمال وفيها قِطْقِطٌ شَبِمُ

٣٢ لا مُسْرِعَ المشى من خَوْف ولا ثَبِطاً
كالليث أبْرَزَه تحت الدُّجى الرِّهَمُ

٣٤ حتى أَوَيْتُ إلى طَرْفٍ برابية
كأنَّه مُعْرَضاً مِنْ ساعة عَلَمُ

٣٥ لا يكْسِرُ الطَرْفَ نَظَّارٌ يُقال به
من حِدَّة الطَّرف لا سْتِينا سِه لَمم

٣٦ كأنما قَرْصُ نَانَيْه شَكِيمَتَه
قَرْشُ المُدى يَنْتَحِيْهَا الجازِرُ الخَذِمُ

---

(٣٢) الساج : الطيلسان الواسع المدور . القطقط : المطر الخفيف . الشبم : البارد

(٣٣) الثبط : الثقيل فى مشيه المتريث المتباطئ . الرهم : جمع رهمة .

(٣٤) الطرف (بالكسر) : الكريم الطرفين من الخيل ، أى الأب والأم . الرابية : المرتفع من الأرض . العلم : الجبل أو قمته .

(٣٥) النظار : مبالغة فى الناظر ، أى شديد التطلع . يقال به : يظن به الاستيناس : ارهاف الأذن للتسمع من اطالة النظر . اللمم ، واللمة . الطائف من الجن ، أو هو طرف من الجنون .

(٣٦) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام . قرصها : علكها بنابيه المدى جمع مدية وقرشها : صكها بأخرى ليسنها ويشحذها للذبح . الجازر : الجزار . انتحى : قصد . الخذم : السرعة

٣٧ ضافى السَّبِيبِ تَقُدُّ الغُرْضَ زَفْرتُه
نَهْد ، وتقصُرُ عن أَضلاعه الحُرُم

٣٨ فذاك حُصْنٌ الفتى مثلى إذا جعلت
بالمحْصِنِين قصورُ الشِّيد تَنْهَدم

* * *

وقال العرجى أيضًا :

١ عُوجى علينـا ربَّة الهَوْدَجِ ⁝ إنَّكِ إنْ لا تفعلى تَحرُجى

٢ أَيْسَـرُ ما نال مُحِب لدى ⁝ بين حبيب قولُه : عَرِّج

٣ تُقْضَ إليه حاجةٌ أَوْ يَقُلْ : ⁝ هَلْ لِى مما بىَ مِنْ مَخْرَج ؟

٤ مِنْ حبكم بنتُم ولم ينصَرِمْ ⁝ وجدُ فؤادِ الهائِم المُنْضَج

٥ فعاجت الدَّهماءُ بى خيفَةً ⁝ أن تسمعَ القولَ ولم تُعْنَجِ

٦ فما استطاعت غيرَ أنْ أَوْمأَتْ ⁝ نَحْوِى بِعَيْنَى شادِنٍ أَدعَجِ

---

(٣٧) الضافى : السابغ . السبيب : شعر الذنب والعرف والناحية . تقد : تقطع . الغرض : حزام السرج . النهد . الجسيم المشرف .

(٣٨) الحصن : المكان المنيع . الشيد (بالكسر) : ما يطلى به الحائط من جص أو بلاط ، القصر المشيد : المبنى بالشيد .

(١) الحرج : الأثم

(٣) تقضى : مجزوم مبنى للمجهول .

(٥) الدهماء : الفرس السوداء اللون . تعنج : يجذب زمامها لئلا تحيد .

(٦) الشادن : ولد الظبية إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . الأدعج : الشديد

٧ يأْوِى إلى أدماءَ من حُبِّهِ ... تَحنُو عَلَيه رَائِمٌ ، عَـوْهج

٨ تُريكَ وحْفًا فوق جيـدٍ لها ... مثل رُكام العِنَب المُدمَج

٩ كأَنَّمَا الحَـلْىُ على نَحْرِها ... نُجُوم فَجْرٍ سَـاطِعٍ أبْلَج

١٠ تَحُودُ بالبُرْدِ لَهَـا عَبْرَةً ... جادت بهـا العينُ ولم تفشج

١١ مخافة الواشين أن يفطنُوا ... لشأْنِها والكاشِـح المُزْعِج

١٢ كأَنَّهـا ريم بذى مَثْوَب ... أَحورُ يقْرُو مُصَّعَ العَوْسَج

١٣ كِناسُه الأَرطى ، ومُصْطافُه ... مع الغضا المُورس والعرفَج

١٤ وانطلقَتْ تَهْـوى بها بغْلَة ... فى بَغَـلاَت وُقُحٍ وسج

---

(٧) الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها وهى تسكن الجبال . العوهج الطويلة العنق . الرائم : التى ترأم ولدها أى تحنو عليه وتلزمه من فرط حبها له .

(٨) الوحف . الشعر الأسود الحسن . المدمج : المتراكم المتداخل بعضه ببعض مع استقامته .

(٩) الأبلج : المضىء المشرق .

(١٠) تفشج : كذا الأصل ولعله (تنشج) ، والنشيج : أشد البكاء

(١٢) ذو مثوب : موضع باليمن . يقرو : يرعى . مصع العوسج : ثمر العوسج والمفرد : مصعه .

(١٣) الكناس : بيت الظبى . الأرطى: شجر له نور طيب الرائحة ، واحدة : ارطاه العرفج : شجر سهلى ، واحده عرفجة .

(١٤) الوقح (بضمتين) : الصلاب الحوافر التى لا تؤثر فيها الحجارة . جمع وقاح . الوسج : جمع واسجة . وهى السريعة السير .

١٥ يَحمِلْن بيضًا جُرُدًا بُدَّنا مثل غَمَام البَرَدِ المثلج

١٦ قُمتُ طويلًا بَعْدَمَا أَدْبَرُوا أَنظُرُ فعلَ المُفْحَمِ المُرتَج

١٧ أَقُولُ : لَمَّا فاتني مِنْهُمُ ما كُنْتُ من وَصْلِهم أرتجى

١٨ إنِّيَ أُتيحت لى يمانيَّةٌ إحدى بنى الحرث من مَذْحجِ

١٩ نَلْبَثُ حَوْلًا كاملًا كُلَّهُ لَا نلتقى إلَّا على مَنْهَج

٢٠ فى الحَجِّ إنْ حَجَّتْ ، ومَاذَا مِنًى وأَهْلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

---

(١٥) الجرد : جمع جرداء ، أى الجارية والملساء الصافية البشرة .

(١٦) المفحم : العيى . المرتج : الذى أغلق عليه الكلام .

مزاحم العقيلي

(ت ١٢٠ هـ)

هو مزاحم بن الحارث ، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث ، من بنى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدوى فصيح كان فى زمن جرير والفرزدق والأخطل ، وكان جرير معجباً بشعره وكان يتمنى أن يكون له بيتا مزاحم :

وددت على ما كان من سرف الهوى ۝ وغىّ الأمانى أن ما شئتُ يُفْعَلُ
فترجع أيامٌ تقضّت ولذَّةٌ ۝ تدلَّت وهل يُثْنَى من الدَّهر أَولُ

بل تذكر بعض الروايات اتفاق جرير والفرزدق وذى الرمة على عظمة شاعرية مزاحم .

وفى حياة مزاحم ملامح كثيرة من العشاق العذريين فى عصره ، فكان يهوى امرأة يقال لها : ليلى بنت مُوازرِ من بنى قشير وقد شاع أمرهما وتحدثت جوارى الحى به فنهاه أهلها عنها ، فكان يتفلت إليها فى أوقات الغفلات فيتحدثان ويتشاكيان ، ثم غاب مزاحم غيبة عن بلاده فلما عاد علم أنها زُوجت ، فأثار ذلك شاعريته وتأججت عواطفه . وقد توفى مزاحم نحو عام ١٢٠ هـ .

ومناسبة النص الذى اخترناه لمزاحم هو ما سبق أن ذكرناه عن حبه لليلى وأن أهلها منعوه عنها لإملاقه وقلة ماله وانتظروا بها رجلًا موسراً

فى قومها ، فبلغ ذلك مزاحمًا فقال لأَبيها : ياعم ، أَتقطع رحمى ، وتختار علىّ غيرى لفضل أَباعر تحوزها ، وطفيف من الحظ تحظى به ، وقد علمت أَنى أَقرب إِليك من خاطبها الذى تريده وأَفصح منه لسانًا ، وأَجود كفًّا وأَمنع جانبًا ، وأَغنى من العشيرة ، فقال له : لاعليك فإِنها إِليك صائرة ، وإِنما أُعلل أُمها بهذا ، ثم يكون أَمرها لك ، فوثق به ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب ، وعاد الرجل الخاطب لها ـ فذاكروه أَمرها ، فرغب فيها ، فأَنكحوه إِياها ، فبلغ ذلك مزاحمًا ، فقال تلك الأَبيات :

* * *

١ نَظَرْتُ بِمُفْضَى سيل حَرْسَين والضحى
يَسِيلُ بأَطراف المخـارم آلُهـا

٢ بِمَسْقِيَّة الأَجفـان أَنْفَدَ دَمْعَهَـا
مقـاربةُ الأُلَّاف ثمَّ زيالُهـا

٣ فلمَّا نهـاها اليأْسُ أَن تُؤْنِسَ الحِمَى
حِمى البِئْرِ جَـلَّى عبرةَ العير جالُها

٤ أَيا ليـلَ إِن تشحط بكِ الدارُ غُرْبَةً
سوانا ويعيِ النفسَ فيك احتيالُها

---

(١) حرس : من مياه بنى عقيل بنجد ، ويروى : حرشين وهما جبلان ، المخارم : الطرق فى الأرض الغليظة ، والآل : السراب .

(٢) الزيال : المفارقة .

(٣) الجال : جانب البئر .

(٤) تشحط : تبعد .

٥ فكم ثم كم من عَبْرةٍ قد رددتها
سريع على جَيْب القميص انهلالها

٦ خليلىّ هل من حيلة تعلمانها
يُقَرِّبُ من ليلى إلينا احتيالها

٧ فإنّ باعْلَى الاخْشَبَيْنِ أَراكةً
عَدَتْنِى عنها الحربُ دانٍ ظلالها

٨ وفى فَرْعها لو تُستطاع جُنابُها
جَنًى يجتنيه المجتنى لا ينالها

٩ مُنَعَّمَةٌ فى بعض أفنانه العُلَى
يروح علينا كل وقت خيالُها

١٠ هَنيئًا لليلى مهجة ظفرت بها
وتزويجُ ليلى حين حان ارتحالُها

١١ فقد حبسوها محبس البُدْن وابتغى
بها الرِّبْحَ أقوامٌ تَسَاخَفَ مالها

١٢ فإن مع الركب الذين تَحَمَّلُوا
غمامة صيف زعزعتها شمالها

---

(٧) الأخشبان : جبلا مكة أبو قبيس والأحمر وجبلا منى ، الأراكة : شجرة وهى هنا كناية عن ليلى .

(١١) البدن : الإبل ، تساخف مالها : رق حالها .

أبو النجم العجلى

(ت ١٢٥ هـ)

أبو النجم العجلى الراجز :

هو الفضل بن قدامة من بنى بكر بن وائل . جعله ابن سلام ثانى الطبقة الثامنة وهى طبقة الرجاز نبغ فى العصر الأموى وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وابنه هشام بن عبد الملك . وكان منزله بسواد الكوفة . هاجى العجاج بارجوزة مشهورة يقول فيها :

إنِّى وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

فهرب العجاج منه . توفى أبو النجم عام ١٣٠ هـ .

وفى هاتين المقطوعتين يوصى ابنته لدى زواجها بالإساءة إلى حماتها وأهل زوجها ، فى أسلوب تهكمى ساخر .

قال :

١ أَوْصَيْتِ من برةَ قَلْبًا حُرًّا

٢ بالكلبِ خَيْرًا وَالحَمَاةِ شَرًّا

٣ لَا تسأَمى خَنْقًا لَهَا وَجَرًّا

٤ والحَىَّ عَمِّيهم بشَرٍّ طُرًّا

٥ وإنْ كَسَوْكِ ذَهَبًا وَدُرًّا

٦ حتَّى يَرَوا حُلْوَ الحَيَاةِ مُرًّا

وقال أيضا :

١ سُبِّى الحمَاةَ وابْهَتى عَلَيْهَا

٢ فإنْ نَأَتْ فازدَلِـفى إلَيْهَا

٣ وأَوْجِعِى بالفِهْرِ مِرْفَقَيهَا

٤ ورُكْبَتيها ، واقرعِى كَعْبَيها

٥ وجـددى الخُلفَ به عَلَيْهَا

٦ وأَعْلقى كَفَّيكِ فى صُدغَيْهَا

٧ لاتخبر الدَّهرَ بذاك ابنيها

---

(١) ابهتى عليها : اكذبى عليها فى مواجهتها .

(٢) ازدلفى : تقربى .

(٣) الفهر : الحجر .

(٤) الخلف : العودة مرة بعد مرة .

الكُمَيْت

(ت ١٢٦ هـ)

هو الكُمَيتُ بن زيد الأسَدى ، ينتهى نسبه إلى مُضَر بن نزار ابن عدنان . وهو من شعراء الكوفة فى القرن الأول من الهجرة ، ولد أيام مقتل الحسين سنة ستين ، ومات سنة ست وعشرين ومائة ، فى خلافة مروان بن محمد .

كان الكميت عالماً بلغات العرب ، خبيراً بأيامها ، وقد قال أبو عبيدة : « لَوْ لَمْ يكن لبنى أَسَد منقبة غير الكُمَيْت لكفاهم » ، وقال أبو عِكْرِمة الضَّبي : « لولا شعر الكُمَيْت لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان » .

كذلك كان الكُمَيْت جدليا ، وقد عُرف بالتشيع لبنى هاشم ، وكثيراً ما كان يناظر فى ذلك مجاهراً به ، وله مدائح كثيرة فى آل البيت أنشدها أبا عبد الله جعفر بن محمد وعليا بن الحسين وغيرهما ، وهى مدائح لاتكاد تتجاوز الإطار العام الذى يدور فيه هذا النموذج الذى اخترناه من شعره ، وهو بائيته فى مدح آل البيت .

وتوفى الكميت فى خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٦ هـ ، ويقال إن سبب موته أنه مدح يوسف بن عمر بعد عزل خالد القَسرى عن

العراق ، فلمّا دخل عليه أنشده مديحه معرِّضاً بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم فى بطن الكميت قائلين : أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟ ! فلم يزل ينزف حتى مات .

* * *

قال الكُمَيْت :

١ طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أَطربُ
ولا لَعِباً منِّى وذُو الشوق يَلْعَبُ

٢ ولم يُلهِنى دارٌ ولا رَسْمُ مَنْزِلٍ
ولم يتَطرَّبْنى بنانٌ مُخَضَّبُ

٣ ولا أنا مِمَّــن يزجرُ الطيرَ هَمُّــه
أَصاحَ غُرَابٌ أَم تعرَّضَ ثعلبُ

٤ ولا السَّانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً
أَمرَّ سليمُ القَرْنِ أَم مَرَّ أَعْضَبُ

(١) طربت : الطرب خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن أو الهم ، البيض المراد بها النساء الحسان .

(٢) رسم المنزل : ما بقى من آثاره ، يتطربنى : يطربنى ، البنان : الأصابع وقيل أطرافها ، بنان مخضب : ملون بالحناء والمراد صاحبات الأصابع المخضبة .

(٣) يزجر الطير : يطيره فيتفاءل إن كان طيرانه عند اليمين أو يتطير منه إن كان طيرانه من اليسار ، تعرض ثعلب : تعوج وزاغ ولم يستقم فى السير كما يتعرض الرجل فى عروض الجبل

(٤) السانح : الذى يأتى من جانب اليمين ، والبارح : الذى يأتى من جانب اليسار ، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح ومنه المثل من «لى بالسانح بعد البارح » . سليم القرن : الذى يتيمن به ، الأعضب : المكسور القرن ، وهو مما يتشاءم به .

٥ ولكنْ إلى أهلِ الفضائلِ والنُّهَى
وخيرِ بنى حواءَ والخيرُ يُطْلَبُ

٦ إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بِحُبِّهِمْ
إلى الله فيما نالنى أتَقَــرَّبُ

٧ بنى هاشمٍ رهطُ النبيِّ فإنَّنى
بهم ولهم أَرْضَى مِرارًا وأَغْضَبُ

٨ خَفَضْتُ لهم مِنِّى جناحَىْ مَوَدَّةٍ
إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهْلٌ وَمَرْحَبُ

٩ وكنتُ لهمْ من هَؤُلاكَ وهــؤُلا
مِجَنًّا على أنِّى أُذَمُّ وأُقْصَبُ

١٠ وأُرْمَى وأَرْمِى بالعَداوَةِ أَهْلَها
وإنِّى لَأُوذَى فيهمُ وأُؤَنَّبُ

١١ فما ساءَنِى قولُ امرئٍ ذى عداوة
بعوراءَ فيهمْ يَجتَدِينِى فأُجذَبُ

(٥) النهى : العقول ، ومفرده «نهية» .

(٦) البيض : جمع أبيض ، والمراد بالبياض هنا إنقاذ العرض من الدنس .

(٧) هاشم هو هاشم بن عبد مناف ، جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه تفرعت بنو هاشم . رهط الرجل : قومه وقبيلته.

(٨) الكنف : الناحية . عطفاه : جانباه مثل «عطف» .

(٩) هؤلاك وهؤلاء: إشارة إلى من ناصب الإمام عليا كرم الله وجهه العداء من الخوارج وهم الحرورية والمرجئة . المجن : كل ماوقى من السلاح أقصب : أشتم .

(١١) العوراء : الكلمة القبيحة : يجتدينى : يطلب منى الجدا وهو العطاء .

١٢ فقلْ لِلَّذى فى ظِلِّ عمياءَ جَوْنَة
تَرَى الجورَ عدلًا أين لا أين تَذْهبُ

١٣ بأىٍّ كتابٍ أم بآيَّةِ سُنَّة
ترى حُبَّهمْ عارًا عَلَىَّ وتَحسِبُ ؟

١٤ أأسلَمُ ما تأتى به من عداوةٍ
وبُغْضٍ لهمْ ؟ لا جَيْرِ بل هو أشجبُ

١٥ ستقرع منها سنَّ خَزْيانَ نادمٍ
إذا اليومُ ضَمَّ الناكثين العَصَبصَبُ

١٦ فمالىَ إلاَّ آلَ أحمدَ شِيعةٌ
ومالى إلَّا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

١٧ ومَنْ غيرَهمْ أرضَى لنفسِىَ شِيعةً
ومَنْ بعدهم لا مَنْ أُجِلُّ وأَرْحَبُ

---

(١٢) العمياء : مؤنث الأعمى ، والمراد بها الجهالة واللجاجة فى الباطل . الجونة : هنا السوداء وتكون بمعنى البيضاء كذلك «ضد» والمراد الفتنة المظلمة التى ليس للانسان فيها مذهب ولا طريق يبعده عن الجور .

(١٤) لا جير . لاحقا . أشجب : أهلك وأعطب . يقول : هل بغضهم وعداوتهم أسلم مغبة أم محبتهم ؟ لا ، حقا إن عداوتهم أشجب وأسوأ عاقبة .

(١٥) قرع فلان سنه : ضرب عليه ، يفعل ذلك عند حدوث الندم .

الناكث : الذى رجع ونقض العهد . العصبصب : الشديد .

(١٦) شيعة : أولياء وأنصار . مشعب الحق : طريقه المفرق بين الحق والباطل .

(١٧) أرحب : أهاب وأعظم .

١٨ أَرِيبُ رجـــالًا منهمُ وتَرِيبُنِى
خلائقُ مِمَّــا أحدثوهُنَّ أَرْيَبُ

١٩ إليكم ذوى آلِ النبىِّ تطلَّعَتْ
نوازِعُ من قَلْبِى ظِماءٌ وأَلْبُبُ

٢٠ فإنِّى عن الأَمرِ الذى تَكْرَهـونَهُ
بقولِى وفعلى ما استطعتُ لأَجْنُبُ

٢١ يُشيرون بالأَيدى إلىَّ وَقَوْلُهم
أَلَا خَابَ هذا والمشيرون أَخْيبُ

٢٢ فطائفةٌ قَدْ كفَّرتنى بحُبِّكمْ
وطائفةٌ قالوا : مُسِىءٌ ومُذْنبُ

٢٣ فما ساءَنى تكفيرُ هاتيك مِنهمُ
ولا عيبُ هاتيك التى هِىَ أَعْيَبُ

٢٤ يعيبونَنِى مِن خِبِّهمْ وضلالِهمْ
على حُبِّكمْ بل يَسخرون وأَعجبُ

---

(١٨) راب الرجل وأرابه : رأى منه ما ينكره أو يكرهه .

(١٩) نوازع: جمع نازع من نزع الإنسان إلى أهله والبعير إلى وطنه أى حن ألبب جمع «لب» وهو العقل .

(٢٠) أجنب : أبعد .

(٢٤) الخب : الخبث والخداع .

٢٥ وقالوا : ترابىٌّ هـواهُ ورَأْيُهُ
بذلك أُدْعَى فيهمُ وَأُلَقَّـبُ

٢٦ على ذاك إجرِيّايَ فيكم ضريبتِى
ولو جَمَعُوا طُرًّا علىَّ وأجلبُوا

٢٧ وأَحمل أَحقادَ الأَقاربِ فيكمُ
ويُنْصبُ لى فى الأَبْعَدِينَ فأَنصَبُ

٢٨ بِخَاتَمِكُمْ غصباً تجوزُ أُمورهمْ
فلم أَر غصْباً مثلَهُ يُتَغَصَّبُ

٢٩ وجـدنا لكمْ فى آلِ حاميمَ آيةً
تأَوَّلها مِنّـا تقِىٌّ ومُعْـرِبُ

٣٠ وفى غيرهـا آياً وآيا تتابعت
لكم نَصَبٌ فيها لِذِى الشكِّ مُنصِبُ

---

(٢٥) ترابى : نسبة إلى أبى تراب وهو على كرم الله وجهه .

(٢٦) إجرياى : عادتى وطبيعتى . ضريبتى : طبيعتى . أجلبوا : تجمعوا وتألبوا .

(٢٧) نصب فلان لفلان نصبا قصد له وعاداه وأظهر الشر والحرب .

(٢٨) الخاتم: المراد هنا خاتم الخلافة .

(٢٩) آل حاميم : السور القرآنية التى أولها حم ،والآية هى قوله تعالى: « ... قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى . . . . . » الآية رقم ٢٣ من سورة الشورى .

(٣٠) النصب العلم المنصوب . منصب : متعب .

٣١ بحقكمُ أمستْ قريشٌ تَقُودُنا
وبالفذّ منها والرّد يفين نُركبُ

٣٢ إذا اتّضَعونا كارهين لبيعـة
أناخوا لأُخْرَى والأَزِمَّةُ تُجذبُ

٣٣ ردَافاً علينـا لم يُسيموا رعيَّةً
وهَمُّهمُوا أن يَمتَرُوها فيَحلُبوا

٣٤ لِيَنْتَجوها فتنةً بعـد فتنة
فيفتصـلوا أفلاءها ثم يَرْكبوا

٣٥ أقاربُنا الأَدنوْنَ منـكم لِعَـلَّةٍ
وساَسَتُنا منهم ضِباعٌ وأَذْؤُبُ

٣٦ لنا قائد منهم عنيفٌ وسائقٌ
يُقَحِّمنا تلك الجرائم مُتْعِبُ

---

(٣١) الفذّ : الفرد . الرديف : الراكب خلف الراكب والرديفان الإثنان أحدهما خلف الآخر .

(٣٢) اتضعونا : أكرهونا على الخضوع لسلطتهم من اتضع البعير راكبه أى خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب .

(٣٣) ردافا : يترادفون ويتولون أمورنا الواحد بعد الآخر . لم يسيموا : لم يسوسوا من أسام الماشية أى رعاها : يمترون يستدرون كما تستدر الناقة .

(٣٤) الأفلاء : جمع «فلو» وهو المهر ، ويفتصلوها أى يفصلوها بعد تمام الرضاع .

(٣٥) لعلّة : أولاد علّة ،وهم أبناء أب لأمهات شتى .

(٣٦) يقحمنا : يحملنا على الأمور الصعبة . الجرائم : الأماكن المرتفعة عن الأرض .

٣٧ وقالوا : وَرِثناها أَبَانا وأُمَّنَـا
وما وَرَّثَتْهم ذاك أُمٌّ ولا أَبُ

٣٨ يَرَوْن لهم حقًّا على الناس واجبا
سَفاهاً وحقُّ الهاشِمِّيينَ أَوجبُ

٣٩ ولكن مواريثُ ابن آمنة الذى
به دانَ شرِقٌ لـكم ومُغَرِّبُ

٤٠ فدى لك موروثا أَبى وأبوأبِى
ونفسى ونفسى بعدُ بالناس أَطيبُ

٤١ بك اجتمعتْ أَنسا بنا بعد فُرقَةٍ
فنحنُ بنو الإسلام نُدعَى ونُنْسبُ

٤٢ حياتُك كانت مجدَنا وسناءَنا
وموتُكَ جَدْعٌ للعرانِين مُوعبُ

٤٣ وأَنت أَمينُ اللهِ فى الناس كُلِّهم
علينا وفيها اختار شرق ومَغْربُ

---

(٣٩) ابن آمنة : يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . دان : خضع وأطاع .

(٤٢) السناء : المجد والشرف . الجدع : قطع الأنف . العرانين جمع « عرنين » وهو أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين حيث يكون فيه الشمم . موعب : مستأصل .

٤٤ وتستخلفُ الأمواتُ غيرَك كُلُّهم
ونَعْتِبُ لو كُنَّا على الحق نعتبُ

٤٥ فبوركتَ مولودًا وبوركتَ ناشئًا
وبوركتَ عند الشيب إذا أنت أشيبُ

٤٦ وبوركَ قبرٌ أنت فيه وبُوركتْ
به وله أهْلٌ لذلك يثربُ

٤٧ لقد غَيَّبُوا برًّا وصدقاً ونائِلًا
عشيَّةَ واراك الصفيحُ المُنصَّبُ

٤٨ يقولون : لم يورث ولولا تراثُهُ
لقد شرِكَتْ فيه بكيلٌ وأَرْحبُ

٤٩ وَعَكٌّ ولَخْمٌ والسَّكُونُ وحِمْيَرٌ
وكِندةُ والحَيَّان بَكْرٌ وتَغْلبُ

٥٠ ولا نتشلتْ عُضْويْن منها يحابرٌ
وكان لعبد القيس عضوٌ مؤرَّبُ

٥١ ولا نتقلتْ مِن خِنْدِفٍ فى سِواهُمُ
ولا قتدحتْ قيسٌ بها ثُمَّ أثقَبُوا

---

(٤٧) الصفيح : الحجارة العريضة ، جمع صفيحة . المنصب : المنصوب .

(٤٨) بكيل وأرحب وعك ولخم وغيرها فى البيت التالى أسماء قبائل .

(٥٠) انتشلت : أخذت واستخرجت منها نصيبا . يحابر وعبد القيس : قبيلتان . مؤرب : تام

(٥١) قدح بالزند . واقتدح : أورى النار به .

٥٢ ولا كانتِ الأَنصار فيها أَدِلَّةً
ولا غُيَّبا عنها إذا الناسُ غُيَّبُ

٥٣ هُمُ شهدوا بدرًا وخَيْبَرَ بعدها
ويوم حُنَيْنٍ والدماءُ تَصَبَّبُ

٥٤ وهُم رائموها غيرَ ظِئْرٍ وأشبلوا
عليها بأَطراف القنا وتحدّبوا

٥٥ فإن هى لم تَصْلحْ لقومٍ سِواهُمُ
فإنَّ ذوى القُربَى أَحقُّ وأَقربُ

٥٦ وإلَّا فقولوا غيرَها تَتَعَرَّفُوا
نواصيها تردِى بنا وهى شُزَّبُ

٥٧ علامَ إذا زرنا الزبير ونافِعاً
بغارتنا بعد المقانِب مِقْنَبُ

٥٨ وشاط على أرماحنا بادِّعائها
وتحويلها عنكم شبيبٌ وقعنَبُ

---

(٥٤) رائموها : محبوها وعاطفون عليها . الظئر : العاطفة على غير ولدها المرضعة له . وأشبلوا عليها : عطفوا عليها وأعانوها . تحدّبوا : تآزروا على نصرته .

(٥٦) النواصى : جمع ناصية وهى مقدم الرأس . تردى : تسرع، يقال ردت الخيل تردى إذا رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها . شزب : جمع « شازب » أى ضامر .

(٥٧) الزبير بن الماخور الشارى ونافع بن الأزرق الحنفى من زعماء الخوارج . المقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة وجمعها « مقانب »

(٥٨) شاط : هلك . شبيب وقعنب : من الخوارج .

٥٩ نُقتّلهمْ جيلًا فجيلًا نراهُمُ
شعائرَ قُربانٍ بهم يُتَقَرَّبُ

٦٠ لعلَّ عزيزًا آمنا سوف يُبْتَلَى
وذا سَلَبٍ منهمْ أنيقٍ سَيُسْلَبُ

٦١ إذا أنتجوا الحربَ العَوانَ حُوَارَها
وحنَّ شَرِيجٌ بالمنايا وتَنْضُبُ

٦٢ فيالك أمرًا قد أَشَتَّتْ أمورُهُ
ودُنْيا أرَى أسبابَهـا تتقضَّبُ

٦٣ يروضون دينَ الحقِّ صعباً مُخَرَّما
بأفواههم والرائضُ الدِّينَ أصعبُ

٦٤ إذا شَرَعوا يوماً على الغَيِّ فتنةً
طريقُهمُ فيها عن الحـقِّ أَنْكَبُ

(٥٩) الجيل : الأمة والجنس من الناس. الشعائر : الذبائح التي تهدى إلى البيت الحرام. قربان : يتقرب بها إلى الله.

(٦٠) السلب : ما يسلب، وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب والجمع أسلاب. الأنيق : المتأنق المعجب بنفسه.

(٦١) أنتجوا الحرب: أضرموا نارها. العوان: البكر وهي الحرب الشديدة. الحوار : ولد الناقة قبل أن يفصل عن الرضاع. الشريج: أراد القوس، لأن العود ينشق منه قوسان فكل واحدة شريج. تنضب : شجرة تتخذ منها السهام.

(٦٢) أشتت : تفرقت. تتقضب : تتقطع.

(٦٣) يروضون : يذللون. المخرم من الإبل : الصعب الذي يذلل بالركوب.

(٦٤) أنكب : مائل.

٦٥ رَضُوا بخلافِ المهتَدِين وفيهمُ
مخبَّأَةٌ أُخرَى تُصَانُ وتُحجَبُ

٦٦ وإن زَوَّجوا أمرين جوْرًا وبدعةً
أناخوا لأُخرى ذاتِ ودْقَيْن تُخْطَبُ

٦٧ أَلَحُّوا ولَجُّوا في بِعاد وبِغْضَة
فقد نَشِبُوا في حبل غَيٍّ وأَنْشَبُوا

٦٨ تفرَّقت الدنيا بهم وتعرَّضتْ
لهم بالنطافِ الآجِناتِ فأُشْرِبوا

٦٩ حنانَيْكَ ربَّ الناسِ من أَن يُغَرَّني
كما غرَّهم شُرْبُ الحياةِ المُنَضَّب

٧٠ إذا قِيلَ هذا الحقُّ لا مَيْلَ دُونَهُ
فأَنقاضُهمْ في الحيِّ حَسْرَى ولُغَّبُ

---

(٦٦) زوجوا : جمعوا . الجور : الظلم . ذات ودقين : من ودقت السماء أي قطرت ؛ والودق : المطر كله شديده وهينه ويقال للحرب الشديدة ذات ودقين ، تشبه بسحابه ذات مطرتين . تخطب : تطلب .

(٦٧) نشبوا : علقوا . أنشبوا : أعلقوا غيرهم .

(٦٨) النطاف : جمع «نطفة» وهي القليل من الماء ، أو الماء الصافي . قل أو كثر . الآجنات : جمع «آجن» وهو الماء المتغير .

(٦٩) الحنان : الرحمة والعطف وحنانيك أعوذ برحمتك وحنانك. المنضب : الذاهب .

(٧٠) أنقاض: جمع «نقض» وهو البعير المهزول . حسرى جمع «حاسر» و «حسير» من حسرت الدابة أي أعيت وكلت . لغب : جمع «لاغب» من اللغوب وهو التعب والإعياء .

٧١ وإن عرضتْ دون الضلالة حومةٌ
أخاضُوا إليها طائعين وأوْثَبُوا

٧٢ وقد دَرَسُوا القرآن وافْتَلجُوا به
فَكُلُّهُمُ راضٍ به مُتَحَزِّبُ

٧٣ فَمِنْ أَين أو أنَّى وكيف ضلالُهم
هُدى والهوى شَتَّى بهم مَتَشَعَّبُ

٧٤ فيا مُوقِدًا نارًا لغيرك ضَوءُها
ويا حاطبا فى غير حبلك تحطِبُ

٧٥ ألم ترنِى من حُبِّ آل محمدٍ
أَروح وأغدو خائفا أَتَرَقَّبُ

٧٦ كأنِّى جانٍ محدِثٌ وكأنَّما
بهم أُتَّقَى من خشية العار أَجربُ

٧٧ على أىِّ جُرْمٍ أَم بأَيَّةِ سيرةٍ
أُعَنَّف فى تقريظهمْ وأُؤَنَّبُ

٧٨ أناسٌ بهمْ عزَّتْ قريشٌ فأَصبحوا
وفيهم خِباءُ المكرماتِ المُطَنَّبُ

---

(٧٢) افتلجوا : ظفروا .
(٧٧) التقريظ : مدح الرجل حيا . أؤنب : من التأنيب وهو التوبيخ .
(٧٨) المطنب : الممدود بالطنب : وهى حبل الخيمة .

٧٩ مُصَفَّوْن فى الأَحسابِ مَحْضُون نَجرُهُمْ
هم المحضُ مِنَّا والصريح المهذَّبُ

٨٠ خِضَمُّون أَشرافٌ لَهامِيمُ سادَةٌ
مطاعيمُ أَيسارٌ إِذا الناس أَجدبوا

٨١ إِذا ما المراضيعُ الخماصُ تأَوَّهتْ
من البردِ إِذْ مثلانِ سَعْدٌ وعَقْرَبُ

٨٢ وحاردتِ النُّكْدُ الجلادُ ولم يكن
لعُقْبةِ قِدْرِ المستعيرِينَ مُعْقِبُ

٨٣ وبات وليدُ الحيِّ طيَّانَ ساغباً
وكاعِبُهُمْ ذاتُ العِفاوةِ أَسْغَبُ

٨٤ إِذا نَشَأَتْ منهم بأَرضٍ سحابةٌ
فلا النبتُ محظورٌ ولا البرقُ خُلَّبُ

---

(٧٩) المحض : الخالص ، مثل الصريح . النجر : الأصل .

(٨٠) الخضم : الكريم. لهاميم : جمع «لهموم» السيد. أيسار : جمع «يسر» وهو الذى يضرب بالقداح .

(٨١) المراضيع : جمع «مرضع» الخماص : الجياع . سعد وعقرب : نجمان الأول طالعه سعد والآخر نحس .

(٨٢) حاردت : قلت ألبانها من شدة الزمان. النكد: النوق الغزيرات اللبن. الجلاد: النوق الشداد جمع «جلدة» وهى أدسم . الإبل لبنا العقبة: مرقة ترد فى القدر المستعيرة . المعقب: الذى يترك فى القدر .

(٨٣) طيان : جائع لم يأكل شيئا . ساغب : جائع . الكاعب المرأة قد تكعب ثدياها العفاوة : ما يرفع من المرق أو لا يخص به من يكرم .

(٨٤) البرق الخلب : الذى لا غيث فيه كأنه خادع يومض حتى يطمعك فى مطره ثم يخلفك .

٨٥ وإن هاج نبتُ العلم فى الناس لم تزل
لهم تَلْعةٌ خضراءُ منه ومِذْنَبُ

٨٦ إذا ادْلَمَسَّتْ ظلْماءُ أمرين حِنْدِسٌ
فبدرٌ لهم فيها مُضِيءُ وكوكبُ

٨٧ لهم رُتَبٌ فَضْلٌ على الناسِ كُلِّهِمْ
فضائلُ يَسْتعلِى بها المُتَرَتِّبُ

٨٨ مساميحُ منهمْ: قائلون وفاعلٌ
وسبَّاق غايات إلى الخير مُسهِبُ

٨٩ أُولاكَ نبيٌّ الله منهم وجعفرٌ
وحمزة ليثُ الفيلقَيْنِ المجرَّبُ

٩٠ همُ ما همُ وِتْرا وشَفْعاً لقومهم
لِفِقْدانهم ما يُعذَرُ المتحوِّبُ

---

(٨٥) هاج النبت : هلك ، ويقال هاج البقل ، إذا يبس واصفر . التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض .

المذنب : مسيل ما بين تلعتين .

(٨٦) ادلمس الليل : اشتد فى ظلمته . الحندس : الظلمة

(٨٧) الرتب : جمع « رتبة » وهى المنزلة والمكانة . المترتب : صاحب الرتبة .

(٨٨) مساميح : كرام : المسهب الشديد الجرى ، من أسهب الفرس أى اتسع فى الجرى وسبق .

(٨٩) جعفر : جعفر بن أبى طالب : حمزة : حمزة بن عبد المطلب ويلقب «أسد الله»
الفيلق : الجيش .

(٩٠) الوتر : المفرد ، والشفع : خلاف الوتر . المتحوب : المتوجع .

٩١ قتيل التُّجُوبىِّ الذى استوْأرتْ بهِ

يُسَاقُ به سوقاً عنيفاً ويُجْنبُ

٩٢ محاسنُ من دنيا ودينٍ كأنَّما

بها حَلَّقتْ بالأَمس عنقاء مُغْرِبُ

٩٣ فنعم طبيبُ الداءِ من أمر أُمَّةٍ

تواكلها ذو الطبِّ والمتطبِّبُ

٩٤ ونعم ولىُّ الأَمر بعدَ وليِّــهِ

ومنتجعَ التقوى ونعم المؤدِّبُ

٩٥ سَقَى جُرَعَ الموتِ ابنَ عثمان بعدما

تعاورهــا منه وَليدٌ ومَرْحَبُ

---

(٩١) قتيل التجوبى : على بن أبى طالب، وتجوب قبيلة وهم فى مراد. استوأرت : فزعت ونفرت متتابعة . يجنب : يقاد . كما يجنب خلف الفرس المركوب فرس أخر فاذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب .

(٩٢) عنقاء مغرب : طائرمجهول الجسم لا وجود له، فهو من خرافات الأولين "وحلقت به عنقاء مغرب" مثل يضرب لهلاك الشيء وبطلانه ، كأن العنقاء تغرب به .

(٩٣) طبيب الداء: العالم بدوائه.تواكلها وكلها: بعضهم إلى بعض.المتطبب : الذى يطلب علم الطب .

(٩٤) ولى الأمر : على كرم الله وجهه وليه : النبى صلى الله عليه وسلم.منتجع التقوى :مصدر التقوى والا نتجاع والنجعة طلب الكلأ والغيث .

(٩٥) ابن عثمان : هو طلحة بن أبى طلحة بن العزى بن عثمان، قتله على كرم الله وجهه يوم أحد ومعه لواء المشركين.وليد :هو وليد بن عتبة بن ربيعة، قتله على فى غزوة بدر .مرجب :هو مرحب اليهودى . تعاورها تداولها : والمراد تناولها .

٩٦ وشَيْبَةُ قد أثْوَى ببدرٍ يَنُوشُهُ
غُدَافٌ من الشُهْبِ القشاعِمِ أهْدَبُ

٩٧ له عُوَّدٌ لا رأفةٌ يَكْتَنِفْنَهُ
ولاشفقاً منها خوامعُ تَعْتِبُ

٩٨ له ...تًا بَسْطٍ فكفٌ بهاذه
تِكُفُّ ومالأخرى العوالى تَخَضَّبُ

٩٩ وفى حَسَنٍ كانت مَصَادِقُ لاسْمه
رِئابٌ لِصَدْعَيْهِ المهيمنُ يَرأَبُ

١٠٠ وحزم وجود فى عفاف ونائل
إلى مَنْصِبٍ ما مثْلَهُ كان مَنْصِبُ

---

(٩٦) شيبة : هو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله على وحمزة. أثوى: أقام. ينوشه : يتناوله. الغداف أراد نسرا قد سود. القشعم: الكبير من النسور والنسر إذا كبر ابيض فهو أشهب. الأهدب : الكثير الريش.

(٩٧) عود: جمع «عائد» يعتدنه: يأكلن لحمه. الخوامع: الضباع: لأنها تخمع فى مشيها، والخمع أن تمشى وكأن بها عرجا. تعتب: تظلع، يقال : عتب الفحل أى ظلع أو عقل أو عقر فمشى على ثلاث قوائم كأنه يقفز.

(٩٨) السترة : ما استترت به من شىء كائنا ما كان. العوالى : جمع عالية، من الرماح دون السنان.

(٩٩) حسن : الحسن بن على عليهما السلام. يرأب: يصلح. الصدع: الشق. المهيمن : الله جل جلاله.

١٠١ ومن أكبر الأحداث كانت مصيبةً
علينا قتيلُ الأدعياءِ المُلَحَّبُ

١٠٢ قتيلٌ بجنْبِ الطفِّ من آل هاشمٍ
فيالك لحما ليس عنه مُذَبِّبُ

١٠٣ ومُنْعَفِرُ الخدَّين من آل هاشمٍ
أَلَا حَبَّذَا ذاك الجبينُ المترَّبُ

١٠٤ قتيلُ كأَنَّ الوُلَّهَ العُفْرَ حولَهُ
يَطُفْنَ به شُمُّ العرانِينِ ربربُ

١٠٥ ولن أعزِلَ العَبَّاسَ صِنْوَ نَبِيِّنَـا
وصِـنْوَانَه مِمْنْ أعـدُّ وأنْـدُبُ

١٠٦ وَلَا ابْنَيْهِ عبدَ اللهِ والفَضْلَ إنَّنِى
جنيب بحُبِّ الهاشميِّين مُصْحِبُ

---

(١٠١) قتيل الأدعياء : هو الحسين رضى الله عنه . الأدعياء : جمع «دعى» وهو الذى ينسب إلى غير أبيه ، يريد عبيد الله بن زياد .
الملحب : المقطع بالسيوف .

(١٠٢) الطف : موضوع بشط الفرات . مذبب : مدافع .

(١٠٤) الوله : جمع «واله» أى حزين . العفر : جمع أعفر أى له لون العفار . شم العرانين : الذين فى أنوفهن شمم الربرب : القطيع من البقر الوحشى .

(١٠٥) العباس : هو العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، الصنو : الأخ الشقيق وأصله : أن تطلع نخلتان أو أكثر من عرق واحد فكل واحدة صنو .
أندبه : أذكره وأدعوه ، من الندبة .

(١٠٦) جنيب : منقاد ، يقال : جنبته فهو جنيب .

١٠٧ وَلَا صاحبَ الخَيْفِ الطَّرِيدَ محمَّدًا
ولو أُكْثِرَ الإِيعــادُ لى والتَّرَهُّبُ

١٠٨ مَضَوْا اسلفــا ، لَابُدَّ أَنَّ مَصِيرَنا
إليهم فغــادٍ نحوهم مُتَــأَوِّبُ

١٠٩ كذاك المنــايا لا وَضِيعًا رأيتُها
تَخَطَّى ولَا ذا هَيْبَــةٍ تتهَيَّبُ

١١٠ وقد غادروا فينا مصــابيح أَنْجُمًا
لنا ثِقَةً أَيَّانَ نَخْشَى ونَرْهَبُ

١١١ أُولئك إن شطَّتْ بهم غربةُ النَّوَى
أَمانِيُّ نفسِي والهوى حيث يَسْقُبُ

١١٢ فهل تُبْلِغَنِّيهِمْ على بُعْدِ دارهم
نَعَمْ بِبَلَاغِ الله وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

١١٣ مُذَكَّرةٌ لا يَحْمِلُ السَّــوطَ رَبُّها
ولَأْيًا من الإِشــفَاقِ ما يَتَعَصَّبُ

---

(١٠٧) الخيف : ناحية من منى . محمد : محمد بن الحنفية ، وكان مطروداً فى الخيف من ابن الزبير . الإيعاد : التهديد .

(١٠٨) غاد : من الغدو ، وهو الذاهب صباحاً .

(١٠٩) المنايا : جمع « منية » وهى الموت .

(١١١) شطت : بعدت ونأت . الغربة : الإغتراب . النوى : النية فى السفر . يسقب : يدنو .

(١١٢) الوجناء : العظيمة الوجنات من النوق . الذعلب : السريعة .

(١١٣) مذكرة : شديدة تشبه الذكور فى خلقها ، وليس فيها ضعف الأنوثة . اللأى : الإبطاء . يتعصب : يتعمم .

١١٤ كأنَّ ابنَ آوَى مُوثقٌ تحت زَوْرِها
يُظَفِّرُها طَورًا وطورًا يُنَيِّبُ

١١٥ إذا ما احْزَأَلَّتْ فى المُنَاخ تَلَفَّتتْ
بمَرْعوبَتَىْ هُوجاءَ والقلبُ أَرْعبُ

١١٦ إذا انبعث من مَبْرِكٍ غادرتْ به
ذوابلَ صُهْبًا لم يَدِنْهنَّ مَشْرَبُ

١١٧ إذا اعصَوْصَبتْ فى أَينُقٍ فكأنَّها
بزجْرةِ أُخرَى فى سِواهُنَّ تُضْرَبُ

١١٨ ترى المرو والكَذَّانَ يَرْفَضُّ تحتها
كما ارفضَّ قَيْضَ الأَفرُخِ المتقوِّبَ

---

(١١٤) ابن آوى : دابة صغيرة دون الكلب ، طويل المخالب والأظفار . الزور : الصدر .

(١١٥) اجزالت : ارتفعت وتجافت عن الأرض . بمرعوبتى هوجاء : بأذنى ناقة هوجاء تنفر من كل شئ لحدتها . والطيش الهوج : التسرع .

(١١٦) مبرك الناقة : مكان بروكها . الذوابل : البعر . صهب : شقر . لم يدمهن مشرب : لم يلينهن مشرب من ودنت الثوب أدنه إذا بللته .

(١١٧) اعصوصبت الإبل : اجتمعت .

(١١٨) المرو : حجارة بيض خشنة . الكذان : حجارة رخوة كالمدر . يرفض : يتكسر ويتطارير . القيض : قشر البيضة . المتقوب : المتقشر .

١١٩ تُرَدِّدُ بالنابَيْن بعد حنينِهَا
صريفًا كما ردَّ الأغـانِيَ أخطبُ

١٢٠ إذا قطعتْ أجْواز بيدٍ كأنَّمَا
بأعلامها نَوْحُ المـآلى المُسَلَّبُ

١٢١ تَعَرَّضَ قُفٌّ بعد قُفٍّ يقودُها
إلى سَبْسَبٍ منها ديَاميمُ سَبْسبُ

١٢٢ إذا أنْفَـذَتْ أحضانَ نجدٍ رمَى بها
أخاشِبَ شُمًّا من تِهَامةَ أخشبُ

١٢٣ كتومٌ إذَا ضَجَّ المطىُّ كأنَّمَـا
تكرُّمُ عن أخْلاَقهنّ وترغَبُ

١٢٤ من الأرحبيَّات العتـاقِ كأنَّها
شبوبُ صُوارٍ فوق عَلْيَاءَ قَرْهَبُ

---

(١١٩) صريف الناقة : صوت أنيابها يحك بعضها بعضاً . أخطب : طير صغير .

(١٢٠) الأجواز : جمع « جوز » وسط الشئ . نوح : جماعة النساء النائحات . المآلى : جمع « مئلاة » وهى الخرقة التى تشير بها النائحة إذا ناحت . المسلب : من تسلبت المرأة إذا لبست السلاب وهى ثياب المآتم السود .

(١٢١) القف : ما غلظ من الأرض الدياميم : جمع ديمومة وهى الفلاة . السبسب : ما استوى من الأرض .

(١٢٢) أحضان : جمع « حضن » وهو أسفل الجبل . أخاشب : جمع « أخشب » وهو ما غلظ وتحجر وخشن من الجبال . شم : مرتفعة .

(١٢٤) الأرحبيات : النجائب من الإبل . العتاق : جمع « عتيق » الكريم من كل شئ . الشبوب : الشاب من الثيران . الصوار : القطيع من البقر . القرهب : الكبير الضخم من الثيران .

١٢٥ لَيَاحٌ كأَنَّ بالأَتْحَمِيَّةِ مُسْبِغٌ
إِزَارًا وفى قُبْطِيَّةٍ مُتَجَلْبِبُ

١٢٦ وتحسَبُه ذا بُرْقُعٍ وكأَنَّهُ
بأَسْمالِ جَيْشَانِيَّةٍ مُتَنَقِّبُ

١٢٧ تَضَيَّفَهُ تحت الأَلاءَةِ مَوْهِنًا
بظلماءَ فيها الرعدُ والبرقُ صَيِّبُ

١٢٨ مُلِثٌّ مُرِثٌّ يخفِشُ الأُكْمَ ودْقُه
شآبيبُ منها وادقاتٌ وهَيْدَبُ

١٢٩ كأَنَّ المطافيلَ المَوَاليهَ وَسْطَهُ
يُجَاوِبُهُنَّ الخيزُرانُ المثقَّبُ

---

(١٢٥) لياح بالفتح والكسر : الثور الأبيض ، الأتحمية: ضرب من برود اليمن . القبطية : ثوب أبيض تتخذ من كتان بمصر .متجلبب : لابس الجلباب .

(١٢٦) الأسمال: الثياب الخلقة . جيشانية : ثياب حمرفى بياض .

(١٢٧) الألاءة : شجرة . الموهن : نحو من نصف الليل ،وقيل هو بعد ساعة منه: الصيب : السحاب الذى فيه المطر .

(١٢٨) الملث : المطر الغزير . يخفش يسيل . الأكم: التلال ، جمع «أكة» . الودق: المطر . شآبيب : جمع «شؤبوب» الدفعة من المطر . الهيدب : المتدانى من السحاب .

(١٢٩) المطافيل : الإبل التى معها أولادها ، جمع «مطفل» الموالية : جمع «ميلاء» وهى التى من عادتها أن يشتد وجدها على ولدها .

١٣٠ يكالئُ من ظلماءِ ديجور حنْدِسٍ
إذا سار فيها غَيْهَبٌ حَلَّ غَيهَب

١٣١ فباكَرَهُ والشمسُ لم يبدُ قَرْنُهـا
بأَخْدانه المُسْتَوْلَغاتِ المُكَلِّبُ

١٣٢ مجازيعُ فى فقْرٍ مساريفُ فى غِنًى
سوابحُ تطفو تارة ثم تَرْسُبُ

١٣٣ فكَان اِدِّرَاكًا واعتراكًا كأَنَّهُ
على دُبُرٍ يحميه غيرانُ مُوأَبُ

١٣٤ يَذُودُ بسَحْماويهِ من ضَـارياتِهـا
مداقيعَ لم يَغْثُثْ عليهنَّ مَكْسَبُ

---

(١٣٠) يكالىء : يراقب . الديجور : الظلمة . الحندس : شدة الظلام . الغيهب : شدة سواد الليل .

(١٣١) المكلب : الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . الأخدان : جمع «خدن» القرين . المستولغات : الكلاب التى تلغ فى الدماء .

(١٣٢) سوابح : من السبح وهو الجرى . تطفو : ترتفع كأنها لاتعدو على الأرض . ترسب : تثبت .

(١٣٣) أدراكا : يدرك بعضها بعضاً . الإعتراك : الإزدحام . دبر يحميه : يحمى دبر القوم ، يعنى أدبارهم وأعقابهم . موأب : غضبان منقبض .

(١٣٤) يذود : يدافع عن نفسه . سحاوية : قرنية ، من السحمة وهى السواد . الضاريات : الكلاب المدربة . المداقيع : التى ترضى بشىء يسير ، والمدقع الفقير . لم يغثث : لم يفسد .

١٣٥ فَرَاب فَكَابٍ خرٌّ للوجـه فوقَهُ
جَـدِيَّةُ أَوْدَاجٍ على النَّحْرِ تَشْخُبُ

١٣٦ أَذلكَ لَا بل تلكَ غِبٌّ وَجيفِها
إذا ما أَكلَّ الصارخون وأَنقَبوا

١٣٧ كأَنَّ حصىَ المَعْزاءِ بين فُرُوجها
نَوَى الرَّضْخِ يَلْقَى المُصْعِدَ المُتَصَوِّبُ

١٣٨ إذا ما قَضَت من أَهل يثربَ مَوْعِدًا
فمكَّةُ من أَوطـانها والمُحَصَّبُ

---

(١٣٥) راب - من الربو وهو البهر وانتفاخ الجوف. كاب: ساقط للوجه، من كبا الفرس يكبو. الجدية: الدم السائل. الأوداج: عروق تكتنف الحلقوم. تشخب: تسيل.

(١٣٦) الوجيف: السير السريع. الصارخون: الذين يصيحون على دوابهم إذا كلت من السير: أنقبوا: أنقبت إبلهم؛ والنقب هو رقة الأخفاف.

(١٣٧) المعزاء: أرض فيها حصى صغار. بين فروجها: خلال قوائمها. الرضخ: الدق والكسر.

(١٣٨) المحصب. موضع رمى الجمار.

الوليد بن يزيد

(ت ١٢٦ هـ)

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، أحد خلفاء بنى أمية ، اشتهر بالانهماك فى اللهو والشراب وسماع الغناء . له شعر رقيق ومعرفة بالموسيقى ، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى أن له أصواتا منها مشهورة ، وأنه كان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشى بالدف على مذهب أهل الحجاز .وقد اختلفت الآراء فيه اختلافا شديدا ، فذهب بعض الباحثين إلى أنه من ظرفاء بنى أمية وشجعانهم وأجوادهم وذهب آخرون إلى فساده وإلحاده .وقد ولد سنة ٨٨ هـ وتولى الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك ، فمكث سنة وثلاثة أشهر ، وثار الشعب عليه بما لصق به من شناعات ، فبايعوا ليزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، فنادى بخلع الوليد ، وقصد جمع من أصحابه إليه فقتلوه .

ومثلما اختلفت الآراء حول حقيقة شخصيته اختلفت أيضا حول أثره الفنى وميله إلى التجديد فى الشعر ، وأنه كان يجمع حوله كل أصحاب المذهب الجديد من الشعراء من أمثال مطيع ابن إياس وتمار ذى كبار ، وأنهم كانوا يطابقون بين حياتهم اللاهية وشعرهم ، وينشدون الحرية الفكرية بكل معانيها ، وقد اختلطت أشعار الوليد بن يزيد بأشعار غيره من المجددين وخاصة خمرياته التى قيل إن أبا نواس نسج على منوالها ، وفى هذا النص الذى اخترناه له صورة فنية لمذهبه فى الحياة والشعر .

قال الوليد بن يزيد .

١ اصْدَعْ نَجِيَّ الهُموم بالطَّرَبِ
وانْعَمْ على الدهر بابْنَةِ العِنَبِ

٢ واستقبل العَيْشَ فى غَضارته
لا تَقْفُ منه آثار مُعْتَقِبِ

٣ من قهوةٍ زانَها تَقادُمها
فهى عجوزٌ تعلو على الحِقَب

٤ أَشهى إلى الشَّرْب يومَ جَلْوتها
من الفتاة الكريمة النَّسب

٥ فقد تجلَّت ورقَّ جوهرها
حتى تبدت فى منظر عَجب

٦ فهى بغير المِزاج من شَرَرٍ
وهى لدى المزج سائلُ الذهب

٧ كأَنها فى زجاجها قَبَسٌ
تذكو ضِياءً فى عين مُرتَقِب

٨ فى فتيـــةٍ من بنى أُميـــة
أَهْلِ المجد والمأْثُرات والحسَب

٩ ما فى الورى مثلُهم ولا فيهم
مثْلى ولا مُنْتَمٍ لمثل أَبى

(١) اصدع هنا بمعنى امح . النجى : الخفى .
(٢) الغضارة : النعمة والسعة والخصب ، لا تقف : لا تتبع ، اعتقب : حبس .
(٣) تقادمها : قدمها . (٤) الشرب : هم الشاربون .

نابغة بنى شيبان

(ت ١٢٧ هـ)

النابغة الشيبانى هو عبد الله بن المخارق بن سُليم بن خَضِيرة ابن قيس بن سنان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبى ربيعة ابن ذهل بن شيبان.

وهو شاعر بدوى من شعراء الدولة الأموية، وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بنى أمية فيمدحهم ويجزلون له العطاء.

ويبدو أنه كان نصرانيا، لأنه يحلف فى شعره بالإنجيل وبالرهبان وبالأيمان التى يحلف بها النصارى. كما يروى أنه كان مداحا لعبد الملك بن مروان، وعندما همّ عبدالملك بخلع أخيه عبد العزيز، وتولية ابنه الوليد العهد، قال النابغة قصيدة يزيده فى همه ذاك، وبلغ الأمر عبد العزيز فقال: «لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مُدخلا ضيقاً فأوردها مورداً خطرا، وبالله لئن ظفرت به لأُخَضِّبَنَّ قدمه بدمه» وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه كما يبدو فى رائيته التى اخترناها له هنا.

وقد عاش حتى ولى «الوليد بن يزيد» فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة فأجزل له العطاء.

* * *

أما قصيدته الرائية فتبدأ بالنسيب، والتغزل فى الحسان اللائى ذكر أسماءهن فى أولها ، ثم تثنى بوصف ديار المحبوبة بعد أن رحلت عنها ، وما فعلته الرياح برسومها، والأمطار والعواصف بآثارها ، ثم يصف جوبه الفلاة فى الهاجرة على ظهر ناقة قوية ، كما يذكر إعجابه باللذات لولا تقى الله والإسلام ، والشيب الذى بدأ يأخذ فى شعره. وينهى هذه القصيدة بالتذكير بالاخرة والزهد فى الدنيا وأن المرء يجزى بعمله يوم الدين .

* * *

قال :

١ أَلا هاجَ قلبى العامَ ظُعْنٌ بواكرُ
كما هاج مسحورًا إلى الشوق ساحرُ

٢ سُلَيْمَى وهندٌ والرَّبابُ وزينبٌ
وأَرْوَى ولَيـلى صِدْنَنِى وتُماضِر

٣ كواعبُ أترابٌ كأَن حُمولَهَا
من النَّخل عُمرِىُّ النخيلِ المَواقِرُ

---

(١) ظعن : جمع ظعينة، وهى الجمل يظعن أى يرحل عليه وقيل هى الهودج فيه المرأة. وقيل : هى المرأة فى الهودج ، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه. بواكر : جمع باكرة ، وهى العجلى .

(٢) صدننى : أوقعننى فى حبائل حبهن .

(٣) كواعب : جمع كاعب ، وهى التى نهد ثدياها. أتراب : جمع ترب وهى التى فى مثل سن الأخرى . عمرى النخيل : القديم منه . المواقر : المثقلات بالحمل .

٤ تعلَّقَ ديباج علينَ باجِلٌ
وعَقْلٌ ورَقمٌ يملأ العينَ فاخرُ

٥ دخَلْنَ خُدورا – فوقَ عِيسٍ – كنينةً
كما كَنَسَتْ نِصفَ النهار الجآذرُ

٦ من الهِيفِ ، قد رقَّتْ جُلُودُ بُطونِها
وأَوجُهُها قد رقَّ منها المناخِرُ

٧ تَلُوثُ فُروعا كالعَثَاكيلِ أَينعتْ
عناقيدُها وابيضَّ منها المحاجِرُ

٨ كُسِينَ من الألوان لوناً كأنَّهُ
تهاويلُ دُرٍّ يقبلُ الطِّيبَ باهرُ

٩ عِتاقٌ جَوازئ الحسن تُضحِي كأنَّها
ولو لم تُصِبْ طِيبا لآلٍ عواطِرُ

---

(٤) ديباج : حرير . باجل : حسن ناعم . عقل : ثوب أحمر يجلل به الهودج ، وقيل : هو ضرب من الوشى يكون نقشه طوليا رقم : ضرب من الوشى يكون نقشه مستديراً .

(٥) خدور : جمع خدر ، وهو كل ما وارى . العيس : الإبل . كنينة : مستورة . كنست دخلت كناسها ، وهو بيت الظبى فى الشجر يستتر فيه . الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

(٦) الهيف : جمع هيفاء ، وهى الضامرة البطن الرقيقة الخصر . المناخر : جمع منخر وهو الأنف .

(٧) تلوث : تلف . الفروع : الغدائر ؛ العثاكيل : جمع عثكول وهو العذق أو الشمراخ عليه البسر ، وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم . المحاجر : جمع محجر وهو ما دار بالعين .

(٨) التهاويل : الألوان المختلفة .

(٩) العتاق : النجائب . جوازى أصلها جوازئ بالهمز ، وهى جمع جازئة ، وهى الظبية الوحشية .

١٠ إذا ما جرى الحادىُّ فوق مُتونِها
ومسكٌ ذكىٌّ ، جفّفتها المجامرُ

١١ لهنَّ عيونُ العِينِ فى صُوَرِ الدُّمَى
وطرفٌ ضعيفٌ يستبى العقلَ فاترْ

١٢ أبانَتْ « حَصِيدا » عن يمينٍ وياسرتْ
وسارتْ وفيها عن « رماح » تزاوُرُ

١٣ فَظِلْتُ وفى نفسى همومٌ تَنوبُنى
وفى النفسِ حُزنٌ مستِسرٌّ وظاهرُ

١٤ عساكرُ من وجد وشوقٍ تنوبنى
إذا رُفِّهتْ عنِّى أتتنى عساكرُ

١٥ وإن قلتُ هـذا حينَ يَسْلَى حبائبى
أبى القلبُ أن يسلَى الذى هو ذاكرُ

١٦ فلو أنَّ حيًّا ماتَ شوقاً صبابةً
لقام على أوصالِكَ العامَ قابرُ

---

(١٠) الجادى : الزعفران ، وهو من أنواع الطيب . متون : جمع متن وهو الظهر .

(١١) العين : الظباء الواسعة العين ، واحدتها عيناء . الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة تصنع من الرخام ، يضرب بها المثل فى الحسن .

(١٢) الحصيد : موضع فى أطراف العراق من جهة الجزيرة . رماح : موضع آخر . تزاور : تميل وتنحرف .

(١٣) المستسر : الخافى .

(١٤) رفهت : خففت .

(١٦) الأوصال : المفاصل .

١٧ عفَتْ دِمنةٌ منهنَّ « بالجوِّ » أَقفرتْ
كأَنْ لم يكن فيها من الحيِّ سامرُ

١٨ تبدَّتْ بها الأَرواحُ كلَّ عشيَّة
وغيَّر آياتِ الرسومِ الأَعاصرُ

١٩ وغيثٌ « سِماكيٌّ » ، رُكامٌ سحابُهُ
دَلوحٌ من الوسميِّ بالماءِ باكرُ

٢٠ يَبيتُ إِذا أَبدى بُروقاً كأَنَّهَا
سيوفُ زُحوفٍ جرَّدتْها الأَساورُ

٢١ كأَنَّ طُبولا فوق أَعجاز مُزْنِهِ
يجاوبُها من آخر الليل زامرُ

٢٢ كأَنَّ حنينَ وُلَّهٍ فى سحـــابهِ
يجاوبُها خُلْجٌ وعُطْفٌ جَراجرُ

---

(١٧) الدمنة : آثار الديار :

(١٨) الأرواح : جمع ريح . الأعاصر : جمع إعصار وهى الريح الشديدة .

(١٩) سماكى : منسوب إلى السماكين ، وهما كوكبان ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل . ركام : متراكم . الدلوح : السحاب الكثير الماء . الوسمى : أول المطر فى الربيع .

(٢٠) زحوف : جمع زحف وهو الجيش . الأساور : جمع إسوار وهو قائد الجيش من الفرس .

(٢٢) خلج : جمع خلوج ، وهى الناقة فطم عنها ولدها ؛ عطف : جمع عطوف ، وهى الناقة تعطف على البو فترأمه . الجراجر : العظام من الإبل .

٢٣ له زبرجٌ : برقٌ ورعدٌ كأنه
مزاهيرُ جُونٌ هيَّجتها مزاهِرُ

٢٤ فغيَّرَ رسمَ الدار من بعدِ عُرفِها
أجشُّ هزيمٌ يحفِشُ الأكْمَ ماطرُ

٢٥ يَبيتُ يَصُبُّ الماءَ صبًّا وينتحِى ،
له نُزُلٌ فيه تُجَرُّ حَضَاجرُ

٢٦ فأزلَقَ وِرْلَاناً فبالأُكْمِ أعصمتْ
وقد زَلِقَتْ منه الضِّبابُ الجواحِرُ

٢٧ كساها رياضاً كالعُهون عشيَّةً
لها صَبَحٌ مثلُ الدَّرَانِيكِ نَاضِرُ

٢٨ إذا اكتهلتْ واعتمَّ أزواجُ نَبتِها
نمى بعدَهُ بقلٌ تُوامٌ وزاهِرُ

---

(٢٣) الزبرج : ما تقدم من السحاب. مزاهير : جمع مزهر وهو العود أو الدف ينقر عليه . جون : سود .

(٢٤) الأجش : الشديد الصوت من الرعد . هزيم : صوت الرعد . يحفش : يسيل . الأكم : جمع إكام والأكة مكان أرفع من الرابية .

(٢٥) نزل : البركة . حضاجر : جمع حضجر وهو السقاء الضخم .

(٢٦) ورلان : جمع ورل ، وهى دابة على خلقة الضب إلا أنها أعظم منه تكون فى الرمال والصحارى . والضباب جمع . ضب . الجواحر : التى لزمت جحرها .

(٢٧) العهون : جمع عهن وهو الصوف المصبوغ بالألوان. الصبح : بياض مشرب بالحمرة . الدرانيك : جمع درنيك وهو كل ماله خمل من بساط أوثوب .

(٢٨) اكتهلت : عم نورها . اعتم : طال . توأم : مزدوج .

٢٩ عفَتْ غير ظِلمانٍ كأنَّ نَعَامَهَا
إذا راعهَا رَوْعٌ إفالٌ نوافر

٣٠ بها النُّؤىُ والمشجوجُ بالفِهْرِ رأسُهُ
وآرِىٌّ أفــراس بها وأياصِرُ

٣١ وسُفْعٌ ضَبَتْ أنصــافَها النارُ رُكَّدٌ
وأورقُ هــابٍ كالحمامــة دائرُ

٣٢ فهيَّجَ دمعى رسمُ دارٍ كأنه
وَحِىُّ الســلام فالدموعُ بوادرُ

٣٣ وحبُّكَ مالا تستطيعُ طِلابَهُ
ومن لايُجدُّ الوصلَ داءٌ مخامرُ

٣٤ وبهماءَ يجرى آلُهــا فوق أُكمِها
كما فاض ماءٌ أَلبَسَ الأَكْمَ غامرُ

---

(٢٩) ظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . روع : خوف . إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

(٣٠) النؤى : حفرة حول الدار تمنع السيل . المشجوج : المشقوق ، والمراد به : الوتد . الفهر : الحجر يدق به . الآرى : حبل تشد به الدابة فى محبسها . أياصر : حشيش .

(٣١) سفع : جمع سفعاء وهو الأسود ، والمراد بها القدور . الأورق : كل شىء فى لون الرماد . الهابى : الرماد . المختلط بالتراب . الدائر : البالى . ضبت : أحرقت . ركد : ثابتة .

(٣٢) الوحى : السريع .

(٣٣) مخامر : مخالط .

(٣٤) البهماء : الفلاة لا يهتدى فيها . الآل : السراب .

٣٥ إذا الشمس كانت قِمَّ رأسٍ سويةً
وظلَّتْ تُساميها الحرابى الخواطِرُ

٣٦ تجشَّمتُها حتى أجـوبَ سَرابَها
وإن حَمِيَتْ بعـدَ المقيل الهواجرُ

٣٧ بناجيةٍ أُجْـد كِنازٍ كأنَّها
إذا رُدَّ فيها الطَّـرفُ فحل عُذافرُ

٣٨ تَمُــدُّ الزِّمامَ والجَديلَ إذا مشت
مُواشِكةٌ غَلبــاءُ كالبرُجِ عاقرُ

٣٩ بأَتلعَ كالجذعِ السَّوادِيِّ طُوله ،
نفَى اللِّيفَ عنه والكرانيفَ ناجرُ .

٤٠ وطال شَـواها ثُمَّ تَمَّ نَصيلُها
وقد طال منها خَطْمُها والمَشافِرُ

---

(٣٥) القم : أعلى الرأس. الحرابي: جمع حرباء وهو دويبة تتلون ألوانا بنور الشمس .
(٣٦) الهواجر جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر .
(٣٧) الناجية : الناقة القوية تنجو بصاحبها . الأجد : القوية . الكناز : الكثير اللحم .
العذافر : العظيم الشديد من الإبل .
(٣٨) الزمام للإبل كاللجام للفرس . الجديل : حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . مواشكة :
سريعة . الغلباء : الوثيقة القوية . عاقر : لا مثيل لها .
(٣٩) الأتلع : العنق الطويل . الجذع : ساق النخلة . السوادى : نسبة إلى سواد العراق ،
وهو ما أخصب من أرضها. الكرانيف : جمع كرناف ، وهو أصول الكرب التى تبقى فى
جذع النخلة بعد قطع السعف منها. ناجر : نجار .
(٤٠) الشوى : الأطراف . النصيل: مفصل ما بين العنق والرأس تحت اللحيين. الخطم :
مقدم الأنف والفم . المشافر : جمع مشفر ، وهو من البعير بمنزلة الشفة من الإنسان
والجحفلة من الفرس .

٤١ عليها من الفتيان جوّابُ قَفْرةٍ
وأَبيضُ هنـدىٌّ من العِتق باترُ

٤٢ وحِلسٌ عليـه نِسْعتان ونُمرُقٌ
وكُورٌ عِلافىٌّ من المَيْسِ فاترُ

٤٣ أُقضِّى عليهـا حاجى وأَردُّها
مَنيناً كما رَدَّ المَنِيحَ المُخاطِرُ

٤٤ وتُعْجبـنى اللذّاتُ ثم يعوجُنى
ويستُرنى عنها من الله ساترُ

٤٥ ويزجرُنى الإسلام والشَّيْبُ والتُّقَى
وفى الشَّيْب والإسلام للمرءِ زاجرُ

٤٦ وقلتُ ــ وقد مرَّتْ حتُوفٌ بأَهلها ــ
أَلا ليس شىءٌ غير ربِّى غابرُ

٤٧ هو البـاطِنُ الرَّبُّ اللطيفُ مكانُهُ
وأَوّلُ شىء رَبُّنا ثمَّ الآخرُ

---

(٤١) الأبيض : السيف . باتر : قاطع .

(٤٢) الحلس : كل شى ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج. النسعة : حبل من أدم تشد به الرحال. النمرق : الطنفسة فوق الرحل. الكورة : الرحل. العلافى : أعظم الرحال آخرا ووسطا . الميس : شجر عظيم تتخذ منه الرحال .

(٤٣) المنيح : قدح يستعار تيمنا بفوزه . وقيل : وهو سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له . المخاطر : المراهن . منيناً : هزيلة .

(٤٤) يعوجنى : يردنى ويرجعنى .

(٤٦) غابر . باق

٤٨ كَريمٌ حليمٌ لَا يُعقَّبُ حكمُهُ
كثيرُ أَيَادِى الخير للذنب غافرُ

٤٩ يُنيمُ حصَادَ الزرعِ بعد ارتفاعهِ
فتفنَى قرونٌ وهو للزرع آبرُ

٥٠ ومن يَعىَ بالإخبار عمَّن يرومهُ
فإنى بما قد قلتُ فى الشِّعر خابرُ

٥١ أَلَا أَيُّها الإِنسانُ هل أَنت عامل
فإنك بعد الموت لَابُدَّ ناشرُ

٥٢ أَلم تَرَ أَنَّ الخيرَ والشرَّ فتنةٌ
دخائرُ مَجزىٌّ بهنَّ ذخائرُ

٥٣ ومن يعملِ الخيراتِ أَو يُخْطِ خاليا
يُجَازَ بها أَيَّامَ تُبلَى السَّرائرُ

٥٤ وجدتُ الثراءَ والمصيباتِ كلَّها
يجىءُ بها بعد الإِلٰه المَقادرُ

٥٥ فإِنْ عُسرةٌ يومًا أَضرَّتْ بأَهلها
أَتت بعدها مِمَّا وُعِدْنَا المياسرُ

---

(٤٩) الآبر : مصلح الزرع .

(٥١) ناشر : منشور ، وهو اسم فاعل بمعنى مفعول .

٥٦ ونازل دَارٍ لَا يُـــرِيدُ فِرَاقَهـــا
ستُظعِنُه عمَّـــا يريدُ الجرائرُ

٥٧ ومن يُنصفِ الأَقوامَ ما فات قاضيا
وكلٌّ امرىء لَا يُنصفُ اللهُ جـــائرُ

٥٨ يعـــذّرُ ذُو الدَّيْن الطَّلُوبُ بدَيْنِهِ
وليس لأَمرٍ يظـــلمُ النَّاسَ عاذرُ

* * *

---

(٥٦) تظعنه : تجعله يرحل عن مكانه .

(٥٨) يعذر : يعذر . والتضعيف هنا للمبالغة .

عروة بن أذينة[1]

(ت ١٣٠ هـ)

من شعراءِ المدينة المقدمين ينتهي نسبه إلى كنانة من قريش ، عرف بالغزل الرقيق على الرغم من كونه من الفقهاءِ المحدثين ، وكان ناسكًا صالحًا وأخباره قليلة فى المصادر ، وقيل : إنه كان فى مطلع شبابه يضع الألحان وينحلها غيره فيغنى بها ، وله مواقف كثيرة مع السيدة سكينة بنت الحسين . وقد عاصر عروة أكثر الخلفاءِ الأمويين ، وتوفى سنة ١٣٠ هـ على أرجح الأقوال . ولم يكن اهتمامه بالغزل والزهد فى وقت واحد ليصرفه عن أحداث عصره ، فكان يفد أحيانًا على الخلفاء ، ويذكرهم فى شعره ، وكان عمر بن عبد العزيز يراه رجلًا صالحًا ويأخذ عليه غزله ، كذلك كان على صلة طيبة بولاة المدينة حيث عاش عمر .

ونجد فى شعره اعتزازًا بقبيلته قريش ولكن دون تعصب لفرع على آخر منها فهو يمدح الأمويين والزبيريين معًا .

وكان لعروة مجلس يقصده الناس للتزود بالعلم والحديث وسماع الشعر ، وكان الشعراء إذا قدموا المدينة قصدوا مجلس عروة ، ومنهم الفرزدق وجرير ، وقد جمع شعره من المصادر المختلفة الدكتور يحيى

---

(١) أنظر فى ترجمته وأخباره . الشعر والشعراء ، المؤتلف والمختلف ، الأغانى ، العقد الفريد ، زهر الآداب ، وغيرها .

الجبورى ، ونشرته مكتبة الأندلس ببغداد . وهو يضم مديحًا وفخرًا وعتابًا وحكمة ، ولكن فنه الأصيل يتجلى فى غزله الذى اشتهر برقته .

والنص الذى اخترناه له يجمع بين اتجاهين أصيلين عنده : الغزل والاتجاه الدينى ، وقد حدث ابن الشاعر يحي بن عروة قال : أتى أبى وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبى قال له : أنت القائل :

وقد علمت وما الإسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى له فيعنينى تطلبه ولو جلست أتانى لا يعنينى

فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها . قال : أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ، وغفل عنه هشام فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفًا ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدى عليه فأبلغه رسالته ودفع إليه الجائزة ، فقال : قل له : قد صدقنى ربى وكذبك :

قال عُرْوَة بن أُذَيْنَة

---

١ أَفِى رسوم مَحلٍّ غَيْرِ مَسْكُونِ
مِن ذى الأَجارع كاد الشَّوْقُ يُبْكِينِى

٢ قَفْرٍ عفا غيرَ أَوتادٍ مُنَبَّذَةٍ
ومُنْحَنٍ خُطَّ دون السَّيل مَدفُون

٣ وهامد كَسَحيق الكُحْلِ مُلْتَبِدٍ
أَكنافَ مَلْمُومَةٍ أَثباجها جُون

٤ عوارفٌ ذُلُلٌ أَمست مُعَطَّلَةً
فى منزلٍ ظَلَّ فيه الدمعُ يَعْصِينى

٥ وبالسقا وإِلى مَثْنَى قَرانيــةٍ
رَسْمٌ تَزره كان عهدُ الرَّبْرَب العِين

---

(١) الرسوم : آثار الديار ، ذو الأجارع : اسم موضع.

(٢) عفا : درس وانمحى أثره ، منبذة : ملقاة مهملة ، منحن : يعنى النؤى وهو حفير حول الخباء يمنع السيل .

(٣) هامد : نبات يابس أو رماد أو نار مطفأة ، أكناف : أطراف ، ملمومة : مجتمعة أو مستديرة . أثباج : جمع ثبج وهو وسط أى شىء ، جون : سود .

(٤) عوارف : رمال مرتفعة ، ذلل : لينة .

(٥) السقا ومثنى قرانية : اسما موضعين ، الربرب : القطيع من بقر الوحش ، العين : جمع أعين وعيناء الواسع العينين .

٦ أيامَ سُعْدَى هوى نفسى وَنِيقَتِها

مَن لامَ زَيَّنَها عندى بتَزْيين

٧ للظَّبْيَةِ البكر عيناهــا وَتَلْعَتُها

فى حُسْنِ مُبْتَسَمٍ منها وعِرْنِينِ

٨ تنوءُ منها إذا قامت بِمُرْدَفَة

كأنها الغُرُّ من أَنْقاءِ مَعْرُونِ

٩ لا بُعْدُ سُعْدَى مُرِيحى مِن جَوَى سَقَمٍ

يوماً ولا قُرْبُها إنْ حُمَّ يَشْفِينِى

١٠ أمست كأُمْنِيةٍ سُعْدَى مُلاوِذَة

كانت بها النَّفْسُ أحيانا تُمَنِّينِى

١١ إذا الوشاةُ لَحَوْا فيها عَصَيتُهُمُ

وَخِلْتُ أَنَّ بِسُعْدَى اللَّوْمَ يُغْرِينى

١٢ وما اجتِنابُكَ مَنْ تَهْوَى تُباعِدُه

ظُلْمًا وتهجُرُه حِيناً إلى حينِ

١٣ إنِّى امْرُؤٌ لم يَخُنْ وُدِّى مُكَاذَبَةٌ

ولا الغِنَى حِفْظَ أَهْلِ الوُدِّ يُنْسِينى

---

(٦) النيقة : هدى النفس وطلبها وإرادتها ، زينها : حسنها .

(٧) تلعتها : عنقها الطويل ، عرنين الأنف : مقدمته .

(٨) تنوء : تنهض بجهد ، مردفة : من الردف وهو العجز ، الغر : البيض . أنقاء : جمع نقا وهو الكثيب من الرمل . معرون : اسم موضع .

(٩) جوى : حرقة الوجد وشدته ، حم : قرب وحان .

(١٠) ملاوذة : من لاوذ القوم ملاوذة : أى لاذ بعضهم ببعض .

(١١) لحوا : لاموا .

١٤ وقد عَلِمتُ وما الإسرافُ مِنْ خُلُقِى
أنَّ الذى هو رزْقِى سَوفَ يأتِينى

١٥ أسْعَى لـهُ فيُعنِّينى تطلُّبُـهُ
ولوْ قَعَدْتُ أتانِى لايُعَنِّينى

١٦ وأنَّ حَظَّ امرِىءٍ غيرى سيأخُذُه
لابُدَّ لابُدَّ ، أن يَحْتازَه دُونى

١٧ فلن أُكَلِّفَ نَفْسِى فَوْقَ طاقَتِها
حِرْصاً أُقِيمُ بِهِ فى مَعْطِنٍ لهُون

١٨ أبَيْتُ ، ذلك رَأْيا لستُ قارِبَهُ
ولا مُعَرِّضَهُ عِرضِى ولا دينى

١٩ مَنْ كان من خَدَم الدُّنيا أشتَّ بِهِ
حتى يقال صَحِيحٌ مِثْلُ مَجنُونِ

٢٠ نُعالِجُ العَيْشَ أطْوارًا تَقَلُّبُهُ
فيه أفانينُ تُطْوَى عن أفَانينِ

٢١ باليُسْرِ والعُسْرِ والأَحداثُ مُعْرِضَةٌ
لابُدَّ من شِدَّة فيها ومِن لين

---

(١٥) يعنينى : يتعبنى .

(١٦) يحتازه : يستأثر به

(١٧) معطن : موضع .

(١٩) أشت : فرق .

(٢٠) الأفانين : الأساليب .

٢٢ حتى تكِلَّ وتَلقَى في تَطَرُّدِها
أَطْباق مُلْهًى بها حَيْرَانُ مفْتُونِ

٢٣ ولو تَخَفَّضَ لم ينقُص تَخَفُّضُهُ
مَكْتُوبَ رِزْقٍ لهُ ماعاشَ مَضْمُونِ

٢٤ فما امرُؤٌ لم يُضِعْ ديناً ولا حَسَباً
بِفَضْلِ مالٍ وَقَى عِرْضاً بِمَغْبُونِ

٢٥ كم مِنْ فقيرٍ غَنِيِّ النفس نَعرِفُهُ
ومن غنيٍّ فقيرِ النفس مِسْكِين

٢٦ ومن مؤاخٍ طَوَى كَشْحاً فَقُلْتُ لَهُ
إنَّ انطواءَكَ هَذَا عَنْكَ يَطْوِينِى

٢٧ لا تَحْسَبَنَّ مؤاخاتى مُقَصِّرَةً
ولا رضَاكَ وقد أذنبتَ يُرْضِينِى

٢٨ لا خيْرَ عِنْدَكَ في غَيْبٍ وفى حَضَرٍ
إلَّا أَهاويلُ مِن خَلْطٍ وَتَلْوِينِ

٢٩ بأيِّ رأيكَ في أَمْرٍ عُنِيتُ بهِ
وَفَضْلِ مالِكَ يَوْماً كُنْتَ تكْفِينِى

(٢٢) أطباق : أموال .

(٢٣) تخفض : عاش فى رقة وراحة .

(٢٤) مغبون : مخدوع خاسر .

(٢٦) مؤاخ : يتظاهر بالأخوة ، طوى كشحا : أضمر قطيعة واعراضا .

(٢٨) أهاويل : ألوان مختلفة .

٣٠ فَلَيْتَ شِعْرِى وما أدرى فتُخْبِرنى
بأىِّ مَرْضِى مِنَ الأيَّام تَجْزينى

٣١ أبالذى كانَ مِنِّى مَرَّةً حَسَناً
أم بالقبيح وما أقْبَحتُ تَرْمِينى

٣٢ فما حفظتَ وما أحْسَنْتَ رِعْيتهُ
سِرًّا أمِنْتَ عَلَيْهِ غَيْرَ مأمون

٣٣ عَجزًا عَنِ الخيْرِ تَلْويه وتَمْطُلُهُ
بُخْلًا علىَّ به والشرَّ تَقْضِينى

٣٤ ماكنتُ مِمَّنْ تُجَارِينى بدِهتُهُ
ولا مِنَ الأمَدِ الأقْصى يُغالِينى

٣٥ مَنَّتْكَ نفسُكَ أمرًا لاتؤلِّفُهُ
حتى تُؤلِّفَ بَينَ الضَّبِّ والنُّونِ

٣٦ النُّونُ يَهْلِكُ فى بيداء مقْفِرَةٍ
والضَّبُّ يَهْلِكُ بيْن الماء والطِّينِ

٣٧ لا تَغْضَبَنَّ فإنى غيرُ مُعْتِبه
مَن كنتُ أوليْتُهُ ما كان يُولينى

---

(٣٠) القرض : ما سلفت من إحسان أو إساءة .

(٣١) أقبحت : أتيت بالقبيح .

(٣٢) رعيته : رعايته .

(٣٣) تلويه : تمطله ، تقضينى : تدينى به .

(٣٤) الأمد : الغاية والمدى ، يغالينى : يسابقنى .

(٣٥) النون : الحوت .

(٣٧) معتبه : عاذره ، أوليته : قلدته .

ابن الدُّمَيْنَة

(ت ١٤٣)

هو عبد الله بن عُبَيد الله الخَثْعَمى ، أحد بنى عامر بن تيم الله ، والدُّمَيْنَة أمه ، غلب عليه اسمها ، فشهر بنسبته إليها .

وقد عُرف ابن الدمينة لدى المتقدمين بالغزل والصبوة ، ومع هذا فإن أخبار حياته العاطفية لاتخلو من اضطراب ، والشىء المؤكد أن نهايته كانت وثيقة الصلة بأطوار هذه الحياة العاطفية ؛ إذ يحكى أن رجلا من بنى سلول كان يُرمَى بزوج ابن الدمينة «حَمَّاء» ، وأن الشاعر تربص به حتى وافى «حماء» فوثب عليه فأوثقه ، ثم جعل يضربه حتى مات ؛ ولكن القصة لم تنته عند هذا الحد ؛ لأن ابن القتيل خرج مطالبا بثأر أبيه ،ولم يظفر بالشاعر إلاَّ حين نزل «بتَبَالة» يريد الحج ، فعَدا عليه فذبحه، فقيل إن ابن الدمينة مات لساعته .

وموطن ابن الدمينة فى المناطق الواقعة جنوبى الحجاز مما يلى اليمن ، ويجعله بعض الرواة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ويسلكونه فى وفيات سنة ١٤٣ هـ مع جعفر بن علبة الحارثى ،وأبى حية النُّميرى ،ويتقدم بعضهم (الزِّركلى) بمقتله قليلا فيجعله حوالى سنة ١٤٠ هـ .

وأيًّا كان الأمر فإن سنوات تتقدم أو تتأخر لاتقدح فى كون الشاعر قد شهد فترة لابأس بها من العصر الأموى، وأنه كان يمتاح من تلك الدنان التى امتاح منها شعراءُ العاطفة فى تلك الحقبة، وهى حقيقة تتجلى من خلال النموذجين الغزليين اللذين اخترناهما له؛ ففى أولهما يخاطب من يدعوها «أميمة»، ويذكر ولعه بها، ويلوم نفسه على الوقوع فى حبالها، وفى ثانيهما يتوجه إلى «حمى وادى المياه»، والإنسان الشحيح الذى يحوطه، ويذكر كبده المقروحة وما تثيره من حديث البرق العلوى وغراب البين نذير الفراق.

قال ابنُ الدُّمَيْنَة يتغزل :

١ قِفِى يا أُمَيْمَ القلْب نَقْضِ لُبَانَةً
ونَشْكُ الهوَى ثُمَّ افعَلِى ما بدَالَكِ

٢ سلِى البانَةَ الغَنَّاءَ بالأَبْطَحِ الَّذى
بهِ الماءُ هل حييْت أَطْلاَلَ دَارِكِ

٣ وهل قُمتُ بَعْدَ الرائحِينَ عشِيةً
مَقَامَ أَخِى البغْضَاءِ واخترتَ ذلِكِ

٤ وهل كَفْكَفَتْ عينْاىَ فى الدار عَبرةً
فُرادى كنَظْمِ اللُّؤلُؤ المتهَالِكِ

(١) اللبانة : الحاجة .

(٢) الغناء : العظيمة ، وهى الملتفة الكثيرة الورق والأغصان . الأبطح : المكان المتسع يمر به السيل .

(٣) البغضاء : الضغينة والكراهية ، ومقام أخى البغضاء يقصد به مقام المنبوذ البغيض .

(٤) كفكفت : من قولهم كفكف دمعه ، أى مسحه مرة بعد أخرى ، فرادى : واحدة بعد أخرى . المتهالك : المتساقط .

٥ فَيَابَانَةَ الوادِى أَلَيْستْ مُصِيبةً
مِنَ الله أَنْ تُحْمَى علينا ظِلَالُكِ

٦ ويابانَةَ الوادِى أَثيبى مُتَيَّماً
أَخَا سَقَم لبَّسْتِهِ فى حِبَالِكِ

٧ وكَلَّفْتِنِى مَنْ لا أُطِيقُ كَلَامه
نَهَاراً ولا ليْلاً ولا بين ذَلِكِ

٨ هَويتُ ولمْ تَهْوَىْ وكنتِ ضعيفةً
فهذا بَلَاء قد بُلِيتُ بذلِكِ

٩ وأَذهَبُ غَضْباناً وأَرجع راضِياً
وأُقْسم ما أَرضَيْتِنِى بين ذَلِكِ

١٠ يقولون : ذَرْها واعتَزِلْها ، وإنَّما
يُسَاوى ذَهابَ النَّفْس عندى اعتِزالُكِ

١١ عدمتُكِ من نَفْس فأَنْتِ سَقَيْتَنِى
كؤُوس الردَى فى حُبِّ مَنْ لم يُبالِكِ

١٢ ومنَّيْتِنِى لُقْيَانَ مَنْ لستُ لاقِياً
نَهَارى ولا لَيْلى ولا بين ذَلِكِ

١٣ فَمَا بلكِ مِن صبرْ ولا مِنْ جَلَادةٍ
ولا منْ عَزَاءٍ فاهْلِكِى فى الهَوَالِكِ

(٥) تحمى علينا ظلالك : تمنع منها وندفع عنها .

(٦) أثاب : كافأ وجازى . متيم : ذهب الهوى بعقله . لبسته فى حبالك : يروى أنشبته فى حبالك ، أى علقته بحبالك . (١٠) ذرها : دعها واتركها .

(١١) الردى : الهلاك . لم يبالك : لم يكترث بك ، من المبالاة وهى الاكتراث .

(١٢) لقيان : مصدر لقى . (١٣) جلادة : القوة والصبر على المكروه .

١٤ لِيهْنِكِ إمْساكِى بكفِّى على الحَشَا
وإذْرَاءُ عيْنِى دمْعَها فى زيالِكِ

١٥ ولوْ قُلْتِ : طَأْ فى النَّار أَعْلَمُ أنَّه
هُدًى مِنْكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا من وصَالِكِ

١٦ لَقدَّمْتُ رِجْلِى نَحْوَها فَوَطِئْتُها
هُدًى مِنْكِ لِى أَوْ غَيَّةً منْ ضَلَالِكِ

١٧ ويُسْقَى مُحِبٌّ مِن شَرَابِكِ شَرْبَةً
يَعيشُ بها إذْ حِيلَ دون حَلَالِكِ

١٨ أَرَى النَاسَ يرْجُون الربيع وإنَّما
رجائِى الذى أرْجو جَدَاً مِن نَوَالِكِ

١٩ أَبِينِى ، أفى يُمْنَى يديكِ جَعَلْتِنِى
فأَفْرح أَمْ صيَّرْتِنِى فى شِمَالِكِ

٢٠ لئِنْ سَاءَنِى أنْ نِلْتِنِى بمسَاءَة
لقدْ سرَّنِى أَنِّى خَطَرْتُ ببالِكِ

---

(١٤) ليهنك : ليهنئك ، أى هنيئالك . الحشا : ما دون الحجاب مما فى البطن . إذراء : أذرت العين دمعها أى أسالته . الزيال : كالفراق وزنا ومعنى .

(١٥) طأفى النار : فعل أمر من وطىء الشىء ، أى داسه .

(١٦) غية : من الغى ؛ وهو الإمعان فى الضلال .

(١٧) حيل بينه وبين الشىء : منع منه ، والحلال منها ما يباح ، وإذا منع من المباح فقد منع من غيره من باب أولى .

(١٨) الجدا : العطاء ، والنوال والعطاء بمعنى .

(١٩) أبينى : أظهرى وأوضحى ، وعبر باليد اليمنى عن إحسانها إليه ، وبالشمال عن عكس ذلك .

وقال ابن الدُّمَيْنة :

١ أَلَا ياحِمَى وَادِى المِيَاه قَتَلْتَنِى
أَتَاحَكَ لى قَبل المَمَات مُتِيحُ

٢ رأَيتُكَ وَسْمِىَّ الثَّرَى ظَاهِرِ الرُّبَا
يَحُوطُكَ إنسانٌ علىَّ شَحِيحُ

٣ هَل الحائِمُ الحَرّانُ مُسْقًى بشَرْبَةٍ
مِنَ العَذْب تَشْفِى مابِهِ فتُرِيحُ

٤ فقالَتْ : لَعَلِّى لوْ سَقَيْتُ بشَرْبَةٍ
تُخَبِّر أَعْدائى بهـا فَتَبُوحُ

٥ إذَنْ فأَنَاخَتْنِى المَنَايَا وقَادَنِى
إلَى مَجزَرٍ عَضْبُ السِّلاح مُشِيحُ

٦ لَبِئْسَ إذَنْ مَلْقَى الكَرَاهةِ سِرُّها
وإنِّى إذَنْ مِن حُبكم لَصَحِيحُ

---

(١) وادى المياه : موضع بنواحى اليمامة . أتاحه : قدره وهيأه .

(٢) وسمى الثرى : قد مطر مطر الوسمى ، وهو مطر الربيع ، سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . الربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . حاط الشيء : صانه وحفظه . الشحيح . البخيل الحريص .

(٣) الحائم : العطشان ، الحران : من يبست كبده من ظما أو حزن . تشفى ما به : تبرئه من علته .

(٥) أناخته المنايا : جعلته يبرك كما يبرك البعير ، كناية عن الهلاك . العضب من السلاح : القاطع . المشيح : الحازم الجاد فى الأمر ، والشاعر يدعو على نفسه بالهلاك إذا باح بالسر المذكور فى البيت السابق .

(٦) ملقى الكراهة : موطن الكراهة ، يريد أنه لو فعل ذلك لكان كارها ولم يكن محبا .

٧ إِذَا ذُكِرَتْ عِنْدِى أَئِنُّ لِذِكْرِها
كَمَا أَنَّ مِنْ وَقْعِ السلاحِ جريحُ

٨ وَلى كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يَبِيعُنِى
بِهَا كَبِداً ليستْ بذَاتِ قُرُوحِ

٩ أَبَاهَا علىَّ النَاسُ لا يَشْتَرونَهَا
ومنْ يشترى ذَاعِلةِ بصَحِيحِ

١٠ بَدَا البَرْقُ عُلْوِيًّا فلمَّا تَصَوَّبَتْ
غَوَارِبُه باتَتْ ذُرَاه تَلُوحُ

١١ أَلَا ياغُرابَ البينْ مِمَّ تُلِيحُ لى
كلامُكَ مَشْنِىٌّ وأَنْتَ صريحُ

١٢ فَإِلاَّ تَشُقْنَا ذاتَ يوم فإِنَّه
سَتُعْقِبُ خَطْبَاءُ السَّراةِ صَلُوحُ

---

(٧) أئن : من الأنين ، وهو تأوه المريض المعانى .

(٨) مقروحة : مجروحة ، القروح : الجروح .

(٩) أبى على : استعصى ، أبى الشىء : كرهه ولم يرضه ، وفى البيت وسابقه إقواء .

(١٠) تصوبت : جاءت من عل . الغوارب : جمع غارب ، وهى الأعالى ، يقصد أعالى الغيم . الذرا : جمع ذروة ، وهى الأعالى أيضا . تلوح : تظهر وتبدو .

(١١) تليح : مضارع « ألاح » بمعنى بدا وظهر . مشنى : مبغض .

(١٢) تشقنا : من قولهم شاق الشىء فلانا : هاجه : تعقب : تأتى من بعدك ، الخطباء : الخضراء تضرب خضرتها إلى غبرة . السراة : الظهر ، ويريد بخطباء السراة ، الصلوح : الحمامة

رؤبة بن العجاج

(ت ١٤٥ هـ)

هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ راجز من الفصحاء ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . كان أشعر من أبيه ، وأغزر رجزاً . مدح بنى أمية فى أثناء حروبهم المحافظة على دولتهم . واشتغل بالتجارة دون أن يكون له مقر ثابت بخراسان أو كرمان ، ثم انتقل إلى البصرة . توفى فى عام ١٤٥ هـ .

حقق ديوانه وليم بن الورد البروسى (ألفارت) بالجزء الثالث من مجموع أشعار العرب بليبسج فى عام ١٩٠٣

والأرجوزة قالها يعاتب ابنه عبد الله ، وفيها يبين حبه إياه ، ويتحدث عن الآمال المعقودة عليه ، ويعظه .

قال رؤبة بن العجاج يعاتب ابنه عبد الله :

١ قلتُ لعبـــد الله مِنْ تَوَدُّدِى ... قد كنتُ أرجوك ولمَّا تُولَد

٢ فكنتُ والله الأَجَلِّ الأَمْجَدِ ... أُدنيك مِنْ قصِى ولمَّا تقْعُد

٣ تَخَفُّشَ الهَيْف انْحَنى للمَمْهَدِ ... أقول يكفينى اعتداء المُعْتَدى

(٣) خفش الشىء خفشا : قشره ؛ وتخفشت المرأة على زوجها أو ولدها : أقامت عليه ولزمته .

هيف الغلام ، يهيف ، وهاف يهاف هيفاً وهيفاً : ضمر بطنه ورقت خاصرته .

٤ وأَسَــدٌ إن يَشــدُّ لم يُعَرِّد كأنّه في اللِّبَــدِ ولِبَــدِ

٥ مِنْ حَلِس أنمر فى تربــد مُدَّرِع فى قطــع من بُرْجُد

٦ لِرِزّه من جُرْأة التوحّــدِ وَهْشٌ كإجلاب الجُبَيْل الأَصْلَد

٧ يعتزُّ أقران الأسودِ الأُسَّــدِ بالزجْر قبل الأَخْــذ والتهدُّد

٨ وقلُت قولاً ليس بالمُفَنَّد قد كنت أُسقيك من التمقُّد

٩ محضًــا وإنْ أَبْكأَ كُلُّ مِرْفَد وأشبِرُ المقيــاسَ من تعهُّدِى

١٠ طُولَكَ من مَغْدِ الشباب الأَمْغَدِ انظرْ جزاءَ عَوْدك المُعَوَّد

---

(٤) عرد (الرجل) : هرب وفر .

(٥) الحلس : الشجاع الذى يلازم قرنه ، والحريص الذى لا يبرح مكانه، أنمر : فيه غبرة وسواد ؛ والأنمر من الخيل والنعم : ما على شيه النمر . تربد (لونه) : تغير ؛ وتربد الرجل : تعبس . مدرع : المدرعة (بالكسر) : الدراعة ، كرمانه ؛ جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ؛ والجمع دراريع .

البرجد (بالضم) : كساء من صوف أحمر ، وقيل كساء مخطط ضخم يصلح للخباء وغيره .

(٦) الرز (بالكسر) : صوت تسمعه من بعيد ، أو صوت الرعد وهدير الفحل . وهش وتوهش الرجل توهشا : مشي حافيا ، ومشى مشية المثقل . الجلب مصدر جلب ؛ وهو اختلاط الأصوات ، والجمع أجلاب .

(٧) التهدد والتهديد : التخويف والتوعد بالعقوبة .

(٨) بكأت (الناقة والشاة) بكأ ، وبكوءت بكاءة وبكوءا ؛ قل لبنها ، وبكأت البئر : قل ماؤها .

شبر (الثوب وغيره) شبرا : كاله بالشبر ؛ وأشبره : أعطاه وفضله .

(١٠) المغد (بالفتح) مصدر : الناعم يقال عيش مغد . وقيل هو الضخم الطويل من كل شيء . ومغده الشباب : استتم فيه الشباب ، ولم يتناه شبابه كله . عود فلانا كذا : صيره يعتاده ، والبعير صار عوداً . لك العوادة والعود والعودة : لك أن تعود فى الأمر ، أى أن ترجع فيه وترده .

١١ مِثْلًا بِمِثْلٍ أَوْ تفضَّلْ تُحْمَــد ولا تكونَنَّ مكان الأَبْعَــدِ
١٢ إنَّك لَا تدرى غدًا ما فى غَدِ وليـــلةٍ تطردُ إنْ لم تُطْرد
١٣ والقومُ يهْوُون حِيــال المَوْرد والله لَا يُخْلِفُ وقتَ الموْعــد
١٤ والمرءُ مَرْقُوب بكل مرْصَــد يرُوحُ فى حَبْل البِلَا ويغتدى
١٥ ومن أَمام المَرْءِ مرْدَاه الرَّدِى واصدُقْ إذا ماقلتَ قولًا واقصد
١٦ فليس منْ جارَ كهادٍ يهتــدى إنَّ السَّعيد عامِلٌ للأَسْــعد
١٧ والرشدُفاعْلَمْهُ طريقُ الأَرشد وزادُ تَقْوى أَفضــلُ التَّزَوُّد
١٨ إنِّى رأَيتُ الــدَّهر بالتَّرَدُّدِ يَنقُضُ أَمْرارَ الشباب الأَجرد
نَقْضَــكَ إِمْرار المِرَارِ المُحصَد

* * *

(١٣) هاء بنفسه إلى المعالى يهوه هوءا: رفعها . وهاء بفلان: فرح . هاء يهوء هيئة حسنة: أى صار إليها.

القسم الثانى

النثر

خطبة الرسول (ﷺ)

فى الأنصار إثر غزوة حنين سنة ٨ هـ

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثَنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة ،عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخُدرِى ، قال : لما أعطَى رسولُ الله ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثُرَتْ منهم القالة[1] ،حتى قال قائلهم : لَقِىَ والله رسولُ الله قومَه ! ودخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يارسولَ الله ؛ إن هذا الحىّ من الأنصار قد وجدوا[2] عليك فى أنفسهم لما صنعتَ فى هذا الفىء الذى أصبت ، قَسَمتَ فى قومك وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد[3] ؟ قال :يا رسول الله ما أنا إلا من قومى ! قال : فاجمع لى قَومَك فى الحظيرة ، قال فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، قال : فجاءه رجال من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعدٌ فقال : قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصار : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ، ما قالة بلغتْنِى عنكم ، ومَوْجِدَةٌ[4]

---

(١) القالة : القول ، والمراد اللغط بالأراجيف .

(٢) وجدوا فى أنفسهم : عتبوا .

(٣) يسأله صلى الله عليه وسلم عن موقفه ورأيه .

(٤) الموجدة : الغضب .

وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله، وعالة[١] فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، لله ولرسوله المنّ والفضل ! فقال ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ! قالوا ، وبماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ ! قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدَقتم ، ولصُدِّقتم ، أتيتنا مُكَذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لُعَاعة[٢] من الدنيا تألَّفْتُ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضون يا معشر الأنصار ؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؛ فوالذى نفس محمد بيده ،لولا الهجرةُ لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْباً[٣] ، وسلكت الأنصار شعْباً لسلكتُ شِعْب الأنصار ! اللهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار !

قال ؛ فبكى القوم حتى أخْضَلوا لحاهم[٤] ، وقالوا : رضِينا برسول الله قِسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا.

---

(١) فقراء .

(٢) اللعاعة : التافة الحقير من العرض .

(٣) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٤) أخضلوا : بلوا لحاهم وتقاطر منها الدمع .

خطبة الرسول (ﷺ)

فى

حجة الوداع

« الحمد لله نحمده وَنستعينُه وَنستغفره وَنتوب إليهِ ، وَنعوذ بالله من شرور أَنفسنا ومن سيئآت أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادى له ، وَأَشهدأن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وَأَشهد أَن محمداً عبده ورَسوله ، أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وَأَحثكم على طاعته ، وأَستفتح[1] بالذى هو خير ، أما بعد : أَيها الناس اسمعوا منى أُبَيِّنْ لكم ، فإنى لا أَدرى لعلى لا أَلقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ، أيها الناس : إن دماءكم وَأموالكم حرام عليكم إلى أَن تَلْقَوا ربكم ، كَحُرمَةِ يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، أَلا هل بَلَّغْتُ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إلى من ائتمنه عليها ، وَإن ربا الجاهلية موضوع ، وَإن أَول رباً أَبدأُ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وَإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أَوَّل دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب[2] ، وَإن مآثر الجاهلية موضوعة[3] غير السِّدَانَة[4] والسِّقَاية[5] ، والعَمْدُ

(١) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار.

(٢) وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته بنو هذيل .

(٣) ساقطة

(٤) خدمة الكعبة

(٥) سقاية الحجاج .

قَوَد [1] ، وشبه العمد مَا قُتِلَ بالعصا والحجر وفيهِ مائة بعير ، فمن زَاد فهو من أَهل الجاهلية .

أَيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أَرضكم هذه ، ولكنه [2] قد رضى أَن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحقِّرُونَ من أَعمالكم ، أَيها الناس : إنما النَّسىء [3] زِيَادَةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونَهُ عاماً ويحرمونه عاماً ليواطِئُوا عِدَّة ما حَرَّمَ الله ، وَإِن الزمان قد استدار كهيئتِهِ يوم خلق الله السموات والأَرض ، وَإِن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات وَالأَرض ، منها أَربعة حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وَوَاحد فرد : ذو القعدة وذُو الحِجَّة ، والمحرَّم ، وَرجب [4] الذى بين جُمَادى وشعبان ، أَلا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

---

(١) القود : القصاص أى من قتل عمدا يقتل .

(٢) فى رواية انكامل لابن الأثير : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه يطاع فيما سوى ذلك وقد رضى بما تحقرون من أعمالكم » .

(٣) أى تأخير حرمة شهر إلى آخر وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ، فان احتاجوا أحلوه وحرموا ربيعا الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم ينادى فى القبائل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه – زيادة فى الكفر أى كفر آخر ضموه إلى كفرهم ليواطئوا أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمه ، وكانوا ربما زادوا فى عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا ولذا نص على العدد المبين فى الكتاب والسنة وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان فى السنة التاسعة التى حج فيها أبو بكر بالناس فى ذى القعدة وفى حجة الوداع فى ذى الحجة وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . . الخ » تفسير الألوسى ج ٣ ص ٣٠٥

(٤) قالوا فى تثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يُوطِئن فَرْشكم غيرَكم ، ولا يُدخِلنَ أحَداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذنَ لكم أن تَعْضُلُوهنّ[1] وتَهجُروهُنّ فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقُهُنّ وكِسْوَتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عَوَانٍ[2] لا يَمْلكْنَ لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يَحِلُّ لامرئ مالُ أخيه إلا عن طِيب نفس منهُ ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد ! فلا تَرْجعُنّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تَضِلوا بعده : كتَابَ الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد!

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كُلُّكُمْ لآدمَ ، وآدمُ من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فَضْلٌ إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا نعم . قال فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قَسَمَ لكل وَارِث نَصِيبَه من الميراث ، وَلا يجوز لِوَارِثٍ وَصيةٌ ، وَلا يجوز وَصيَّةٌ فى أكثر من الثلث ،

---

(١) العضل : الحبس والتضييق .

(٢) جمع عانية من عنا أى خضع وذلو ، العانى : الأسير .

وَالولد للفِرَاشِ وَلِلعاهِرِ الحَجَرُ[١] ،من ادَّعى إلى غير أبيهِ ، أو تولىَّ غير مَوَاليه ، فعليهِ لعنة الله وَالملائكة وَالناس أجمعين ، لاَ يُقْبل منهُ صَرفٌ وَلاَ عَدْلٌ[٢] ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطبته فى مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليهِ فوجدته ، مَوْعُوكاً[٣] قد عَصَب رأْسهُ ، فقال خذ بيدى يا فضْلُ ، فأَخذتُ بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد فى الناس فاجتمعوا إليه ، فقال :

«أما بعد : أيها الناس فإنى أَحمَدُ إليكم الله الذى لا إِلَه إلاَّ هو ، وإنه قد دنا منى خُفُوقٌ[٤] من بين أَظْهُرِكم ،فمن كنْتُ جَلدْتُ لهُ ظَهْراً ، فَهَذا ظَهْرى فَلْيَسْتَقِدْ[٥] منه ، ومن كنت شتمْتُ لهُ عِرْضاً . فهذا عِرضى فلْيَسْتَقِدْ منهُ ،ومن أَخذت له مالاً فهذا مالى فليأْخذ منه ، ولا يَخْشَ الشَّحْنَاء مِن قِبَلِى ، فإنها ليست من شأْنى ، أَلاَ وإِنَّ

---

(١) وللعاهر : أى الزانى ،أى لاحق له فى النسب ولاحظ فى الولد وإنما لصاحب الفراش ، أى لصاحب أم الولد وزوجه أو مولاها ، وهو كقوله الآخر ، : له التراب أى لا شىء له .

(٢) الصرف : التوبة والعدل الفدية ،وقيل الصرف القيمة والعدل المثل وأصله فى الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلا أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحدا ،أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ،ثم جعل بعد فى كل شىء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الذى يجب عليه وألزم أكثر منه.

(٣) مريضا .

(٤) خفق النجم يخفق خفوقا غاب والطائر طار والليل أكثره .

(٥) فليقتص ، من القود وهو القصاص ،أقاد القاتل بالقتيل قتله به ، واستقاد الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أخذ منى حقاً إن كَان له ، أو حَلَّلنى فلقيت ربى وأنا طيِّبُ النفس ، وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عنى حتى أقوم فيكم مراراً » .

ثمَّ نزل فصلَّى الظهر ، ثمَّ رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأُولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِوضَها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء ، فَلْيُؤدِّه ولا يقل فُضُوحُ الدنيا ، ألا وَإن فضوح الدنيا أَهْوَنُ من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أُحُد واستغفر لهم ، ثمَّ قال : إن عَبْداً خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر ، وَقال : فديناك بأنفسنا وآبائنا .

خطبة أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

(ت ١٣ هـ)

يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رِضوان الله عليه ، على النبى عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجًّى[(١)] بثوب ، فكشف عنهُ الثوب ، وقال :

« بأبى أنت وأمى ! طِبت حَياً ، وطِبْت ميتاً ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أَحد من الأَنبيـــاء من النبوّة ، فَعَظُمْتَ عن الصفة ، وَجلَلْت عن البكاءِ ، وَخَصَصْتَ حتى صرت مَسْلاة[(٢)] ، وَعَممْتَ حتى صِرْنا فيك سَوَاءً[(٣)] ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك[(٤)] . لَجُدْنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نَهيت عن الْبُكاءِ ، لأَنْفَدْنا عليك ماءَ الشُّئون[(٥)] ، فأَما ما لاَ نستطيع نفيَهُ عنا ، فكمد وإدنافٌ[(٦)]

---

(١) تسجية الميت : تغطيته .

(٢) خص الشيء من باب قعد خصوصا فهو خاص خلاف عم مثل اختص (وكلا الفعلين يستعمل متعديا ولازما) والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس فانك مع ما اختصصت به من مناقب النبوة ، قد نزل بك الموت ، فللعباد فيك أسوة حسنة .

(٣) أى عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء فى الحزن عليك والتفجع لفقدك .

(٤) يشير إلى قوله عليه السلام : « لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » قالت عائشة فسمعته وقد شخص بصره ، وهو يقول : « فى الرفيق الأعلى » فعلمت أنه خير فعلمت إذن وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح .

(٥) جمع شأن وهو مجرى الدمع إلى العين .

(٦) دنف المريض كفرح ، وأدنف : ثقل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

يَتَخَالفانِ ولا يَبْرَحانِ . اللهم فأَبْلِغْهُ عنا السلام ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خَلَّفْت من السكينة لم نَقِم لِمَا خَلَّفْت مِن الوحشة ، اللهم أَبلغ نبيك عنا ، واحفظه فينا » .

ثم خرج إلى الناس وهم فى شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم . فخطب خطبة قال فيها :

« أَشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له ، وأَشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وأَشهد أنَّ الكتاب كما نَزَل ، وأَنَّ الدِّين كما شرع ، وأَن الحديث كما حدَّث ، وأَن القول كما قال ، وأَنَّ الله هو الحق المبين . . . فى كلام طويل ، ثم قال : أَيها الناس ، من كَان يعبد محمداً فإنَّ محمَّداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حَىٌّ لا يموت ، وإنَّ الله قد تقدَّم إليكم فى أَمره ، فلا تَدَعوه جَزَعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابَهُ وسنة نبيه ، فمن أَخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أَنكر . يَـٰأَيُّها الَّذِين آمَنُوا كونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ[1] وَلا يَشْغَلَنَّكُمُ الشيطان بموت نبيكم ، ولا يَفْتِنَنَّكُم عن دينكم ، فعاجلوه بالذى تعْجِزُونَهُ ، ولا تَستنظروه فَيَلْحَقَ بكم » .

---

(١) القسط : العدل .

كلمته فى مرض وفاته

قال عبدُ الرحمن بن عوف ، : دخلت يوماً على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى عِلَّته التى مات فيها ، فقلت له : أراك بَارِئاً[١] ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أمَا إنِّى على ذلك لَشَديدُ الوَجَعَ ، ولَمَا لقيته منكم يا معشر المهاجرين أَشَدُّ عَلَىَّ من وَجَعى ، إنى وَلَّيْتُ أُمورَكم خيرَكُم فى نفسى ، فَكُلكُم وَرِمَ[٢] أنْفُه أَنْ يكُون له الأَمْرُ مِنْ دُونِه ، والله لَتَتَّخِذُنَّ نَضَائِد الدِّيباج[٣] ، وسُتور الحرير وَلَتَأْلَمُنَّ النوم على الصوف الأَذْرَبِى[٤] ، كما يأْلم أَحَدُكُم النومَ على حَسك السَّعْدَان[٥] . والذى نفسى بيده لأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُم فَتُضْرَبَ عُنُقُه فى غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ له من أن يخوض غَمَرَاتِ الدنيا ، يا هادِى الطريق جُرْتَ ، إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ[٦] » .

فقلت : خَفِّضْ عليك يا خليفة رسول الله ، فإنَّ هذا يَهيضُك[٧] إلى ما بك ، فوالله ما زِلْتَ صالحاً مصلحاً ، لا تَأْسَ على شر فَاتَك من أمر الدنيا ، ولقد تَخَلَّيت بالأَمْرِ وَحدَك فما رَأَيْت إلا خيراً .

(١) يتفاءل له بالشفاء والبرء من مرضه .
(٢) غضب .
(٣) نضائد : ج نضيدة وهى الوسادة .
(٤) المنسوب إلى أذربيجان وهو ناعم فاخر .
(٥) السعدان : شجر له شوك صلب .
(٦) الفجر أو البجر : كناية عن الهداية والضلالة .
(٧) يهيضك إلى ما بك : يؤلمك ويضرك زيادة على ما أنت فيه من مرض .
(٨) لا تحزن .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(ت ٢٣ هـ)

وصيته إلى سعد بن أبى وقاص :

أما بعـد :

فإنى آمُركَ ومن معك من الأَجناد بتقوى الله على كلٍّ حال ، فإن تقوى الله أَفضلُ العُدَّة على العدو ، وأَقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أَن تكونوا أَشَدَّ احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوبَ الجيش أَخْوَفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنْصَر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأَن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدَّتنا كعدتهم ، فإذا استوَيْنَا فى المعصية : كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلَّا نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أَن عليكم فى سيركم حَفَظَةً من الله يعلمون ما تفعلون ؛ فاستَحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأَنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إنَّ عَدُوَّنا شر منا ، فلن يُسَلَّط علينا وإن أَسأْنا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عليهم شرٌّ منهم كما سُلِّطَ على بنى إسرائيل لما عملوا بمَسَاخِطِ الله كُفَّارُ المجوس : (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَار وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) ، واسأَلوا اللهَ الْعَوْنَ على أَنفسكم ، كما تسأَلونه النصر على عدوكم ، أَسأَل اللهَ ذلك لنا ولكم . وتَرفَّقْ بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشِّمهم مَسيرًا يتعبهم ، ولا تقصِّر بهم عن منزل يَرْفُقُ بهم ، حتى يبلغوا عدوهم وَالسَّفَرُ لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون

إلى علو مُقيم ، حَامِي الأَنْفُسِ وَالْكُرَاعِ(١) ، وأَقِم بمن معك فى كل جُمْعَةٍ يومًا وليلة ، حتى تكون لهم رَاحَةٌ يجمُّون فيها أنفسَهم ، وَيَرُمُّونَ(٢) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قُرَى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلَّا من تثق بدينه ، ولا يَرْزَأْ(٣) أحدًا من أهلها شيئًا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابْتُلوا بالصبر عليها . فما صَبَرُوا لكم فتولوهم خيرًا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وَطِئْتَ أرض العدوِّ فَأَذْكِ(٤) العيون بينك وبينهم ، ولا يَخْفَ عليك أَمْرُهم ، وليكن عندك من العرب ، أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صَدَقك فى بعضه ، والغاش عَيْن عليك ، وليس عينًا لك ، وليكن منك عند دنوِّك من أرض العدوِّ أن تُكثر الطلائع ، وَتَبُثَّ السَّرايا(٥) بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم وَمَرَافِقَهُم ، وتَتَّبع الطلائع عوراتِهم ، وَتَنَقَّ(٦) للطلائع أَهْلَ الرَّأْيِ والبأس من أصحابك ، وَتخيَّر لهم سوابقَ الخيل ، فإن لَقُوا عدُوًّا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السَّرايا إلى أهل الجهاد ، والصَّبْرِ على الجلَاد ، وَلَا تَخُصَّ بها أحدًا بهَوًى ، فتضيع من رأيك وأمرك ، أكثر ممَّا حابيت به أهل خاصتك ،

(١) إسم يجمع الخيل .

(٢) رمه يرمه : أصلحه .

(٣) رزأه ماله : أصاب منه شيئاً .

(٤) أذكى عليه العيون : إذا أرسل عليه الطلائع .

(٥) جمع سرية وهى من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة .

(٦) تنقاه وانتقاه : اختاره .

وَلَا تبعثن طليعة ، وَلَا سَرِيَّةً ، فى وَجْهٍ تتخوَّف فيه غَلَبَةً ، أَو ضَيْعةً وَنِكاية ، فإِذاعاينت العدوَّ ، فاضمم إِليك أَقاصِيَكَ وطلائعك وسراياك ، واجمع إِليك مكيدتك وقوَّتك ، ثم لا تعاجلهم[ب]المناجزةَ ، ما لم يَسْتَكْرِهك قتال ، حتى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عدوِّك ومَقَاتِله ، وتعرف الأَرض كلَّها كمعرفة أَهلها ، فتصنع بعدوِّك ، كصنعه بك ، ثم أَذكِ أَحراسك على عسكرك ، وَتَيَقَّظ من الْبَيات جُهْدَكَ ، ولا تُؤْتَى بأَسير ليس له عَقْد إِلَّا ضربت عنقه ، لِتُرْهِبَ به عدوَّ الله وعدوَّك ، والله ولى أَمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوِّكم ، والله المستعان .

رسالة عمر فى القضاء

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى :
أما بعد فإن القضاء فريضةٌ مُحكمة ، وسُنة متَّبعة : فافهم إذا أدلى إليك الخصم ، فإنه لا ينفع تَكَلُّمٌ بحق لانفاذ له، آسِ[1] بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حَيْفك ولا يخاف ضعيفٌ من جوْرك . البينةُ على من ادعى واليمينُ على من أنكر ، والصلح جائز بين المُسلمين إلا صلحاً أَحَلَ حراماً أوحَرَّم حلالا . ولا يمنعك قضاءٌ قضيت به بالأمس ثم راجعتَ فيه نفسك وهُدِيتَ فيه لرشدك أن ترجع عنه : فإن الحق قديم والرجوع إليه خير من التمادى على الباطل . الْفَهْمَ الفهم[2] فيما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وأعرف الأمثال والأشباه ، وقِس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أَحَبِّها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ؛ واجعل للمدعى أمداً ينتهى إليه ،فإن أحضر بينته أخذتَ له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء ؛ فإن ذلك أجلى للعَمَى وأبْلَغ فى العُذر . والمسلمون عُدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حَد ، أو مُجَرَّباً عليه شهادةُ زور ، أو ظنيناً[3] فى ولاءٍ أو قَرابة أو نسب ؛ فإن الله تَوَلَّى منكم السرائر ، ودَرَأ عنكم بالبينات والأيمان ! ثم إياك والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحقوق التى يُوجب اللهُ بها الأجر ويُحسن بها الذخر ، فإنه من تَخلُص نيَّتُه فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكْفِه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَزَيَّن للناس بما يعلم اللهُ خِلافه منه هَتَك اللهُ[4] ستره .

(١) آس : سو ، والمواساة : المساواة . (٢) يقوم المصدر هنا مقام فعل الأمر أى تحر دقة الفهم .
(٣) ظنينا : أى متهما . (٤) هتك : كشفه .

الأشتر النخعى

(٣٨ هـ)

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر ، أدرك الجاهلية ، وأول ماعرف عنه أنه حضر خطبة عمر بن الخطاب فى الجابية ، وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها . وكان ممن ألب على عثمان بن عفان وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل ويوم صفين وهو فى صفوف على بن أبى طالب ، وولاه على مصر فقصدها فمات فى الطريق ، فقال على : رحم الله مالكا فلقد كان لى كما كنت لرسول الله . .

وقد اشتهر الأشتر بفصاحته فكان خطيباً مفوَّها ، وشاعرًا مجيدًا ، كما اشتهر بشجاعته وشدة بأسه فى القتال ، توفى فى حدود سنة٣٧ هـ .

خطبة الأشتر فى المنهزمين من الميمنة *

ولما انهزمت ميمنة العراق ، قال له على : يا مالك ، قال : لَبَّيْكَ ، قال : ائت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فِرَارُكُم من الموت الذى لن تَعجزوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم » فمضى فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلَىَّ أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعْرَفُ فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلَىَّ أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنهُ طائفة ،

فنادى : أيها الناس ، عَضِضَتم بهَن[1] آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيها الناس : أخلِصُوا إلى مَذْحِجا[2] . فأقبلت إليه مذحج فقال :

«عضضتم بصُتَم[3] الجندل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتم له فى عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحابُ الغَارَاتِ ، وفتيان الصَّبَاح[4] ، وفُرْسان الطِّراد[5] ، وَحُتُوفُ[6] الأقْران ، ومذحج[7] الطَّعان ، الذين لم يكونوا يُسْبَقُون بثأرهم ، ولا تُطَلُّ[8] دماؤهم ، ولا يُعْرَفُونَ فى مَوْطِنٍ بخَسْف[9] ، وأنتم حَدُّ أهل مصركم ، وأعَزُّ حَىّ فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ، فاتقوا مأثور الأحاديث فى غــد ، وَاصْدُقُوا عدوَّكم اللقَاء ، فإن الله مع الصادقين ، والذى نفس مالك بيده ما من هؤلاءِ (وأشار بيده إلى أهل الشأم) رَجُلٌ على مثال جَنَاحِ بَعُوضةٍ من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم ما أحسنتم القِرَاع[10] ، اجلُوا سَوَاد وجهى ، يرجع فى وجهى دمى ، عليكم بهذا السَّوَاد الأعظم ، فإن الله عزَّ وجلَّ لو قد فضَّه ، تَبِعَهُ من بجَانبيهِ كما يتبع مُؤَخَّر السيل مُقَدَّمه » .

قالوا خذ بنا حيث أحببت .

---

(١) الهن : اسم يكنى به عن الفرج . (٢) كان الأشتر من النخع (بالتحريك) ، وهى قبيلة كبيرة من مذحج باليمن .

(٣) الصتم : جمع صتمة (كغرفة) ، وهى الصخرة الصلبة كالصتيمة . (٤) الغارة .

(٥) مطاردة الأقران وطرادهم أى حمل بعضهم على بعض .

(٦) جمع حتف وهو الموت .

(٧) ذحج : سحج وجر من موضع لآخر .

(٨) لا تذهب هدرا دون ثائر .

(٩) ذل (١٠) النزال

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(ت ٤٠ هـ)

خطب علي بن أبي طالب فقال :

أمّا بعدُ ، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة ، وجُنّته[(١)] الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُّل وشمله[(٢)] البلاءُ ، وديث بالصغار والقماءِ ، وضُرب عى قَلْبه بالأَسدادِ ، وأديلَ الحقَّ منه بتضييع الجِهاد وسيم الخَسْفَ[(٣)] ومُنع النَّصَف .

ألا وإنى قد دعوْتُكم إلى قتال هؤُلاءِ القوم ليلا ونهاراً وسِرًا وإعْلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قومٌ قط فى عُقر دَارهم إلا ذَلّوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنَّت عليكم الغارات ومُلِكَت عليكم الأَوطان .

وهذا أخو غامد[(٤)] وقد وردت خيلُه الأَنبارَ وقد قتل حسان ابن ثابت البَكْرىّ وأزال خيلَكُم عن مَسَالحها ولقد بلغنى أن

---

(١) الجنة بضم الجيم : الوقاية ، والستر .

(٢) شمله البلاء : عمته المصائب .

(٣) الخسف : الذل .

(٤) أخو غامد : سفيان بن عوف الذى أرسله معاوية لشن الغارات على أطراف العراق .

الرجل منهم كان يَدخُل على المرأة المسلمة ، والأُخرى المعاهَدة ، فينْتَزِع حجْلها وقُلْبَها وقلائِدَها وَرعاثَها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاستِرْحام.

ثم انصرفوا وافرين ما نال رَجُلاً منهم كَلْمٌ ، ولا أُريق لهم دَمٌ ، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أَسَفاً ماكان به مَلُوماً ، بل كان به عندى جَديراً .

فيا عجباً عجباً والله يُميتُ القلب ويجلب الهمَّ من اجتماع هؤلاءِ القوم على باطلهم وتفرُّقكم عن حقِّكم ! ، فَقُبحاً لكم وتَرَحاً حين صِرتُم غَرَضاً يُرْمَى ، يُغَار عليكم ولا تُغِيرُون ، وتُغْزَوْن ولا تَغْزُون ، ويُعْصَى اللهُ وتَرضَون !

فإذا أَمَرْتُكُم بالسَّيرْ إليهم فى أيام الصَّيف قُلْتُم ؛ هذه حَمَارَّةُ القيظ[1] أَمْهِلْنا يُسبَّخْ[2] عنَّا الحرُّ ، وإذا أمرتُكم بالسيرْ إليهم فى الشِّتاءِ قلتم : هذه صَبَارَّةُ القُرِّ[3] ، أَمْهِلْنا ينْسَلِخْ عنا البرْدُ ، كل هذه فِراراً من الحَرِّ والقرِّ ، [فإذا كنتم من الحَرِّ والقُرِّ تفرُّون] فأَنتم والله من السيف أَفَرُّ .

يا أَشباهَ الرِّجالِ ولا رجالَ ! حُلُومُ[4] الأَطفال ، وعُقُولُ رَبَّات الحِجَالِ[5] ، لَوَدِدْتُ أَنى لمْ أَرَكُمْ ولم أَعْرِفكم ! معرفةٌ واللهِ جَرَّتْ

---

(١) حمارة القيظ : أشدة .

(٢) يسبخ : يخف .

(٣) صبارة القر : شدة البرد .

(٤) حلوم : عقول .

(٥) ربات الحجال : النساء .

ندَماً وأعقبَتْ سَدَماً[1] قاتلكم اللهُ!! لقد مَلأْتُم قلبى قيحاً ، وشَحَنْتم صدرى غيْظاً ، وجَرَّعْتُمونى نُغَبَ التَّهْمَام أنفاساً وأفْسَدتُم عَلَىَّ رأيى بالعِصْيان والخِذْلان ؛ حتى قالت قريشٌ : إن ابن أَبى طالب رجُل شجاع ، ولكنْ لا عِلْمَ له بالحَرْبِ .

لله أَبوهم !!وهل أَحدٌ منهم أَشدُّ لها مِراساً[2] ، وأَقْدَمُ فيها مَقاماً مِنى ؟ ! لقد نهَضْتُ فيها وما بلغْتُ العشرين ، وَهَا أَنا ذَا قد ذَرَّفْتُ[3] على السِّتِّين ، ولكنْ لا رأى لمَن لا يُطَاعُ ! ! .

(١) السدم : الأسف .

(٢) المراس : المعاناة ، والتمرين .

(٣) ذرفت على الستين : زادت سنى على الستين .

زياد بن أبيه

(ت ٥٣ هـ)

لم يكن أبوه معروفاً ، فدعاه الناس زياد بن سمية . ثم اشتهر باسم زياد بن أبيه ، وأراد معاوية بن أبى سفيان أن يستميله فأشهد الشهود على أن زياداً أخوه لأبيه فى عام ٤٤ هـ ، أى بعد وفاة على ابن أبى طالب الذى ولاه على فارس بأربع سنوات .

كان من مشاهير الخطباء ، وكان أديباً بارعا ، وإداريا حازما ، فعد من دهاة العرب . ولاه على بن أبى طالب على فارس ، فضبطها وجمع أمورها . وولاه معاوية بن أبى سفيان بعد وفاة على على البصرة ثم ضم إليه الكوفة ، وملك العراق خمس سنوات فضبطه وأقر الأمن فيه .

توفى زياد فى الكوفة فى عام ٥٣ هـ .

لما ولى زياد البصرة قدمها فى غرة جمادى الأولى فى عام ٤٥ هـ ، وكان الفسق فيها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بتراء (أى لم يحمد الله فيها) فقال هذه الخطبة :

خطبة زياد بن أبى سفيان — البتراء

« أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَىّ الموفى بأهله على النار ، مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليــه حلماؤكم ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية[1] . ولا تذكرن أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله ؟ ما هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر ، والعدد غير قليل ؟ ألم تكن منكم نهاة[2] تمنع الغواة[3] عن دلج الليل[4] وغارة النهار[5] ؟ قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر ، وتغضون عن المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه[6] ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً[7] .

---

(١) اختار الفانية على الباقية : أى فضل الدنيا على الآخرة .

(٢) نهاة جمع ناه . من يمنع الآخرين عن عمل الشر .

(٣) غواة جمع غاو : ضال مفسد .

(٤) دلج الليل : الذهاب فى ستر الليل للفسق .

(٥) غارة النهار : الغزو والسرقة .

(٦) يذب عن سفيهه : يدافع عن الأشرار الذين ينفذون مآربه ويبرر أعمالهم .

(٨) المعاد : البعث فى الآخرة .

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا[١] وراءكم[٢] كنوساً فى مكانس الريب[٣] . حرام علىَّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً .

إنى رأيت آخر هذا الأمر لايصلح إلا بما صلح به أوله : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف . وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انْجُ سعد ، فقد هلك سعيد . أو تستقيم قناتكم .

إن كذبة المنبر بلقاءُ مشهورة ، فإذا تعلقتم علىَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، فإذا سمعتموها منى فاعتموزها فى واعلموا أن عندى أمثالها. من نقب منكم عليه . فأنا ضامن لما ذهب منه . فإياى ودلج الليل فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم .

وإياى ودعوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرّق قوماً غرقناه[٤] ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيــه ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

---

(١) أطرقوا : اختبئوا وهدءوا . (٢) وراءكم : محتمون بكم .

(٣) كنوسا جمع كانس : مختف . مكانس الريب : الأماكن المشبوهة .

(٤) غرق قوما : فجر فى أرضهم الماء .

وقد كانت بينى وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دَبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مسيئاً فلينزع من إساءته .

إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بُغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له سترا ، حتى يبدى لى صفحته[1] ،فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا . واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاءً ولا رزقا عن إبانِه ولا مُجَمِّرًا لكم بعثا . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل . وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله . وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى .

---

(١) يبدى لى صفحته : يشكو إلى ما به من تلقاء نفسه .

رد زياد بن أبى سفيان

عَلى

معاوية بن أبى سفيان (*)

« أما بعد : فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شُعبة وفهمتُ ما فيه ، فالحمد لله الذى عرَّفك الحقَّ وردك إلى الصِّلة ولست ممن يجهل معروفاً ، ولا يُغْفِل حسباً ، ولو أردت الآن أن أُجيبك بما أوجَبَته الحجةُ ، واحتمله الجواب ، لطال الكتاب ، وكثر الخِطابُ ، ولكنك إن كنت كتبتَ كتابك هذا عن عَقْدٍ صحيح ونية حسنة ، وأردت بذلك براً ، فستزرع فى قلبى مَودة وقَبولا ، وإن كنت إنما أردت مَكيدة ومكراً وفساد نِيَّة ، فإن النفس تأبَى ما فيه العَطَبُ ، ولقد قمتُ يوم قرأت كتابك مقاماً يَعْيا به الخطيبُ المِدْره (١) ، فتركتُ مَنْ حضر لا أهلَ وِرْدٍ (٢) ولا صَدَر (٣) كالمتحيِّرين بمَهْمَهٍ (٤) ضل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير » .

(*) الكتاب رد على كتاب أرسله إليه معاوية بن أبى سفيان مع المغيرة بن شعبة (سيرد فى موضعه) .

(١) المدره : المقدم فى اللسان عند الخصومة .

(٢) الورد : الإشراف على الماء وغيره دخله أو لم يدخله .

(٣) الصدر : الرجوع .

(٤) المهمه : المفازة البعيدة والبلد المقفر .

وكتب فى أسفل الكتاب .

إذا معْشَرى لم يُنْصِفونى وجدتَنى — أُدافِعُ عنى الضَّيم ما دمتُ باقيا
وكم عشرٍ أعيَت قَناتى عليهمُ — فلاموا وألْفَونى لدى العزم ماضيا
وهَمٍّ به ضاقت صدور فَرَجْتُهُ — وكنت بطبِّى للرجال مُداويا
أُدافعُ بالحلم الجَهُول مكيدةً — وأُخفِى له تحت الضلوع الدواهيا
فإن تدنُ منى أدنُ منك وإن تَبِنْ — تجدْنى إذا لم تدْن منِّىَ نائيا

(١) وإن تبن : أى وإن تفارق وتبعد .

عائشة رضى الله عنها

(ت ٤٧ أو ٥٨ هـ)

خطبة السيدة عائشة فى الانتصار لأبيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أَزْفَلَةٍ [١] من الناس ،فلما حضروا أَسْدَلَت [٢] أستارها ، وَعَلَت وَسادها ، ثم قالت :

«أبى وما أَبيَه ، أبى والله لاتَعْطُوه [٣] الأَيدى ، ذاك طَوْد مُنيف، [٤] وَفَرْع [٥] مديد ، هيهات كَذَبت الظنون ، أنجح [٦] إذ أَكْدَيتم [٧] ، وسبق إذ وَنَيتم ، سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأَمَد [٨] ، فتى قريش ناشئاً ، وكهفها [٩] كهلاً ، يفك عانيها ، وَيريش [١٠] مُمْلِقها ،

---

(١) جماعة .

(٢) سدله يسدله : كنصر وضرب وأسدله أرخاه .

(٣) تتناوله . (٤) الطود : الجبل . والمنيف : المشرف .

(٥) فرع كل شيء أعلاه ومن القوم شريفهم .

(٦) أنجح : صار ذا نجح .

(٧) الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة والصفاة العظيمة الشديدة وحفر فأكدى إذا صادفها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلها) ونيتم أى فترتم وضعفتم .

(٨) الغاية والمنتهى .

(٩) الكهف : الوزر والملجأ . والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين .

(١٠) راش السهم يرشه ألزق عليه الريش كريشه والمراد يعينه ويساعده .

وَيَرأَب[١] شَعْبَهَا ، ويَلُمُّ شَعَثَهَا ، حتى حَلِيته[٢] قلوبهَا ، ثم استشرى[٣] فى دين الله ، فما برحت شكيمته[٤] فى ذات الله عزَّ وجلَّ ، حتى اتخذ بِفِنَائِه مسجداً ، يحيي فيه ما أَمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدَّمعة ، وَقيذ[٥] الجوانح ، شَجىَّ النَّشِيج[٦] ، فانْقَضَّت إليه نسوان مكة وَولدانها يسخرون منه ويستهزئون به « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بهمْ ، وَيَمُدُّهُمْ فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »[٧] فأَكبرت ذلك رجالاتُ من قريش ، فحنت قِسِيَّهَا ، وفَوَّقَت[٨] سهامها ، وامتثلوه[٩] غرضًا . فما فَلُّوا له صَفَاة[١٠] ، ولا قصفوا له قناة ، ومرَّ على سِيسائِه[١١]

---

(١) يصلح . والشعب الصدع .

(٢) حلى الشيء : استحلاه .

(٣) غضب ولج .

(٤) الشكيمة : الأنفة . وفى اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس وهو شديد الشكيمة أنف أبى لا ينقاد .

(٥) الوقيذ : الصريع والشديد المرض المشرف .

(٦) الشجى : الحزين ، والنشيج : صوت البكاء نشج الباكى ينشج كجلس غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .

(٧) العمه بفتحتين : التردد فى الضلال .

(٨) فوق السهم : جعل له فوقا ، وهو موضع الوتر من السهم .

(٩) امتثلوه : مثلوه .

(١٠) الحجر الصلد : الضخم .

(١١) شدته . حمله على سيساء الحق أى على حدة والسيساء : عظم الظهر ، والعرب تضربه مثلا لشدة الأمر .

حتى إذا ضرب اللبن بِجِرانه[١]، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً[٢] وأشتاتاً، اختار الله لنبيه ماعنده، فلما قَبَضَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رِوَاقه[٣]، وَمَدَّ طُنُبه[٤]، وَنَصبَ حبائله، وأَجاب[٥] بخيله ورجله، واضطرب حبل الإسلام، وَمَرِجَ[٦] عهده، وماج أهله، وَبُغِي الغوائلُ، فظنت رجال أن قد أكثبت[٧] أطماعُهُم، ولات حين الذي يرجون، وأنَّى والصِّديقُ بين أظهرهم، فقام حاسراً مشمراً، فجمع حاشيتيهُ[٨]، ورفع قُطريه[٩]، فرد رَسَن[١٠] الإسلام على غَرْبه[١١]، ولمَّ شَعَثَهُ بطبه، وانتاش[١٢] الدين فنعشهُ: فلما أراح الحقَّ

---

(١) جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.

(٢) جمع رسل بفتحين وهو القطيع من كل شيء.

(٣) فسطاطه.

(٤) حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد.

(٥) أجلب: صاح. والخيل الخيالة، ومنه يا خيل الله اركبي والرجل: اسم جمع راجل كالصحب والركب، أي صاح بالركاب والمشاة وقرئ ورجلك بكسر الجيم وضمها.

(٦) المرج: بفتحتين: الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإنما يسكن مع الهرج)

(٧) أكثب: قرب، والنهز جمع نهزه بضم النون وهى الفرصة.

(٨) حاشية كل شيء: جانبه وطرفه.

(٩) القطر: الناحية.

(١٠) الحبل.

(١١) الغرب: حد الشيء.

(١٢) انتشل. ونعشه الله كأنعشه ونعشه: رفعه.

على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها[١] ، وحقن الدماء فى أهبها[٢] ، أتته منيتهُ ، فسد ثُلْمته بنظيره فى الرحمة ، وشقيقه فى السيرة والمعدلَة ، ذاك ابن الخطاب ، فلله درّ أمّ حملت به ، ودرّت عليه ، لقد أوحدت[٣] به ، ففنّخ[٤] الكفرة ، وديّخها[٥] ، وشرد الشرك شَذَرَ مَذَرَ[٦] ، وبَعج[٧] الأرض وبَخَعها[٨] ، فقاءت أُكُلَهَا ولفظت خَبْأها ، تَرأمه[٩] وَيَصْدِف عنها ، وتَصَدّى له ويأباها ، ثم وزع فيها فيئها ، وودعها كما صحبها ، فأرونى ، ماذا ترتئون ، وأىّ يومَىْ أبى تنقِمون ، أيوم إقامتهِ إذ عدل فيكم ، أم يوم ظَعْنَه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت أنشدُكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا » .

---

(١) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

(٢) جمع إهاب وهو : الجلد ، والمراد الأجسام .

(٣) أوحدت المرأة : ولدت واحدا ، أى جاءت به منفردا لا نظير له .

(٤) أذل وقهر .

(٥) داخ البلاد ودوخها وديخها : قهرها واستولى على أهلها .

(٦) تفرقوا شذر مذر : ذهبوا فى كل وجه .

(٧) شقها ، كناية عن الفتح .

(٨) يعنى قهر أهلها ، واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك .

(٩) تعطف عليه . ويصدف : يعرض .

* * *

صعصعة بن صوحان

(ت ٦٠ ﻫ)

هو صعصعة بن صُوحان بن حجر بن الحارث العبدى من سادات عبد القيس من أهل الكوفة ، ولد فى دارين فى تاريخ غير معروف ، واشتهر بفصاحته وبلاغته وحكمته ، كان خطيباً وشاعراً . وشهد وقعة معاوية مع على بن أبى طالب ، وله مواقف جريئة مع معاوية بن أبى سفيان . وقد نفاه المغيرة بن شعبة والى الكوفة إلى البحرين فى جزيرة أوائل أيام معاوية ، وتوفى هناك سنة ٥٦ ﻫ .

* * *

صعصعة بن صوحان مع عبد الله بن عباس

سأل ابنُ عباس صعصعة بن صوحان : ما السُّودد[١] فيكم؟ فقال : « إطعامُ الطعام ، ولِين الكلام ، وبذْلُ النَّوال ، وكفُّ المرءِ نَفْسه عن السؤال ، والتوددُ للصغير والكبير ، وأن يكون الناس عندك شَرَعاً[٢] » . قال : فما المُرُوءة ؟ قال : « أخَوان اجتمعا ، فإن لَقِيا قَهَرا[٣] (وإن كان) حارسُهما قليل ، وصاحبهما جليل ،

---

(١) السودد بفتح الدال غير مهمور والسؤدد بضم الدال مهموزا والسيادة والسود .

(٢) شرعا بسكون الراء وفتحها أى سواء .

(٣) أى أنهما قوتان عظيمتان لصاحبهما تقهران ما يلقاه من الشدائد والصعاب وقوله « إن كان » أى وإن كان مالقياه عظيما ، ولعله زيادة من خطأ النساخ أو الطباع .

محتاجان[١] إلى صيانة مع نزاهة وديانة» . قال: فهل تحفظ فى ذلك شعراً ؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول مُرَّةَ بن ذهل بن شَيبان حيث يقول :

إن السِّيادةَ والمُرُوءَة عُلِّقا حيثُ السَّماءُ من السِّماكِ الأَعْزَلِ[٢]

إذا تقابل مُجْريانِ لِغَايةٍ عثَرَ الهجينُ وأَسْلَمتْه الأَرجُلُ[٣]

ويجى الصَّريحُ معَ العِتَاقِ مُعوَّدا قربَ الجياد فلم يجئه الأَفْكَلُ[٤]

فى أبيات . فقال له ابن عباس: لو أن رجلا ضرب آباطَ[٥] إبله ، مُشَرِّقاً ومُغَرِّباً لِفائِدة هذه الأَبيات ماعنَّفْتُه . إنا منك يابن صُوحان لَعلَى عِلْمٍ وحِلْمٍ واستنباطِ ماقد عفَا[٦] من أخبار العرب ، فمن الحليمُ فيكم ؟ قال: «من ملَك غَضَبْ فلم يفْعل ، وسُعِى إليه بحقٍّ أو باطل . فلم يقْبلْ ، ووجد قاتل أبيه وأخيه ، فصفح ولم يقتُل ، ذلك الحليم يابن عباس» . قال: فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال: «ولا قليلا ، وإنما وصفتُ لك أقواماً . لاتجدهم

---

(١) فى الأصل «لحاجان» وهو تحريف .

(٢) السماكان الأعزل والرامح: نجمان نيران وسمى أعزل لأنه لاشىء بين يديه من الكراكب كالأعزل الذى لا سلاح معه كما كان مع الرامح .

(٣) فرس هجين إذا لم يكن عتيقاً كريماً وأسلمته : خذلته .

(٤) لم يجئه الأفكل أى لم تصبه الرعدة «ويلاحظ أن فى هذا الشعر عيباًمنعيوب القافية وهوالإقواء لأنحركة الروى فى البيت الأول كسر وفى الثانى والثالث ضم وقد وقع فى شعر النابغة الذبيانى وحسان بن ثابت وبشر بن أبى حازم . . . . » .

(٥) آباط جمع إبط كحمل . إبل : باطن المنكب .

(٦) درس وامحى .

إلا خاشعين راهبين ، لله مُريدين، يُنِيلون ولا ينالون ، فأما الآخَرُونَ فإنهم سبق جهلُهم حلمهم، ولا يبالى أحدهم (إذا ظَفِر ببُغيته) حين الحفيظة[1] من كان ، بعد أن يُدرك زعمه، ويقضى بُغْيته ، ولو يَتِره أبوه لقَتَل أباه، أو أخوه لقَتَل أخاه ، أما سمعت إلى قول ريَّان بن عمْرو بن ريَّان، وذلك أن عمراً أباه قتله مالكُ ابن كُومة ، فأقام ريَّانُ زماناً ثم غزامالكا، فأتاه فى مائتى فارس صباحاً ، وهو فى أربعين بيتاً فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل - ويقال بل كان أخاه - وذلك أنه كان جاوَرَهم ، فقيل لريان فى ذلك : قتلت صاحبنا، فقال :

فلو أُمِّى ثَقِفْتُ بحيثُ كانوا لَبَلَّ ثِيابَهَا عَلَقٌ صَبِيبُ[2]

ولو كانت أُميَّة أُخْتُ عمرو بهذا الماءِ ، ظَلَّ لها نَحِيبُ

شَهَرْتُ السيفَ فى الأَدْنَيْنَ مِنِّى ولم تَعْطِف أَوَاصِرَنا قُلُوبُ[3]

فقال ابن عباس : فمن الفارسُ فيكم ؟ حُدَّ لى حَدًّا أسمعه منك ، فإنك تضع الأشياء مواضعها يابن صوحان ، قال : «الفارس مَنْ قَصُر أَجلُه فى نفسه، وَضَغَم على أمله بضِرْسه ، وكانت الحرب

---

(١) الحمية والغضب .

(٢) ثقفه كسمعه : صادفه والعلق : الدم أو الشديد الحمرة وصبيب أى مصبوب .

(٣) أواصر جمع آصرة وهى القرابة وحبل صغير يشد به أسفل الخباء .

(٤) ضغمه كنع عضه .

أَهونَ عليه من أَمْسِهِ ، ذلك الفارس إذا وَقَدَت[1] الحروب ، واشتدت بالأَنفس الكروب ، وتداعَوا للنِّزال ، وَتزاحفُوا لِلْقِتال ، وتخالسوا المُهَج[2] ، واقتحموا بالسيوف اللُّجَج » ، قال : أَحسنتَ والله يابن صُوحان ، إنك لَسَلِيلُ أَقْوَامٍ كِرامٍ ، خُطَبَاءَ فُصَحَاءَ ، ماوَرِثت هذا عن كَلَالة[3] ، زدْنى ، قال : «نعم ، الفارس كثير الحَذَر ، مُدِير النَّظَر ، يلتفت بقلبه ، ولايدير خَرَزَاتِ صُلْبه[4] » . قال : أَحسنت والله يابن صُوحان الوصفَ ، فهل فى مثل هذه الصفة من شعر ؟ قال : نعم ، لزهير بن جَنَاب الْكَلْبى[5] يرثى ابنه عمراً حيث يقول :

فارسٌ تَكْلَأُ الصَّحابَةَ مِنْه ... بحُسَامٍ يَمُرُّ مَرَّ الحَرِيق[6]

لاتَرَاهُ لَدَى الْوَغَى فى مَجَالٍ ... يُغْفِلُ الضَّرْبَ لاَ ولا فى مَضِيق

مَنْ يَرَاه يَخَلْهُ فى الحَرْب يوما ... أَنه أَخْرَقٌ مُضَلٌّ الطريق

---

(١) وقدت النار (كوعد) توقدت .

(٢) المهج جمع مهجة وهى الروح وتخالسوها تبادلوا اختلاسها واستلابها .

(٣) تقول العرب : يرثه كلالة أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق قال الفرزدق :

ورثتم قناة الملك غير كلالة ... عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

والكلالة ما يكن من النسب لحا وبنو العم الأباعد وحكى عن أعرابى : أنه قال : مالى كثير ويرثنى كلالة متراخ نسبهم ، كل وارث ليس بوالد الميت ولا ولد له فهو كلاله موروثه .

(٤) أى فقرات ظهره .

(٥) شاعر جاهلى وهو أحد المعمرين .

(٦) كلأه : حفظه وحرسه .

(٧) الأخرق : الأحمق أما قوله فى أول البيت «من يراه» فهو مثل : «ألم يأتيك والأنباء تنمى» ومثل : « كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا » ... الخ وقد قال النحويون فى ذلك إثبات حرف العلة مع الجازم لغة وقيل ضرورة وقيل هو حرف إشباع والحرف الأصلى محذوف للجازم وعندى أنه ربما كان الأصل « من رآه » وعليه فلا محذور مع استقامة وزن البيت .

فى أبيات ، فقال له ابن عباس : فأين أخواك منك يابن صوحان؟ صِفْهُمَا لأَعْرِف وزنكم ، قال : أما زيد فكما قال أخو غَنيّ[١] .

فَتًى لا يُبَالى أن يكون بوجهه (إذا نال خَلَّاتِ الْكِرَام) شحُوبُ[٢]
إذا ما تَرَاءاهُ الرِّجالُ تَحَفَّظوا فلم ينطقوا الْعَوْرَاءَ وهو قريبُ[٣]
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعو النَّدَى فيُجيبه قَريباً وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيب[٤]
يَبِيتُ النَّدَى (يا أُمَّ عمرو) ضَجيعَه إذا لم يكن فى المُنْقِيَات حَلُوب[٥]
كَأَنَّ بُيُوتَ الحَيِّ (مالم يكن بها) بَسَابِسُ ما يُلْفَى بهن غَرِيبُ[٦]

فى أبيات ، كان والله يابنَ عباس ، عظيم المُرُوَّة[٧] ، شريف الأُخُوَّة ، جليل الخَطَر ، بعيد الأَثَر ، كَميش[٨] العُرْوَة ، أليف النَّدْوَة[٩] ، سليم جوانح الصدر ، قليل وَسَاوِسِ الدَّهر ، ذاكراً لله

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوى (شاعر جاهلى) والأبيات المذكورة من قصيدة يرثى بها أخاه المغوار وأولها :

تقول سليمى مالجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعامَ طبيب

(انظرها فى الأمالى ٢ : ١٥٠ والعقد الفريد ٢ : ١٩) .

(٢) خلات جمع خلة وهى الخصلة . وشحب لونه كجمع ونصر وكرم وعنى شحوبا : تغير من هزال أو جوع أو سفر .

(٣) العوراء : الكلمة القبيحة .

(٤) الندى : الجود .

(٥) المنقيات . ذات النقى (بالكسر) وهو الشحم ، ناقة منقية أى سمينة .

(٦) بسابس جمع بسبس كجعفر وهو القفر الخالى (وفى الأصل بسائس وهو تصحيف) .

(٧) مسهل عن المروءة .

(٨) يقال رجل كميش الأزار : أى مشمر جاد ورجل كميش : عزوم ماض سريع فى أموره .

(٩) الندوة والنادى والمنتدى والندى : مجلس القوم ومتحدثهم وفى الأصل « البدوة » وأراه مصحفا أو هو فعلة من البدو وهو الظهور أى ذو مظهر حسن يؤاف ولا يمج .

طَرَفَى النَّهار وَزُلَفاً[١] مِنَ الليل ، الجوعُ وَالشِّبَعُ عنده سِيَّانِ ، لايُنَافِسُ فى الدنيا ، وَأَقَلُّ أَصحابه مَنْ يُنافِس فيها ، يُطيلُ السكوتَ ، ويحفظ الكلام ، وإن نطق نطق بعُقامٍ[٢] ، يَهْرُب منه الدُّعَّار[٣] الأشرار ، ويألَفه الأَحرار الأَخيار » . قال ابن عباس : « ماظنك برجل من أهل الجنة ، رحم الله زيداً ، فأَين كان عبد الله منه ؟ » ، قال :

« كَان عبد الله سيداً شجاعا ، مُؤْلَفاً[٤] مُطَاعا ، خَيْرُهُ وَسَاعٌ[٥] ، وشره دُفَّاع ، قَلْبِىّ النَّحِيزَة[٦] ، أَحْوَذِىّ[٧] الغريزة ، لاَ يُنَهْنِهه[٨] مُنَهْنِهٌ عما أَراده . ولا يركَب من الأَمر إلاَّ عتَادَه[٩] ، سِمَام عِداً[١٠] ، وَبَاذل قِرًى[١١] ، صعب المَقَادَة ، جَزْل الرِّفادة[١٢] ، أَخو إِخْوَان ، وَفَتَى فِتْيان ، وهو كما قال الْبُرْجُمِىُّ عامرُ بن سنان :

---

(١) جمع زلفة بالضم وهى الطائفة من الليل .

(٢) داء عقام : لا يبرأ أى نطق بقوارص من الكلم جارحة مؤلمة لا دواء لها .

(٣) جمع داعر وصف من الدعارة بفتح الدال وكسرها وهى الخبث والفسق .

(٤) ألفته وآلفته : أنست به فهو مألوف ومؤلف .

(٥) على التشبيه بالفرس الوساع : وهو الجواد الواسع الخطو والذرع والدفاع : السيل العظيم والشىء العظيم يدفع به مثله « وفرس دفاع كشداد إذا تدافع جريه » .

(٦) القلب محض كل شىء ، والنحيزة الطبيعة أى خالص الطبيعة صافيها .

(٧) الأحوذى : الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لا يشذ عليه شىء .

(٨) نهنهه كفه وزجره .

(٩) عدته .

(١٠) سمام جمع سم والعدا : اسم جمع عدو أى هو سم قاتل للأعداء .

(١١) القرى : ما يقدم للضيف .

(١٢) الرفادة : العطية .

يَمَامُ عِداً ، بالنَّبْلِ يَقْتُلُ مَنْ رَمَى وبالسيفِ والرُّمْحِ الرُّدَينِيِّ يُشْعِبُ[1]

مَهِيبٌ مُفِيدٌ لِلنَّوَالِ مُعَوَّدٌ بِفِعْلِ النَّدَى وَالمَكْرُمَاتِ مُجَرَّب

في أبيات ، فقال له ابن عباس : أنت يابن صوحان باقر[2] علم العرب » .

(١) الرديني : نسبة إلى ردينة امرأة سمهر وكانا يصنعان الرماح . ويشعب : يمزق ويصدع

(٢) فاتح ومستنبط .

معاوية بن أبى سفيان

(ت ٦٠ هـ)

كتاب معاوية إلى زياد بن أبى سفيان

كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد ولّى زيادا بعض أعمال فارس، فلما قُتِل على بقى زياد فى عمله، فخاف معاوية جانبه، وعلم صعوبة ناحيته، فكتب إليه:

«من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان، أما بعدُ: فإن المرء ربما طَرَحَه الهَوَى فى مَطَارح العَطَب، وإنك لَلمرءُ المضروبُ به المثلُ: قاطِعُ الرَّحِم. وواصلُ العدوّ، حَمَلَك سوءُ ظنِّك بى، وبُغضك لى على أن عَقَقْتَ قرابتى، وقطعْت رَحِمى، وبَتَتَّ[1] نَسَبى وحُرْمَتى، حتى كأنك لست أخى، وليس صَخْر ابن حَرْب أباك وأبى! وشتان مابينى وبينك، أطلب بدم ابن أبى العاص[2] وأنت تقاتلنى، ولكن أدركك عِرْقُ الرَّخاوة مِن قبَل النساء، فكنت كتاركة بيضَها بالعَرَاء[3]: ومُلْحِفَة بيض أخرى جَنَاحَها، وقد رأيتُ أن أعطِفَ عليك، ولا أُؤاخذَك بسوء سعيك،

---

(١) قطعت.

(٢) أى عثمان وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية.

(٣) العراء: الفضاء لا يستتر فيه بشىء.

وأن أَصِلَ رَحِمَك ، وأَبتغِىَ الثواب فى أمرك ، فاعلم أبا المُغيرة أنك لو خُضْتَ البحر فى طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع مَتْنُه ، لَمَا أزددتَ منهم إلا بُعْدا ، فإن بنى عبد شمس أبغض إلى بنى هاشم من الشَّفْرَة إلى الثور الصَّريع وقد أُوثِقَ للذبح ؛ فارجع رحمك الله إلى أصلك واتَّصل بقومك ، ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره ، فقد أصبحتَ ضالَّ النسب ، ولَعمرى مافعل بك ذلك إلا اللجاجُ ، فدَعْه عنك فقد أصبحتَ على بيِّنةٍ من أمرك ، ووضوحٍ من حُجَّتك ، فإن أحببتَ جانبى ووثِقْتَ بى فإمْرَةٌ بإمرة ، وإن كرهْتَ جانبى ولم تثق بقولى ، ففِعْلٌ جميل ، لا علىَّ ولا لى ، والسلام » .

رد الحسين بن على رضى الله عنه

(ت ٦١ هـ)

على كتاب لمعاوية بن أبى سفيان

«أما بعد : فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنه انتهتْ إليك عنى أمور لم تكن تظنُّنى بها رغبةً بى عنها ، وإن الحسنات لايَهدِى لها ولا يُسَدِّد إليها إلا اللهُ تعالى ، وأما ما ذكرتَ أنه رُقِّىَ[1] إليك عنى ، فإنما رَقَّاه المَلَّاقون[2] ، المشَّاءُون بالنَّميمة المفرِّقون بين الجمع ، وكذَب الغاوُون المَارقون ، ما أردتُ حَرْباً ولا خلافاً ، وإنى لأخشى اللهَ فى ترك ذلك منك ومن حِزبك القاسِطِين[3] ، المُحِلِّين[4] ، حزب الظالم ، وأعوان الشيطان الرجيم ، ألستَ قاتِلَ حُجرٍ وأصحابه العابدين المُخْبتين[5] ، الذين كانوا يستفظعون البدَع ، ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر ، فقتلتَهم ظُلْماً وعُدْوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكَّدة[6] ، جراءةً على الله واستخفافاً

---

(١) رقى : رفع .

(٢) الملاقون : المتملقون المتوددون .

(٣) القاسط : الجائر الذى يحيد عن الحق والعدل .

(٤) المحل : المنتهك للشهر الحرام . وقيل معناه . الباغى الخارج على الإمام .

(٥) المخبت : الخاشع المتواضع .

(٦) يشير بهذا إلى ما كان أخذه الحسن عليه رضوان الله من معاوية بن أبى سفيان من كتاب الأمان لشيعته .

بعَهْده ، أَوَلَسْتَ بقاتل عمرو بن الحَمِق[1] الذى أَخْلَقَتْ وأبْلَتْ وجهَه العبادةُ ، فقتلْتَه من بعد ما أعطيته من العهود مالو فهمته العُصْمُ[2] نزلتْ من شُعَف[3] الجبال ؟ أَولستَ المدَّعى زياداً فى الإسلام ، فزعمت أنه ابن أَبى سُفيان ، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفِراش وللعاهِر[4] الحجَر ، ثم سلَّطته على أهل الإسلام : يقتلهم ، ويقطِّع أَيديَهم وأرجُلَهم من خِلاف ، ويصلِّبهم على جُذُوع النخل ، سبحانَ اللهِ يامعاوية ! لكأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك ، أَولست قاتِلَ الحضْرَمِىّ[5] الذى كتب إليك فيه زياد أنه على دين علىّ كرم الله وجهه ، ودينُ على هو دينُ ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مَجْلِسَك الذى أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضلَ شَرفِك وشرفِ آبائك تَجَشُّمُ الرِّحلتين : رحلَةِ الشتاء والصيف ، فوَضَعَهَا اللهُ عنكم بنا ، مِنَّةً عليكم ، وقلت فيما قلت : لا تَرُدَّنَّ هذه الأُمةَ فى فِتنة ، وإنى لا أَعلم لها فتنةً أَعظمَ من إمارتك

---

(١) هو عمرو بن الحمق الخزاعى ، صحابى هاجر بعد الحديبية وكان ممن دخل الدار على عثمان ، ثم صار من شيعة على ، وشهد معه وقعة الجمل وصفين والنهراون قتله معاوية سنة ٥١ هـ .

(٢) العصم جمع أعصم وهو : الوعل فى ذراعيه أو فى إحداهما بياض ، وسائره أسود أو أحمر .

(٣) يريد الجبال المرتفعة .

(٤) العاهر : الزانية .

(٥) يعنى : شريك بن شداد الحضرمى وكان من أصحاب حجر بن على ، الذين بعث بهم زياد إلى معاوية وقتل مع حجر .

عليها ، وقلتَ فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولأُمة محمد ، وإنى واللهِ ما أعرفُ أفضلَ من جهادك ، فإنْ أفعَل فإنه قُرْبةٌ إلى ربى ، وإن لم أفعله فأستغفِرُ الله لدينى ، وأسأله التوفيق لِمَا يحبُّ ويرضى ، وقلت فيما قلت : متى تَكِدْنى أَكِدْك ، فكِدْنى يا معاوية مابَدَالَكَ ، فلعمرى لَقَدِيما يُكاد الصالحون ، وإنى لأَرجو أن لاتضرَّ إلا نَفْسَك ، ولا تَمْحقَ إلا عملك ، فكِدْنى ما بدالك ، واتق الله يامعاوية : واعلم أن لله كتاباً لايُغادر صغيرةً ولا كَبيرةً إلا أَحصاها ، واعلم أن الله ليس بناسٍ لك قَتْلَك بالظِّنَّة ، وأَخْذَك بالتُّهَمة ، وإمارتَك صبياً يَشْربُ الشراب ، ويلعب بالكِلاب [1] ، ما أراك إلا قد أَوْبَقْتَ [2] نفسَك ، وأهلكتَ دينك ، وأَضَعْتَ الرَّعيَّةَ ، والسلام » .

---

(١) يروى أن يزيد بن معاوية وهو المقصود هنا - كان أشد الناس كلفا بالصيد ، لايزال لاهيا به وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، ويوكل بكل كلب عبداً يخدمه .

(٢) أوبقت : أهلكت .

أبو زبيد الطائى

(ت حوالى ٦٢ هـ)

هو المنذر بن حرملة الطائى القحطانى ، أَبو زُبَيْد ، شاعر جاهلى معمر من نصارى قبيلة طيئ ، كان مداحًا يزور ملوك العجم فى الجاهلية ، عالماً بالسير ، أَدرك الإسلام ولم يسلم ، وكان يدخل مكة متنكرًا .

استعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ، ولم يستعمل نصرانيًّا غيره ، وكانت إقامته تطول عند أَخواله من بنى تغلب بالجزيرة الفراتية . وتقرب إلى الوليد بن عقبة والى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان كذلك كان يفد على عثمان نفسه فيسأَله عن أَخبار من أَدركهم من ملوك العرب والعجم ، وقد توفى نحو عام ٦٢ هـ فى زمن معاوية .

وقد جعله ابن سلام الجمحى فى الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين وسماه حرملة بن المنذر ، وذكر البغدادى فى خزانة الأَدب أَنه كان أعور آدم طويلًا ، طوله ثلاثة عشر شبرًا . وقد ورد فى بعض المصادر أَنه أَسلم ولكن لم يصح هذا الخبر .

* * *

أبو زبيد الطائى يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوما لأبى زُبيْد : حرملَة بن المنذر الطائِى – وكان نصرانياً – يا أخا تُبَّع (١) المسيح ، أسْمِعنا بعض قولك ، فقد أُنْبئْتُ أنك تجيد (٢) ، فأنشده قصيدة له فى وصف الأَسد ، فقال عثمان : تالله تفتأ تذكر الأَسد ماحييت ! والله إنى لأحسبك جبانًا هرَّابًا (٣) ، قال : كلا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه منظرًا ، وشهدتُ منه مشهدًا ، لا يبرحُ ذِكْرُهُ يتجدد ، ويترددُ فى قلبى ، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ ملوم (٤) ، فقال له عثمان : وأنَّى كان ذلك ؟ قال :

« خرجت فى صُيَّابة (٥) أشراف من أبناءِ قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارةٍ (٦) حسنة ، ترمى بنا المهَارى (٧) بأكسائِها (٨) ، ونحن نريد

---

(١) جمع تابع .

(٢) أى تجيد الشعر .

(٣) فى بعض المصادر : رهدانا أى ضعيفا .

(٤) مطلع القصيدة التى يشير إليها :

من مبلغ قومى النائين إذ شحطوا   أن الفؤاد إليهم شيق ولع

(٥) الصيابة بالتشديد وتخفف : الخالص والصميم والخيار من الشىء .

(٦) الشارة : الهيئة واللباس والزينة ، والجمال .

(٧) مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حى تنسب إليه الإبل المهرية وجمعها مهارى (بفتح الميم والراء) ومهار (منقوصا) .

(٨) الأكساء : جمع كسء (كقفل وعنق) وكسء كل شىء : مؤخره .

الحارث بن أَبِي شَمِرٍ الْغَسَّانِي ملك الشام ، فاخْرَوَّطَ[١] بنا السير في حمارَّةِ الْقَيْظِ ، حتى إِذَا عُصِبَتِ الأَفواه ، وذَبُلَتِ الشِّفاه ، وشالت[٢] المياه ، وأَذْكَتِ الجوزاءُ الْمِعْزَاءَ[٣] ، وذاب الصَّيْهَبُ[٤] ، وصرَّ الجُنْدُبُ[٥] ، وأَضاف العُصْفور الضَّبَّ في وَكْرِهِ ، وجاوره في جُحْرِه ، قال قائل : أَيها الركب ، غَوِّرُوا[٦] بنا في دوْحِ هذا الوادى ، وإِذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدَّغَلِ[٧] ، دائم الْغَلَلِ[٨] ، أَشجاره مُغِنَّة[٩] ، وأَطياره مُرِنَّة[١٠] ، فَحطَطنا رحالَنَا بأُصول دوْحاتِ كَنَهْبُلاتٍ[١١] ، فأَصبْنَا من فضلات المزَاود ، وأَتبعناها الماءَ البارد ، فإِنَّا لنصف حرَّ يومنا ومُماطلته

---

(١) اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

(٢) قلت .

(٣) أذكت : أشعلت والمعزاء من المعز بالتحريك ، وهو الصلابة ، مكان أمعز وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر .

(٤) الصيهب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوى اللحم عليه . وهي في بعض المصادر : الصيهد .

(٥) نوع من الجراد ، وصر : صوت .

(٦) التغوير : الدخول في الشيء ، والدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .

(٧) الدغل : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك النبت وكثرته .

(٨) الغلل والغليل والغلة : العطش أو شدته أي دائم العطش إلى الماء .

(٩) أغن الذباب صوت ، ويقال : واد مغن وهو الذي صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب ، والغنة (بالضم) صوت في الخيشوم والأغن : الذي يتكلم من قبل خياشيمه غن يغن بالفتح فهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب وفي أصواتها غنة ، وروضة غناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية الصوت لكثافة عشبها .

(١٠) رنت وأرنت : صاحت .

(١١) الكنهبل : شجر عظام ، والمزاود ، جمع مزود كمنبر ، وهو وعاء الزاد .

إذ صرَّ أقصى الخيل أذنيه (١) ، وفَحص الأَرْض بيديه ، فوالله ما لبث أن جال ، ثمّ حَمْحَمَ (٢) فبال ، ثم فعل فعله الفرسُ الذى يليه واحدا فواحدًا ، فتضَعضَعت الخيل ، وتكَعْكَعتِ (٣) الإبل ، وتَقَهقَرت البغال ، فمِن نَافِرٍ بشِكاله (٤) ، وناهضٍ بعِقَاله ، فعلمنا أناقد أُتِينا ، وأنه السبع لا شك فيه ، ففزع كل واحد منا إلى سيفه ، فاستلّه من جُرُبّانِهِ (٥) ، ثم وقفنا رزدقًا أرْسالًا (٦) ، وأقبل أبو الحارث من أَجَمَته ، يتظالع (٧) فى مِشْيَته ، كأنه مَجنُوب أو فى هِجَارٍ (٨) ، لِصَدْره نَحِيطٌ (٩) ، ولِبلاعِمِه غَطِيطٌ (١٠) ، ولِطَرْفه وَمِيض ، ولأَرْسَاغِهِ نَقِيضٌ (١١) ، كأنما يَخْبِطُ هَشِيمًا أو يَطأ صَرِيماً (١٢) ، وإذا هَامَةٌ كَالْمِجَنّ (١٣) ، وخَدٌّ كَالْمِسَنّ ، وعينان

---

(١) صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستماع .

(٢) الحمحمة والتحمحم : صياح الفرس حين يقصر فى الصهيل ويستعين بنفسه وصوته إذا طلب العلف .

(٣) خافت وفزعت ، كعكعته فتكعكع : جبنته وخوفته .

(٤) الشكال : الحبل الذى تشد به قوائم الدابة .

(٥) الجربان : غمد السيف .

(٦) الرزدق : الصف من الناس ، والأرسال : جمع رسل كسبب وهو القطيع من كل شىء .

(٧) من ظلع كمنع إذا غمز فى مشيه .

(٨) جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو جنيب ومجنوب ومجنب . والهجار : حبل يشد فى رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولا شد إلى الحقب .

(٩) النحيط : الزفير ، والناحط : من يسعل شديدا .

(١٠) غط البعير غطيطا هدر والنائم صوت وكذا المذبوح والمخنوق .

(١١) نقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .

(١٢) ثمر صريم : أى مقطوع .

(١٣) المجن : الترس .

سَجْراوان[١] كأنهما سراجان يتّقدان ، وقَصَرَةٌ رَبلَة[٢] . ولِهْزِمةٌ رَهِلَة[٣] ، وكَتَدٌ مُغْبَطٌ[٤] ، وزَوْرٌ مُفْرَطٌ[٥] وساعدٌ مجدولٌ ، وعَضُدٌ مفتولٌ ، وكَفٌّ شَثْنَةٌ البَرَاثِنِ[٦] إلى مخالِبَ كَالْمَحَاجِنِ[٧] ، فضرب بيديه فَأَرْهَجَ[٨] ، وكَشَرَ[٩] فأفرج عن أنياب كالمعاوِلِ ، مصقولة ، غير مَفْلولة . وفَمٍ أَشدق[١٠] كالغار الأَخوق[١١] ، ثم تَمَطَّى فأسرع بيديه ، وحَفَزَ[١٢] ورِكيه برجليه ، حتى صار ظِلُّهُ مثْلَيه ، ثم أقعى[١٣] فاقشعرَّ ، ثم مَثَل فاكفهرَّ[١٤] ، ثم تجَهَّمَ فازْبَأَرَّ[١٥] فلاوَذو[١٦] بيتُه فى السماء ،

---

(١) عين سجراء : خالطت بياضها حمرة .

(٢) القصرة : أصل العنق ، والربالة بالفتح : كثرة اللحم وهى ربلة ومتربلة .

(٣) اللهزمتان نائتان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ورهل لحمه : كفرح انتفخ وورم من غير داء .

(٤) الكتد : مجتمع الكتفين ، أو الكاهل أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأغبط النبات : غطى الأرض وكثف وتدانى ، وأرض مغبطة بفتح الباء ، أى وكاهل مغطى بشعر .

(٥) من أفرطه إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط .

(٦) شثنة : أى غليظة خشنة شثنت كفه : كفرح وكرم . والبراثن : جمع برثن كبرقع وهو مخلب الأسد .

(٧) المحاجن : جمع محجن كنبر ومكنسة : العصا المعوجة ، وكل معطوف معوج .

(٨) أرهج : أثر الغبار ، والرهج (كشمس وسبب) الغبار .

(٩) كشر عن أسنانه : أبدى .

(١٠) من الشدق (كسبب) وهو سعة الشدق .

(١١) من الخوق (كسبب أيضا) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء .

(١٢) حفزه : دفعه .

(١٣) أقعى : جلس على إسته مفترشا رجله ناصبا يديه .

(١٤) مثل : قام منتصبا ، والمكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ ، والمتعبس .

(١٥) تجهمه وجهمه (كنع وسمع) استقبله بوجه كريه ، وازبأر : تنفش .

(١٦) ذو : بمعنى الذى فى لغة طيىء : « فحسبى من ذو عندهم ما كفانيا » .

ما اتقيناه إلّا بِأَخٍ لنا من فَزَرَة ، كَان ضخمَ الجُزَارَة[١] ، فوَقَصَهُ[٢] ، ثم نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فقضقض[٣] مَتْنَيْهِ ، فجعل يلَغ فى دمه ، فَذَمَرْتُ[٤] أصحابى ، فَبَعْدَ لأى[٥] ما استقدموا ، فَهَجْهَجْنا[٦] بِهِ ، فكَرَّ متمشعِرَ الزُّبْرَةِ[٧] ، كأن به شَيْهَمًا حَوْلِيًّا[٨] ، فاختلج[٩] رجلًا أعجرَ ذا حَوايا ، فنقضه نقضة تزايلت منها مَفاصله ، ثم هَمْهَمَ فقَرقَرَ[١٠] ، ثم زَفر فبَربَرَ[١١] ، ثم زأر فَجَرْجَرَ[١٢] ، ثم لَحَظَ ، فوالله لَخِلْتُ البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شِمَاله ويمينه ، فأُرْعِشَتِ الأَيْدِى ، واصْطَكَّت الأَرجُل ، وأَطَّت[١٣] الأَضلاع ، وارتجَّت الأَسماع . وشَخَصَتِ[١٤] العيون ، وتحققت الظنون ، وانخزلت[١٥] المُتُون ، ولحِقت الظهور بالبطون ، ثم ساءت الظنون ، فقال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ! فقد أرعبت قلوب المسلمين » .

---

(١) الجزارة : اليدان والرجلان والعنق .

(٢) وقص : أى رمد وكسر .

(٣) كسره ودقه وسمع كسر عظامه .

(٤) أى حضضتهم وشجعتهم .

(٥) بعد جد ومشقة وإبطاء منهم .

(٦) استقدموا : اجترءوا وتقدموا وهجهج بالسبع : صاح به وزجره ليكف .

(٧) شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد واقشعرت زبرته أى انتفش شعرها .

(٨) الشيهم : ما عظم شوكه من ذكور القنافذ ، والحولى الذى أتى عليه حول .

(٩) أى انتزع من بينهم ، أعجر : ضخم عظيم البطن والحوايا ، جمع حاوية وحاوية البطن أمعاؤه تزايلت تباينت وتفرقت .

(١٠) أصوات تدل على الشوق والغيظ .

(١١) زفر : تنفس تنفسا شديدا ، بربر : هاج وأصدر صوتا غاضبا .

(١٢) جرجر : ردد الصوت فى حنجرته .

(١٣) أطت : سمع أطيط وهو صوتها حين تضطرب من الخوف .

(١٤) زاغت .

(١٥) انقطعت .

نافع بن الأزرق

(ت ٦٥ هـ)

نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى بن بكر بن وائل ، خارجى حرورى يكنى بأبى راشد . رأس الأزارقة وإليه ينتسبون . كان فقيهًا من أهل البصرة ، صحب ابن عباس وله أسئلة رواها عنه . والى عليا إلى التحكيم ثم خرج عليه إلى حروراء فسموا الحرورية والخوارج . انضم إلى ابن الزبير فى قتاله يزيد بن معاوية حتى مات يزيد وبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة ، فأراد نافع أن يعرف رأيه فى عثمان فتولاه ابن الزبير فانفض الخوارج من حوله .

كان نافع جبارًا فاتكًا ، قاتله المهلب بن أبى صفرة قتالًا ضاريًا . وقتل بمقربة من الأهواز يوم « دولاب » عام ٦٥هـ .

وهو هنا يرد على ما أثاره نجدة بن أبى عامر – رأس فرقة النجدات من الخوارج – من اعتراضات على مسلكه ، والأساس الفقهى الذى يرتب عليه تصرفه . فيحتج بأدلة من الكتاب على تكفيره غيره من المسلمين ، بل تكفير الخوارج الذين لا يدينون برأيه فى وجوب قتال من عداهم ، وهو يكفر حتى الأطفال ويرى وجوب قتلهم ، كما يرى أن أموال هؤلاء حلال كدمائهم ، فهى فىء للمسلمين . ويعنى بهم من

كان على رأيه فحسب . وهذا التطرف والقياس الحرفى الخاطئ هو ما جعل الإمام عليًا كرم الله وجهه يقدم قتال الخوارج فى عصره - باعتبارهم مارقين - على قتال معاوية وفريقه .

* * *

فكتب إليه نافع بن الأزرق :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى ، وتنصَحُ لى وتزجرنى ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أُوثِره من الصواب ؛ وأنا أسأل الله أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتَّبعُون أحسنَه ، وعِبْتَ علىّ ما دِنْتُ به من إكفار القَعد[1] ، وقَتْل الأطفال ، واستحلال الأمانة . وسأُفسِّر لك لِمَ ذلك إن شاء الله : أما هؤلاء القَعد فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مَقهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلًا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقًا ؛ وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريقُ لهم نَهج واضح . وقد عرفت ما يقول الله فيمن كان مثلهم ، إذ قال : ﴿ إنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ * قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الأَرْضِ * قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ، وقال : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِم خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَجاء

(١) القعد : الذين يقعدون عن محاربة أعدائهم ، ونافع يكفرهم بقعودهم .

الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ . وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ . سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . فانظر إلى أسمائهم ، وسماتهم [١] .

وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحًا عليه السلام كان أعرف بالله يا نجدةُ مني ومنك ، فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ . فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يُولدوا ؛ فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ، ولا يجوز فى قومنا والله يقول : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم براءَة فى الزُّبُرِ ﴾ وهؤلاء كمشركى العرب ، لاتُقبل منهم جِزْية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلالُ الأَمانات ممن خالفَنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طِلْق [٢] ، وأموالهم فىءٌ للمسلمين ، فاتق الله وراجع نفسك ، فإنه لا عذر لك إلّا بالتوبة ، ولا يسعُك خذلانُنا والقُعود دوننا ، وترك ما نهجناه [٣] لك من طريقتنا ومقالتنا .

والسلام على من أقر بالحق وعمل به .

---

(١) سماتهم : علاماتهم وصفاتهم .

(٢) طلق : أى صرف ، حلال خالص الحل ، ليس فيه شائبة من حرمة .

(٣) أو ضحناه ، والنهج هو الطريق الواضح .

نجدة بن عامر

(ت ٦٩ هـ)

كتابه إلى نافع بن الأزرق

سار الخوارج بعد أن نصروا ابن الزبير بمكة إلى الأهواز ، وقد أمّروا عليهم نافع بن الأزرق الحنفى ، ثم شجر بينهم الخلاف ، فنفر عنه جماعة منهم بزعامة نجدة بن عامر ، ومضوا إلى اليمامة [1] ، حيث كتب نجدة إلى نافع :

« بسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، أما بعد : فإِنَّ عهْدِى بك وأنتَ لليتيم كالأَب الرَّحيم ، وللضعيف كالأَخ البرِّ ، لَا تـأْخُذُك فى الله لوْمةُ لائمٍ ، ولا ترى معُونَةَ ظالم ، كذلك كنت أنت وأَصحابُك . أَما تَذْكُرُ قولك : « لولا أَنِّى أَعْلم أَنَّ للإِمام العادل مِثْل أَجْر جميع رعِيَّتِهِ ، ما توليْتُ أَمر رجلين من المسلمين » ، فلما شَريْتَ [2] نفسك فى طاعة ربك ابتغـاء رضْوانه ، وأَصبْتَ من الحق فَصَّه [3] ، وركِبتَ مُرَّه ، تجرَّد لك الشيطانُ ولم يكن أَحدٌ أَثقل عليه وطْأَةً منك ومن أَصحابك ، فاستمالك واستهواك

---

(١) من بلاد نجد .

(٢) أى بعت ، ويسمى الخوارج أنفسهم « الشراة » جمع شار كقاض وقضاة من شرى يشرى كرمى : بمعنى باع ، لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله : أى بعناها ووهبناها ، أخذا من قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا أى اشتريناها .

(٣) فص الأمر : مفصله .

واستغواك وأغواك «فغويت»[1] فأكفرت الذين أعذرهم الله فى كتابه من قَعد[2] المسلمين وضَعفتِهم ، فقال جل ثناؤه ، وقولُه الحق ، ووعدُه الصِّدق : ﴿ لَيْس على الضُّعفاءِ ولا على الْمَرْضَى ولا على الَّذِين لا يَجِدُون مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . ثم سَمَّاهم أحسنَ الأسماء ، فقال : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [3] .

ثم استحلَلْتَ قتلَ الأطفال ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قَتْلِهم ، وقال الله عزَّ ذِكْرُه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [4] ، وقال سبحانه فى الْقَعد خيرًا ، وفضَّل الله من جاهد عليهم ، ولا تدفَع منزلةُ أكثر الناس عملًا منزلةَ مَن هو دونه ؛ أَوَما سَمِعْتَ قوله عز وجل : ﴿ لا يستوى القاعدون مِنَ المؤمنين غيرُ أولِى الضرَر ﴾ فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم .

ورأيت أَلَّا تُؤَدِّى الأمانة إلى من خالَفَك ، والله يأمر أن تُؤَدَّى الأماناتُ إلى أهلها ؛ فاتَّق الله وانظر لنفسك ، واتَّق يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُود هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، فإن الله عز ذكره بالمرصاد ، وحُكْمُهُ العَدْل ، وقولُهُ الفصلُ . والسلام » .

* * *

(١) غوى بالفتح غيا وغوى بالكسر غواية .

(٢) القعد : اسم جمع قاعد ، كخدم وخادم ، ويروى القعدة ، وهو جمع قاعد ككتبة وكاتب ، ورجل ضعيف وضعوف وضعفان والجمع ضعاف وضعفاء وضعفة (بالتحريك) وضعفى (كقتلى) وضعافى بالفتح .

(٣) أى ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل ، وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك .

(٤) وزر يزر كوعد : أثم ، والوزر : الإثم ، أى ولا تحمل نفس آثمة نفس أخرى .

خطبة لعمرو بن سعيد الأشدق بمكة

(ت ٧٠ هـ)

استعمل سعيد بن العاص – وهو والٍ على المدينة – ابنَه عمرو ابن سعيد الأشدق واليًا على مكة ، فلما قدم لم يَلْقَه قرشي ولا أموى إلَّا أن يكون الحرث بن نوفل ، فلما لقيهُ قال له : يا حَارِ (١) ، ما الذى منع قومَك أن يلقوني كما لقيتنى ؟ قال: ما منعهم من ذلك إلَّا ما استقبلتنى به ، والله ما كَنَّيْتَنى ، وَلَا أتممت اسمى ، وإنما أنهاك عن التشذُّر (٢) على أكفائك (٣) ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ، ولا يضعهم لك ، قال : واللهِ ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذى رأيت منى لَخَلَق (٤) ، فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليهِ ، ثم قال :

« أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإنَّا سكنَّاها غِبطة ، وخرجنا عنها رغبةً ، ولذلك كنا إذا رفعت لنا اللَّهْوَة (٥) بعد اللهوة أخذنا أسْناها ،

---

(١) يقصد : يا حارث ، وهو ترخيم للمنادى .

(٢) تشذر : توعد وتهدد وتغضب وتسرع إلى الأمر . والمراد هنا : التكبر .

(٣) الأكفاء : النظراء .

(٤) الخلق : البالى . والمراد أنه لا يعود إليه .

(٥) اللهوة : العطية ، أو أفضل العطايا وأجزلها .

ونزلنا أَعلاها ، ثم شَرج(١) أَمر بين أمرين ، فقَتَلنا وقُتِلْنا ، فوالله ما نَزَعْنا وَلَا نُزِعَ عنا ، حتى شَرِب الدم دمًا ، وأَكَل اللَّحم لحمًا ، وقَرَع العظم عظمًا ، فَوَلِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، وَاختياره له ، ثم وَلِي أَبو بكر لِسَابقتِهِ وفضله ، ثم وَلِي عُمر ، ثم أُجيلَتْ قِداحٌ نُزِعْنَ من شعاب(٢) ، جولة سَمَعَة ففاز بحَظِّيها(٣) أصلبها وأَعتقُها فكنا بعض قِداحها ، ثم شَرج أَمرٌ بين أَمرين فَقَتَلْنا وَقُتِلْنَا ، فوالله ما نزعنا ولا نُزِع عنا ، حتى شَرب الدمُ دماً ، وَأَكل اللَّحم لحمًا ، وَقَرع العظم عظمًا ، وعاد الحرامُ حلَالًا ، وَأُسْكِت كلُّ ذى حِسٍّ عن ضرب مُهَنَّد(٤) ، عَرْكًا عَرْكًا(٥) ، وَعَسْفًا عَسْفًا(٦) ، وَخزًا وَنَهْسًا(٧) ، حتى طابوا عن حقنا نفسًا ، والله ما أَعطَوه عن هَوَادةٍ ، ولا رضُوا فيهِ بالقضاء أَصبحوا يقولون : حَقُّنا غُلِبْنَا عليهِ ، فجزيناه هذا بهذا ، وهذا فى هذا . يأَهل مكة : أَنفسَكم أَنفسَكم ، وَسُفهاءَكم سفهاءَكم ، فإِن معى سَوطًا نَكالًا(٨) ، وسيفًا وبَالًا(٩) ، وكلٌّ منصوب على أَهله » ، ثم نزل .

---

(١) شرج : حدث ونجم . وهو من شرج القوس أى انشقاقها .
(٢) الشعاب جمع شعبة ، وهى ما بين الغصنين . يشير إلى أصحاب الشورى الستة .
(٣) الحظى : ذو الحظوة والمكانة .
(٤) المهند : السيف .
(٥) العرك : دوران المعركة .
(٦) العسف : العنف والقوة .
(٧) النهس . العض .
(٨) يريد : سوطا ذا نكال .
(٩) يريد سيفا : ذا وبال .

عبدالله بن الزبير

(ت ٧٣ هـ)

أَبو خبيب (وأَبو بكر) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خُويلد ابن أَسد بن قصيّ ، وأُمه أَسماء بنت أَبى بكر الصديق ؛ ولقبه العائذ لأَنه عاذ بالبيت ، والمُحل لأَنه نصب الحرب فى قلب مكة واعتصم بالكعبة .

كان محاربًا شجاعًا ، شهد الكثير من الفتوح . كان فى فتح إفريقية ووصل إلى تونس وحضر فتح قرطاجنة .

جمع حوله الناقمين على بنى أُميـــة بعد مقتل على بن أَبى طالب (عام ٤٠ هـ) ، وبسط نفوذه على الحجاز والعراق ومصر واليمن ، وخراسان والسند . وفى عهد عبد الملك بن مروان سار إليه الحجاج ؛ وتغلب عليه . وقتل عبد الله بن الزبير عام ٧٣ هـ .

لمـا أُخرج عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف تلقاه أَهلها مرحبين به ، فنزل منزلًا ، وكان يجلس إليه أَهل الطائف بعد الفجر وبعد العصر ، فيتكلم بينهم ، يحمد الله ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم وآله والخلفاء بعده ، ويقول : « ذهبوا فلم يدعوا أَمثالهم ، ولا أَشباههم ، ولا من يدانيهم ، ولكن بقى أَقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة . ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب ،

والنمور ، ليظن الناس أنهم من الزاهدين فى الدنيا ، يراءون الناس بأعمالهم ، ويسخطون الله بسرائرهم ؛ فادعوا الله أن يقضى لهذه الأمة بالخير والإحسان ، فيولى أمرها خيارها وأبرارها ، ويهلك فجارها ، وأشرارها ، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك ، فيفعلون » .

وبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه هذا الكتاب .

* * *

كتاب عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عباس

« أما بعد : فقد بلغنى أنك تجلس بالطائف العصرين (١) ، فتفتيهم بالجهل ، تعيب أهل العقل والعلم ، وإن حلمى عليك ، واستدامى فيئك ، جرّآك علىّ ، فاكفف — لا أبا لغيرك — من غربك (٢) ، واربع (٣) على ظلعك (٤) ، واعقل إن كان لك معقول (٥) ، وأكرم نفسك ، فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانًا ، ألم تسمع قول الشاعر :

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

وإنى أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغنى عنك ، لتجدن جانبى خشنًا ، ولتجدنى إلى ما يردعك عنى عجلا ، فإن أشفى (٦) بك شقاؤك على الردى ، فلا تلم إلا نفسك » .

(١) العصران : الغداة والعشى .
(٢) الغرب : الحدة .
(٣) ربع (كمنع) : وقف وانتظر وتحبس .
(٤) ظلع البعير ظلعا (كمنع) : غمز فى مشيه .
(٥) معقول : عقل .
(٦) أشفى : أشرف .

عبدالله بن عباس

(ت ٧٢ هـ)

ممّا كتبه إلى عبد الله بن الزّبير

لمّا أخرج عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بنَ عباس من مكة إلى الطائف تلقّاه أهلها ، فكانوا يجلسون إليه بعد الفجر وبعد العصر ، فيتكلم بينهم بما كان يصل إلى مسمع ابن الزبير فيغضبه ، فأرسل إليه ابن الزبير مذكرًا ومحذّرًا ، مؤنبًا ومتوعدًا ، فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعدُ : فقد بلغنى كتابك ، قلتَ : إنّى أُفتِى الناسَ بالجهل ، وإنما يفتى بالجهل مَن لم يَعرِفْ من العلم شيئًا ، وقد آتانى اللهُ من العلم الم يُؤتِكَ ، وذكرتَ أن حِلمكَ عنى واستدامتكَ فَيْئِى أجرّآنى عليك ، ثم قلت : اكفُفْ من غَربِك ، واربَع على ظَلْعِك ، وضربتَ لى الأمثال « أحاديث الضَّبُع »[1] ، متى رأيتَنى لعُرامِك[2] هائبًا ، ومن حَدِّك ناكِلًا[3] .

---

(١) فى الأمثال « أحاديث الضبع استها » يزعمون أن الضبع تتمرغ فى التراب ، ثم تقعى « أقعى الكلب : جلس على استه » فتتغنى بما لا يفهمه أحد ، فتلك أحاديث استها ، وهو مثل يضرب للمخلط فى حديثه .

(٢) عرام الجيش : حدتهم وشدتهم وكثرتهم .

(٣) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : نكص وجبن .

وقلتَ : لئن لم تكفُفُ لتجدنَّ جانبي خَشِنا ، فلا أَبْقَى اللهُ عليك إن أبقيتَ ، ولا أَرْعَى عليك إن أَرعيتَ[1] ، فوالله لا أَنتهي عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذمِّ الأَخْسَرينَ أعمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، والسلام » .

(١) أرعى عليه . أبقى .

المهلب بن أبي صفرة

(ت ٨٢ هـ)

المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدى العتكى ، أبو سعيد ، ولد فى دبا نحو سنة ٧ هـ ونشأ بالبصرة وقدم المدينة مع أبيه فى أيام عمر بن الخطاب ، وتولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وخاض معارك عديدة ضد الخوارج بصفة خاصة بعد أن غلبوا على البلاد ، وشرط له مصعب أن كل بلد يجليهم عنها يكون له التصرف فى خراجها تلك السنة ، فأقام يحارب الأزارقة من الخوارج تسعة عشر عامًا حتى تم له الظفر عليهم . ثم ولاه عبد الملك بن مروان خراسان فقدمها سنة ٧٩ هـ ، وتوفى فيها عام ٨٣ هـ . وقد اشتهر إلى جانب شجاعته وشدة بأسه وصبره على القتال بفصاحته وجوده .

* * *

وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه عند موته

لما كَانَ المُهَلَّبُ بن أَبِي صُفْرَةَ بزَاغولَ من مَرْوِ الرُّوذِ (من خُراسان) أصابته الشَّوْصة[1] (وقوم يقولون الشَّوْكة)[2] فدعا حَبِيبًا ومن حضره

---

(١) الشوصة بالفتح وقد تضم الشين : وجع فى البطن .

(٢) الشوكة : حمرة تعلو الجسد .

من ولده ، ودعا بسِهام فحُزمت ، وقال : أترونكم كاسِريها مجتمعةً ؟ قالوا : لا . قال : أفترونكم كاسريها متفرقةً ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصِلَة الرَّحِم ، فإن صلة الرحم تُنْسِئ[1] فى الأجل ، وتُثْرِى المال ، وتكثر العدد ، وأنهاكم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقِب النار ، وتُورث الذِّلة والقلَّة ، تَبَاذَلُوا وتَوَاصَلُوا تَحَابُّوا ، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتَبَارُّوا تجتمع أموركم ، إن بَنِى الأُم يختلفون ، فكيف ببنى العَلَّاتِ[2] ؟ وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فِعالكم أفضل من قولكم ، فإنى أحب للرجل أن يكون لعَمَلِه فضلٌ على لسانه ، واتقوا الجواب ، وزَلَّة اللسان ، فإن الرجل تَزِلُّ قدمه ، فينتعش من زَلَّته ، ويزل لسانُه فيَهْلِك ، اعْرفوا لمن يَغْشَاكم حقَّه ، فكفى بغُدُوِّ الرجل ورواحه إليكم تذكِرَةً له ، وآثِرُوا الجُودَ على البخل ، وأَحِبُّوا العرب ، واصطنعوا العرب ، فإن الرجل من العرب تَعِدُه الْعِدَةَ فيموتُ دونك ، فكيف الصنيعة عنده وعليكم فى الحرب بالأَنَاةِ ، وَالمَكِيدة ، فإنها أنفعُ فى الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإنْ أخذ رجل بالحزم فظَهَرَ على عدوه . قيل : أتَى الأمر من وجهه ، ثم ظفِر فحُمِد ، وإن لم يظفر بعد الأَنَاة ، قيل : ما فَرَّطَ ، ولا ضيَّع ، ولكن القضاء غالب ، وعليكم بقراءة القرآن ، وتعلم السُّنَن وأَدَب الصالحين ، وإياكم والخِفَّةَ وكثرة الكلام فى مجالسكم .

* * *

(١) تؤخر وتطيل .

(٢) بنو العلات : بنو أمهات شتى من رجل واحد .

عروة بن الزبير

(ت حوالى ٩٣ هـ)

هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كلب بن لؤى بن غالب أبوه الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، والعوام جده هو أخو خديجة بنت خويلد ، وعروة فقيه من أهل المدينة كان له أثر كبير فى علم المغازى .

وأرجح الأقوال أنه ولد عام ٢٢ للهجرة وقد اشتهر بتعبده ، وقيل : إنه كان يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف نظرًا ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلّا ليلة قطعت رجله . وكان يصوم الدهر إلّا يومى الفطر والنحر ومات وهو صائم . وبقى بعيدا عن مشكلات عصره السياسية ، فلم يشترك فى وقعة الجمل لصغر سنه ، وكان فى مصر حين خلع أخوه عبد الله طاعة الخليفة يزيد بن معاوية . ووقف مع أخيه حى قتل فخرج إلى المدينة واستودع أمواله ، ثم ارتحل إلى دمشق إلى الخليفة عبد الله ابن مروان .

ويبدو أنه اعتزل الناس فى أواخر حياته حى مات سنة ٩٣ هـ ، أو سنة ٩٤ هـ .

وكان عروة شاعرًا دقيق الشعر إلى جانب علمه إذ كان مرجعًا فى المغازى وسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وهو أول من صنف فيها .

* * *

من أقوال عروة بن الزبير

أَصيب عروة بأَكْلَة[1] فى رجله ، وهو بالشام عند الوليد ابن عبد الملك ، فقال له الوليد : اقطعها ، فقال : لا. فسرت إلى ساقه ، فقال له الوليد: أقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك . فوافق على ذلك فلما دُعِى الجزار ليقطعها، قيل له : نسقيك خمراحتى لاتجد لها ألما . فقال : «لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية » . ورفض أن يمسكه أحدفى حالة القطع فقطعت وهو يهلل ويكبر . ثم إنه أغلى له الزيت فى مغارف الحديد فحسم به فغُشِى عليه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه. ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ، ثم قال: أما والذى حملنى عليك إنه ليعلم أنى مامشيت بك إلى حرام ، أو قال : معصية .

وتمثل بأبيات معن بن أوس :

لَعمْرُك ما أهْوَيْتُ كَفِّى لِريبةٍ ولاَ حملَتِنى نحو فاحِشَةٍ رجلى

ولا قادنى سَمْعى ولاَ بصَرى لها ولا دلَّنى رأيى لها ولا عقْلى

وأعلمُ أنِّى لم تُصِبْنى مُصيبةٌ من الدهر إلا قد أصابت فَتًى قَبلى

---

(١) حكة

وكان مع عروة فى سفره هذا إلى الشام ابنه محمد، وكان من أجمل الناس، فدخل دار الدواب، فضربته دابة فخر ميتا. فقال: «لقد لقينا من سفرنا هذا نَصبا. اللهم إن كنت أخذت لقد أعطيت، وإن كنت ابتَلَيْتَ لقد عافَيْت».

* * *

دارمية الحجونية ومعاوية

حجَّ معاوية سنَةً من سِنِيه، فسأل عن امرأة من بنى كِنانة كَانت تنزل الحجون[1]، يقال لها دارميَّة الحجُونِيَّة، وكَانت سوداء كثيرة اللحم، فأُخبر بسلامتها، فبعث إليها فجيء بها، فقال: ماحالُكِ يابنَةَ حامٍ؟ فقالت: لست لحام إنْ عِبتَنى، إنما أنا امرأة من بنى كنانة، ثمتَ من بنى أبيك، قال: صدقتِ، أتدرين لِم بعثتُ إليك؟ قالت: لايعلم الغيْب إلاَّ اللهُ، قال: بعثت إليك لأسألك: علَام أحببْتِ عليًا وأبغَضْتِنِى، ووالَيْتِه وعاديتِنِى؟ قالت: أو تُعفِينى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أُعفِيك، قالت: «أما إذا أبيت فإنى أحببْتُ عليًّا على عدله فى الرَّعية، وقَسْمه بالسَّويَّة، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطِلْبتك[2] ماليس لك بحق، وواليتُ عليا على ماعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوِلاَء[3]، وعلى حُبِّه المساكِينَ، وإعظامِه

(١) الحجون: جبل بمعلاة مكة.

(٢) الطلبة: الطلب.

(٣) تشير إلى قوله: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقِّك العصا ، وجوْرك فى القضاء ، وحكمك بالهوى » .

قال : فلذلك انتفخ بطنُك ، وعظُم ثدياك ، وربتْ عجيزتك ، قالت : ياهذا بهندٍ[(١)] واللهِ كان يُضرب المَثَل فى ذلك لا بى ، قال معاوية : ياهذه اربعى[(٢)] ، فإنا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطنُ المرأة تَمّ خَلْق ولدها ، وإذا عظُم ثدياها تَرَوَّى[(٣)] رضيعها ، وإذا عظُمت عَجيزتها رزُن مجلسها ، فرجعت وسكَنَتْ ، فقال لها : ياهذه هل رأيت عليًّا ؟ قالت : إى والله لقد رأيته ، قال : فكيف رأيتِه ؟ قالت : رأيتُه والله لم يفتِنْه الملكُ الذى فتنك ، ولم تَشْغَله النعمة التى شغَلتك ، قال : فهل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم واللهِ فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الطَّسْت من الصدأ ، قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أَو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم ، قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلُها ، وراعيها ، قال : تصنعين بها ماذا ؟قالت : أَغذو بألبانها الصِّغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأُصلح بها بين العشائر ، قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أَحُلّ عندكِ محل على بن أبى طالب ؟ قالت : ماءٌ ولا كَصَدَّاء[(٤)] ، ومَرْعى ولا كالسَّعْدَان[(٥)] وفتى

(١) هى أمه هند بنت عتبة .
(٢) ربع : وقف وانتظر وتحبس .
(٣) ارتوى .
(٤) صداء من لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها .
(٥) السعدان : نبت ذو شوك من أفضل مراعى الإبل .

ولا كمالِك[١] ، سبحان الله أو دونه ، فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أَعُدْ بالحلم منى عليكمُ فمن ذا الذى بعدى يُؤَمَّل للحِلْم

خُذِيها هنيئاً واذكرى فِعلَ ماجدٍ جزاكِ على حرب العداوة بالسِّلْم

ثم قال : أما والله لو كان علىٌّ حيًّا ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولاوبرة .

* * *

روى عروة بن الزبير عن عاتكة

«وعن عروة ، قال : كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ساكنة مع أخيها عباس بن عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبيل بدر ، ففزعت ، فأرسلت إلى أخيهاعباس من ليلتها حين فزعت واستيقظت من نومها ، فقالت : قد رأيت رؤيا وقد خشيت منها على قومك الهلكة ، قال : وما رأيت ؟ قالت : لن أحدثك حتى تعاهدنى أن لاتذكرها فإنهم إن يسمعوها آذونا فأسمعونا مالا نحب ، فعاهدها عباس. فقالت : رأيت راكبا أقبل على راحلته من أعلى مكة يصيح بأعلى صوته : ياآل غدر ، وياآل فجر اخرجوا من ليلتين أو ثلاث ، ثم دخل المسجد على راحلته ، فصرخ فى المسجد ثلاث صرخات ومال عليه من الرجال والنساء والصبيان ،وفزع الناس له أشد الفزع ، ثم أراه مثل على ظهر الكعبة على راحلته ،

(١) قاله الشاعر متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما مثل فى الردة .
والأمثال الثلاثة تضرب للشىء يفضل على أقرانه .

فصرخ ثلاث صرخات : ياآل غدر ، وياآل فجر ، أخرجوا من ليلتين أو ثلاث حتى أسمع من بين الأخشبين[١] من أهل مكة . ثم عمد لصخرة عظيمة فنزعها من أصلها ثم أرسلها على أهل مكة فأقبلت الصخرة لها دوى حتى إذا كانت على أصل الجبل رمضت[٢] فلا أعلم بمكة بيتا ولا داراً إلا قد دخلها فرقة[٣] من تلك الصخرة ، فلقد خشيت على قومك أن ينزل بهم شر .

ففزع منها عباس ، وخرج من عندها ، فلقى من ليلته الوليد ابن عتبة بن ربيعة وكان خليلا للعباس ، فقص عليه رؤيا عاتكة وأمره أن لايذكرها لأحد ، فذكرها الوليد لأبيه ، وذكرها عتبة لأخيه شيبة وارتفع حديثها حتى بلغ أبا جهل بن هشام واستفاضت[٤] ، فلما أصبحوا غدا العباس يطوف بالبيت حتى أصبح فوجد أبا جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبا البخترى فى نفر يتحدثون ، فلما نظروا إلى عباس يطوف بالبيت ، ناداه أبو جهل بن هشام ، يا أبا الفضل إذا قضيت طوافك فائتنا فلماقضى طوافه أتى فجلس ، فقال أبو جهل : يا أبا الفضل مارؤيا رأتها عاتكة ؟ قال : مارأت من شىء . قال : بلى . أما رضيتم يابنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء .

(١) الأخشبان : جبلا مكة أبو قبيس والأحمر .
(٢) احترقت .
(٣) خوف .
(٤) انتشرت .

أنا كنا وأنتم كفرسى رهان ، فاستبقنا المجد منذ حين فلما جاذت الركب قلتم منا نبى فما بى إلا أن تقولوا منا نبية ، ولا أعلم أهل بيت أكذب رجلا ولا أكذب امرأة منكم . فآذوه يومئذ أشد الأذى. وقال أبو جهل : زعمت عاتكة أن الراكب قال : اخرجوا فى ليلتين أو ثلاث ، فلو قد مضت هذه الثلاث تبين لقريش كذبكم ، وكتبنا سجلا ثم علقناه بالكعبة أنكم أكذب بيت فى العرب رجلا وامرأة . أما رضيتم يابنى قصى أنكم ذهبتم بالحجابة ، والندوة ، والسقاية ، واللواء[1] ، حتى جئتمونا زعمتم بنبى منكم فآذوه يومئذ أشد الأذى . وقال له العباس مهلا يامصفر[2] استه هل أنت منته ؟ فإن الكذب فيك وفى أهل بيتك . فقال له ممن حضره : يا أبا الفضل ماكنت بجاهل ، ولا خرف . ونال عباس من عاتكة أذى شديداً فيما أفشى من حديثها .

فلما كان مساء ليلة الثالثة من الليالى التى رأت فيها عاتكة الرؤيا جاءهم الركب الذى بعث أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفارى ، فقال : ياآل غدر انفروا ، فقد خرج محمد وأصحابه ليعرضوا لأبى سفيان فأحرزوا عيركم . ففزعت قريش أشد الفزع ، وأشفقوا من قبل رؤيا عاتكة ونفروا على كل صعب وذلول[3] .

---

(١) يقصد حجابة الكعبة : وبالندوة : دار الندوة بمكة ، وسقاية الحاج .

(٢) التصفير : الصبغة .

(٣) البعير الصعب : الذى لا يذل لراكبه والذلول عكسه .

«وقال أبو جهل : أيظن محمد أن يصيب مثل ما أصاب بنخلة[1] ، سيعلم أنمنع عيرنا أم لا فخرجوا بخمسين وتسعمائة مقاتل ، وساقوا مائة فرس ، ولم يتركوا كارها للخروج يظنون أنه فى صف محمد وأصحابه ولا مسلما يعلمون إسلامه ، ولا أحداً من بنى هاشم إلا من لايتهمون إلا أشخصوه معهم ، فكان ممن أشخصوا العباس بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث ، وطالب بن أبى طالب ، وعقيل بن أبى طالب ، فى آخرين فهنالك يقول طالب بن أبى طالب :

أمـا يخـرجن طـالب   بمقنب من هـذه المقانب[2]

فى نفـر مقاتـل محارب   فليكن المسلوب غير السالب

والراجع المغلوب غير الغالب

فساروا حتى نزلوا الجحفة[3] . نزلوها عشاء يتروون من الماء ، وفيهم رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت ابن مخرمة . فوضع جهيم رأسه ، فأغفى ، ثم فزع فقال لأصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف علىّ آنفا ؟ فقالوا : لا . فإنك مجنون . فقال قد وقف علىّ فارس آنفا فقال : قتل أبو جهل وعتبة وشيبة

(١) نخلة مكان بين مكة والطائف أصاب فى سرية المسلمين بقيادة عبد الله بن جحش عيرا لقريش .

(٢) المقنب : الجماعة من الخيل .

(٣) مكان يبعد عن مكة اثنين وثمانين ميلا .

وزمعة أبو البخترى وأمية بن خلف فعد أشرافا من كفار قريش فقال له أصحابه إنما لعب بك الشيطان . ورفع حديث جهيم إلى أبي جهل فقال : قد جئتمونا بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم ستروت غدا من يقتل » .

«ثم ذكر لرسول الله ﷺ عير قريش جاءت من الشام وفيها : أبو سفيان بن حرب ، ومخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، وجماعة من قريش . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فسلك حين خرج إلى بدر على نقب[1] بني دينار ، ورجع حين رجع من ثنية الوداع ، فنفر رسول الله ﷺ حين نفر ومعه ثلثمائة وستة عشرا - وفي رواية ابن فليح ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا - وأبطأ عنه كثير من أصحابه ، وتربصوا وكانت أول وقعة أعز الله تبارك وتعالى فيها الإسلام » .

«فخرج في رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه المدينة ومعه المسلمون لايريدون إلا العير فسلك على نقب بني دينار والمسلمون غير مقوين من الظهر ، وإنما خرجوا على النواضح[2] يعتقب[3] النفر منهم على البعير الواحد ، وكان زميل رسول الله ﷺ على ابن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوى حليف حمزة ، فهم معه

(١) النقب : الطريق فى الجبل .

(٢) الإبل التى رشحت عرقا .

(٣) يركب الواحد خلف الآخر .

ليس معهم إلا بعير واحد، فساروا حتى إذا كانوا بعرق الظبية لقيهم راكب من قبل تهامة ، والمسلمون يسيرون ، فوافقه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألوه عن أبي سفيان فقال : لا علم لي به .

فلما يئسوا من خبره قالوا له : سلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيكم رسول الله ؟

قالوا : نعم . قال : أيكم هو ؟ فأشاروا له إليه .

فقال الأعرابي : أنت رسول الله كما تقول : قال : نعم .

قال : إن كنت رسول الله كما تزعم فحدثني بما في بطن ناقتي هذه؟ فغضب رجل من الأنصار ثم من بني عبد الأشهل يقال له : سلمة ابن سلامة بن وقش ، فقال الأعرابي : وقعت على ناقتك فحملت منك . فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال سلمة حين سمعه أفحش ، فأعرض عنه .

ثم سار رسول الله ﷺ لا يلقاه خبر ولا يعلم بنفرة قريش . فقال النبي ﷺ لأصحابه : أشيروا علينا في أمرنا ومسيرنا .

فقال أبو بكر : يا رسول الله أنا أعلم الناس بمسافة الأرض . أخبرنا عدي بن أبي الزغباء أن العير كانت بوادي كذا وكذا فكأنا وإياهم فرسا رهان إلى بدر .

ثم قال أشيروا علي .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله إنها قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت . والله ليقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعدد له عدته .

فقال رسول الله ﷺ : أشيروا على .

فقال المقداد بن عمرو عديد بنى زهرة : إنا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى :

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . (المائدة : ٢٤)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون .

فقال رسول الله ﷺ : أشيروا علىّ .

فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارة النبى ﷺ أصحابه فيشيرون فيرجع إلى المشورة ، ظن سعد أنه يستنطق الأنصار شفقًا أن لا يستحوذوا معه ، أو قال أن لا يستجلبوا معه على ما يريد من أمره . فقال سعد بن معاذ : لعلك يا رسول الله تخشى أن لا تكون الأنصار يريدون مواساتك ولا يرونها حقًّا عليهم إلَّا بأن يروا عدوًّا فى بيوتهم وأولادهم ونسائهم . وإنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم يا رسول الله فاظعن حيث شئت وصِلْ حبلَ من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذته منا أحب إلينا مما تركت علينا ، وما ائتمرت من أمرنا فأمرنا لأمرك فيه تبَع ، فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد[1] ذي يمن لسرنا معك .

(١) برك الغماد موضع باليمن ، أو أقصى معمور الأرض .

فلما قال ذلك سعد ، قال رسول الله ﷺ : سيروا على اسم الله عز وجل فإنى قد أريت مصارع القوم ، فعمد لبدر .

وخفض أبو سفيان فلصق بساحل البحر . وخاف الرصد على بدر ، وكتب إلى قريش حين خالف مسير رسول الله ﷺ ، ورأى أنه قد أحرز مامعه ، وأمرهم أن يرجعوا ، فإنما خرجتم لتحرزوا ركبكم ، فقد أحرز لكم . فلقيهم هذا الخبر بالجحفة . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم بها ، ونطعم من حضرنا من العرب . فإنه لن يرانا أحد من العرب فيقاتلنا . فكره ذلك الأخنس بن شريق فأحب أن يرجعوا وأشار عليهم بالرجعة فأبوا وعصوه وأخذتهم حمية الجاهلية .

فلما يئس الأخنس من رجوع قريش أكب على بنى زهرة فأطاعوه فرجعوا ، فلم يشهد أحد منهم بدرًا ، واغتبطوا برأى الأخنس وتبركوا به فلم يزل فيهم مطاعًا حتى مات .وأرادت بنو هاشم الرجوع فيمن رجع فاشتد عليهم أبو جهل بن هشام ، وقال : والله لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع .

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى بئر من بدر عشاء ، ثم بعث عليًّا بن أبي طالب والزبير بن العوام وبسبسا الأنصارى عديد[1] بنى ساعدة وهو أحد جهينة فى عصابة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال لهم :

---

(١) عديد : من يعد فيهم .

انلفعوا إلى هذه الظراب – وهو فى ناحية بدر – فإنى أرجو أن تجلوا الخبر عند القليب[1] الذى يلى الظراب ، فانطلقوا متوشحى السيوف فوجدوا وارد قريش عند القليب الذي ذكر رسول الله ﷺ . فأخذوا غلامين أحدهما لبنى الحجاج أسود ، والآخر لآل العاص يقال له : أسلم ، وأفلت أصحابهما قبل قريش . فأقبلوا بهما حتى أتوا بهما رسول الله ﷺ – وهو فى معرسه[2] دون الماء ، فجعلوا يسألون العبدين عن أبى سفيان وأصحابه لا يرون إلا أنهما لهم ، فطفقا يحدثانهم عن قريش ومن خرج منهم ، وعن رءوسهم ، فيكذبونهما ، وهم أكره شيء للذى يخبرانهم ، وكانوا يطمعون بأبى سفيان وأصحابه ويكرهون قريشًا . وكان رسول الله ﷺ قائمًا يصلى يسمع ويرى الذى يصنعون بالعبدين ، فجعل العبدان إذا أذلقوهما[3] بالضرب يقولان : نعم ، هذا أبو سفيان ، والركب ، كما قال الله عز وجل أسفل منكم قال الله تعالى :

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِى الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

(الأنفال : ٤٢)

قال : فطفقوا إذ قال العبدان : هذه قريش قد جاءتكم ، كذبوهما وإذا قالا : هذا أبو سفيان ، تركوهما . فلما رأى رسول الله ﷺ صنيعهم

---

(١) البئر .

(٢) موضع إقامته .

(٣) أضعفوهما وأوجعوهما .

بهما سلّم من صلاته . فقال : ماذا أخبراكم ؟ قالوا : أخبرانا أن قريشًا قد جاءت ، قال : فإنهما قد صدقا ، والله إنكم لتضربونهما إذا صدقا ، وتتركونهما إذا كذبا . خرجت قريش لتحرز ركبها ، وخافوكم عليهم .

ثم دعا رسول الله ﷺ العبدين ، فسألهما ، فأخبراه بقريش ، وقالا : لا علم لنا بأبى سفيان . فسألهما رسول الله ﷺ كم القوم ؟ قالا : لا ندرى والله هم كثير . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : من أطعمهم أمس ؟ فسميا رجلًا من القوم . قال : كم نحر لهم ؟ قالا : عشر جزائر[1] . قال : فمن أطعمهم أول أمس ؟ فسميا رجلًا آخر من القوم . فقال : كم نحر لهم ؟ قالا : تسعًا. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : القوم ما بين التسعمائة والألف . يعتبر ذلك بتسع جزائر ينحرونها يومًا ، وعشر ينحرونها يومًا .

فقام رسول الله ﷺ فقال : أشيروا علىّ فى المنزل . فقام الحباب ابن المنذر – رجل من الأنصار– ثم أحد بنى سلمة فقال : أنا يا رسول الله عالم بها ، وبقلبها ، إن رأيت أن تسير إلى قليب منها. قد عرفتها كثيرة الماء عذبة. فتنزل عليها ، وتسبق القوم إليها ، وتغور[2] ما سواها فقال رسول الله ﷺ : سيروا ، فإن الله تعالى قد وعدكم إحدى الطائفتين أنها لكم ، فوقع فى قلوب الناس كثير الخوف . وكان فيهم شىء من تخاذل من تخويف الشيطان ، فسار رسول الله ﷺ ،

---

(١) جمع جزور وهو البعير المجزور .

(٢) تذهب ماء .

والمسلمون مسابقين إلى الماء ، وسار المشركون سراعًا يريدون الماء ، فأنزل الله عليهم فى تلك الليلة مطرًا واحدًا فكان على المشركين بلاء شديداً ، منعهم أن يسيروا ، وكان على المسلمين ديمة[1] خفيفة لبد لهم المسير والمنزل ، وكانت بطحاء دهسة[2] فسبق المسلمون إلى الماء ، فنزلوا عليه شطر الليل ، فاقتحم القوم فى القليب فماحوها[3] حتى كثر ماؤها ، وصنعوا حوضًا عظيمًا ، ثم غوروا ما سواه من المياه .

وقال رسول الله ﷺ : هذه مصارعهم إن شاء الله تعالى بالغداة . وأنزل الله عز وجل :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ .
(الأنفال : ١١)

ويقال : كان مع رسول الله ﷺ فرسان على أحدهما مصعب بن عمير ، وعلى الآخر سعد بن خيثمة ، ومرة الزبير بن العوام ، ومرة المقداد ابن الأسود ، ثم صف رسول الله ﷺ على الحياض ، فلما طلع المشركون قال رسول الله ﷺ - زعموا : اللهم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها ، تحادك[4] وتكذب رسولك . اللهم إنى أسألك ما وعدتنى -- ورسول الله ﷺ ممسك بعضد أبى بكر يقول : اللهم إنى

---

(١) مطر يدوم فى سكون بلا رعد أو برق .
(٢) مكان سهل ليس برملٍ ولا تراب .
(٣) الميح : دخول البئر لملء الدلاء .
(٤) من الحدد : وهو المنع والنزق وما يعترى الإنسان من الغضب .

أسألك ماوعدتنى . فقال أبو بكر : يانبى الله ، أبشر فوالذى نفسى بيده لينجزن الله تعالى لك ماوعدك ، فاستنصر المسلمون الله تعالى ، واستغاثوه ، فاستجاب الله تعالى لنبيه ﷺ وللمسلمين ، وأقبل المشركون ومعهم إبليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى يحدثهم أن بنى كنانة وراءه قد أقبلوا لنصرهم ، وأنه لاغالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم لمـــا أخبرهم من سير بنى كنانة . قال : وأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ ﴾ .

(الأنفال : ٤٧)

هذه الآية والتى بعدها ، قال رجال من المشركين ممن ادعى الإسلام وخرج بهم المشركون كرها لمـا رأوا قلة مع محمد ﷺ وأصحابه : غر هؤلاء دينهم . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٤٩) الآية كلها . وأقبل المشركون حتى نزلوا وتَعَبَّوا(١) للقتال ، والشيطان معهم لا يفارقهم . فسعى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة . فقال : هل لك أن تكون سيد قريش ماعشت ؟ قال عتبة : فأفعل ماذا ؟ قال : تجير بين الناس ، وتحمل دية ابن الحضرمى ، وبما أصاب محمد من تلك العير ، فإنهم لا يطلبون من محمد غير هذه العير ، ودم هذا الرجل . قال عتبة : نعم ، قد فعلت ونعما قلت : ونعما دعوت إليه . فاسع فى عشيرتك ، فأنا أتحمل بها ، فسعى حكيم فى أشراف قريش بذلك يدعوهم إليه ، وركب عتبة بن ربيعة

---

(١) استعدوا .

جملًا له ، فسار عليه فى صفوف المشركين فى أصحابه . فقال : ياقوم أطيعونى ، فإنكم لا تطلبون عندهم غير دم ابن الحضرمى ، وما أصابوا من عيركم تلك ، وأنا أتحمل بوفاءِ ذلك ، ودعوا هذا الرجل ، فإن كان كاذبًا ولى قتله غيركم من العرب ، فإن فيهم رجالًا لكم فيهم قرابة قريبة ، وإنكم إن تقتلوهم لا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أخيه ، أو ابنه ، أو ابن أخيه ، أو ابن عمه ، فيورث ذلك فيهم إحنا[(١)] وضغائن : وإن كان هذا الرجل ملكًا كنتم فى ملك أخيكم ، وإن نبيًّا كان لم تقتلوا النبى فتُسَبُّوا به ، ولن تخلصوا أحسب إليهم حتى يصيبوا أعدادهم ، ولا آمن أن تكون لهم الدَّبْرة[(٢)] عليكم ، فحسده أبو جهل على مقالته ، وأبى الله عز وجل إلَّا أن يُنْفِذَ أمره . وعتبة بن ربيعة يومئذ سيد المشركين ، فعمد أبو جهل إلى ابن الحضرمى ، وهو أخو المقتول ، فقال : هذا عتبة يَخْذِلُ[(٣)] بين الناس ، وقد تحمل بدية أخيك يزعم أنك قابلها ، أفلا تستحيون من ذلك أن تقبلوا الدِّيَة ؟ وقال أبو جهل لقريش : إن عتبة قد علم أنكم ظاهرون[(٤)] على هذا الرجل ومن معه ، وفيهم ابنه وبنو عمه وهو يكره صلاحكم . وقال أبو جهل لعتبة — وهو يسير فيهم ويناشدهم : انتفخ سحرك . وزعموا أن النبى ﷺ قال وهو ينظر إلى عتبة : إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر ، وإن يطيعوه يرشدوا ، فلما حرض أبو جهل قريشًا

---

(١) أحقادا .

(٢) الهزيمة فى القتال .

(٣) متخاذل منهزم .

(٤) منتصرون .

على القتال أمر النساء يُعْوِلْنَ[1] عمرًا ، فقمن يصحن : واعمراه واعمراه تحريضًا على القتال ، وقام رجال فتكشفوا يعيِّرون بذلك قريشًا ، فاجتمعت قريش على القتال ، وقال عتبة لأبى جهل : ستعلم اليوم من انتفخ سحره أى الأمرين أرشد ، وأخذت قريش مصافَّها[2] للقتال ، وقالوا لعمير بن وهب : اركب فاحزر لنا محمدًا وأصحابه . فقعد عمير على فرسه ، فأطاف برسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم رجع إلى المشركين فقال : حزرتهم بثلثمائة مقاتل زادوا شيئًا أو نقصوا شيئًا ، وحزرت سبعين بعيرًا ونحو ذلك ، ولكن انظروني حتى أنظر هل لهم مدد أو خبيء فأطاف حولهم وبعثوا خيلهم معه فأطافوا حول رسول الله ﷺ وأصحابه ثم رجعوا ، فقالوا : لا مدد لهم ، ولا خبيء ، وإنما هم أكلة جزور ، طعام مأكول . وقالوا لعمير : حرش[3] بين القوم ، فحمل عمير على الصف ، ورجعوا بمائة فارس ، واضطجع رسول الله ﷺ ، وقال لأصحابه : لا تقاتلوا حتى أوذنكم وغشيه نومٌ فغلبه ، فلما نظر بعض القوم إلى بعض ، جعل أبو بكر يقول : يا رسول الله قد دنا القوم ، ونالوا منا . فاستيقظ رسول الله ﷺ ، وقد أراه الله تعالى إياهم فى منامه قليلا ،

(١) يبكين ويندبن .

(٢) جمع مصف وهو موضع الصف .

(٣) الإغراء بين القوم .

وقلل المسلمين فى أعين المشركين ، حتى طمع بعض القوم فى بعض ، ولو أراه عددًا كثيرًا لفشلوا ، ولتنازعوا فى الأمر كما قال الله عز وجل ، ومع رسول الله ﷺ وأصحابه فرسان أحدهما لأبى مرثد الغنوى ، والآخر للمقداد بن عمر .

وقام رسول الله ﷺ فى الناس ، فوعظهم ، وأخبرهم ، أن الله تعالى قد أوجب الجنة لمن استشهد اليوم . فقام عمير بن حمام أخو بنى سلمة عن عجين كان يعجنه لأصحابه حين سمع قول النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن لى الجنة إن قُتِلت ؟ قال : نعم . فشد على أعداء الله مكانه فاستشهده الله تعالى . وكان أول قتيل قُتِل . ثم أقبل الأسود ابن عبد الأسد المخزومى يحلف بآلهته لَيَشْرَبَنَّ من الحوض الذى صنع محمد وليهدمنه . فشد . فلما دنا من الحوض لقيه حمزة بن عبد المطلب فضرب رجله ، فقطعها فأقبل يحبو حتى وقع فى جوف الحوض فهدم منه ، واتبعه حمزة حتى قتله . فلما قتل الأسود بن عبد الأسد نزل عتبة ابن ربيعة عن جمله حمية[1] لما قال أبو جهل . ثم نادى : هل من مبارز ؟ فوالله ليعلمن أبو جهل أينا أجبن وألأم ، ولحقه أخوه شيبة والوليد ابنه فناديا يسألان المبارزة . فقام إليهم ثلاثة من الأنصار فاستحيى النبى ﷺ من ذلك ، لأنه كان أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون ، ورسول الله ﷺ شاهد معهم . فأحب النبى ﷺ أن تكون الشوكة لبنى عمه ، فناداهم النبى ﷺ ، أن ارجعوا إلى مصافكم ، وليقم إليهم

(١) غضبا .

بنو عمهم . فقام حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبيدة ابن الحارث بن المطلب ، فبرز حمزة لعتبة ، وبرز عبيدة لشيبة ، وبرز على بن أبى طالب للوليد . فقتل حمزة عتبة ، وقتل عبيدة شيبة ، وقتل على الوليد . وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها ، فاستنقذه حمزة وعلى ، فحمل حتى توفى بالصفراء وفى ذلك تقول هند بنت عتبة :

أيا عَيْنَى جُودِى بدَمْعٍ سَرِبٍ[1] على خير خِنْدِفَ لم يقلب
تداعا له رهطُه غُدْوَةً بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حَرَّ أسيافهم يعلونه بعد ما قد ضُرب

وعند ذلك نذرت هند بنت عتبة لتأكلن من كبد حمزة إن قدرت عليها ، فكان قتل هؤلاء النفر قبل التقاء الجمعين .

وعج[2] المسلمون إلى الله يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب ، ورفع رسول الله ﷺ يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده ويسأله النصر ويقول : اللهم إن ظهر علىّ هذه العصابة ظهر الشرك ولم يقم لك دين . وأبو بكر رضى الله عنه يقول : يا رسول الله ، والذى نفسى بيده لينصرك الله عز وجل ، وليبيضن وجهك . فأنزل الله عز وجل من الملائكة جندًا فى أكتاف العدو . فقال رسول الله ﷺ : قد أنزل الله نصره ، ونزلت الملائكة . أبشر يا أبا بكر فإنى قد رأيت جبريل عليه السلام معتجرًا[3] يقود فرسًا بين السماء والأرض . فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب عنى ساعة ثم رأيت على شِقَّيْه غبارًا .

(١) منهمر . (٢) صاحوا ورفعوا أصواتهم . (٣) اعتجر : لف العمامة .

وقال أبو جهل : اللهم انصر خير الدينين . اللهم ديننا القديم ، ودين محمد الحديث ونكص الشيطان على عقبيه ، حين رأى الملائكة ، وتبرأ من نصر أصحابه ، فأوحى الله عز وجل إلى الملائكة ، وأمرهم بأمره ، وحدثهم أنه معهم ، وأمر بنصر رسول الله ﷺ والمؤمنين .

وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه من الحصباء ، فرمى بها وجوه المشركين ، فجعل الله تبارك وتعالى تلك الحصباء عظيمًا شأنها ، لم تترك من المشركين رجلًا إلّا ملأت عينيه . وجعل المسلمون بهم قتلًا معهم الله والملائكة ، يقتلونهم ويأسرونهم ، ويجدون النفر كل رجل منهم مُنْكَبًّا على وجهه ، لا يدرى أين يتوجه يعالج الترابَ ينزعه من عينيه .

وكان رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين قبل القتال إن رأوا الظهور أن لا يقتلوا عباسًا ولا عقيلًا ، ولا نوفل بن الحرث ، ولا أبا البخترى ، فى رجال ، فأسر هؤلاء النفر فى رجال ممن أوصى بهم رسول الله ﷺ ، وغيرهم إلّا أبا البخترى فإنه أبى أن يستأسر ، وذكروا له — زعموا — أن النبى ﷺ قد أمرهم أن لا يقتلوه إن استأسر ، فأبى . وأسر بشر كثير ممن لم يأمر النبى ﷺ بإساره التماس الفداء . قال : ويزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البختري — ويأبى عظم الناس — ألا أن المجدر ، هو الذى قتله ، بل قتله أبو داود المازنى ، وسلبه سيفه وكان عند بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بنى أبى البختري وقال المجدّر :

بَشِّرْ بيُتُمْ إنْ لَقِيتَ البخترى وبَشِّرَنْ بمثلهـا منى بنِى

أَنا الَّذِى أُزعم أَصْلِى مِنْ بَلِى أَطْعَنُ بالحَرْبَةِ حتَّى تَنْثَنِى

وَلَا تَرَى مُجَـدَّرًا يَفْرِي فَرِي

فزعموا أنه ناشده ألا استأسر ، وأخبره أن رسول الله ﷺ نهى عن قتله إن استأسر ، فأبى أبو البخترى أن يستأسر ، وشد عليه بالسيف فطعنه الأنصارى بين ثدييه ، وأجهز عليه .

وأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى ، فالتمس أبا جهل ، فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجه رسول الله ﷺ . فقال : اللهم ، لا يعجزنى فرعون هذه الأمة ، فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله ابن مسعود مصروعًا بينه وبين المعركة غير كبير ، مقنعًا فى الحديد واضعًا سيفه على فخذيه ، ليس به جرح ، ولا يستطيع أن يحرك منه عضوًا ، وهو منكب ينظر إلى الأرض ، فلما رآه عبد الله بن مسعود أطاف حوله ليقتله وهو خائف أن يثور إليه وأبو جهل مقنع فى الحديد . فلما دنا منه ، وأبصره لا يتحرك ، ظن عبد الله أن أبا جهل مُثْبَتٌ[1] جراحًا ، فأراد أن يضربه بسيفه ، فخشى أن لا يغنى سيفه شيئًا ، فأتاه من ورائه ، فتناول قائم سيفه فاستله وهو منكب لا يتحرك ، فرفع عبد الله سابغة البيضة[2] عن قفاه فضربه ، فوقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه . فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر فى عنقه جِدَرًا[3] ، وفى يديه وفى كتفيه كهيئة آثار السياط . وأتى ابن مسعود النبى ﷺ فأخبره أن أبا جهل قد قتل ، وأخبره بالذى وجد به . فقال النبى ﷺ : ذلك ضرب الملائكة . وقال : اللهم قد أنجزت ما وعدتنى .

---

(١) لا حراك به .

(٢) ما توصل به البيضة من حلق الدرع فتستر العنق .

(٣) ورم أو أثر كدم .

ورجعت قريش إلى مكة مغلوبين منهزمين . وكان أول من قدم بهزيمة المشركين الحيسمان الكعبي – وهو جد حسن بن غيلان – فاجتمع عليه الناس عند الكعبة يسألونه ، لا يسأل عن رجل من أشراف قريش إلا نعاه . فقال صفوان بن أمية – وهو قاعد مع نفر من قريش فى الحجر : والله ما يعقل هذا الرجل ، ولقد طار قلبه . سلوه عنى فإنى أظنه سوف ينعانى . فقال بعضهم للحيسمان : هل لك علم بصفوان بن أمية ؟ قال : نعم ، هو ذاك جالس فى الحجر . ولقد رأيت أباه أمية بن خلف قتل ، ثم تتابع فَلّ[1] المشركين من قريش ، ونصرة الله عز وجل رسوله ﷺ والمؤمنين ، وأذل بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين . فلم يبق بالمدينة منافق ولا يهودى إلّا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر ، وكان ذلك يوم الفرقان يوم فرق الله تعالى بين الشرك والإيمان .

وقال اليهود تيقنًا : إنه النبى الذى نجد نعته فى التوراة ، والله لا يرفع راية بعد اليوم إلّا ظهرت . وأقام أهل مكة على قتلاهم النوح فى كل دار من مكة شهرًا وجزّ النساء رءوسهن ، يؤتى براحلة الرجل أو بفرسه ، فيوقف بين ظهرى النساء فَيَنُحْنَ حولها ، وخرجن فى الأزقة فسترنها بالستور ثم خرجن إليها يَنُحْنَ .

ولم يقتل من الأسرى صبرًا غير عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ، قتله عاصم ابن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف . لما أبصره عقبة مقبلًا إليه ، استغاث بقريش ، فقال : يا معشر قريش علام أقتل من بين من ها هنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : على عداوتك الله ورسوله .

(١) المنهزمون .

وأمر رسول الله ﷺ بقتلى قريش من المشركين فأُلقوا فى قَليب بدر ، ولعنهم ، وهو قائم يسميهم بأسمائهم ، غير أن أمية بن خلف كان رجلًا مسنًا فانتفخ فى يومه ، فلما أرادوا أن يلقوه فى القليب تفقأ. فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، وهو يلعنهم ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟

قال : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فدخل من ثنية الوداع ونزل القرآن يعرفهم الله نعمته فيما كرهوا من خروج رسول الله ﷺ إلى بدر ، فقال :

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ . (الأنفال ٥ ـ ٦)

إلى هذه الآية وثلاث آيات معها . وقال : فيما استجاب للرسول وللمؤمنين .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ . (الأنفال ٩)

هذه الآية وإحدى معها . وأنزل فيما غشيهم من النعاس أمنة منه حين وكلهم إليه حين أُخبروا بقريش فقال :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ

إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءامَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ . (الأنفال ١١ – ١٢) هذه الآية والتى بعدها .

وأنزل فى قتل المشركين والقبضة التى رمى بها رسول الله ﷺ من الحصباء والله أعلم :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ . هذه الآية والتى بعدها . (الأنفال – ١٧)

وأنزل فى استفتاحهم ودعاء المومنين :

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ . (الأنفال – ١٩)

وقال فى شأن المشركين : ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . (الأنفال – ١٩)

هذه الآية كلها ، ثم أنزل تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فى سبع آيات معها .

وأنزل فى منازلهم فقال :

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ والرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِى الْمِيعَادِ وَلٰكِن لِّيَقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ الأنفال ٤٢ والآية التى بعدها.

وأنزل فيما يعظم به : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ الأنفال ٤ الآية وثلاث آيات معها .

وأنزل فيما تكلم به رجال من أهل الإسلام خرج بهم المشركون كرهًا فلما رأوا قلة المسلمين قالوا :﴿ غَرَّ هَؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ الأنفال ٤٩ الآية كلها .

وأنزل فى قتلى المشركين ومن اتبعهم : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾ الأنفال ٥ الآية وثمان آيات معها .

وعاتب الله عز وجل النبى ﷺ والمؤمنين فيما أُسروا وكره الذى صنعوا ألَّا يكونوا أثخنوا العدو بالقتل فقال عز وجل :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ . (الأنفال – ٦٧)

ثم سبق من الله عز وجل لنبيه ﷺ والمؤمنين إحلال الغنائم ، وكانت حرامًا على من كان قبلهم من الأُمم ، كان فيما يتحدث عن رسول الله ﷺ والله أعلم أنه كان يقول : لم تكن الغنائم تحل لأَحد قبلنا فطيَّبها الله عز وجل فأَنزل فيما سبق من كتابه بإحلال الغنائم ، فأَنزل الله عز وجل فقال :

﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأَنفال – ٧٨) هذه الآية والتى بعدها .

* * *

الحجاج بن يوسف الثقفي

(ت ٩٥ هـ)

نشأ بالطائف فى أسرة متعلمة . وكان فى بدء حياته معلمًا بالطائف، ثم التحق بالجيش الأموى ، وتنقل فى مراتبه ، وظهر أمره ، فعهد إليه عبد الملك بن مروان قيادة جيش لمحاربة عبد الله بن الزبير فى مكة . وانتصر الحجاج على ابن الزبير الذى سقط قتيلًا فى المعركة فى عام ٧٣ هـ . وولاه عبد الملك بن مروان على الحجاز واليمن فوطد الأمن فيهما ، فأضاف إليه عبد الملك الولاية على العراق بعد عامين (٧٥ هـ). وبقى واليًا على العراق عشر سنوات أقر الأمن فيه ، وقضى على الخوارج والثائرين على بنى أمية ، وأجرى إصلاحات إدارية وعمرانية كثيرة . ووجه الجيوش إلى المشرق ، ففتحت بلخ وطُخارستان وفرغانة (وسط آسيا) والسند (غربى الهند) ، ووصلت جيوشه إلى كاشغر على حدود الصين . وتوفى الحجاج فى عام ٩٥ هـ – ٧١٥ م على الأرجح .

كان الحجاج خطيبًا مبدعًا ؛ عرف بجزالة اللفظ ، وقصر الجمل ، وكثرة الاقتباس من القرآن الكريم والشعر والأمثال .

وعندما ولاه عبد الملك بن مروان العراق توجه إليه فدخل الكوفة فى عام ٧٥ هـ فى شهر رمضان ، ودخل المسجد مُعْتَمًّا بعِمَامة قد غطّى بها أكثر وجهه ، متقلدًا سيفا ، متنكبًا قوسًا ، يَؤُم المنبر . فقام الناس

نحوه حتى صعد المنبر ، ثم مكث ساعة لا يتكلم . فقال (بعض الناس لبعض) : قبح الله بنى أمية ؛ إذ يستعملون مثل هذا على العراق . ثم قال عُمير بن ضابئ البُرجُمى : ألَا أحصبه لكم ؟

وكان بعضهم قد أخذ حصى يريد أن يحصبه بها ، فقالوا : أمهل حتى ننظر . فلما رأى الحجاج عيون الناس إليه ، حَسَر اللِّثام ونهض . فقال هذه الخطبة :

* * *

ولى الحجاج أمر العراق فألقى الخطبة وقال[1] :

أَنَا ابنُ جَلَا[2] وطَلَّاعِ الثَّنَايا[3] متى أَضعِ العِمامةَ[4] تعرفونى

يا أهلَ الكوفة ؛ إنى لأَحْمِلُ الشر بحمله . وأحذوه بنعله ، وأُجزيه بمثله ؛ وإنِّى لأَرى أبصاراً طامِحة . وأعناقاً متطاولة . ورءوساً قد أينعت[5] وحان قِطافها . وإنِّى لَصاحبُها . وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللِّحَى تترقرق :

هذا[6] أوان الشَّد[7] فاشتدى زِيَم[8] قد لَفَّها الليل بسوَّاق حطم[9]

---

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى .
(٢) ابن جلا : البين الرأى والأمر .
(٣) الثنايا : الطرق فى الجبال . طلاع الثنايا : المتغلب على الصعاب .
(٤) وضع العمامة : رفع طرفها عن وجهه .
(٥) أينع الثمر : نضج .
(٦) الرجز لرويشد بن رميض العنبرى .
(٧) الشد : الجرى .
(٨) زيم : اسم ناقة .
(٩) حطم : الذى يجهد الناقة .

ليس بـراعي إبلٍ ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وَضَم[(١)]
قد لفّها الليل بعَصْلَبِي[(٢)] أروع[(٣)] خرّاج من الدّوي[(٤)]
مُهاجر[(٥)] ليس بأعرابي
قد شمّرت عن ساقها فشُدّوا وجَدَّتِ الحربُ بكم فجِدّوا
والقوس فيها وترٌ عُرُدٌّ[(٦)] مثل ذِراع البكر[(٧)] أو أشدّ
لابدَّ ممّا ليس منه بُدّ

إنّي والله يا أهل العراق ، ومعدن الشّقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، ما يُقَعْقَع لي بالشّنان[(٨)] ، ولا يُغْمَز جانبي كتَغماز التين[(٩)] . ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء ، وفتّشتُ عن تجربة ، وجَرَيْتُ إلى الغاية القُصْوى وإن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كِنانته[(١٠)] بين يديه فعَجَم[(١١)] عيدانها ، فوجدني أمرها عودًا ، وأصلبها مَكْسِرًا ؛ فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن ، واضطجعتم في مراقد الضلال ، وسَنَنْتم سُنَنَ الغَي .

(١) وضم : قطعة الخشب التي يقطع الجزار اللحم عليها .
(٢) العصلب : الشديد .
(٣) أروع : ذكي الفؤاد .
(٤) الدوي : الصحراء .
(٥) مهاجر : حضري .
(٦) عرد : شديد .
(٧) البكر : ولد الناقة .
(٨) ما يقعقع لي بالشنان : أخوف بأحد الأصوات وراقي . الشنان : جمع شن ، أي الجلد اليابس .
(٩) لا يغمز جانبي كتغماز التين : لا أسكن على الضيم .
(١٠) الكنانة : جعبة السهام .
(١١) عجم العود : عضه ليختبر قوته وصلابته .

أما والله لألحونكم[1] لحو العصا ، ولأقرعنكم قرع المروة[2] ، ولأعصبنكم عصب السلمة[3] ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ؛ فإنكم لكأهل ﴿قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ .

وإني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت[4] ، ولا أخلق[5] إلا فريت[6] . فإياى وهذه الشفعاء ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً ، وما تقول ، وفيم أنتم وذاك . أما والله لتستقيمن على طريق الحق ، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً فى جسده .

وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم ؛ وإنى أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وأنى أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف[7] بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه ، وأنهبت ماله ، وهدمت منزله .

---

(١) لحا : قشر . (٢) قرع : ضرب . قرع المروة : ضرب الحجر .

(٣) السلمة : شجر ذو شوك . الآية « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »
سورة النحل آية ١٢

(٤) أمضيت : نفذت . (٥) خلق : قدر . (٦) فرى : قطع .

(٧) وتأخر عمير بن ضابىء البرجمى — وكان شيخا — عن الموعد الذى ضربه الحجاج ثم جاء بعد ثلاثة أيام يعتذر بضعفه ، فهم الحجاج بالعفو عنه ، ولكن ذكر له أن الرجل دخل على عثمان بن عفان مقتولا ، فوطىء بطنه . فأمر الحجاج بقتله ، قائلا « إن فى قتلك صلاح المسلمين » .

وأمر مناديا فنادى : ألا إن عمير بن ضابىء أتانا بعد ثالثة — وكان قد سمع النداء — فأمرنا بقتله . ألا إن الذمة قد برئت من رجل رأيناه بعد هذا لبعث متخلفا .

الحسن البصرى

(ت ١١٠ هـ)

هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد، كان إمام أهل البصرة وعالمها . ولد بالمدينة نحو سنة ٢١ هـ وشب فى كنف على بن أبى طالب ، ثم سكن البصرة ، وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار ، عرف بعفته ونسكه وعلمه . وعظمت هيبته فى القلوب حتى كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف فى الحق ، وله مع الحجاج مواقف جريئة ، قال الغزالى عنه : كان أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديًا من الصحابة . وقد اشتهر الحسن بفصاحته وحكمته ووعظه الذى كان شديد التأثير فى النفوس ، ولما ولى عمر بن العزيز الخلافة كتب إليه : إنى قد ابتليت بهذا الأمر ، فانظر لى أعوانًا يعينوننى عليه فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله . توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

* * *

صفة الإمام العادل للحسن البصري

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليهِ بصفة الإمام العادل ، فكتب إليهِ الحسن - رحمهُ الله :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قِوامَ كل مائل ، وقَصْدَ[1] كل جائِر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونَصفةَ[2] كل مظلوم ، ومَفْزَعَ كل ملهوف ، والإمام العَدْل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذُودها عن مراتِع الهَلَكة ، ويحميها من السباع ، ويكنُفها من أذى الحر والقُر[3] ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعَى لهم صِغارًا ، ويعلمهم كبارًا ، يكتسب لهم فى حياته ، ويدَّخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأُم الشفيقة ، البَرَّة الرفيقة بولدها ، حملَتْه كُرهًا ، ووضعتهُ كُرهًا ، وربَّتهُ طفلًا ، تسهر بسَهَره ، وتَسْكُن بسكونه ، تُرضِعهُ تارةً ، وتَفطِمهُ أُخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشِكايتهُ ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصِي اليتامى ، وخازن المساكين ، يربِّى صغيرهم ، ويَمُون كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلُح الجوانح بصلاحه ، وتفسدُ بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ،

---

(١) هداية ورشاد .

(٢) اسم من الإنصاف .

(٣) مثلث القاف : البرد .

يسمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ــ ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنهُ سيده ، واستحفظهُ مالَه وعيالَه ، فبدَّد المـال ، وشرَّدَ العيال ، فأفقر أهله ، وفرَّق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجُرَبها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يَليها وأن الله أنزل القِصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلَهم مَنْ يقتصُّ لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده ، وقلةَ أشياعِك عنده ، وأنصارِك عليهِ ، فتزوَّد له ، ولـما بعده من الفَزَعِ الأَكبر ، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلًا غير منزلك الذى أنت فيهِ ، يَطُول فيهِ ثَواؤك ، ويفارقك أحبَّاؤك ، يُسْلِمونك فى قعره فريداً وحيداً ، فتزوّد له مايَصْحبك يوم يفر المَرْءُ منْ أخيه ، وأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبته وَبنيه ، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعْثِر ما فى القُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فى الصُّدُورِ ، فالأسرار ظاهرة ، وَالكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إلَّا أَحْصَاهَا ، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مَهَل ، قبل حلولِ الأَجَلِ ، وانقطاع الأَمَل ، لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلُك بهم سبيلِ الظالمين ، وَلَا تُسَلِّط المستكبرين على المستضعَفين ، فإنهم لَا يَرْقُبُون فى مؤمنٍ إلاً[(1)] وَلَا ذِمَّةً ، فتبوء بأوزارك ، وأوزارِ مع أوزارك ، وتحمِلَ أثقالَك ، وأثقالًا مع أثقالك ، ولا يغرَّنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيباتِ فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك ، لا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر

(١) العهد والحلف .

إلى قدرتك غدًا ، وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوفٌ بين يدى الله فى مَجْمَع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عَنَتِ[1] الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيومِ ، إلى يا أمير المؤمنين وإن لم أَبْلغْ بعظتى مابلغه أولو النُّهى من قبلى ، فلم آلُكَ[2] شفقةً ونُصْحًا ، فأَنزِل كتابى إليك كمداوِى حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريهة ، لِمَا يرجو له فى ذلك من العافية ، والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

---

(١) خضعت .

(٢) لم أبطىء أو أقصر .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

رمزى السيد شعبان

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٧٠٢٣س١٩٨٦ — ١٠٠٠